دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

١٢

العدد الثاني عشر: رمضان ١٤٢٣ هـ نوفمبر ٢٠٠٢م



مجلة علمية دورية محكمة

تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث





تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية وتحقيق التراث وَفْق الأمور التالية :

١ - ألا يكون البحث منشوراً من قبل على أي صورة من صور النشر، ولا مرسلاً إلى جهة أخرى، ويُعدّ إرساله إلى المجلة تعهداً بذلك. وفي حال قبوله للنشر في المجلة لا يسمح للباحث بنشره في مكان آخر إلا بعد مرور سنة كاملة على تاريخ نشره فيها.

٢ - ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

٣ - ألا يتجاوز ستين صفحة.

٤ - أن يكون متسماً بالجَوْدة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه ومصادره، متوافقاً مع عنوانه، بعيداً عن الحشو، سليم اللغة، دقيق التوثيق والتخريج، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة، وضبط المشكل، وأن يراعى فيه سائر المعايير العلمية.

٥ - أن يكون العزو إلى صفحات المصادر في الحاشية لا في الصُّلب.

٦ - أن ترقم حواشي كل صفحة على حدة.

٧ - أن يُقدَّم اسم الكتاب على اسم مؤلفه عند توثيق النصوص في الحواشي، وكذلك في ثبت المصادر والمراجع.

٨ - ألا يشار في الحواشي إلى المعلومات المتعلقة بطبعة الكتاب المحال إليه، إلا في حال اعتماد الباحث أكثر من طبعة للكتاب الواحد.

٩ - أن يراعى الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرخ.

١٠ - أن تكتب الأعلام الأجنبية أولاً بحروف عربية، ثم باللاتينية لمن أراد.

١١ - أن تثبت المصادر والمراجع مستوفاة في آخر البحث مرتبة على حروف المعجم.

١٢ - أن توضع النماذج المخطوطة والصور التوضيحية في المكان المناسب.

١٣ - أن يُقدِّم الباحث تعريفاً ببحثه محرراً تام التحرير في نحو مئة كلمة، ويفضل ترجمته إلى الإنكليزية.

١٤ - أن يُرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث.

١٥ - أن يكون البحث مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح، ومصححاً تصحيحاً كاملاً، وترسل النسخة الأصلية للمجلة.

١٦ - لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

١٧ - يُشعر أصحاب البحوث الواردة بوصولها إلى المجلة.

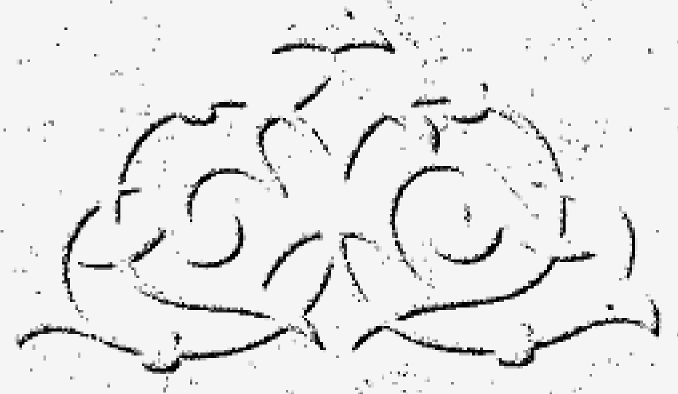
١٨ - يخضع ترتيب البحوث وتنسيقها في المجلة لاعتبارات فنية.

١٩ - يمنح صاحب البحث المنشور عشرين مستلة من بحثه، وثلاث نسخ من العدد الذي نُشر له فيه، إضافة إلى مكافأة مالية.

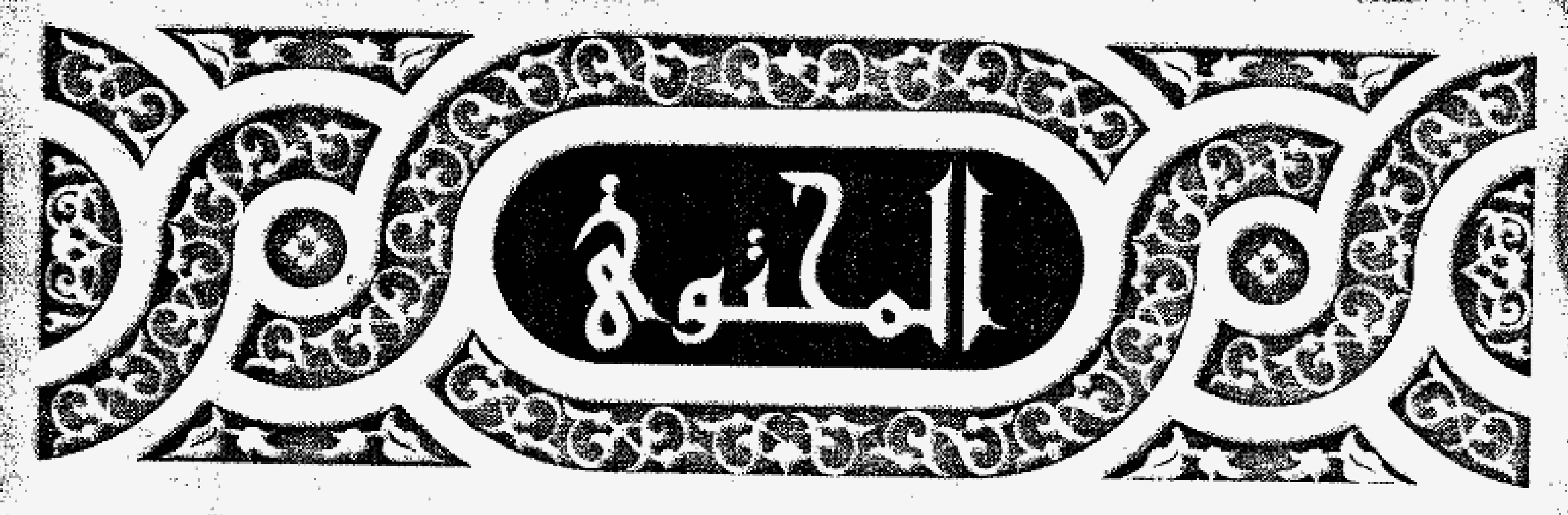
جميع المراسلات باسم مدير تحرير مجلة الأحمدية
دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث
ص.ب: ٢٥١٧١ دبي - الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨ - ناسوخ (فاكس): ٣٤٥٣٢٩٩
E-mail: ahmadiah@bhothdxb.org.ae

الموزعون المعتمدون

الإمارات	دار الحكمة - دبي	هاتف: ٢٢٦٥٣٩٤	فاكس: ٢٦٦٩٨٢٧
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٩٤٠٠٠	فاكس: ٢٩٠٥٨٠
السعودية	المكتبة المكية - مكة المكرمة	هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢	فاكس: ٥٣٤٠٨٢٢
قطر	دار العروبة للصحافة والطباعة	هاتف: ٢٥٦٠٠١	فاكس: ٣٢٥٨٧٤
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٤٢١٤٦٨	فاكس: ٢٤٦٠٩٥٣
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	هاتف: ٤٦٣٠١٩١	فاكس: ٤٦٣٥١٥٢
مصر	مؤسسة الأهرام - القاهرة	هاتف: ٥٧٩٦٣٢٦	فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣
المغرب	الشركة العربية الإفريقية للتوزيع	هاتف: ٢٤٩٢٠٠	فاكس: ٢٤٩٢١٤
لبنان	المؤسسة اللبنانية العربية للتوزيع	هاتف: ٧٤٢٩٩٣	فاكس: ٧٤١٦٥٢



سعر النسخة: الإمارات العربية المتحدة (١٠ دراهم)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت (٨٠٠ فلس)، قطر (١٠ ريالات)، البحرين (٨٠٠ فلس)، عُمان (٥٠٠ بيسة)، مصر (٤ جنيهات)، سورية (٥٠ ليرة)، لبنان (٢٠٠٠ ليرة)، الأردن (دينار واحد)، اليمن (٧٠ ريالاً)، السودان (٧٥ ديناراً)، المغرب (٢٠ درهما)، الجزائر (٢٥ دينارا)، تونس (دينار واحد)، موريتانيا (٢٥٠ أرقية)،
خارج الدول العربية (دولاران أمريكيان أو ما يعادلهما)
الاشتراكات السنوية: الإمارات العربية المتحدة (٣٠) درهماً، الدول العربية والإسلامية (ما يعادل ١٠٠ درهم إماراتي) وما عداها (٤٥ دولاراً أمريكيا أو ما يعادلها).



- الافتتاحية : صلة الأمة بالله

د. عبد الحكيم الأنيس

- حادثة التخيير في إطار المعالجة النبوية لمشكلات الحياة الزوجية : دراسة حديثية

د. عبد السميع الأنيس ———— ١٧ - ٥٨

- الإعلام بحكم عيسى عليه السلام للإمام السيوطي

تحقيق : د. سعيد القزقي ———— ٥٩ - ١٢٨

- شروح كتاب «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» في فقه المذهب الحنفي : دراسة موضوعية فقهية

د. سائد بكداش ———— ١٢٩ - ١٩٠

- القيم الإسلامية في العمران بين التراث والحاجة إلى التجديد

د. مصطفى بن حموش ———— ١٩١ - ٢٣٢

- المقاصد السياسية والشرعية في مفهوم الإمامة عند الباقلاني

د. نزار النعيمي ———— ٢٣٣ - ٢٦٤

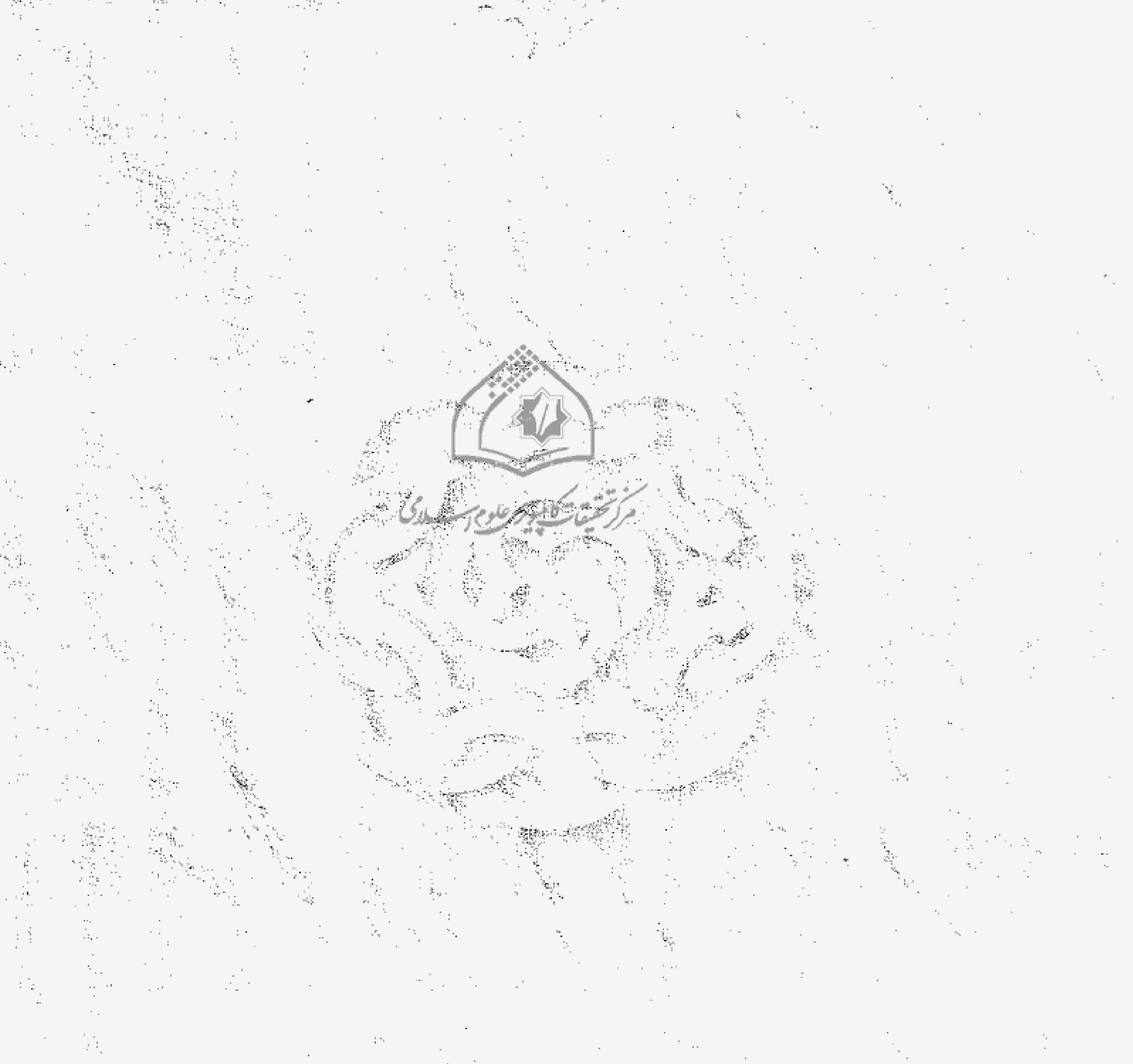
- التعليق على النص في التراث العلمي : الكيفية والضرورة

أ. مصطفى يعقوب عبد النبي ———— ٢٦٥ - ٢٩٨

- آراء أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة وأقسام الدراسات الإسلامية بدول مجلس التعاون الخليجي حول معوقات البحث في العلوم الإسلامية : دراسة ميدانية

د. عبد الرزاق الشايجي . د. عبد الله المعتوق . د. شافي الهاجري ———— ٢٩٩ - ٣٦٤

- صدى الأحمدية
- كشاف عنوانات البحوث المنشورة في الأعداد الاثني عشر
- إصدارات دار البحوث





الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

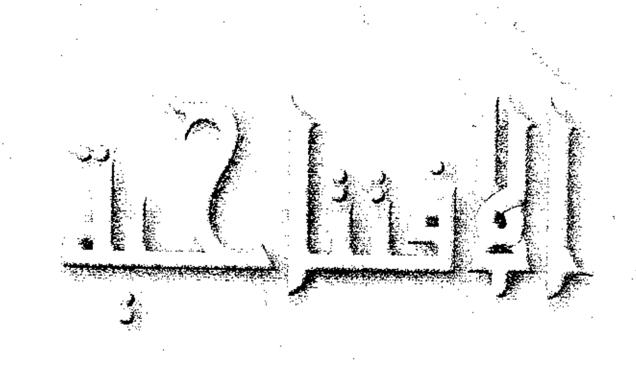
وبعد: فإن لرمضان الذي يصدر عددنا هذا فيه شفافيةً خاصةً يحسها كل مؤمن صام نهاره وقام ليله وأخبت قلبه لله.

وفي رمضان تعذب المناجاة والأذكار، وتطيب الدعوات والاستغاثات، ولا سيما حين تهب نسمات الأسحار، وحين يصفو القلب ويسمو في لحظات الإفطار.

ولأمرٍ ما خلل الله -تبارك وتعالى- آيات الصيام بآية الدعاء: **{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}** [البقرة ١٨٦].

وهكذا بهذه الإضافة التي تثير أشواق القلوب وحنينها، وتمس النفوس وتستدعي حياءها، هكذا بإضافة العباد إلى نفسه سبحانه يستنهض الأرواح لتطير إليه، ويدعو القلوب لتقيم لديه، حيث الأمن والأمان، والرضى والرضوان، والرحمة والغفران، والجود والإحسان، حيث تستر العيوب، وتكشف الكروب، وتداوى العلل، ويتحقق الأمل، حيث العزة والمجد، والنصر والظفر، والحفظ والمنعة.

واليوم تحيط بالأمة غواشٍ من الأرزاء والأسواء، وتكاد، ويتآمر عليها، ويراد لها أن تخلع لبوسها الذي ألبسها الله إياه، لتكون سهلة المنال، قريبة المأخذ، فتؤكل لحماً، وتفت عظماً، ويستدرك الحاقدون ما فاتهم منها، ويبلغ المتآمرون ما يهوون فيها: من انفصام عراها عن دينها، وانقسامها وتفكك أوطانها، ومن ثم الإمعان في سلب خيراتها ونهب بركاتها، وتعفير وجهها



الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن لرمضان الذي يصدر عددنا هذا فيه شفافيةً خاصةً يحسها كل مؤمن صام نهاره وقام ليله وأخبت قلبه لله.

وفي رمضان تعذب المناجاة والأذكار، وتطيب الدعوات والاستغاثات، ولا سيما حين تهب نسمات الأسحار، وحين يصفو القلب ويسمو في لحظات الإفطار.

ولأمرٍ ما خلل الله -تبارك وتعالى- آيات الصيام بآية الدعاء: **{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}** [البقرة ١٨٦].

وهكذا بهذه الإضافة التي تثير أشواق القلوب وحنينها، وتمس النفوس وتستدعي حياءها، هكذا بإضافة العباد إلى نفسه سبحانه يستنهض الأرواح لتطير إليه، ويدعو القلوب لتقيم لديه، حيث الأمن والأمان، والرضى والرضوان، والرحمة والغفران، والجود والإحسان، حيث تستر العيوب، وتكشف الكروب، وتداوى العلل، ويتحقق الأمل، حيث العزة والمجد، والنصر والظفر، والحفظ والمنعة.

واليوم تحيط بالأمة غواشٍ من الأرزاء والأسواء، وتكاد، ويتآمر عليها، ويراد لها أن تخلع لبوسها الذي ألبسها الله إياه، لتكون سهلة المنال، قريبة المأخذ، فتؤكل لحماً، وتفت عظماً، ويَستدرك الحاقدون ما فاتهم منها، ويبلغ المتآمرون ما يهوون فيها: من انفصام عراها عن دينها، وانقسامها وتفكك أوطانها، ومن ثم الإمعان في سلب خيراتها ونهب بركاتها، وتعفير وجهها

في تراب الذلة والهوان والإسار سنين وسنين.

وفي مثل هذه العواصف الهوجاء، والأجواء المربدة المكفهرة، فما أشد حاجتنا إلى أن نَصِلَ ما انْبَتَّ من حبالنا بحبل الله، ونجدد الصلة به: صلة الإيمان الراسخ والعبودية الحق، وأن نقوم في محاريب الخضوع لله داعين متوسلين متململين، وأن نستغيث به سبحانه في ما نزل بنا وينزل، ونرجوه رجاءَ الشريدِ الطريدِ الجائعِ العاري الخائفِ الوجِلِ أن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس، وإلى هذا وجهنا النبي الكريم الرؤوف الرحيم إذ قال لابنته السيدة فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– وهو من خلالها يوجه حديثه الناصح الشفوق إلى الأمة كلها: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**». وإذ قال صلى الله عليه وسلم: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**» وفي الأمة اليوم كربات جاثمة فوق صدرها آخذة بخناقها، والأهوال تطرقها من كل جانب، فأنى لها النجاة بنفسها إن لم تلجأ إلى القوي العزيز القاهر المتين!

أجل إن الوكول إلى النفس خذلان وانهزام ولهذا كان النبي المعلم الأمين يقول: «**وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة، وذنب وخطيئة، وأني لا أثق إلا برحمتك...**» وهذه دعوة من دعاء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم حين يصبح..

ومثل الوكولِ إلى النفس الوكولُ إلى الناس، وما أشدَّ هذا، وفي الناس أعداء في لباس الأصدقاء، وأصدقاء في لباس الأعداء، ولا ناصر إلا الله.

من هنا نتذوق الدعوات العظيمات التي جاءتنا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بلاغاً أنه لما خرج مهاجراً قال: «**الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، اللهم أعنّي على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام، اللهم اصحبني في سفري، واخلفني في أهلي، وبارك لي في ما رزقتني، ولك فذللني، وعلى صالح خلقي فقومني، وإليك ربي فحببني، وإلى الناس فلا تكلني، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي**

أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن يَحلَ بي غضبُك أو ينزل علي سخطك، أعوذ بك من زوالِ نعمتك، وفجاءة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك، لك العتبى خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلى بك».

إنها -والله- لدعوات يشهد فيها المؤمن صدق العبودية لله، وصدق التذلل بين يديه، والتجرد المطلق من الحول والقوة إلا به سبحانه، فاللهم لا حول لنا ولا قوة بنا -وقد زحفت رمال البلاء علينا وعصفت الرياح الزعازع بنا- إلا بك وحدك، فبك نستعصم وبك نلوذ يا صاحب الملك والملكوت، والعزة والجبروت، والقوة والرهبوت، ولن يخيب من أمَّك وأملك، وتجرد من أنانيته وسجد لك...

ولقد أدرك المُوَفَّقون -علىً مر العصور- أهميةَ الصلة بالله، وقيمة الدعاء والاستنصار بالله، وعاشوا من حرصهم على هذه الصلة وهذا الدعاء في أمان، ونالوا بتنزلات المواهب الربانية، وبركات العطايا الرحمانية خِصْبَ الزمان والمكان، والوقائعُ الدالة على هذا كثيرة فلنتوقف عند بعضها، ليستيقظ إيماننا الراقد، ويجري دمعنا الراكد، وتهب القلوب العطشى إلى الله هبوب الظامئ الحران إلى الماء المثلج الزلال.

- يحدثنا الأديب البارع أحمد بن يوسف الكاتب (ت: ٣٤٠ هـ) في كتابه «المكافأة وحسن العقبى» فيقول: «حدثني الحسن بن مسلم الأقريطشي -ورأيته بعد أن علت سِنُه وبلغ المائة سنة، وكان صحيح التمييز، سليم الحواس- قال:

ألح غزونا على الروم، ونالهم منا مكروه عظيم. فَوَجَدَ متملك الروم من هذا، ونذر أن يُخَرِّب أقريطش [جزيرة كريت] ولو أنفق ذخائر مملكته. فنظر إلى راهبٍ محبوب تتعالم الروم زهادته، فأنزله من متعبده، وضم إليه أكثر جيوشه، فوافى بجمع لم يُحِطْ بأقريطش مثله قط. ففزعنا إلى غَلَقِ الحصن، وتسرع الروم إلى بناء مساكن لهم، وخرجوا من المراكب، وغلبونا على ميرة البلد وما يكون في جواره. واشتد الحصار ونزع السِّعْر، وتحلّق المأكول، وشاع الجَهْد. ثم زادت المكاره حتى أكل الناس مامات من البهائم جوعاً، وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له، فقال لهم الشيخ: «إني قد أراكم قد حرمتم التوفيق في قوَّتكم وضعفكم! والصواب أن تقبلوا مني ما أشير به».

قالوا: «قل»، قال: «اتركوا لله قبيحَ ما يحملكم عليه تظاهُر النعمة والسلامة، وأخلصوا له إخلاصَ مَنْ لا يجد فَرَجَهُ إلا عنده، وافصلوا صبيانكم من رجالكم، ورجالكم من نسائكم، فلما ميزهم هذا التمييز صاح بهم: «عِجُّوا بنا إلى الله!» فعجوا عجة واحدة، وبكى الشيخ وبكى أكثر الناس. ثم قال: «عِجوا أخرى، ولا تشتغلوا بغير الله»، فعجوا عجة أعظم من الأولى، وبكى الناس أيضاً. ثم عج الثالثة وعجَ الناس معه، وقال: «تشرفوا من الحصن، فإني أرجو أن يكون الله قد فرَّج عنا».

فحلف لي الحسن: «إني تشرفت مع جماعة فرأيت الروم قد قوضوا رحالهم، وركبوا مراكبهم. وفُتِحَ باب الحصن، فوجدوا قوماً من بقاياهم فسألوهم عن حالهم: فقالوا: «كان عميد الجيش بأفضل سلامة إلى اليوم، حتى سمع ضجتكم في المدينة فوضع يده على قلبه وصاح: «قلبي، قلبي!» ثم طَفِئ». فانصرف من كان معه إلى بلد الروم. وخرجنا عن الحصن، فوجدنا في تلك الأبنية من القمح والشعير ما وسع المدينة وأعاد إليها خِصبها، وكُفينا جماعتهم من غير قتال».

– ومثل هذا الوعي بأهمية الدعاء وحسن العلاقة بالله كانت لدى الوزير العالم الناصح نظام الملك الطوسي (ت:٤٨٥هـ)، يحدثنا الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه «سراج الملوك» فيقول: «كان الوزير نظام الملك، والغالب على ألقابه «خواجه بزرك» رحمه الله تعالى قد وزر لأبي الفتح ملك الترك ابن ألب أرسلان، وكان قد وزر لأبيه من قبله، فقام بدولتهما أحسن قيام، فشد أركانها، وشيد بنيانها، واستمال الأعداء، ووالى الأولياء، واستعمل الكفاة، وعم إحسانه العدو والصديق، والبغيض والحبيب، والبعيد والقريب، حتى ألقى الملك بجرانه، وذل الخلق لسلطانه، وكان الذي مهد له ذلك بإذن الله تعالى وتوفيقه، أنه أقبل بكليته على مراعاة حَمَلَةَ الدين، فبنى دور العلم للفقهاء، وأنشأ المدارس للعلماء، وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء، ثم أجرى لهم الجرايات والكُسا والنفقات، وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافاً إلى أرزاقهم، وعم بذلك سائر أقطار مملكته، فلم يكن من أوائل الشام -وهي بيت المقدس- إلى سائر الشام الأعلى، وديار بكر، والعراقين، وخراسان بأقطارها، إلى سمرقند من وراء نهر جيحون، -مسيرة زهاء مائة يوم- حامل علم، أو طالبه، أو متعبد، أو زاهد في زاويته إلا وكرامته شاملة له، وسابغة عليه. وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الأبواب

ستمائة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة إلى أبي الفتح «الملك»، وأوغروا صدره عليه، وقالوا: إن هذا المال المخرج من بيوت الأموال يقيم به جيشاً يركز رايته في سور قسطنطينية. فخامر ذلك قلب أبي الفتح الملك، فلما دخل عليه قال: يا أبت، بلغني أنك تخرج من بيوت الأموال كل سنة ستمائة ألف دينار إلى مَنْ لا ينفعنا ولا يغني عنا. فبكى نظام الملك وقال: يا بني، أنا شيخ أعجمي لو نودي علي فيمن يزيد لم أحفظ (أي: لم أساوِ) خمسة دنانير، وأنت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً، وأنت مشتغل بلذاتك، منهمك في شهواتك، وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب إذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان، وقوس لا ينتهي مدى مرماه ثلاثمئة ذراع، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى **جيش الليل**، إذا نامت جيوشك ليلاً قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين يدي ربهم، فأرسلوا دموعهم، وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم، ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون، تمرق سهامهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع. فبكى أبو الفتح الملك بكاءً شديداً ثم قال: شاباش يا أبتِ شاباش، أكثر لي من هذا الجيش».

- ونتقدم مع الزمن لنرى هذا الوعي واضحاً في ذهن الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت: ٥٦٩ هـ) وقد ذكر عنه المؤرخ ابن الأثير في «الكامل» في حوادث سنة (٥٥٨ هـ) واقعةً معبرةً لخصها ابن خلكان في «وفيات الأعيان» بقوله: «إن نور الدين المذكور نزل في البقيعة تحت حصن الأكراد في السنة المذكورة محاصراً لحصن الأكراد، وعازماً على قصد طرابلس وهو في جميع عساكره، فاجتمع من الفرنج خلق كثيرة وكبسوهم في النهار والمسلمون في غفلة عنهم، فلم يتمكنوا من الاستعداد لهم وهربوا منهم، ونجا نور الدين بنفسه، وهي وقعة مشهورة معروفة، ونزل على بحيرة قَدَس بالقرب من حمص، وبينه وبين الفرنج مقدار أربعة فراسخ، فسير إلى حلب وبقية البلاد وأحضروا الأموال الكثيرة وأنفقها ليقوي جيشه ثم يعود إليهم فيستوفي الثأر، فقال له بعض أصحابه: إن في بلادك إدرارات وصدقات وصلات كثيرة على

الفقهاء والصوفية والقراء، ولو استعنت بها في هذا الوقت لكان أصلح، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال: إني لا أرجو النصر إلا بأولئك، فإنما تُرْزقون وتنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم **يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا تخطىء**، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا بسهام قد تصيب وتخطىء؟ وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال فكيف يحل أن أعطيه غيرهم؟».

ومن وقعاته المظفرة وقعة حارم سنة (٥٥٩هـ)، يقول الصفوري في «نزهة المجالس»: «إن الإفرنج خرجوا على نور الدين، فخرج إليهم فلما اجتمعوا على «تل حارم» انفرد نور الدين عن عسكره وصلى ركعتين وتمرغ في التراب وقال: يا رب انصر دينك ولا تمنعهم النصر بسبب محمود، ومن هو محمود الكلب حتى ينصر! [يقول هذا هضماً لنفسه وتذللاً بين يدي ربه] فاستجاب الله دعاءه ونصره. وكانت الإفرنج تقول: لم يُنصر علينا إلا بالدعاء وقيام الليل».

– ومثل هذا الإقبال على الله وحسن الصلة به كان لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩ هـ) يحدثنا قاضيه ابن شداد عنه في كتابه «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» فيقول: «وكان –قدس الله روحه– حسن الظن بالله، كثير الاعتماد عليه، عظيم الإنابة إليه، ولقد شاهدت من آثار ذلك ما أحكيه: وذلك أن الفرنج –خذلهم الله– كانوا نازلين ببيت نوبة، وهو موضع قريب من القدس الشريف –حرسها الله– بينهما بعض مرحلة، وكان السلطان بالقدس، وقد أقام يزكاً (اليَزَك :طلائع الجيش) على العدو محيطاً به، وقد سيَّر إليهم الجواسيس والمخبرين، فتواصلت الأخبار بقوة عزمهم على الصعود إلى القدس ومحاصرته، وتركيب القتال عليه، واشتد خوف المسلمين بسبب ذلك، فاستحضر الأمراء، وعرَّفهم ما قد دهم المسلمين من الشدة، وشاورهم في الإقامة في القدس، فأتوا بمجاملةٍ باطنها غير ظاهرها، وأصر الجميع أنه لا مصلحة في إقامته بنفسه، فإنها مخاطرة بالإسلام، وذكروا أنهم يقيمون هم، ويخرج هو –رحمه الله– بطائفةٍ من العسكر يكون حول العدو كما كان الحال بعكا، ويكون هو ومن معه بصدد منع ميرتهم والتضييق عليهم، ويكونون هم بصدد حفظ البلد والدفع عنه، وانفصل مجلس المشورة على ذلك وهو مصر على أن يقيم هو بنفسه، علماً منه أنه إن لم يقم ما يقيم أحد، فلما انصرف

الأمراء إلى بيوتهم، جاء من عندهم من أخبر أنهم لا يقيمون إلا أن يقيم أخوه الملك العادل أو أحد أولاده، حتى يكون هو الحاكم عليهم والذي يأتمرون بأمره، فعلم أن هذه إشارة منهم إلى عدم الإقامة، وضاق صدره، وتقسم فكره، واشتدت فكرته.

ولقد جلست في خدمته في تلك الليلة -وكانت ليلة الجمعة- من أول الليل إلى أن قارب الصبح، وكان الزمان شتاء، وليس معنا ثالث إلا الله تعالى، ونحن نقسِّم أقساماً، ونرتب على كل قسم بمقتضاه، حتى أخذني الإشفاق عليه والخوف على مزاجه، فإنه كان يغلب عليه اليُبس، فشفعت إليه حتى يأخذ مضجعه لعله ينام ساعة، فقال -رحمه الله-: «لعلك جاءك النوم»، ثم نهض.

فما وصلت إلى بيتي وأخذت لبعض شأني إلا وأذن المؤذن، وطلع الصبح، **وكنت أصلي معه الصبح في معظم الأوقات**، فدخلت عليه وهو يمر الماء على أطرافه، فقال: «ما أخذني النوم أصلاً»، فقلت: «قد علمت»، فقال: «من أين؟»، فقلت: «لأني ما نمت، وما بقي وقت للنوم»، ثم شُغلنا بالصلاة، وجلسنا على ما كنا عليه، فقلت له: «قد وقع لي واقع، وأظنه مفيداً إن شاء الله تعالىٰ». فقال: «وما هو؟» فقلت: «الإخلاد إلى الله تعالى، والإنابة إليه، والاعتماد في كشف هذه الغمة عليه». فقال: «وكيف نصنع؟»، فقلت: «اليوم الجمعة، يغتسل المولى عند الرواح، ويصلي على العادة بالأقصى، موضع مسرى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويقدم المولى التصدق بشيء خفية على يد من يثق به، ويصلي المولى ركعتين بين الأذان والإقامة ويدعو الله في سجوده فقد ورد فيه حديث صحيح، وتقول في باطنك: «**إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل**»، فإن الله تعالى أكرم من أن يخيب قصدك.

ففعل ذلك كله، وصليت إلى جانبه على العادة، وصلى الركعتين بين الأذان والإقامة، **ورأيته ساجداً ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته**، ولا أسمع ما يقول، فلم ينقض ذلك اليوم حتى وصلت رقعةٌ من عز الدين جُرْديك -وكان على اليَزَك- يخبر فيها أن الفرنج مختبطون، وقد ركب اليوم عسكرهم بأسره إلى الصحراء ووقفوا إلى قائم الظهيرة، ثم عادوا إلى خيامهم. وفي بكرة السبت جاءت رقعةٌ ثانية تخبر عنهم بمثل ذلك. ووصل في أثناء النهار جاسوس أخبر أنهم

اختلفوا، فذهبت الفرنسيسية إلى أنهم لا بد لهم من محاصرة القدس، وذهب الانكتار (الملك ريتشارد ملك إنجلترا) وأتباعه إلى أنه لا يخاطر بدين النصرانية ويرميهم في هذا الجبل مع عدم المياه، فإن السلطان كان قد أفسد جميع ما حول القدس من المياه، وأنهم خرجوا للمشورة، ومن عادتهم أنهم يتشاورون للحرب على ظهور الخيل، وأنهم قد نصوا على عشرة أنفس منهم وحكموهم، فأي شيء أشاروا به لا يخالفونهم.

ولما كانت بكرة الاثنين جاء المبشر يخبر أنهم رحلوا عائدين إلى جهة «الرملة».

فهذا ما شاهدته من آثار استنابته وإخلاده إلى الله تعالى».

وبعد: فإن الإنسان إذا وُفِّقَ أتى الأمور من أبوابها، وطلب الحاجات من وجوهها، ولم يضيع وقته وجهده وعزمه فيما لا يجدي، وما أجمل الخبر الذي رواه البيهقي في «شعب الإيمان» أن الأمير عبيد الله بن زياد أخذ ابن أخي التابعي الجليل صفوان بن محرز (ت: ٧٤ هـ) فحبسه في السجن. قال: فلم يدع صفوان أحداً من الوجوه إلا تحمل به عليه، فلم ير لحاجته نجاحاً، فبات في مصلاه، فأتاه آتٍ في منامه فقال: **قم يا صفوان فاطلب حاجتك من قِبَلِ وجهها**. فقام فزعاً فتوضأ ثم صلى ثم دعا، فإذا بابن أخيه يضرب الباب، فقال: من هذا، فقال: أنا فلان -يعني ابن أخيه- فقال: وأي هذه الساعة؟ قال: انتبه الأمير في جوف الليل فدعا بالنيران والشرط، وفُتِحَتْ أبواب السجون ونودي: أين ابن أخي صفوان بن محرز، أخرجوه، فإني قد مُنِعت النوم منذ الليلة!

ومن الشعر المستعذب قول الأديب إبراهيم الصولي (ت:٢٤٣هـ):

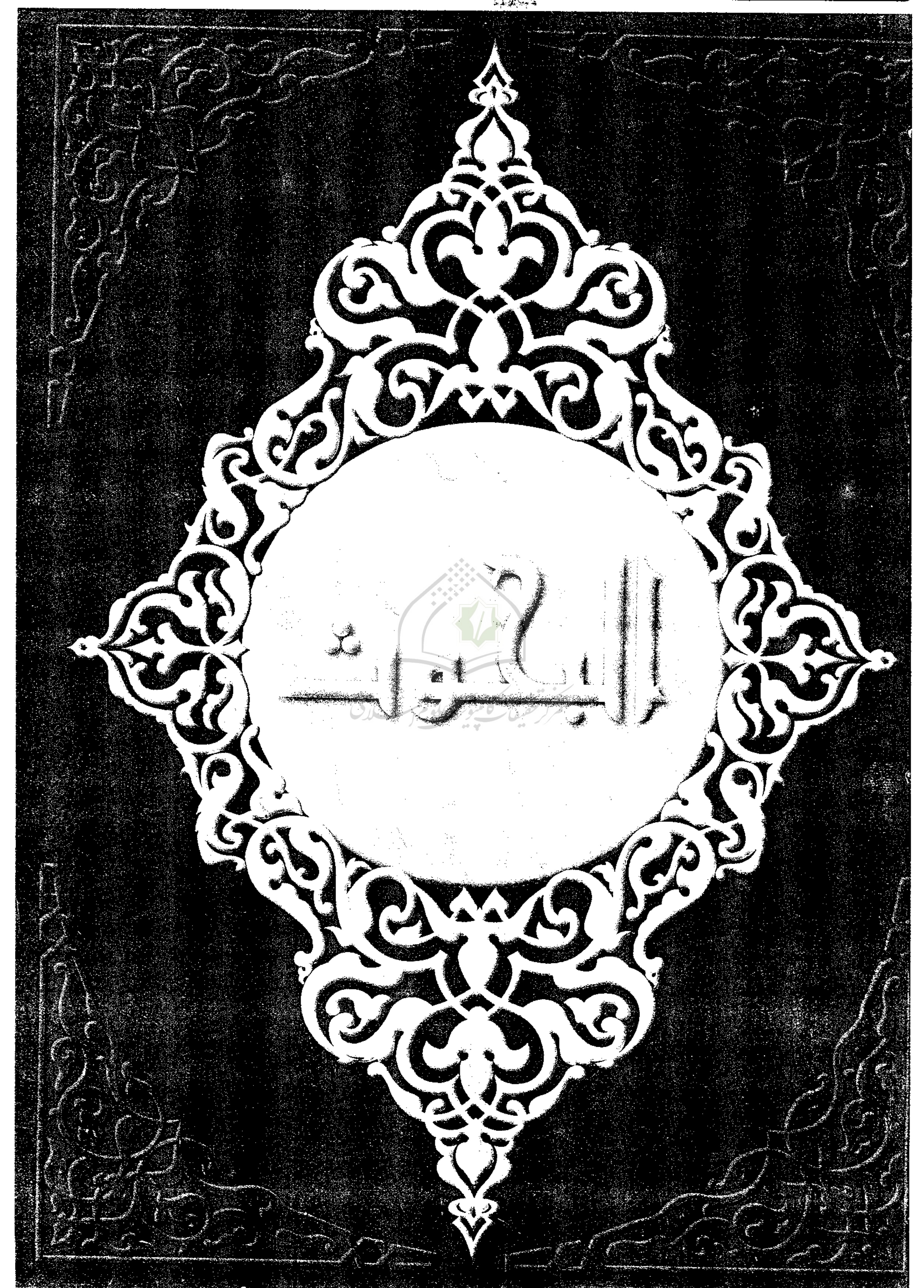
ولـرب نـازلـةٍ يـضيـق بـهـا الـفـتـى	ذرعـاً وعـنـد الـلـه مـنـهـا الـمـخـرجُ
ضـاقـت فـلـمـا اسـتـحـكـمـت حـلـقـاتُـها	فُـرجـت وكـان يـظـنـهـا لا تـفـرج

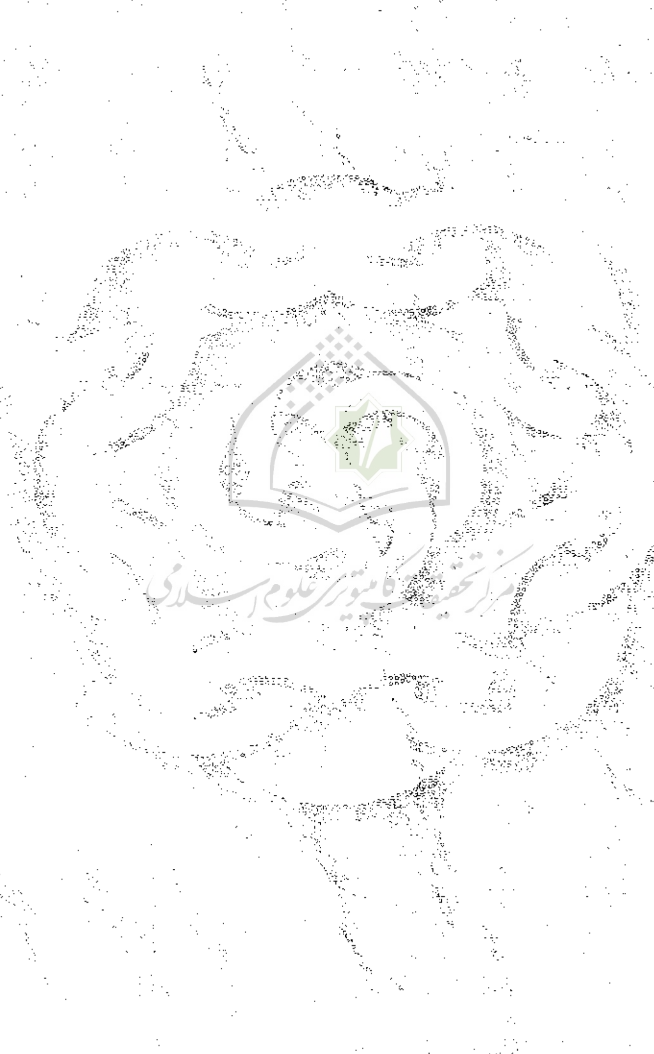
وقول بعضهم:

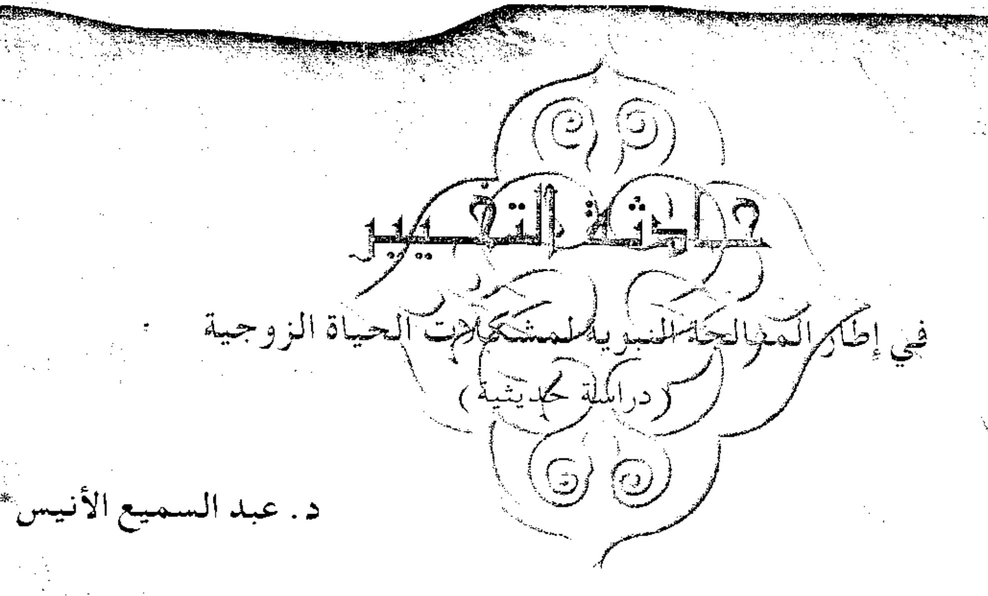
وإنـي لأرجـو الـلـه والأمـر ضـيـقٌ	عـلـيّ فـمـا يـنـفـك أن يـتـفـرجـا
ورب فـتـىً سُـدت عـلـيـه وجـوهـه	أصـاب لـه فـي دعـوة الـلـه مـخـرجـا

مدير التحرير

د. عبد الحكيم الأنيس







حادثة التخيير

في إطار المعالجة النبوية لمشكلات الحياة الزوجية

(دراسة حديثية)

د. عبد السميع الأنيس*

التعريف بالبحث:

يقدم هذا البحث جانباً من حياة النبي ﷺ الزوجية من خلال حادثة التخيير، وهي حادثة كشفت عن تعامل النبي ﷺ الحكيم مع المشكلات الاقتصادية التي تنشأ داخل الأسرة بسبب المطالبة بزيادة النفقات ... وقد استعمل النبي ﷺ في حل هذه المشكلة (أسلوب التخيير) وهي صورة مشرقة من صور مبدأ الشورى، وكيف يمكن الاستفادة منه في نظام الأسرة. كما كشف البحث عن مزيد من الدروس الهادفة في فقه الأسرة المسلمة تم استخلاصها من هذه الحادثة، وصلت إلى خمسة عشر درساً...

وقد انتهى البحث إلى النتائج الآتية:

١- الراجح في طلب التخيير هو طلب زيادة النفقة من قبل أزواج النبي ﷺ الطاهرات.

٢- وقعت هذه الحادثة في سنة تسع للهجرة.

٣- أثبت البحث أن النبي ﷺ استعمل في حل هذه المشكلة أسلوب السكوت مع الإطراق والحزن، لكنه لم يستعمل أسلوب الضرب في حالة من الحالات.

٤- قدم البحث نموذجاً من كتابة السيرة النبوية بلغة معاصرة.

* مدرس الحديث النبوي وعلومه في كلية الشريعة والقانون، مسقط في سلطنة عمان، ولد سنة (١٩٦٣م). ونال درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه من كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، سنة (١٩٩٥) بتقدير ممتاز، وكانت رسالته تحقيق ودراسة «الفصل للوصل المدرج في النقل» للخطيب البغدادي، وله عدة بحوث منشورة.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعـد :

فإن بحث « حادثة التخيير في إطار المعالجة النبوية لمشكلات الحياة الزوجية » يقدم نموذجاً من كتابة السيرة النبوية بلغة معاصرة، معتمدة على نصوص القرآن، وأحاديث النبي ﷺ، بالإضافة إلى كتب التفسير وشروح الحديث وكتب السيرة والتاريخ، وكل ما له صلة بحياة النبي ﷺ.

وهي محاولة –أحسبها جادة– في إيجاد حلولٍ لما يعترض الأمة من مشكلات، ولا سيما فيما يتعلق بمشكلات الأسرة.

ذلك لأن الأمة مدعوة لقراءة حياة النبي ﷺ قراءة متأنية، وأن تستنبط المزيد من الدروس والعبر والعظات من حياة النموذج الأوحد للبشرية عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وسنرى أروع الأمثلة في أساليبه ﷺ في حل المشكلات الزوجية، ولاسيما تلك التي تتعلق بالجانب الاقتصادي منها.

واستقرار الأسرة يستحق منا كل اهتمام، ذلك لأنها تمثل آخر حلقة من الحلقات التي يستهدفها التآمر الغربي في صراعه مع الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

واستقرار الأسرة أمر مهم حتى تتمكن من القيام بمسؤولياتها في تربية الأجيال وتنشئتهم تنشئة صالحة، وعدمُ استقرارها يعطل هذا الدور المنوط بها.

واليوم تعاني الأسرة من مشكلات كثيرة لعل من أهمها :

هذه المبالغة في أنماط الاستهلاك، والإسراف في النفقات، مما يدفع بالأسرة أن تسلك



سلوكاً غير رشيد ولا حميد إذ جرها إلى أنواع من التعامل الآثم في سبيل الحصول على مورد تسد به نفقاتها المتزايدة يوماً بعد يوم، وقد ظهر في المجتمع نتيجة ذلك: التعاملُ بالربا، وأخذ الرشوة، والغش في المبيعات، وعدم إتقان الأعمال، إلى غير ذلك من المنهيات التي حذرنا منها الإسلام، ومن هنا فإن الحق تبارك وتعالى حذرنا من مغبة ذلك عندما قال: ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ ولا شك أن الأسرة المسرفة هي أسرة لا يحبها الله، وليس لها شأن يذكر في الملأ الأعلى.

درس آخر أراد النبي ﷺ منا أن نتعلمه من حادثة التخيير وهو أن نبتعد عن المبالغة في الإنفاق العام حتى لا تكبر الديون، ولا شك أن الفرد أو الأسرة أو الأمة عندما تبالغ في الاستهلاك سيضطرها ذلك إلى الاستدانة لتغطية هذه النفقات.

ومشكلة الديون مشكلة قائمة في عالمنا الإسلامي، ولها آثارها الخطيرة على حاضر الأمة ومستقبلها.

وقد استعاذ النبي ﷺ في جملة ما استعاذ من غلبة الدين وقرنه بقهر الرجال، عندما قال: « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ... » ثم قال: « ومن غلبة الدين وقهر الرجال »، فكأن النبي ﷺ أراد أن يقول لنا: إن غلبة الدين صنو لقهر الرجال وقرين له... وفي هذا الأسلوب الرائع تحذير من الدين أيما تحذير.

كما أن النبي ﷺ أراد أن يعلم الأمة من خلال حادثة التخيير كيف تحافظ على المال إذا فُتحت عليها الدنيا.

أراد أن يعلم المسؤول من الأمة ـ رب الأسرة الكبيرة ـ ورب الأسرة الصغيرة ـ كيف يقف الموقف الحازم أمام هذه الأنماط من الاستهلاك المبالغ فيه، ولو كان هذا الاستهلاك في المباحات فضلاً عن المحرمات، وما ذلك إلا لضمان مستقبلها، والحفاظ على قوتها



وحفظها من الخروج عن منهج الله.

وقد سجل لنا القرآن حقائق مهمة عن أقوام أصيبوا بالترف، وأسرفوا في الإنفاق، فكان عاقبتهم الدمار.

قال تعالى: ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً** ﴾.

والإسراف من الجرائم التي اقترفها فرعون فاستحق العقوبة التي نزلت به، وما نجا منها قومه.

قال تعالى: ﴿ **وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين** ﴾ فحري بنا أن نتابع النبي ﷺ في سلوكه مع أسرته، وأن ننأى جانباً عن كل سلوك يجعلنا في زمرة فرعون وزمرة المترفين.

أما عن منهجي في البحث فقد اتبعت فيه المنهجية القائمة على الاستقراء والتحليل والنقد والاستنتاج، وقمت بعرض الآراء المختلفة في حادثة التخيير من حيث سببها، وزمن وقوعها، وناقشت الأدلة المتوفرة عنها، ورجحت ما رأيته راجحاً حسب القواعد العلمية التي اعتمدها الأئمة المجتهدون، مع الرجوع إلى المراجع الأصلية وتوثيق النصوص، ولا سيما النبوية منها حسب الطريقة العلمية في ذلك.

ولا بد من الإشارة إلى أنني لم أطلع على بحث مستقل عن الموضوع الذي أكتب فيه وإنما هناك دراسات جزئية متفرقة في ثنايا كتب التفسير وشروح الحديث، وقد قمت بمراجعتها والاعتماد على ماصح منها.

وأما خطة البحث فقد جاء في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد: وذكرت فيه تفسير آية الأحزاب، وأقوال أهل العلم في سبب حادثة التخيير مجملة، وكيفية التخيير.

المبحث الأول: أدلة ما ذكر في سبب الحادثة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أدلة أصحاب القول الأول.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب القول الثاني.

المطلب الثالث: مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني

المطلب الرابع: الترجيح.

المطلب الخامس: مناقشة قضية الاعتزال في حادثة التخيير.

المبحث الثاني: زمن وقوعها.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من حادثة التخيير.



تمهيد :

الآيات الواردة في حادثة التخيير :

قال تعالى : ﴿ يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ سورة الأحزاب (٢٨-٢٩)

أولا : التفسير الإجمالي[١] :

﴿ **إن كنتن تردن الحياة الدنيا** ﴾ : سعتها ونضارتها ورفاهيتها والتنعم فيها .

﴿ **وزينتها** ﴾ : أي زخارفها .

﴿ **أمتعكن** ﴾ : أي أعطكن المتعة ، وأطلقكن . والمتعة ما يعطى للمرأة المطلقة على حسب السعة والاقتدار من ثياب أو دراهم أو أثاث ، تطوعاً لا وجوباً .

﴿ **سراحاً جميلاً** ﴾ : أي طلاقاً من غير ضرار ولا بدعة .

قال المفسرون : إن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا ، وطلبن منه الزيادة في النفقة ، فنزلت الآية ، ولما نزلت بدأ ﷺ بعائشة - رضي الله عنها - وكانت أحبهن إليه فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم اختار جميعهن اختيارها ، وكن يومئذ تسعاً : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وسودة ، وهؤلاء من نساء قريش ، وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث . وقيل في سبب التخيير غير ما ذكر هنا ، مما سيأتي مناقشته في هذا البحث .

---

(١) تفسير الطبري ١٠ / ٢٩٠ ، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٢٧٥ ، محاسن التأويل للقاسمي ١٣ / ٢٤٦ ، وقد ذكرت هنا تفسير الآيتين بصورة مجملة ، وأما التفصيل فقد تكفل البحث به ولاسيما الدروس المستفادة من حادثة التخيير .



ثانياً: سبب التخيير:

ذكر العلماء في حادثة التخيير أربعة أقوال، وهي:

١- طلب زيادة النفقة: وقد ذكره جميع المفسرين [١].

٢- الغيرة: وذلك أنهن تغايرن عليه فحلف أن لا يكلمهن شهراً، ثم أُمِرَ بأن يُخيرهنَّ.

وقد ذكره عدد من المفسرين [٢] وضعفه الطبري إذ أورده بصيغة التمريض فقال: وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة قد غارتها.

٣- أنه ﷺ لما خُيِّرَ بين مُلكِ الدنيا ونعيمِ الآخرةِ فاختار الآخرةَ أُمِرَ بتخيير نسائِهِ ليكُنَّ على مثلِ حالهِ [٣].

---

(١) انظر على سبيل المثال تفسير الطبري ١٠/٢٨٩-٢٩٠؛ محاسن التأويل للقاسمي ١٣/٢٤٦، معالم التنزيل للبغوي ٣/٥٢٥؛ زاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٧٧ وقال عن القولين الأولين: والقولان مشهوران في التفسير؛ تفسير القرطبي ١٤/١٦٢؛ أحكام القرآن لابن العربي ٣/٥٥١؛ تفسير ابن كثير ٣/٤٦٢؛ ولم يذكر سوى القول الأول، وذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/١٢٢.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/٢٩٠؛ زاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٧٧؛ تفسير القرطبي ١٤/١٦٢، أحكام القرآن لابن العربي ٣/٥٥١؛ وقال عنه: وهو الصحيح الذي يعول عليه ولا يلتفت إلى سواه، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/١٢٢: وحكاه الغزالي، وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٧٦.

(٣) الحديث الوارد في ذلك هو ما رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٧١٦٠) عن أبي هريرة قال: «جلس النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل يوم خلق قبل الساعة. فلما نزل قال يا محمد: أرسلني إليك ربك، أفملكاً نبياً يجعلك، أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: بل عبداً رسولاً». قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وفي الباب عن ابن عباس رواه النسائي في السنن الكبرى (٦٧٤٣) وفي إسناده نجيح بن عبد الرحمن وهو ضعيف، وعن عمر عند الطبراني في الكبير (١٣٣٠٩) قال الهيثمي: وفيه يحيى بن عبد الله البابلي، وهو ضعيف.



وقد حكاه ابن الجوزي عن أبي القاسم الصيمري، وذكره أيضا ابن العربي والقرطبي وغيرهم [١].

٤- أنَّ سبب نزولِها قِصة مارية في بيت حفصة، أو قِصة العسل الذي شربه في بيت زينب بنت جحش.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا يقرب من الثاني [٢].

وقد جعله ابن العربي القول الثاني نفسَهُ، وستأتي مناقشة ذلك.

ثالثا: كيفية التخيير:

وقد اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

القول الأول: أنه خيرهن بإذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء.

وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعة.

القول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن، وبين الآخرة فيمسكهن، ولم يخيرهن في الطلاق. وبهذا قال علي والحسن وقتادة، وقال الشوكاني - رحمه الله -: والراجح الأول [٣].

---

(١) انظر المصادر السابقة، وأبو القاسم الصيمري هو: عبد الواحد بن حسين شيخ الشافعية وعالمهم، وارتحل إليه الفقهاء إلى البصرة، وعليه تفقه الماوردي. توفي سنة (٤٠٥)، انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٤.

(٢) التلخيص الحبير ٣ / ١٢٢.

(٣) فتح القدير ٤ / ٢٧٤.



المبحث الأول : أدلة ما ذكر في سبب الحادثة وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أدلة أصحاب القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول على قولهم بأن سبب حادثة التخيير هو طلب زيادة النفقة بعدة أدلة :

أولاً : ما جاء عن عائشة – رضي الله عنها– قالت : لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : « إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك » قالت : وقد عَلِمَ أنَّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه » .

قالت : ثم قال : « إن الله عز وجل قال : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدَّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ سورة الأحزاب (٢٨–٢٩) .

فقالت : فقلت : في أي شيء أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلتُ . . زاد مسلم قال معمر : فأخبرني أيوب أن عائشة قالت : لا تُخبر نساءك أني اخترتُكَ فقال لها النبي ﷺ : إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً » [١] .

وجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يخير نساءه، ذاكراً سبب ذلك من خلال التخيير بين الحياة الدنيا وزينتها وبين أن يردن الله ورسوله والدار الآخرة، مما يوحي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٨٦) في التفسير باب « وإن كنتن تردن الله ورسوله . . . » ومسلم برقم (١٤٧٥) (٢٧) في الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، من طريق الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن به، وأخرجه أحمد في مسنده (٦ / ١٦٣ و ١٨٥ و ٢٦٤) . والنسائي في سننه برقم (٣٤٤٠) من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة، وفي بعض الروايات : لما نزلت « وإن كنتن تردن . . . » دخل علي رسول الله ﷺ . . . » .

بأن سبب ذلك هو طلبهن الحياة الدنيا وزينتها وذلك عند طلبهن زيادة النفقة، ثم جاء حديث جابر ليوضح ذلك بصورة صريحة. كما أن هذا النص بيَّن لنا كيف طبق النبي ﷺ أمر التخيير الذي أُمر به من الله تبارك وتعالى، مع ملاحظة أن الإمام البخاري رحمه الله لم يخرج عند تفسير هاتين الآيتين في صحيحه سوى هذا الحديث.

ثانياً: حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- وهذا نصه:

قال: أقبلَ أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت [١].

فقال عمر: لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك.

فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت بنت زيد [٢] -امرأة عمر- سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها [٣].

فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه [٤]، وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» [٥].

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان

---

(١) في رواية مسلم: واجماً ساكتاً، ومعنى وجم: سكت على غيظ، أو عبس وأطرق وسكت عن الكلام من شدة الحزن. المعجم الوسيط، مادة وجم.

(٢) في رواية مسلم: بنت خارجة، واسمها جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح، وهي من المبايعات اللاتي بايعن رسول الله ﷺ، وهكذا جاء اسمها في طبقات ابن سعد ٨/٢٥٢، ٣٤٥، والإصابة لابن حجر ٧/٧٥٥.

(٣) قوله: «فوجأت عنقها» أي ضربته.

(٤) الناجذ: آخر الأضراس، وهو الذي يقال له ضرس العقل. وفي رواية ابن لهيعة: «حتى بدت نواجذه» وللإنسان أربعة نواجذ، وهذا اللفظ كناية عن شدة الضحك وبلوغه فيه الغاية.

(٥) في رواية ابن لهيعة عند أحمد بن حنبل: «سألنه النفقة فلم يوافق عنده شيء حتى أحجزنه» ووقع في رواية السندي «حتى أحجرنه» وقال: هكذا في كثير من النسخ، ولعله لغة في حجزنه، أي منعنه=



رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فنهاهما رسول الله ﷺ [١]. فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده [٢]، قال: وأنزل الله عز وجل الخيار [٣].

فبدأ بعائشة فقال: «إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو؟ قال: فتلا عليها ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك . . .** ﴾ الآية، قالت عائشة :أفيك أستأمر [٤] أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال: لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني مُتعَنِّتاً أو مفتناً [٥]، لكن بعثني معلماً ميسراً [٦].

وجه الدلالة:

أن قوله ﷺ: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» يدل دلالة واضحة على أن سبب نزول الآيتين من سورة الأحزاب هو طلب النفقة.

=من الخروج، وقيل: لعل أحرجنه من الحرج.

(١) هذا النهي الوارد في هذه الجملة غير مذكور في رواية مسلم.

(٢) انفرد مسلم بزيادة هنا وهي: «ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين»، ولا وجود لهذه الزيادة في مسند أحمد ولا في سنن النسائي مع أن السند واحد.

(٣) في رواية مسلم: ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك . . .** ﴾ حتى بلغ ﴿ **للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ (الأحزاب: ٢٨،٢٩)

(٤) في رواية مسلم: «أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة».

(٥) وفي رواية عند أحمد «معنفاً» وعند مسلم: «لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً».

(٦) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٤٥١٥) و(١٤٥١٦) ومسلم في صحيحه برقم (١٤٧٨)(٢٩) في الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، ومن طريقه أخرجه البيهقي في سننه ٧/٣٨، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٢٠٨)، من طريق ابن لهيعة كلاهما (زكريا بن اسحاق وعبد الله بن لهيعة) عن أبي الزبير المكي. وأخرجه ابن سعد في طبقاته ٨/١٨٠، من طريق أبي سلمة الحضرمي، كلاهما (أبو الزبير وأبو سلمة) عن جابر بن عبد الله، وليس في حديث أبي سلمة ذكر لاعتزاله صلى الله عليه وسلم شهرا. وانظر تفسير ابن كثير ٣/٥٢٣، والدر المنثور للسيوطي ٦/٥٩٤.



المطلب الثاني : أدلة أصحاب القولِ الثاني :

قال الطبري : وقيل : كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها . ثم أورد النصوص الواردة عن عائشة وفيها : لما نزلت آية التخيير بدأ النبي ﷺ بعائشة فقال : « يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمري أبويك . . . » (١) .

أما ابن العربي فقد توسع في ذكر هذا السبب عندما قال : إن أزواجه اجتمعن في الغيرة عليه فحلف ألا يدخل عليهن شهراً (٢) . . . ثم نقل لنا حديث ابن عباس الطويل عن عمر وهذا نصه : « حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن عبد الله بن عباس قال : « لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما : ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ فحججت معه فعدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم جاء فسكبت عليه من الإداوة فتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ فقال : واعجبي لك يا ابن عباس ، عائشة وحفصة ، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال : إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله .

وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي

(١) جامع البيان ١٠ / ٢٩٠ .
(٢) أحكام القرآن ٣ / ٥٥١ .



فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم إلى الليل. فأفزعني فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت عليَّ ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خابت وخسرت، أفتأمن أن يغضب الله لغضب الرسول ﷺ فتهلكين؟ لا تستكثري على رسول الله ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ – يريد عائشة –.

وكنا تحدثنا أن غسان تُنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً، وقال: أنائم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم، قلت: ما هو أجاءت غسان؟

قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه. قال: قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون.

فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مشربة له فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، قلت: أو لم أكن حذرتك؟ أطلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدري هو ذا في المشربة، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي هو فيها، فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلم النبي ﷺ ثم خرج فقال: ذكرتك له فصمت.

فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام، فقلت: استأذن لعمر – فذكر مثله –، فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني



قال: أذن لك رسول الله ﷺ، فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثَّر الرمالُ بجنبه، متكئ على وسادة من أَدَم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت –وأنا قائم–: طلقت نساءك؟ فرفع بصره إلي فقال: «لا». ثم قلت –وأنا قائم أستأنس–: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم ... فذكره. فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ – يريد عائشة – فتبسم أخرى.

فجلست حين رأيته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاث، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». فقلت: يا رسول الله استغفر لي.

فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة. وكان قد قال: «ما أنا بداخل عليهن شهراً» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله.

فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنا أصبحنا بتسع وعشرين ليلة أعدها عداً. فقال النبي ﷺ: «الشهر تسع وعشرون»، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين.

قالت عائشة: فأنزل آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: «إني ذاكر لك أمراً ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك». قالت: قد أعلمُ أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك. ثم قال: إن الله قال: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك...**



إلى قوله... **عظيماً**﴾ قلت: أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة [١].



(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغضب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها برقم (٢٤٦٨) وفي كتاب التفسير في تفسير سورة التحريم برقم (٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥) وفي كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زواجها برقم (٥١٩١)، من طرق عن ابن عباس مطولاً ومختصراً، وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن (١٤٧٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤).



المطلب الثالث: مناقشة أدلة القول الثاني

الناظر في أدلة أصحاب القول الثاني يجد ما يأتي:

أ- الدليل الذي ساقه الإمام الطبري هو حديث عائشة في التخيير وليس فيه دليل على حادثة الغيرة، بل هو مما يدعم أصحاب القول الأول، ثم إن الإمام الطبري رحمه الله صدر هذا القول بقوله: وقيل، بصيغة التمريض، مما يدل على عدم ترجيحه له.

ب-أما الدليل الذي ساقه ابن العربي فهو حديث ابن عباس عن عمر، ومَنْ تحقق فيه جيداً يجد أنه قد ذكر حادثتين اثنتين:

الأولى: حادثة التحريم وهي التي نزل بسببها سورة التحريم.

الثانية: حادثة التخيير وقد نزل بسببها آيات التخيير في سورة الأحزاب، وهي من رواية السيدة عائشة، وليست من حديث ابن عباس عن عمر، وتبدأ روايتها من قولها: فأنزلت آية التخيير، وفي رواية مسلم: ثم أنزلت آية التخيير، وقد بين حديث جابر أن التخيير كان بعد طلب النفقة وليس بعد حادثة التحريم، ويبدو لي أنه وقع إدراج من بعض الرواة فأدخل حديث عائشة الوارد في حادثة التخيير في آخر حديث ابن عباس عن عمر الوارد في حادثة التحريم.

ومَنْ دقق النظر في حادثة التخيير التي يرويها جابر بن عبد الله المتقدم بالإضافة إلى رواية عائشة ثم قارن ذلك مع حادثة التحريم التي يرويها ابن عباس عن عمر، يجد اختلافاً كبيراً بين الحادثتين من حيث الأسباب والزمان والمكان والأسلوب، وطريقة التعامل في حل كل من المشكلتين.

وبيان ذلك ما يأتي:

١- سبب حادثة التخيير: هو طلب النفقة كما هو واضح من خلال الآيات القرآنية في



سورة الأحزاب، والأحاديث التي زادتها وضوحاً.

وفي حديث جابر، قوله ﷺ «هن حولي يسألنني النفقة».

بينما سبب التحريم: هو تحريمه ﷺ مارية كما رجح ذلك ابن حجر [١] أو شرب العسل على خلاف بين العلماء في ذلك.

٢ـ حادثة التخيير وقعت بعد حادثة التحريم، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة وكان تحته ﷺ يومئذٍ تسع نسوة، وقدشملهن التخيير كما يذكر ذلك أئمة التفسير من التابعين.

أما حادثة التحريم: فقد وقعت قبل ذلك التاريخ وذلك بعد زواجه ﷺ من مارية في السنة السابعة للهجرة على خلاف بين العلماء في ذلك، والذي رجحته: أنها وقعت في أواخر سنة ثمان للهجرة.

٣ـ أما من حيث المكان فإن النبي ﷺ في حادثة التخيير كان جالساً في بيته وحوله نساؤه، وهو ساكت واجم، ولم يخرج إلى المشربة، بينما في حادثة التحريم نرى النبي ﷺ يعتزل في مشربة، خارج بيوت أزواجه، وحفصة في حجرتها تبكي.

٤ـ الأسلوب الذي اتبعه عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ في حادثة التخيير يختلف عن أسلوبه الذي اتبعه في حادثة التحريم، ففي حادثة التخيير يقول: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك ثم قال: يا رسول الله لو رأيت بنت زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها.

بينما في حادثة التحريم يقول: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم... فذكره، فتبسم النبي ﷺ ثم قال: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى رسول الله ﷺ ـ يريد عائشة ـ فتبسم أخرى...

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٠١.



٥- أما طريقته ﷺ في حل كل من المشكلتين فيختلف تمام الاختلاف، فقد استعمل رسول الله ﷺ في حادثة التخيير أسلوب السكوت ثم أسلوب التخيير حلاً لمشكلة طلب زيادة النفقة، بينما استعمل رسول الله ﷺ في حادثة التحريم أسلوب الاعتزال شهراً، يدل على ذلك ما جاء في حديث ابن عباس عن عمر: فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله.

الخلاصة:

إن حادثة التخيير التي نزلت آياتها في سورة الأحزاب، وجاء حديثها صريحاً واضحاً عن عائشة، قد أدخل في آخر حديث ابن عباس.

ويبدو لي أن سبب ذلك، هو:

الاشتباه الواقع بين كل من آية التخيير في سورة التحريم ونصها ﴿**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن..**﴾. وآيتي التخيير في سورة الأحزاب، وهي: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك..**﴾ يدل على ذلك حديث ابن عباس عن عمر من رواية سماك بن الوليد الحنفي المخرج في صحيح مسلم[١] وفيه تصريح بنزول آية التخيير التي في سورة التحريم في حادثة التحريم، فظن بعض الرواة أنها آية التخيير التي في سورة الأحزاب فصرح بذلك، ثم ألحق حديث عائشة في ذلك بحديث ابن عباس عن عمر.

أو أن يقال: إن الإمام الزهري رحمه الله جمع في حديثه هذا بين حادثتي التحريم والتخيير لتشابه موضوعيهما.

(١) برقم (١٤٧٩) (٣٠) كتاب الطلاق.



المطلب الرابع : الترجيح

بعد استعراض الأدلة يترجح عندي في سبب حادثة التخيير طلبُ زيادة النفقة، لقوة الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول، وللأسباب الآتية :

١ـ ظاهر قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ..** ﴾ يدل على أنها نزلت لتعالج موضوعاً يتعلق بالمطالبة بأمر من أمور الحياة الدنيا وزينتها .

٢ـ أدلته من الحديث النبوي الصحيح واضحة، ومن أصرحها حديث جابر بن عبد الله وهو نص صريح بأن حادثة التخيير وقعت بعد طلبهن زيادة النفقة، وقد ذكره جمهور المفسرين عند تفسير الآية .

٣ـ الأدلة التي استدل بها أصحاب القول الثاني لا تنهض دليلاً نظراً للاعتراضات التي أثيرت حولها وقد تقدم بيانها عند المناقشة، لأنها تتعلق بحادثة التحريم، وهي حادثة أخرى لها أدلتها وظروفها وأسبابها الخاصة بها .

٤ـ وأما أصحاب القول الثالث فقد استدلوا على قولهم بحديث : تخييره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة. والواقع أنه لا يوجد دليل من النقل يدل على أن الآية نزلت بسبب هذا الحديث، بل الأحاديث الصحيحة تدل على خلاف ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : « وهذا يعكر عليه أن الأكثر من أهل العلم بالمغازي : أن إيلاءه من نسائه كان سنة تسع، وأن تخييرهن وقع بعد ذلك، وقد كان ﷺ في آخر عمره قد وسع له من العيش بالنسبة لما كان فيه قبل ذلك، قالت عائشة : ما شبعنا من التمر حتى فتحت خيبر »[١] .

٥ـ وأما أصحاب القول الرابع فيكفي في رد قولهم : أن حادثة التحريم هي حادثة

---

(١) التلخيص الحبير ٣/١٢٢ .



أخرى تختلف تمام الاختلاف عن هذه الحادثة من عِدة وجوه، وقد تقدم بيان ذلك في مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني [١] ورحم الله الحافظ عندما قال عن هذا القول: وهذا يقرب من الثاني.



(١) انظر بحثي المعنون «حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية لمشاكل الحياة الزوجية» المنشور في مجلة الأحمدية، العدد (١٠) محرم ١٤٢٣هـ / مارس ٢٠٠٢م.



المطلب الخامس : مناقشة قضية الاعتزال في حادثة التخيير

هل اعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً في حادثة التخيير ؟

قد ورد في حديث جابر بن عبد الله الذي أخرجه مسلم [1] قوله : « ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين »، مما يفيد أن النبي ﷺ اعتزلهن شهراً بعد مطالبتهن بزيادة النفقة . وقد ذهب إلى ذلك عدد من المفسرين، منهم الإمام الطبري والبغوي وابن الجوزي وغيرهم [2].

قال الإمام الطبري رحمه الله : « ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئاً من الدنيا، إما زيادة في النفقة أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً فيما ذكر ثم أمره الله عز وجل أن يخيرهن » [3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٤٧٨) (٢٩)، وقد تقدم تخريجه في المطلب الأول لكن يشار هنا إلى أن الإمام مسلم انفرد بتخريج ذكر الاعتزال، ولا وجود لهذه الزيادة في مسند أحمد بن حنبل، وهو متقدم عليه، كما أنه لا وجود لها في سنن النسائي وهو متأخر عليه علماً بأن السند واحد، والجميع يروي الحديث من طريق أبي الزبير المكي عن جابر . . . وأخرجه أيضا ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨ / ١٨٠ من طريق أبي سلمة عن جابر أيضا، وليس فيه ذكر لاعتزاله ﷺ شهراً .

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ٢٨٨، وتفسير البغوي ٣ / ٥٢٥، و زاد المسير لابن الجوزي ٦ / ٣٧٦ .

(٣) ثم أورد رواية عن أبي الزبير أن رسول الله ﷺ لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه . . . » . وهي مثل رواية أبي الزبير عن جابر التي رواها مسلم مع اختلاف في بعض السياق، والذي يهمنا هنا أنه لم ترد في هذه الرواية قصة اعتزاله ﷺ نساءه شهراً، بل جاء فيها: «لم يخرج صلوات . . »، مما ينفي أنه اعتزلهن شهراً بعد طلب النفقة .
وردت رواية عن ابن زيد – وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – وفيها : « كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ فهجرهن شهرا، فنزل التخيير من الله له فيهن ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك** . . ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ ، فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً » .
لكنها رواية ضعيفة لأنها جاءت عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المتوفى سنة (١٨٢هـ) غير مسندة، أضف إلى ذلك أن عبد الرحمن المذكور ضعيف عند أهل الحديث . انظر التقريب ص ٤٠٠ .

ولكن يعارض ذلك أنه:

قد جاء في حديث ابن عباس عن عمر الذي أخرجه البخاري ومسلم ما يفيد أن اعتزاله ﷺ شهراً كان بعد حادثة التحريم، ونصه: « . .فاعتزل النبي نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة. وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله . . » [١].

فهل الاعتزال كان بعد التحريم أم كان بعد طلب زيادة النفقة في حادثة التخيير؟

عند دراسة الحادثتين يترجح أن اعتزاله ﷺ نساءه شهراً كان بعد حادثة التحريم بدليل حديث ابن عباس عن عمر في الصحيحين، وهو نص في محل النزاع، وعند التعارض يقدم ما رواه البخاري ومسلم على ما رواه مسلم، ويؤيد ذلك: أن حديث جابر بن عبد الله نفسه قد رواه أحمد في مسنده، والنسائي في سننه، ولم يذكرا الاعتزال المذكور علماً بأن السند واحد كما تقدم قريباً.

بقي أن يقال:

ما المانع من أن يكون سبب الاعتزال هو وقوع الحادثتين ثم جاء التخيير بعد الاعتزال؟

قلت: هذا جواب وجيه، ويؤيد ذلك أن الحادثتين وقعتا في زمن متقارب، فقد وقعت حادثة التحريم في أواخر سنة ثمان من الهجرة [٢] بينما وقعت حادثة التخيير في بداية سنة تسع من الهجرة كما سيأتي.

---

(١) تقدم تخريجه في المطلب الثاني، وقد بحثت هذه المسألة بتوسع في بحثي الموسوم بـ « حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية. . . ».

(٢) انظر أدلة ذلك في بحثي « حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية. . . ».



فكأن الاعتزال المذكور جاء تأديباً لكل الزوجات على ماصدر منهن، وقد احتمل ذلك الحافظ ابن حجر، قال رحمه الله:

« ...وقد اختلف في الذي حرَّم على نفسه، وعوتب على تحريمه، كما اختلف في سبب حلفه أن لا يدخل على نسائه، على أقوال » وذكر منها التحريم، وطلب زيادة النفقة ثم قال: « والراجح من الأقوال كلها قصة مارية ».

ثم أضاف قائلاً: « ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أهمها، ويؤيده شمول الحلف للجميع، ولو كان مثلاً في قصة مارية فقط لاختص بحفصة وعائشة.. وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره، وكثرة صفحه، وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر موجبه منهن ﷺ ورضي عنهن » (١).

قلت: لكن يلزم من هذا الجمع أن التخيير قد وقع أيضاً بسبب الحادثتين حادثة التحريم، وحادثة طلب زيادة النفقة، مثله مثل الاعتزال الذي وقع بسبب الحادثتين.

وقد يقال: وما المانع من ذلك؟

قلت: المانع من ذلك أن التخيير في آيتي سورة الأحزاب قد نزل بسبب طلب زيادة

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٠١، ويقول الغزالي في الوسيط ٥/ ٩: « وإنما اختص في أمر النكاح بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والإمساك، ولعل سره فيه أن الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي أعظم الآلام، وهو إيذاء يكاد ينفر القلب، ويوهن الاعتقاد، وكذلك إلزامهن الصبر على الضرر والفقر يؤذيهن، ومهما ألقي زمام الأمر إليهن خرج عن أن يكون بصدد التأذي والإيذاء، فنزه عن ذلك منصبه العلي، وقيل له ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك...** ﴾ ونزل ذلك عليه حين ضاق صدره ﷺ من كثرة خصامهن، واقتراحهن زينة الدنيا حتى آلى عنهن، ومكث في غرفته شهراً، فابتدأ بتخيير عائشة رضي الله عنها وقال: « إني ملق إليك أمراً، فلا تبادريني بالجواب حتى تؤامري أبويك، وتلا الآية، فقالت: أفيك أؤامر أبوي؟ اخترت الله ورسوله والدار الآخرة » ثم قالت: لاتخبر زوجاتك باختياري إياك، وأرادت أن يختار سائر زوجاته الفراق، فطاف على نسائه، وكان يخبرهن باختيار عائشة إياه فاخترن الله ورسوله بأجمعهن ».



النفقة، يدل على ذلك حديث جابر بن عبد الله وهو نص في محل النزاع، وظاهر الآية يؤيد ذلك. كما أن سبب التحريم هو تحريمه مارية أو شرب العسل على خلاف بين العلماء، فهما حادثتان منفصلتان.

وكان يتم لهم هذا الجمع لو أن الاعتزال جاء بعد التخيير وليس قبله كما هو في حديث ابن عباس عن عمر.

مما يدل على أن حديث عائشة في التخيير قد ألحق بحديث ابن عباس عن عمر الذي ورد في التحريم، وأن أحد الرواة قد جمع بينهما لتشابه موضوعيهما، ولقرب وقوعهما، وقد تقدم بيان ذلك في المطلب الثالث.

إلا أن يقال: بأنه قد وقعت حادثة طلب زيادة النفقة ثم حادثة التحريم، ثم جاء اعتزاله ﷺ شهراً تأديباً لهن، ثم نزل التخيير بسبب طلب زيادة النفقة المتقدم، وفيه تكلف ظاهر.

ورحم الله الحافظ ابن حجر ما أدق عبارته عندما قال: «ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أهمها...» ولم يرجح ذلك، بل رجح في قصة التحريم أنها كانت بسبب مارية، مما يدل على أن الحادثتين منفصلتان.



المبحث الثاني: زمن وقوعها

من المفيد في معرفة المزيد عن تفاصيل حادثة التخيير معرفة زمن وقوعها إذ به تنكشف لنا كثير من الحقائق المتعلقة بها، وعنصر الزمن مهم في الاطلاع على الظروف والملابسات التي رافقت هذه الحادثة، فمتى ياترى وقعت هذه الحادثة؟!

للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال، وهي:

١- أنها وقعت سنة تسع للهجرة، وممن جزم بذلك الحافظ الدمياطي وأتباعه، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل ذلك: وهو المعتمد[١].

٢- أنها وقعت بعد غزوة خيبر، وممن ذهب إلى ذلك المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت ١١٠٩ هـ)[٢].

٣- وقعت بعد غزوة بني قريظة، وهذا يعني أن التخيير وقع في أواخر سنة خمس من الهجرة، ذلك لأن غزوة بني قريظة وقعت بعد غزوة الأحزاب، وقد نص علماء السيرة على أنها وقعت سنة خمس على خلاف بينهم في الشهر، فذهب جمهورهم إلى

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٩٧، وقد ذكر أدلته على ذلك. ولمزيد من التفصيل ينظر بحثي «حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية...».

(٢) تفسير الصافي ٤/ ١٨٥، وقد نقل عن القمي سبب النزول وهو: أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر، وأصاب كنز آل أبي الحقيق قلن أزواجه: أعطنا ما أصبت؟ فقال لهن رسول الله ﷺ: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله. فغضبن من ذلك، وفيه: فاعتزلهن رسول الله ﷺ في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً، ثم أنزل الله هذه الآيات. وتابعه على ذلك محمد حسين الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن ١٦/ ٣١٥. وفاتهما أن النبي ﷺ لم يكن في تلك الفترة - وهي شهر محرم من السنة السابعة، وهي زمن وقوع غزوة خيبر - قد تسرى بمارية حتى يعتزل في مشربتها!!.



أنها وقعت في شوال[١]، وذهب البعض إلى أنها وقعت في ذي القعدة[٢]، وممن قال بهذا القول أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت:٧٤٥ هـ)[٣]، ونقله عنه الألوسي (١٢٧٠هـ)[٤].

ونص أبي حيان: «لما نصر الله نبيه، وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود، وذخائرهن، فقعدن حوله وقلن يا رسول الله: بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء والخول - أي الخدم - ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق، وآلمن قلبه بمطالبتهن بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم. فأمره الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن، وأزواج النبي إذ ذاك تسع»، ثم عددهن.

ويبدو لي أن مستند أبي حيان ومن تابعه في هذا القول هو: ورود آيات حادثة التخيير بعد الآيات التي تحدثت عن غزوتي الأحزاب وقريظة، وفاتهم أن التخيير المذكور كان لجميع أزواج النبي يدل على ذلك:

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ١٦٥، والكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ / ٩٣، وقال: «نص على ذلك ابن اسحق، وعروة بن الزبير، وقتادة، والبيهقي، وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً ...»

(٢) انظر المغازي للواقدي ٢ / ٤٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٦٥.

(٣) انظر تفسيريه البحر المحيط ٧ / ٢١٩، والنهر الماد من البحر المحيط ٢ / ٢ / ٧٢٤.

(٤) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١١ / ١٨٢، مصرحاً بنقله، ومستحسناً له بقوله: «وما أحسن موقع هذه الآيات على هذا بعد انتهاء قصة الأحزاب وبني قريظة كما لا يخفى» وممن ذهب إلى هذا القول عدد من المفسرين المعاصرين، وهم: محمد بن يوسف أطفيش الإباضي (ت:١٣٣٣ هـ) في تيسير التفسير للقرآن الكريم ١٠ / ٣٤٦، والأستاذ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره ٧ / ١٥٠، والعلامة محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٠ / ٣١٤، وسيد قطب في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٢٠، ومحمد علي الصابوني في صفوة التفاسير ٢ / ٣٣، والدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢١ / ٢٧٩ - نقل نص أبي حيان، ولم يصرح بمصدره-، وعبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن ٦ / ٦٩٧.



أولاً: ظاهر قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك..**﴾ والأصل أن يشمل لفظ «الأزواج» الجميع.

ثانياً: نص عدد من أئمة التابعين من أهل التفسير منهم: الحسن البصري وقتادة وعكرمة على أن التخيير وقع من النبي ﷺ وكان تحته يومئذ تسع نسوة، فخمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة و سودة بنت زمعة وأم سلمة، وكان تحته صفية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث. وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وقد نقل المفسرون هذا القول من غير إنكار[١]. والغريب أن القائلين بوقوع حادثة التخيير بعد غزوة بني قريظة قد ذكروا ذلك، وفاتهم أن النبي ﷺ تزوج عدداً من نسائه بعد غزوة بني قريظة، ومن هؤلاء:

١- زينب بنت جحش وقد تزوجها بعد غزوة بني قريظة في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية[٢].

٢- أم حبيبة - رملة بنت أبي سفيان بن حرب - وكان ذلك سنة سبع للهجرة[٣]

٣- صفية بنت حيي وذلك بعد غزوة خيبر، وكانت غزوة خيبر في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة[٤].

٤- ميمونة بنت الحارث الهلالية، وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن تحلل من إحرامه في

(١) ينظر على سبيل المثال تفسير الطبري ١٠ / ٢٨٩، والبغوي ٣ / ٥٢٥، وزاد المسير ٦ / ٣٧٧، وتفسير القرطبي ١٣ / ١٦٤، وابن كثير ٣ / ٥٢٣، والبحر المحيط ٧ / ٢١٩، والدر المنثور ٦ / ٥٩٧، وروح المعاني ١١ / ١٨٢.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨ / ١١٤.

(٣) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص ٧٠٦.

(٤) وممن قال بذلك ابن إسحق كما في سيرة ابن هشام ٣ / ٤٥٥، ورجحه ابن حجر في الفتح ١٦ / ٤١.

عمرة القضاء، وكانت عمرة القضاء في نهاية العام السابع الهجري تقريباً[١].

٥- جويرية بنت الحارث، وقد تزوجها بعد غزوة بني المصطلق[٢].

وعليه كان ينبغي أن يقال: كان تحته يومئذ أربع نسوة!!

وأما القول الثاني: وهو أن التخيير وقع بعد غزوة خيبر فلا أعلم له مستنداً من الأثر، ثم ما قيل عن القول الثالث يمكن أن يقال فيه إذ لم يكن عنده يومئذٍ تسع نسوة لأن صفية قد تزوجها بعد الغزوة مباشرة، وميمونة قد تزوجها في نهاية سنة سبع من الهجرة.

الراجح:

وعليه فالذي أرجحه هو القول الأول، وأن التخيير وقع في سنة تسع من الهجرة[٣] ثم ويؤيده ما يأتي:

١- سياق الآيات يؤيد أنها نزلت في تنظيم بيت النبوة وتشريع الأحكام الخاصة به، ولهذا جاء عن عكرمة أنه قال « خير رسول الله أزواجه فاخترن الله ورسوله فأنزل الله ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج...** ﴾[٤]

وقال قتادة والحسن: لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج، فقصره الله عليهن، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله[٥].

(١) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص١٣٥.

(٢) وهي قد وقعت سنة ست من الهجرة عند ابن إسحق، وسنة خمس عند الواقدي، وكلاهما قال: في شهر شعبان. انظر سيرة ابن هشام ٣/٢٢٧، والمغازي للواقدي ١/٤٠٤.

(٣) وفي الفتح ٧/٤٣٨: «وآية التخيير نزلت سنة تسع اتفاقاً».

(٤) أسباب النزول للسيوطي ص ٤٠١ بحاشية تفسير الجلالين.

(٥) تفسير الطبري ١٠/٢٩٠.



٢ـ من المعلوم أن غزوة حنين التي وقعت بعد فتح مكة في أواخر سنة ثمان من الهجرة قد غنم المسلمون فيها غنائم عظيمة جداً من الأموال والإبل والشياه، وأن رسول الله ﷺ قد وزعها على المهاجرين والطلقاء وبعض زعماء قريش وغطفان وتميم يتألفهم في ذلك ولم يعط الأنصار شيئاً[١].

يحدثنا الصحابي الجليل جبير بن مطعم عن مشهد من مشاهد توزيع الغنائم وقد ازدحم على رسول الله ﷺ الأعراب مما اضطروه إلى غصن شجرة حتى علق رداؤه به، فوقف رسول الله ﷺ وقال: «أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاه - أي شجر الشوك - نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»[٢].

وكان هذا الموقف تجاه المؤلفة قلوبهم قد أغضب الأنصار مما جعل بعض أحداثهم يقول: «يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»[٣].

مما جعل رسول الله يجمعهم ليقول لهم: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم»[٤] وفي رواية «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم...»[٥].

ويبدو أن هذا الموقف أغضب الكثير فقد حدثنا عبد الله بن مسعود عن موقف من مواقف الغضب الذي أوذي فيه رسول الله ﷺ فيقول: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس - من زعماء تميم - مئة من الإبل، وأعطى عيينة

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص ٥٩٣ فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري رقم (٣١٤٨).

(٣) صحيح البخاري رقم (٣١٤٧).

(٤) صحيح مسلم رقم (١٠٦١).

(٥) مسند الإمام أحمد ٣/٧٦ ط الميمنية، ١٨/٢٥٥ ط الرسالة.



– هو ابن حصن من زعماء غطفان – مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ بالقسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله!! فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[١].

ومن هذه المواقف ما حدثنا به جابر بن عبد الله «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال: يا محمد اعدل. قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: دعني فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي...»[٢].

وجه الدلالة:

فإذا كان توزيع الغنائم قد أغضب كثيراً من الناس بما فيهم الأنصار وهم معروفون بسابقتهم ونصرتهم رسول الله ﷺ ودعوته فلا يستبعد أن يكون له أثر على أزواج رسول الله ﷺ إثر رجوعه إلى المدينة المنورة[٣]، وأن يدفعهم ذلك إلى المطالبة بزيادة النفقة بعد أن رأوا هذه الغنائم العظيمة تُوزّع على الناس، ولا يكون لهن فيها نصيب.

٣– ويؤيد ذلك أن عدداً من المفسرين قد ذكروا أن طلبهن كان هو زيادة النفقة، وليس طلب النفقة[٤]، يدل على ذلك نص الآية: ﴿**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها..**﴾.

(١) صحيح البخاري رقم (٣١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٦٣)، وابن إسحق كما في سيرة ابن هشام (١٩٥)، واسم الرجل عنده: ذو الخويصرة التميمي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة» أي في نهاية السنة الثامنة للهجرة.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٢٨٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٣٧٦، وتفسير البغوي ٣/ ٥٢٥ وغيرها.



وزينة الحياة هي الأمر الزائد على الضروريات قال تعالى: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ (١).

وأما النفقة فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله، وحاشاه أن يقصر في ذلك.

أليس هو القائل: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله، وما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم» (٢).

ويدل على ذلك أيضاً أنه كان لرسول الله ﷺ مصادر متعددة ينفق منها على أهله (٣) منها:

١ - الفـــيء:

وهي ما أفاء الله على رسوله من المشركين من غير قتال، وهي: فدك وأموال بني النضير.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله فكانت لرسول الله فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة (٤)، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

---

(١) الآية ١٤ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٩٧٨) وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده على شرط الشيخين».

(٣) ينظر في ذلك مع ذكر أدلته كتاب الأموال لأبي عبيد ص ١٤ فما بعدها.

(٤) وواضح من حديث عمر: أنه ﷺ كان ينفق على أهله نفقة سنة... كما في صحيح البخاري برقم (٤٠٣٣)، وفي رواية: أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم... كما في صحيح البخاري برقم (٥٣٥٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧٥٧)(٥٠). وعنون البخاري رحمه الله باباً لهذه الرواية بقوله: باب حبس الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال.

ويستنبط من هذا الحديث جواز الادخار: قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١١ / ٢٩٤): «وفي هذا الحديث جواز ادخار قوت سنة، وجواز الادخار للعيال، وأن هذا لا يقدح في التوكل. وأجمع العلماء على جواز الادخار فيما يستغله الإنسان من قريته كما جرى للنبي ﷺ.

وأما إذا أراد أن يشتري من السوق ويدخره لقوت عياله ففيه خلاف:=

٢- الصفي:

الذي كان رسول الله ﷺ يصطفيه من كل غنيمة يغنمها المسلمون قبل أن يقسم المال.

٣- خمس الخمس:

بعدما تقسَم الغنيمة وتقسَّم.

= ١- ذهب قوم إلى التفصيل:
قالوا: إن كان الادخار في وقت ضيق الطعام لم يجز، بل يشتري ما لا يضيق على المسلمين كقوت أيام أو شهر، وإن كان في وقت سعة اشترى قوت سنة أو أكثر.
٢- وذهب آخرون إلى إباحته مطلقاً».
وأرى أن جواز الادخار خارج عن محل النزاع المذكور آنفاً، ومنعه في وقت ضيق المسلمين إنما هو لظرف طارئ، وليس بسبب عدم مشروعيته.
وممن كان يدخر لأهله قوت سنة: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف كما في المستدرك للحاكم (٣/٣٤٩)
ولكن قد يقال: ألا يعارض ما تقدم من جواز الادخار حديث أنس رضي الله عنه «كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً لغد» رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٦٢) ثم قال: وهذا حديث غريب، وقد روي عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً.
والجواب أن العلماء قد جمعوا بين الحديثين بعدة وجوه منها: ما ذكره ابن دقيق العيد [كما في فتح الباري لابن حجر ١١/٤١٤]: من أنه يحمل حديث أنس على الادخار لنفسه، وحديث عمر على الادخار لغيره.
بينما يرى الحافظ ابن كثير كما في الشمائل ص ٩٨: أنه ﷺ كان لا يدخر شيئاً لغد مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة وغيرها.
قلت: ويمكن أن يحمل على اختلاف الأحوال والظروف، فعند نزول الشدائد، وحصول الأزمات كان لا يدخر شيئاً لغد، وعند السعة كان يدخر. والذي أراه أن حديث عمر يقدم عند التعارض لأنه مخرّج في الصحيحين، وحديث أنس قال فيه الترمذي: حديث غريب، ولم يصححه سوى ابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٠٨)، وعند دراسة سنده تبين لي: أنه قد تفرد به جعفر بن سليمان عن ثابت، وهو وإن وثقه عدد من المحدثين فقد قال فيه علي بن المديني: «أكثر عن ثابت، وكتب مراسيل، وفيها أحاديث مناكير عن ثابت عن النبي ﷺ» فأخشى أن يكون هذا الحديث من المناكير.
وقال فيه الحافظ ابن عدي: «ولجعفر حديث صالح، وروايات كثيرة، وهو حسن الحديث، وهو معروف بالتشيُّع، وجمع الرقائق، وجالس زهاد البصرة فحفظ عنهم الكلام الرقيق في الزهد».
وللتوسع في ترجمته ينظر تهذيب الكمال للمزي ٥/٤٣ وفروعه.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من حادثة التخيير

بادئ ذي بدء لا بد من الإشارة إلى أنه من أهم الأحكام المستنبطة من حادثة التخيير: هو مشروعية التخيير (١)، فقد أجازت الشريعة الإسلامية للمسلم أن يخير زوجته بين البقاء عنده، أو مفارقته إذا طالبته بأمور لا يستطيع الوفاء بها، وهو باب من أبواب تفويض الطلاق للزوجة.

قال الخطيب الشربيني: «جواز تفويض الطلاق للزوجة: هو جائز بالإجماع، واحتجوا

---

(١) يشار هنا إلى أن هذا الحكم أخذ مساحة واسعة في كتب الفقهاء على مختلف مذاهبهم، وقد ذكر السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/ ٤٠٠ أن وجوب التخيير من خصائصه ﷺ و أما بالنسبة لغيره ﷺ فهو مشروع، وله أحكام أشير إلى أهمها:

حكم التخيير: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الزوج إذا خير زوجته فاختارته لا يقع عليها شيء، وإن اختارت نفسها ففيه خلاف:

١- تقع طلقة بائنة إذا أراد الزوج الطلاق: وممن قال بذلك أبو حنيفة وأصحابه، ومعنى قولهم: إذا أراد الزوج الطلاق أي إذا نوى الزوج بلفظ التخيير الطلاق، ولا يحتاج إلى نيتها.

ولفظ التخيير عندهم ليس من ألفاظ الطلاق: لا صريح ولا كناية، وإنما يقع الطلاق به إذا نوى استحساناً للحديث الوارد عن عائشة أن النبي ﷺ خير نساءه فاخترنه فلم يكن ذلك طلاقاً، وفي القياس لا يقع، لأنه وعد، والفتوى على الاستحسان.

٢- تقع طلقة يملك بها الرجعة: وممن قال بذلك عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، وإسحاق، وأبو عبيدة، وأحمد، والشافعي، وقد ذهبا إلى أن لفظ التخيير من ألفاظ الكنايات الخفية فيحتاج إلى نية الزوج والزوجة.

٣- تقع ثلاثاً: وبه قال الحسن ومالك، وقيده بالتخيير المطلق، وأما المقيد لفظاً بطلقة أو اثنتين فإنه يتقيد بذلك. وقد عد الإمام مالك لفظ التخيير من ألفاظ الكنايات الظاهرة فلا تحتاج إلى النية. وللتوسع في بحث هذه المسألة من الناحية الفقهية يراجع: روضة الطالبين للنووي ٨/ ٤٩، المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٨٣، رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ٤/ ٥٥٩، والخرشي على مختص سيدي خليل ٤/ ٧٣، وتفسير البغوي ٣/ ٥٢٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧١، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٠/ ٦٨، وأحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصّاص ٣/ ٥٢٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٥٢٦.



له أيضاً بأنه ﷺ خير نساءه بين المقام معه، وبين مفارقته لما نزل قول الله تعالى ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك . . .** ﴾»[1].

وعليه وبعد دراسة هذه الحادثة، والاطلاع على تفاصيلها، ومعرفة سببها، والتعرف الكامل على النصوص الواردة فيها، وزمن وقوعها، لا بد لنا - ومن خلال ما تقدم - من استنباط الدروس والعبر التي تنفع المسلم في حياته الزوجية مقتدياً بالحياة الزوجية للنبي ﷺ:

الأول: نشهد في حادثة التخيير تطبيقاً رائعاً لمبدأ الشورى في نظام الأسرة لقوله تعالى: ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[2].

وفيها تعليم للأمة بأن مبدأ الشورى مبدأ عام يمكن تطبيقه في كثير من قضايا الأسرة وشؤونها وحل خلافاتها.

الثاني: كما نشهد في هذه الحادثة لوناً من ألوان تكريم المرأة باستشارتها وتخييرها في أن تأخذ القرار الذي تريده سواء في البقاء باعتبارها عضواً فاعلاً في هذه الأسرة والعيش مع هذا الزوج في ضوء إمكانياته، وعلى المنهج الذي رسمه لحياته، شريطة عدم الإضرار بها أو التقصير في حقها. أو أن تختار الحياة التي ترضاها وتجد فيها ما تستريح له.

الثالث: ونشهد في هذه الحادثة أدباً كريماً من آداب حل المشكلات الزوجية وهو التروي والهدوء وعدم الاستعجال باتخاذ القرار عند نشوب الخلاف، فإن في العجلة الندامة يدل على ذلك قوله ﷺ لعائشة: «إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه . . .».

الرابع: ونشهد في هذه الحادثة أسلوباً رائعاً في تخفيف الآثار الناشئة عن المشكلة بين الزوجين، وذلك بأن يلجأ إلى السكوت، وعدم الإكثار من الكلام حالة تفاقم المشكلة،

(١) مغني المحتاج ٤/٤٦٥.

(٢) الآية (٣٨) من سورة الشورى.



فإن بعض الكلام عند ثورة الخصام كِلام، ويفضي إلى العداوة، ويبعد عن الوئام، يدل على ذلك: «فدخلا – أي أبو بكر وعمر – والنبي ﷺ جالس، وحوله نساؤه، وهو ساكت واجم».

الخامس: كما نشهد في هذه الحادثة طلب الزوج من زوجته الاستعانة بمشورة الأبوين إذا كانا صالحين عاقلين أو من يقوم مقامهما في حال غيابهما في اتخاذ القرار في حال نشوب الخلاف، يدل على ذلك قوله ﷺ: «حتى تستشيري أبويك...» قالت عائشة: «وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه». وأؤكد على مشورة الأبوين الصالحين لأن صلاحهما يدفعهما إلى الإصلاح... أما إذا عُدِمَ الصلاح والعقل فإن المشورة ستزيد من تفاقم المشكلة، وسيكون لها نتائج سيئة على مستقبل الأسرة وضمان استقرارها.

السادس: ونشهد في هذه الحادثة مبادرة الآباء إلى معالجة المشكلات الزوجية التي تنشأ بين الزوج وزوجته، وأن يكون الآباء عوناً للزوج لا سيما إذا تعسفت المرأة في استعمال حقها، وذلك عن طريق إرهاق الزوج بالمطالبة بزيادة النفقات والإلحاح الزائد عليها. يدل على ذلك مبادرة أبي بكر وعمر واستئذانهما للدخول على رسول الله ﷺ، لمعالجة موضوع طلب زيادة النفقة من ابنتيهما.

السابع: كما نشهد في هذه الحادثة ضرورة إدخال أسلوب المرح في مجالس الصلح التي تعقد لحل المشكلات الزوجية فإنه أسلوب نافعٌ جداً في مثل هذه الأوقات العصيبة، وله أثر بالغٌ في تهدئة النفوس، وتخفيف حدة الغضب، وتلطيف الأجواء المتوترة، كما أنه يساعد على اتخاذ القرار السليم لصالح الزوجين، يدل على ذلك قول عمر: «لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك...» وقد تم له ذلك.

الثامن: ونشهد في هذه الحادثة أثر التقوى في انصياع أزواج النبي الطاهرات إلى الحق،



والتعهد بالسير عليه وعدم الإصرار على المطالبة بما يؤدي إلى إحراج الزوج، يدل على ذلك قولهما: «والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده».

والمطالبة بزيادة النفقات والإكثار من الطلبات أمر محرج للزوج لا سيما إذا كان يمر بظروف عصيبة تمنعه من المبادرة والإجابة السريعة، وقد تدفع الزوج الذي لا يملك مخافة الله إلى الطرق المحرمة في الكسب فيضر بنفسه وأسرته.

فكم رأينا من أسرة انفرط عقدها وتفرق شملها عندما اضطر الزوج فمد يده إلى رشوة محرمة، أو سرقة ظالمة، أو متاجرة بأمر حرمه الله، فدفعه ذلك إلى الحرام الآثم دفعاً.

وقد أدبنا القرآن بأدب الاعتدال عندما قال: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً**﴾[١].

التاسع: كما نشهد في هذه الحادثة صورة رائعة من صور المبادرة إلى الخير، وإيثار أمور الآخرة على الدنيا، وما أشدَّ حاجتنا إلى التأسي والاقتداء بهذا الموقف النبيل من أم المؤمنين عائشة - ومعها أمهات المؤمنين الطاهرات - عندما خيرها رسول الله ﷺ فقالت: «بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة».

العاشر: ونشهد في هذه الحادثة أسلوب الصراحة في التعامل مع الزوجة فعندما دفعت المشاعر الأنثوية عائشة لتطلب من زوجها الكريم ألا يخبر أزواجه الأخريات أنها اختارته يصر الرسول ﷺ على الصراحة والصدق في التعامل. وهو أسلوب له أهمية كبيرة في استقرار الأسرة ويزيد من الثقة المتبادلة بين الزوجين، وكم رأينا من أسرة أشرفت على الانهيار نتيجة عدم الصراحة من الزوج، ومراوغته في التعامل وفقدانه الصدق في تصرفاته وأفعاله ومواعيده.

---

(١) سورة الطلاق آية (٧).



الحادي عشر: كما نشهد في هذه الحادثة أسلوباً كريماً في التعامل مع الزوجة حال الخلاف، وذلك بأن لا نلجأ إلى إهانتها بالضرب سواء من أبيها أو زوجها، يدل على ذلك ما جاء في حديث جابر: «فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصة...» فنهاهما رسول الله ﷺ. وعلينا في حالة نشوء المشكلة اللجوء إلى أسلوب الحوار، وحل الخلاف بالتي هي أحسن عن طريق الإقناع.

الثاني عشر: ونشهد في هذه الحادثة صورة من صور العاطفة البشرية الحلوة في قلب رسول الله ﷺ لزوجه الكريمة عائشة، ولكن حبه لها لم يمنعه من أن يتخذ الوسيلة الحازمة معها كي ترتفع معه إلى مستوى القيم التي يريدها الله له ولأهل بيته، وهو درس بليغ لمن يحب زوجته أن لا يدفعه ذلك الحب إلى التقصير في مسؤوليته تجاهها، أو سكوته عما يعيقها عن الارتقاء إلى مدارج الكمال وأعالي الدرجات ومنازل التقوى.

الرابع عشر: كما نشهد في هذه الحادثة «حقيقة حياة الرسول ﷺ والذين عاشوا معه واتصلوا به، وأجمل ما في هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان، وحياة ناس من البشر لم يتجردوا من بشريتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية مع كل تلك العظمة الفريدة التي ارتفعوا إليها، ومع كل هذا الخلوص لله والتجرد عما عداه.. فالمشاعر الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت في تلك النفوس، ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب. ثم بقيت لها طبيعتها البشرية الحلوة، ولم تعوق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان.. وكثيراً ما نخطئ حينما نتصور للنبي ﷺ ولصحابته صورة غير حقيقية أو غير كاملة، نجردهم فيها من كل المشاعر والعواطف البشرية، حاسبين أننا نرفعهم بها وننزههم عما نعده نقصاً وضعفاً. وهذا الخطأ يرسم لهم صورة غير واقعية، صورة ملفعة بهالات غامضة لا نتبين من خلالها ملامحهم الإنسانية الأصيلة



وَمن ثم تنقطع الصلة البشرية بيننا وبينهم ... فلا نعود نِتأسى بهم أو نتأثر..» [١].

الخامس عشر: وأخيراً نشهد في هذه الحادثة درساً بليغاً في حياة هذا النبي القائد ﷺ في ترفعه وعزوفه عن زخرف الحياة وزينتها، وقد وقع منه هذا التدبير في بيئة يستأثر القائد فيها بكل نفيس غالٍ من المغانم جرياً على ما اعتاد العرب في غاراتهم على أعدائهم. وقد وقعت هذه الحادثة بعد غزوة حنين تلك الغزوة التي غنم فيها المسلمون الغنائم العظيمة فلم تطمح إليها نفسه، ولم تمتد إليها يده، ولم يوزعها على أهله بل وزعها على المسلمين لا سيما ممن ضعفت نفسه، يتألفه على الإسلام، لينقذه من النار، ويدفع به إلى حظيرة الإيمان، ويجنده لصالح الدعوة لينضم إلى القافلة ويعلي به بناء الإسلام.

فصلى الله عليك يا رسول الله وأنت تعيش في الدعوة وللدعوة ومن أجل الدعوة... وصدق الله عندما قال: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [٢].

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٨٥٥ - ٢٨٥٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١).



المصادر والمراجع

١ـ أسباب النزول للسيوطي، المطبوع بحاشية تفسير قرآن كريم، تفسير وبيان للدكتور محمد حسن الحمصي، دار الرشيد - دمشق - بيروت.

٢ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ابن بلبان الفارسي، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣ـ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٥ـ أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ـ أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصّاص، دار الفكر، بيروت.

٧ـ البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ـ البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف، بيروت.

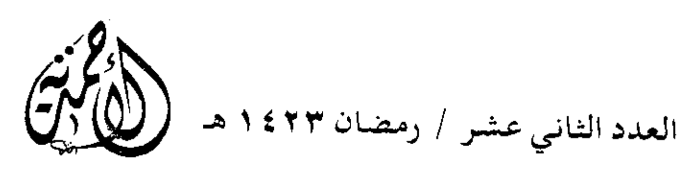
٩ـ تفسير الصافي للمولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت: ١١٠٩هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٠ـ تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، بيروت.

١١ـ التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٢ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٣ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.



١٤- تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس.

١٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر، المدينة المنورة، الحجاز، ١٩٦٤م.

١٦- تيسير التفسير للقرآن الكريم لمحمد بن يوسف اطفيش الإباضي (ت:١٣٣٣هـ)، طبعة وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٩٨٧م.

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، دار الفكر، بيروت.

١٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، دار الأرقم، بيروت.

٢٠- الجامع للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، دار الحديث، القاهرة.

٢١- الخصائص الكبرى للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢- الدر المنثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت.

٢٣- رد المحتار على الدر المختار لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٥- روضة الطالبين للنووي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٦- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي



(ت:٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٢٩- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٠- السنن لمحمد بن يزيد ابن ماجه (ت:٢٧٥هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١- سنن النسائي «المجتبى» لأحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٣٢- سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣- السيرة النبوية لابن هشام، دار الخير، بيروت.

٣٤- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٥- شرح صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف الدين النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، زاهد القدسي، الطبعة التاسعة، بيروت.

٣٧- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٣٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

٣٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، بيروت.

٤١- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار صادر، بيروت.



٤٢- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ لمسلم ابن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، دار الأرقم، بيروت.

٤٣- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٤٤- المغازي للواقدي، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢ ١٩٨٩م.

٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٦- مسند أحمد بن حنبل، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٧- المعجم الوسيط، لنخبة من الأساتذة في مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، تركيا، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

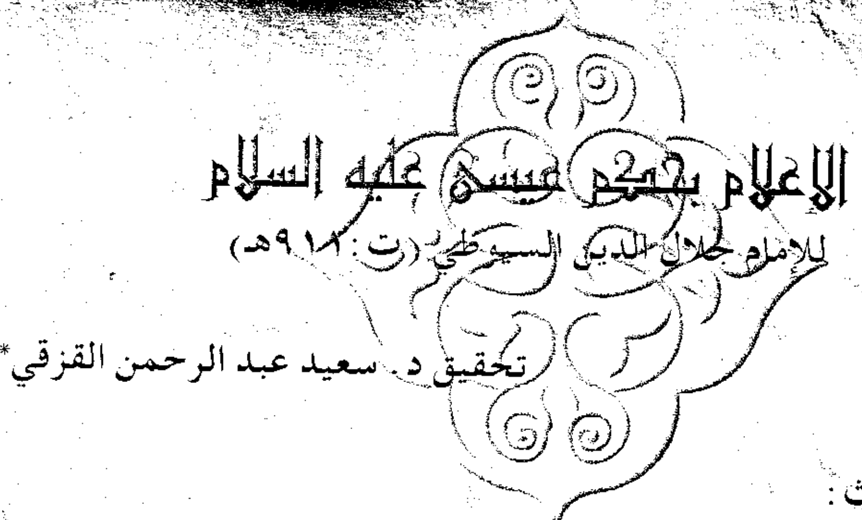
٤٨- المغني لابن قدامة، مكتبة هجر، القاهرة.

٤٩- مغني المحتاج بشرح المنهاج للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠- الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي، طبعة جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، إيران.

٥١- النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

***



الإعلام بحكم عيسى عليه السلام

للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

تحقيق د. سعيد عبد الرحمن القزقي*

التعريف بالبحث:

تحدث السيوطي في هذا الجزء عن عيسى عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان حكماً مقسطاً، يحكم بشرع نبينا محمد ﷺ، وساق أدلته في ذلك من السنة، وبين طريقة معرفة عيسى عليه السلام بأحكام شريعتنا، وأنه مع بقائه على نبوته معدود في أمة محمد ﷺ، وداخل في زمرة الصحابة رضي الله عنهم، فإنه اجتمع بالنبي ﷺ وهو حي، مؤمناً به ومصدقاً ليلة الإسراء والمعراج.

وبيَّن أن المهدي يأتي قبل عيسى ابن مريم فيملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت جوراً، ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ، وينزل عيسى فيقر صنع المهدي.

وبيَّن حكم عيسى عليه السلام في الأوقاف، فما كان موافقاً للشريعة أقره، وما كان غير ذلك ألغاه. وبيَّن أن عيسى عليه السلام يتلقى الوحي بعد نزوله، ويرى الأنبياء ويجتمع بهم، ومن جملتهم النبي ﷺ، وأورد الأدلة في ذلك.

وفي الخاتمة بيَّن بطلان قول مَنْ ذهب إلى أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ، وبطلان زعم أن عيسى عليه السلام إذا نزل لا يوحى إليه وحياً حقيقياً، بل وحي إلهام، ونبَّه أيضاً إلى بطلان قول مَنْ أنكر أن عيسى حين ينزل لا يصلي خلف المهدي صلاة الصبح، وأثبت ذلك بأحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة.

لذلك قمت بتحقيق هذا الجزء وخدمته - كما ترى - والله الموفق.

* أستاذ مشارك في الحديث وعلومه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، ولد في دورا - الخليل بفلسطين عام (١٩٣٩م)، وتابع دراسته في كلية الشريعة بجامعة دمشق فحصل على البكالوريوس عام (١٩٧٠م) وعلى الماجستير في الحديث وعلومه عام (١٩٧٦م) ودرجة العالمية (الدكتوراه) عام (١٩٨٠م) من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وله عدد من الأعمال العلمية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الاشتغال بتحقيق المخطوطات، والعمل على إخراجها محققةً لمن الأهمية بمكان، لا سيما إذا ضبط النص، وخُرجت الأحاديث ودُرست لمعرفة درجتها من الصحة والحسن والضعف، وحررت المادة العلمية، وقدمت إلى طلبة العلم في أسلوب علمي مقبول.

وقد وقفت على مخطوط للإمام السيوطي ضمن مجموع من رسائله[١] تحت رقم (٥٣) بعنوان: «**الإعلام بحكم عيسى عليه السلام**». والرسالة مطبوعة في كتاب الحاوي للفتاوي[٢]. وقد رأيت أن أحققها، وأخرج أحاديثها، وأنشرها لطلبة العلم ليفيدوا منها، لا سيما أنها إعلام بحكم عيسى المسيح عليه السلام، عند نزوله في آخر الزمان، وذلك من الأمور الغيبية التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ وأسأل الله الإخلاص والقبول.

تعريف موجز بالإمام السيوطي[٣]:

جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان الخضيري الأسيوطي (نسبة إلى أسيوط، مدينة مشهورة في مصر) يكنى أبا

---

(١) حصلت على هذا المجموع من عائلة من أهل العلم في فلسطين.

(٢) ٢/١٥٥ - ١٦٧.

(٣) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة له ١/٢٨٨ وما بعدها، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين محمد بن محمد الغزي ١/٢٢٧ وما بعدها، بهجة العابدين للشاذلي ص٥٦ وما بعدها، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي ١/٢٠٥ وما بعدها.



الفضل، وكان جده الأعلى همام الدين من أهل الحقيقة، ومن دونه كان من أهل الوجاهة والرئاسة.

ولد رحمه الله بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة، شافعي المذهب، ومن أهل الحقيقة، وكان لا يتردد على السلطان ولا على غيره.

عمل في التدريس وإملاء الحديث والإفتاء، وفُوِّضَ إليه الحكم والقضاء بالديار المصرية وسائر الممالك الشريفة الإسلامية شرقاً وغرباً. وعمل في التصنيف والتأليف، وآثاره العلمية كثيرة ومتنوعة، نيفت على خمسمائة مؤلف، من بينها: الإعلام بحكم عيسى عليه السلام.

طلبه للعلم:

شرع في الاشتغال بالعلم ابتداء من ربيع الأول سنة أربع وستين وثمانمائة، فقرأ على المشايخ الحديث والتفسير واللغة وأصول الفقه والفقه والفرائض والحساب والفقه والتاريخ والأدب. رحل في طلب العلم داخل مصر وخارجها ليحصل مقصد الرحلة والفوائد المرجوة منها، فسافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد الروم وغيرها. التقى بالعلماء فأخذ عنهم وأعطاهم.

بلغ عدد شيوخه مائة وخمسين شيخاً، وأخذ عنه عدد كبير من طلبة العلم والعلماء، رحمه الله تعالى.

وفاته:

توفي –رحمه الله– في سحر يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى



عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس بعد أن مرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، ودفن في حوش قوصون، خارج القرافة.

التعريف بالكتاب وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في التعريف بالمخطوط:

ألف السيوطي- رحمه الله- الإعلام بحكم عيسى عليه السلام رداً على سؤال ورد عليه يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة عن السيد المسيح حين ينزل بماذا يحكم، وقد فصل الجواب في هذا الكتاب واستطرد في طرح الأسئلة المتعلقة بذلك، وأجاب عنها بإجابات أزالت استشكال من يستشكل، وعزز إجابته بالأدلة كما هو مفصل ضمن هذه الرسالة، -وإن كان لا يسلم له ببعض الأدلة النقلية التي لا تسلم من الضعف، بل والوضع- يقف الباحث عليها في ثنايا البحث.

نسبته إلى المؤلف: كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام لمصنفه الإمام الجلال السيوطي ثابت النسبة إليه، إذ هو مطبوع ضمن مؤلف له مشهور، ومتداول بين طلبة العلم هو الحاوي للفتاوى. وقد ذكره أيضاً في حسن المحاضرة ١ /٣٣٣، وفي فهرست مؤلفاته، ضمن الحديث وتعليقاته[١]، ص١٩٢، وحاجي خليفة في كشف الظنون: ١ /١٢٧، والبغدادي في هدية العارفين: ١ /٥٣٥، والخازندار في دليل مخطوطات السيوطي ص٢٢٠.

---

(١) نشر الفهرست المشار إليه الدكتور سمير الدروبي في بحث في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد ٥٦) من السنة الثالثة والعشرين: ص ١٦٩ وما بعدها.



المطلب الثاني : في نسخ المخطوط :

يسر الله لي من هذا الكتاب بعد نسخة فلسطين أربع نسخ وأقدم تعريفاً بها فيما يلي :

١- نسخة فلسطين ورمزت لها بالحرف «خ» :

وهي مكتوبة بخط نسخ جميل، مقروء، وكتبت بداية الفقرات بخط أحمر، وكذلك بعض الكلمات التي تعتبر بداية قول مفسر، أو محدث، أو غيرهما. تقع النسخة في خمس وعشرين صفحة (رقمتها بيدي) وفي الصفحة واحد وعشرون سطراً، وفي السطر عشر كلمات تقريباً. كتب على الغلاف : «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام لسيدنا ومولانا شيخ الإسلام الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي، تغمده الله تعالى برحمته. آمين آمين». وفي آخر صفحة كتب : «والله أعلم بالصواب، تم المصنف بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الأحد، السادس من شهر صفر الخير سنة إحدى وخمسين ومائة بعد الألف. أحسن الله ختامها آمين».

٢- نسخة جامعة الرياض رقم (١٥٩٩ / ٣) ورمزت لها بالحرف «ض» :

وتقع في ١٣ ورقة، قد رقمتها من (١ - ١٣) وهي بخط رقعة جميل، في كل صفحة خمسة عشر سطراً، وفي كل سطر (١١ - ١٣) كلمة، وكتب في /ق١أ/ : «الإعلام للسيوطي. بسم الله الرحمن الرحيم، بحكم عيسى عليه السلام». وختمت في /ق١٣أ/ : «تم التصنيف المسمى بالإعلام بحكم عيسى عليه السلام» للشيخ جلال الدين السيوطي، رحمه الله تعالى، تمت على يد الفقير الملا عبد الحميد رضى زاده سنة ١٢٧٥».



وهناك تشابه بين نسخة «ض» ونسخة «خ» في الأخطاء، وفي مخالفة النسخ الأخرى، يلاحظها القارئ في أثناء قراءته للمادة العلمية.

٣- نسخة المكتبة الظاهرية / دمشق / سوريا تحت رقم (٣٨٦٢) وقد رمزت لها بالحرف «ظ»:

وقد حصلت عليها من مركز جمعة الماجد في دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي في المركز تحت رقم (٢٣٦٩) وعدد أوراقها: ١٥ (١٣٤ - ١٤٨) مكتوبة بخط نسخ مقروء. في الصفحة واحد وعشرون سطراً، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من (٨ - ١٢) كلمة. كتب على الورقة الأولى (١٣٤ب) وقف. كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام. وكتب على آخر ورقة (١٤٧ب): «لأنه في الحقيقة خليفة عنه، والله أعلم. تنبيه ويشبه هذا ما بلغني عن بعض المنكرين أنه أنكر ما ورد عن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلي خلف المهدي...» الخ كلامه الذي ينتهي في /ق١٤٨ب/.

٤- نسخة تشستربيتي تحت رقم (٥٥٠٠ / ١٥) ورمزت لها بالحرف «ش»:

منها صورة في مركز جمعة الماجد تحت رقم (٣٨٢٥)، وتقع في ٢٠ق (١٠٥ - ١٣٥) بخط نسخ مقروء، وفي كل صفحة: (٢٠ - ٢٢) سطراً، وفي كل سطر: (١٠ - ١٢) كلمة، وكتب على هامش الأوراق عناوين ترشد إلى المادة العلمية في كل ورقة، غير أن /ق١١٠أ/ فيها مسح من جهة اليمين، وكتب على الغلاف /ق١٠٥ب/: «كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه الصلاة والسلام. تأليف خاتمة الحفاظ الجلال



السيوطي، رحمه الله تعالى آمين. وكتب على الغلاف أيضاً فائدتان.

٥- نسخة دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم (١٧٥٦) ورمزت لها بالحرف «ت»:

منها صورة في مركز جمعة الماجد تحت رقم: ٢٧ / ٤٦٠، وتقع في ٨ق (١٠٦ - ١١٣)، في كل صفحة: (٣١) سطراً؛ وفي كل سطر (١٣ - ١٤) كلمة بخط مغربي، وهي كثيرة الأخطاء الإملائية، ولم أحرص على الإشارة إلى أخطائها في الحاشية، لئلا أثقل بما لا طائل منه، بل أفدت منها في تكميل النص، أو التأكد عند اختلاف النسخ للترجيح، أو تدارك سقط بعض الكلمات أوْ أكثر من كلمة.

المطلب الثالث : في مصادر السيوطي في هذا الكتاب:

اعتمد الإمام السيوطي في تصنيف هذا الكتاب على مصادر كثيرة، أذكرها فيما يلي:

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي نفسه.

٢- معالم السنن للخطابي.

٣- شرح النووي على مسلم.

٤- مسند الإمام أحمد.

٥- مسند البزار.

٦- المعجم الكبير للطبراني.

٧- تاريخ دمشق لابن عساكر.

٨- صحيح ابن حبان.

٩- دلائل النبوة للبيهقي.



١٠- دلائل النبوة لأبي نعيم.

١١- مسند الدارمي.

١٢- الحلية لأبي نعيم.

١٣- زوائد الزهد لعبدالله بن الإمام أحمد.

١٤- تفسير ابن أبي حاتم.

١٥- تفسير ابن جرير الطبري.

١٦- تفسير سعيد بن منصور.

١٧- تفسير عبدالرزاق.

١٨- الرسالة للإمام الشافعي.

١٩- المعجم الأوسط للطبراني.

٢٠- تفسير ابن برجان. لم أقف عليه.

٢١- تفسير المرسي. لم أقف عليه.

٢٢- البعث للإمام البيهقي.

٢٣- كتاب السنة لابن أبي زمنين. لم أقف عليه.

٢٤- الخصائص الكبرى للسيوطي.

٢٥- كتاب العظمة لأبي الشيخ ابن حيان الأصبهاني.

٢٦- الكامل في الضعفاء لابن عدي.

٢٧- تجريد الصحابة للإمام الذهبي.

٢٨- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.

٢٩- مسند أبي يعلى.

٣٠- المدخل لابن الحاج.

٣١- فتوى للحافظ ابن حجر.

٣٢- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري.

٣٣- سنن أبي داود السجستاني.

٣٤- سنن الإمام الترمذي.

٣٥- سنن النسائي.

٣٦- الزهد لابن المبارك.

٣٧- كتاب الفتن لنعيم بن حماد.

٣٨- الفتاوي للإمام السبكي.

٣٩- كتاب لأبي طاهر المخلص.



المطلب الرابع: في عملي في المخطوط:

وقد نهجت في عملي طريق النص المختار. فكان عملي كما يلي:

١- نسخت النسخة «خ» لأقابلها بالنسخ.

٢- قابلت النسخ وأثبت الزيادات والفروق وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

٣- ضبطت الآيات القرآنية بالشكل التام، وعزوتها بذكر اسم السورة، ورقم الآية بين معقوفتين في المتن.

٤-عزوت الأحاديث إلى من أخرجها، مبيناً درجة الحديث من الصحة والحسن والضعف ما أمكن، وبينت الموضوع منها. وخرجت منها ما لم يعزه المصنف لكتاب من كتب السنة.

٥- علقت على بعض المسائل التي لم أر وجه الحق فيها مع مصنف الكتاب.

٦- شرحت الألفاظ الغريبة في الحديث، وهي قليلة.

٧- هناك فروق يسيرة بين النسخ، ففي نسخة «ش»: «حينئذ» يختصرها الناسخ ح، ويضع فتحة فوقها. وفيها: بعد ذكر عيسى يقول «عليه الصلاة والسلام»، وبعد لفظ الجلالة يذكر «تعالى»، فضربت صفحاً عن مثل هذه الفروق، واعتنيت بما هو أهم.

الخاتمة:

في ذكر بعض الأمور المهمة التي تستخلص من البحث:

١- أن عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض آخر الزمان حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وذلك ثابت بالنصوص الصحيحة.

٢- أنه عليه السلام حينما ينزل يحكم بشريعة سيدنا محمد ﷺ، فهي الشريعة الخاتم.

٣- أن الحافظ الذهبي عدَّ المسيح ابن مريم عليه السلام في أصحاب الرسول ﷺ.

٤- أنه عليه السلام بعدما ينزل إلى الأرض يوحى إليه، وأن الذي يتولى ذلك جبريل عليه السلام.

٥- أن الأدلة قامت على أن جبريل ينزل إلى الأرض بعد وفاة محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الإعلام بحكم عيسى عليه السلام
لسيدنا ومولانا شيخ الإسلام
الشيخ جلال الدين السيوطي
الشافعي تغمده الله تعالى
برحمته آمين
آمين

الدرة التاجية على الأسئلة الناجية
ختامة للحافظ الشيخ جلال الدين
السيوطي الشافعي رحمه الله
تعالى عنه وأسعده آمين





مكتبة الظاهرية رمزها «ظ»

نسخة المكتبة الوطنية بتونس: رمزها: ت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد :

فقد ورد عليّ سؤال يوم الخميس، سادس جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة صورته : المسؤول الجواب عما يذكر، وهو :

١ – أن عيسى عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان بماذا يحكم في هذه الأمة؟ بشرع نبينا؟ أو بشرعه؟

٢– وإذا قلتم : إنه يحكم بشرع نبينا ، فكيف طريق حكمه به ؟ أبمذهب من المذاهب الأربعة المتقررة ؟ أو باجتهاد منه ؟

٣– وإذا قلتم بمذهب من المذاهب الأربعة، فبأي مذهب هو؟

٤– وإذا قلتم بالاجتهاد ، فبأي طريق تصل إليه الأدلة التي يستنبط منها الأحكام ؟ أبالنقل (الذي هو من خصائص هذه الأمة)[1] ؟ أو بالوحي؟

٥– وإذا قلتم بالنقل ؛ فكيف طريق معرفته صحيح السنة من سقيمها؟ أبحكم الحفاظ عليه؟ أو بطريق آخر؟

٦–وإذا قلتم بالوحي، فبأى وحي هو؟ أوحي إلهام؟ أم بتنزيل ملك؟.

فإذا كان بالثاني، (فأيّ ملك)[2] وكيف حكمه في أموال بيت المال وأراضيه؟ وما صدر فيها من الأوقاف؟ أيقر ذلك على ما هو (عليه)[3] الآن ؟ أو يحكم فيه بغير ذلك؟

وأقول : قد ورد عليَّ هذا السؤال من مدة تقارب شهرين، وذلك يوم الجمعة، رابع عشر

(١) ما بين قوسين سقط من « خ، ض».
(٢) في « خ » :« فبأي ملك».
(٣) سقطت من « ظ، ش، ض».



ربيع الأول من هذه السنة[١]، جاءني (به بعض الفضلاء)[٢] ممن أخذ العلم عن والدي، فسألني عن أشياء من جملتها هذا السؤال، وأجبته عنه بجواب مختصر.

ومن جملة ما سألني عنه في ذلك المجلس قصة استحياء الملائكة من عثمان، وأخرجت[٣] له في ذلك حديثين غريبين، خرجتهما من «تاريخ ابن عساكر»[٤]، وأوردتهما في كتابي «تاريخ الخلفاء»[٥]، في ترجمة عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

وها أنا ذاكر في هذه الأوراق جواب هذا السؤال على طريق البسط، ذاكر[٦] في كل (كلمة)[٧] أوردها مستندي فيها من الأحاديث والآثار، وكلام العلماء.

(فقول السائل: بماذا يحكم في هذه الأمة؟ بشرع نبينا؟ أو بشرعه؟)[٨].

جوابه: أنه يحكم بشرع نبينا لا بشرعه، نص على ذلك العلماء، ووردت به الأحاديث، وانعقد عليه الإجماع.

---

(١) أي: سنة ثمان وثمانين وثمانمائة.

(٢) من «خ، ش، ض»، وفي «ظ، ت» «رجل من أهل العلم»، ولا تباين بينهما في المعنى.

(٣) في «خ»: «فأخرجت».

(٤) في تاريخ دمشق له: ٣٩ /٩٣، ٩٤، من طريق الطبراني. وفي إسناده: محمد بن إسماعيل الوساوسي: كذاب، يضع الحديث. وقد ثبت قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة». رواه مسلم في صحيحه (شرح النووي على مسلم: ٨ / ١٨١). كتاب فضائل الصحابة (٤٤). باب من فضائل عثمان بن عفان. ح (٢٤٠١) من حديث عائشة.

(٥) ص ١٥٣. قال السيوطي: وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مر بي عثمان، وعندي ملك من الملائكة، فقال: شهيد يقتله قومه، إنا نستحي منه» وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله».

(٦) في «ش، خ»: «ذاكراً».

(٧) في «ش»: «مسألة».

(٨) ما بين قوسين سقط من «خ».



فمن جملة نصوص العلماء في ذلك: قول الخطابي في «معالم السنن»[١] عند ذكر حديث أن عيسى يقتل الخنزير[٢]: فيه دليل على وجوب قتل الخنازير، وبيان أن أعيانها نجسة، وذلك لأن عيسى عليه السلام إنما يقتل الخنزير على حكم شريعة نبينا ﷺ لأن نزوله إنما يكون في آخر الزمان، وشريعة الإسلام باقية[٣].

ومن ذلك قول النووي في «شرح مسلم»[٤]: ليس المراد بنزول عيسى أنه ينزل بشرع ينسخ شرعنا، ولا في الأحاديث شيء من هذا، بل صحت الأحاديث بأنه ينزل حكماً مقسطاً، يحكم بشرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس[٥].

---

(١) ١٥ / ٨٠ باب نزول عيسى ابن مريم، صلوات الله عليه.

(٢) حديث رقم (٤٢٧٥)، وبعد أن ذكر الحديث المذكور، قال: هذا حديث متفق على صحته، أخرجه محمد بن إسحق، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح. وأخرجه مسلم: عن قتيبة، عن الليث، كل عن ابن شهاب .. ثم قال في شرح الحديث المشار إليه سابقاً: «قوله: يكسر الصليب: يريد إبطال النصرانية، والحكم بشرع الإسلام، ومعنى قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكله، وإباحة قتله. وفيه: بيان أن أعيانها نجسة، لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه» أهـ. معالم السنن للخطابي ١٥ / ٨١.

(٣) أخرج أبوداود في سننه ص ٦٥٢. كتاب الملاحم باب خروج الدجال. ح رقم (٤٣٢٤) بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبي– يعني عيسى– وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون». وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٤٠٦، ٤٣٧. والأحاديث ظاهرة الدلالة على أن شريعة الإسلام باقية في آخر الزمان.

(٤) ٢ / ١٩٠. قال: حكماً، أي: ينزل حاكماً بهذه الشريعة، لا ينزل نبياً برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة.

(٥) والحديث الذي ذكرته آنفا عن أبي هريرة والذي أخرجه أبو داود يفيد ذلك.



ومن الأحاديث الواردة في ذلك: ما أخرجه أحمد[١] والبزار[٢] والطبراني[٣]، (وأبوطاهر المخلِّص، وابن عساكر[٤]) [٥] من حديث سمرة، عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم مصدقاً بمحمد ﷺ وعلى ملته، فيقتل الدجال، ثم إنما هو قيام الساعة».

وأخرج الطبراني في «الكبير»[٦]، والبيهقي في «البعث»[٧] (بسند جيد)[٨]، عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: «يلبث الدجال فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدقاً بمحمد، وعلى ملته إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً، فيقتل الدجال».

وأخرج ابن حبان في «صحيحه»[٩]: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت

---

(١) في مسنده ٥ /١٣ بلفظ: «أن النبي ﷺ كان يقول: «إن الدجال خارج ...» الحديث إلى أن قال: «ثم يجيء عيسى ابن مريم عليهما السلام، من قبل المغرب، مصدقاً بمحمد ﷺ».

(٢) في مسنده، أورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ٤ /١٤٣ ح رقم (٣٣٩٧) باختلاف ألفاظ.

(٣) في معجمه الكبير ٧ /٦٩١٨، ٦٩١٩، ٧٠٨٢.

(٤) في تاريخ دمشق ٢٠ /٢٣٠ مثل لفظ أحمد

(٥) ما بين قوسين سقط من: «ت، ظ».

(٦) المعجم الكبير ١ /٥٩٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧ /٢٣٥، ٢٣٦: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف لا يضر.

(٧) لم أقف عليه في المطبوع، وقد استدركه الشيخ عامر أحمد حيدر في كتابه: استدراكات البعث والنشور ص ٣٢.

(٨) ما بين قوسين سقط من: «خ»، «ض».

(٩) انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٨ /٢٨٦ في ذكر قدر مكث الدجال في الأرض عند خروجه من وثاقه. ح رقم (٦٧٧٣). من طريق أبي يعلى .... من حديث طويل. قال أبو حاتم: «في هذا الخبر «فيؤمهم» أراد به: فيأمرهم بالإمامة، إذ العرب تنسب الفعل إلى الآمر كما تنسبه إلى الفاعل، كما ذكرنا في غير موضع من كتبنا» اهـ.

رسول الله ﷺ يقول: « ينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم، فإذا رفع رأسه من الركعة، قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله الدجال، وأظهر المؤمنين ».

ووجه الاستدلال من هذا الحديث: أن عيسى يقول في صلاته يومئذ: سمع الله لمن حمده، وهذا الذكر في الاعتدال من خواص صلاة هذه الأمة، كما ورد في حديث ذكرته في كتاب « المعجزات والخصائص »(١).

وأخرج ابن عساكر(٢): عن أبي هريرة، قال: يهبط المسيح ابن مريم، فيصلي الصلوات، ويجمِّع الجمع. فهذا صريح في أنه ينزل بشرعنا، لأن مجموع الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، لم يكونا في غير هذه الملة.

وأخرج ابن عساكر(٣): من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي، قال: قال رسول الله ﷺ: « كيف تهلك أمة أنا أولها، وعيسى ابن مريم آخرها ».

(وأخرج ابن عساكر(٤) أيضاً من حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) الخصائص الكبرى له ٢ /٣٥٥. باب اختصاصه ﷺ بقوله: اللهم، ربنا لك الحمد. قال السيوطي: أخرج البيهقي في سننه ٢ /٥٦ عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: « لم يحسدونا اليهود بشيء ما حسدونا بثلاث: التسليم، والتأمين، واللهم ربنا لك الحمد ». وفي سنده: عبد الله بن ميسرة ضعيف. (التقريب ١ /٤٢٦).

(٢) في تاريخ دمشق ٤٧ /٥٠٢.

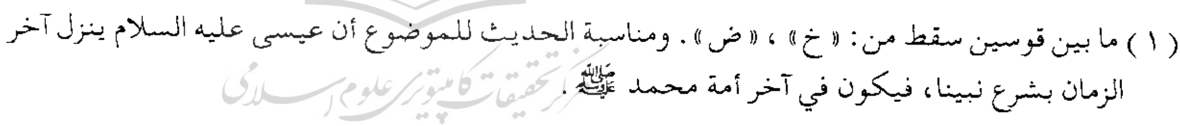
(٣) في تاريخ دمشق ٤٧ /٥٢١. وفي إسناده عبدالوهاب بن الضحاك الحمصي، وهو كذاب يضع الحديث. انظر: تقريب التهذيب ١ /٤٨٨، التاريخ الكبير ٣ /١٠٠.

(٤) في تاريخ دمشق ٤٧ /٥٢١ – ٥٢٢، وفي إسناده مَنْ هو متكلم فيهم. وقد ذكره الكشميري الهندي (ت: ١٣٥٢ هـ) في كتابه التصريح بما تواتر في نزول المسيح (٣ /١٨١، ١٨٢) عن ابن عباس، وقال عقبه: رواه النسائي، وأبو نعيم في أخبار المهدي، والحاكم وابن عساكر في تاريخيهما، « كيف تهلك أمة أنا في أولها ..» كما في كنز العمال ٧ /١٨٧ في موضعين، وهو حديث حسن كما في السراج المنير للعزيزي ٣ /١٩٦. والحديث ليس في كتابي النسائي.

: «كيف تهلك أمة أنا أولها، وعيسى ابن مريم آخرها)[١] والمهدى من أهل بيتي فى أوسطها».

وقول السائل: وإذا قلتم: إنه يحكم بشرع نبينا، فكيف طريق حكمه به؟ أبمذهب من المذاهب الأربعة (المتقررة؟ أو باجتهاد منه؟

هذا السؤال عجب من سائله، وأشد عجباً منه قوله فيه: بمذهب من المذاهب الأربعة)[٢]. فهل خطر ببال السائل أن المذاهب في هذه الملة الشريفة منحصرة في أربعة؟ والمجتهدون من الأمة لا يحصون كثرة؟ وكلٌّ له مذهب من الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، وهلُمَّ جرا؟ وقد كان في السنين الخوالي نحو عشرة مذاهب مقلدة أربابها، مدونة كتبها، وهي: الأربعة المشهورة[٣]، ومذهب سفيان الثوري[٤]، ومذهب



(١) ما بين قوسين سقط من: «خ»، «ض». ومناسبة الحديث للموضوع أن عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان بشرع نبينا، فيكون في آخر أمة محمد ﷺ.

(٢) ما بين قوسين سقط من: «خ».

(٣) أ- الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، (ت: ١٥٠هـ) على الصحيح، وله سبعون سنة. تاريخ الثقات ص ٤٥٠، تهذيب التهذيب ٢ /٣٠٨.

ب- الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة (٩٣-١٧٩هـ). التقريب ٢ /٢٣١.

ج- الإمام الشافعي: محمد بن إدريس المطلبي، أبو عبدالله الشافعي، المكي، نزيل مصر، المجدد للدين على رأس المائتين (ت: ٢٠٤هـ)، وله أربع وخمسون سنة. تقريب التهذيب ٢ /١٥٢، الجرح والتعديل ٧ / ٢٠١.

د- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبدالله، أحد الأئمة (ت:٢٤١هـ). تقريب التهذيب ١ /٣٤، ٤١.

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، أمير المؤمنين في الحديث (٩٧ - ١٦١هـ). طبقات الحفاظ ص ٨٨، ٨٩. تهذيب التهذيب ٤ /١١١، حلية الأولياء ١ /٣٥٦.



الأوزاعي[١]، ومذهب الليث بن سعد[٢]، ومذهب إسحاق بن راهويه[٣]، ومذهب ابن جرير[٤]، ومذهب داود[٥]، وكان لكل من هؤلاء أتباع يفتون بقولهم، ويقضون. وإنما انقرضوا بعد الخمسمائة لموت العلماء، وقصور الهمم.

فالمذاهب كثيرة، (فلأي)[٦] شيء خصص السائل المذاهب الأربعة؟ ثم كيف يظن بنبي أنه يقلد مذهباً من المذاهب؟ والعلماء يقولون: إن المجتهد لا يقلد مجتهداً، فإذا كان المجتهد من آحاد الأمة لا يقلد، فكيف يظن بالنبي أنه يقلد؟.

فإن قلت: فتعين حينئذ القول بأنه يحكم بالاجتهاد.

قلت: (لا، لم)[٧] يتعين ذلك، فإن نبينا ﷺ كان يحكم بما أوحي إليه في القرآن، ولا يسمى ذلك اجتهاداً، كما لا يسمى تقليداً. والدليل على ذلك أن العلماء حكوا خلافاً في

---

(١) عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، إمام أهل الشام في وقته، نزيل بيروت (٨٨ - ١٥٧هـ). طبقات الحفاظ ص٧٩، تذكرة الحفاظ ١ /١٧٨، تهذيب التهذيب ٦ /٢٣٨.

(٢) الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، أحد الأعلام، (٩٤ - ١٧٥هـ). طبقات الحفاظ ص٩٥، تاريخ بغداد ١٣ /٣، تذكرة الحفاظ ١ /٢٢٤، حلية الأولياء ٧ /٣٨.

(٣) ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي، أبو يعقوب المروزي. نزيل نيسابور، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ (ت ٢٣٨هـ). طبقات الحفاظ ص١٨٨ - ١٨٩، تذكرة الحفاظ ٢ /٤٣٣، تهذيب التهذيب ١ /٢١٦، حلية الأولياء ٩ /٢٣٤.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام، العلم، الحافظ، الفرد، أبو جعفر الطبري، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف، الطواف (٢٢٤ - ٣١٠هـ). طبقات الحفاظ ص ٣٠٧، ٣٠٨، البداية والنهاية ١١ /١٤٥، تاريخ بغداد ٢ /٢١٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣ /١٢٢.

(٥) زاد في نسخة «ش»: الظاهر، وهو داود بن علي بن خلف الحافظ الفقيه المجتهد، أبو سليمان الأصبهاني، البغدادي، فقيه أهل الظاهر (٢٠٠ - ٢٧٠هـ). طبقات الحفاظ ص٢٥٣، ٢٥٤، تاريخ أصبهان ١ /٣١٢، تاريخ بغداد ٨ /٣٦٩.

(٦) في «خ»: «ولأي».

(٧) في «ظ»: «لم لا». وفي «ت»: «لم» فقط.



جواز الاجتهاد للنبي ﷺ فلو كان حكمه بما يفهمه من القرآن يسمى اجتهاداً، لم تتجه حكاية الخلاف.

فإن قلت: بين لنا كيف طريق معرفة عيسى بأحكام هذه الشريعة ؟

قلت: يمكن أن يقال في ذلك ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أنّ جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم، ومن بعدهم، بالوحي من الله على لسان جبريل، وبالتنبيه على بعض ذلك في الكتاب الذي أنزل عليهم.

والدليل على ذلك: أنه ورد في الأحاديث والآثار أن عيسى عليه السلام بشر أمته بمجيء النبي ﷺ بعده[١]، وأخبرهم بجملة من شريعته (التي)[٢] يأتي بها تخالف شريعة عيسى[٣]، وكذلك وقع لموسى (بن عمران)[٤] (وداود عليهما السلام)[٥].

من ذلك: ما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»[٦]: عن وهب بن منبه، قال: إن الله

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ {الصف: ٦}

(٢) من «خ» فقط.

(٣) قال تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ {الأعراف: ١٥٧}

(٤) من «خ».

(٥) ما بين قوسين ليس في «خ».

(٦) ١ /٣٧٩. وفيه: عبدالمنعم بن إدريس، قال فيه الإمام أحمد: كان يكذب على وهب بن منبه. كما في الميزان ٢ /٦٦٨ (٥٢١٨) وأبوه إدريس بن سنان أبو إلياس الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه ضعيف قاله الحافظ ابن حجر، وقال الدار قطني: متروك كما في الميزان ١ /١٦٩ (٦٨١). وجرح الدار قطني له مقدم على ذكر ابن حبان له في الثقات ٦ /٧٧. وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة ص٦٨، ٦٩ بسنده إلى أبي هريرة نحوه. وفي حلية الأولياء ٥ /٣٨٤، ٣٨٥ عن كعب الأحبار نحوه.

لما قرب موسى نجياً، قال: رب، إني أجد في التوراة أمة خيرِ أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب، إني أجد في التوراة أمة[١] أناجيلهم في صدورهم، يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظراً، ولا يحفظونها، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ، إني أجد في التوراة أمة[٢] يأكلون صدقاتهم في بطونهم، وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها، فإن لم تقبل لم تأكلها النار، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد، قال: ربّ، إني أجد في التوراة أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد[٣].

فهذه أحكام في شرعنا مخالفة لشرع من قبلنا، بينها الله تعالى لنبيه موسى ، فعلمها بالوحي لا بالاجتهاد، ولا بالتقليد .

وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة»[٤] أيضاً: عن وهب بن منبه، قال: إن الله أوحى في الزبور: يا داود، إنه سيأتي (من)[٥] بعدك نبي اسمه أحمد، ومحمد، (صادقاً، نبياً)[٦] لا أغضب عليه أبداً، ولا يغضبني أبداً، وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمته مرحومة

(١) تتمة الكلام من دلائل النبوة ١ / ٣٧٩: «هم الآخرون من الأمم، السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة محمد. قال: رب، إني أجد في التوراة أمة».

(٢) تتمة الكلام من دلائل النبوة: ١ / ٣٧٩ «يؤمنون بالكتاب الأول والآخر، ويقاتلون رؤوس الضلال حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة محمد. قال: ربّ إني أجد في التوراة أمة».

(٣) تتمة الكلام من دلائل النبوة: ١ / ٣٨٠: «قال: رب، إني أرى في التوراة أمة هم المستجيبون، والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد».

(٤) ١ / ٣٨٠.

(٥) من: «ظ،ت»، ومن دلائل النبوة للبيهقي: ١ / ٣٨٠، وسقطت من: «خ، ش».

(٦) ما بين قوسين من: «ظ، ش، ت»، وفي «خ، ض»: «وصادق».



أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة، ونورهم مثل نور الأنبياء. وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا (لي)[١] لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم.

يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلهم، (وأعطيتهم خصالاً)[٢] لم أعطها غيرهم من الأمم، لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنب ركبوه[٣]، إذا استغفروني منه غفرته، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم[٤]، ولهم[٥] عندي أضعاف مضاعفة[٦]، وأعطيتهم على المصائب والبلايا - إذا صبروا وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون - الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم[٧].

وأخرج الدارمي في «مسنده»[٨]: عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟. فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله، مولده

(١) ما بين قوسين من «ظ، ض» وكذلك من دلائل النبوة للبيهقي ١ / ٣٨٠. وسقطت من «ش، خ».

(٢) في دلائل النبوة للبيهقي ١ / ٣٨٠: «أعطيتهم ستة [كذا] خصال».

(٣) زاد في دلائل النبوة ١ / ٣٨٠: «على غير عمد».

(٤) زاد في دلائل النبوة ١ / ٣٨٠: «أضعافاً مضاعفة».

(٥) زاد في دلائل النبوة ١ / ٣٨٠: «في المذخور».

(٦) زاد في دلائل النبوة ١ / ٣٨٠: «وأفضل من ذلك».

(٧) زاد في دلائل النبوة ١ / ٣٨٠: «فإن دعوني استجبت لهم، فإما أن يروه عاجلاً، وإما أن أصرف عنهم سوءاً، وإما أن أؤخرهم في الآخرة».

(٨) ١ / ٦. باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب قبل مبعثه. ح رقم (٩). وهو حديث حسن، انظر فتح المنان ١ / ٢٣٣.



بمكة، ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش، ولا (بسخاب)[١] في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر. أمته الحمادون يحمدون الله في كل سراء [وضراء][٢] ويكبرون الله على كل نجد[٣]. يوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطهم، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم. ودويهم في مساجدهم كدوي النحل. يسمع مناديهم (في)[٤] جوّ السماء.

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة»[٥] وغيره عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «صفتي في الإنجيل أحمد المتوكل، مولده بمكة[٦]، ومهاجره إلى طيبة، ليس بفظ، ولا غليظ، ويجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة. أمته الحمادون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانُهم الذي يتقربون به إليّ دماؤُهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار».

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة»[٧] عن كعب الأحبار، قال: صفة هذه الأمة في

---

(١) في مسند الدارمي ١/ ٦: «صخاب» قال ابن الأثير: السخب، والصخب بمعنى الصياح. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٤٩.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة من مسند الدارمي ١/ ٦.

(٣) النجد: ما ارتفع من الأرض، والجمع نجاد بالكسر، ونجود، وأنجد، والنجد: الطريق الواسع. مختار الصحاح ص ٦٤٦.

(٤) من «ظ، ش، ت» ومن مسند الدارمي ١/ ٦، وفي «خ، ض»: «من».

(٥) ص٣٣ -٣٥.

(٦) من «ش»، وفي سائر النسخ: «مكة».

(٧) لم أقف عليه في المطبوع من الدلائل.
وهو في حلية الأولياء ٥/ ٣٨٤، ٣٨٧ من حديث طويل، وفي سنده: رشدين بن سعد: كان صالحاً فأدركته غفلة الصالحين فخلط في الحديث. التقريب ١/ ٢٤٦. وحمل هذا الحديث غير واحد من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة: عبدالله بن عمرو بن العاص. ومن التابعين: المسيب ابن ... حلية الأولياء ٥/ ٣٨٦، ٣٨٧.

كتاب الله المنزل: «خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول، والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى (يقاتلوا)[١] الأعور الدجال، هم الحمادون[٢]، رعاة الشمس[٣] المحكمون، إذا أرادوا أمراً، قالوا: نفعله إن شاء الله. وإذا أشرف أحدهم على شرف كبَّر الله، وإذا هبط وادياً حمد الله. الصعيد لهم طهور، والأرض لهم مسجد حيثما كانوا، يتطهرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء، حيث لا يجدون الماء، غرٌّ محجلون من آثار الوضوء».

فهذه جملة من أحكام شريعتنا، مخالفة لشرع من قبلنا، بينها الله لأنبيائه فيما أنزله عليهم من الكتب.

وقد وردت الأحاديث والآثار ببيان أكثر من ذلك، وتركتها خوف الإطالة.

ووردت الآثار أيضاً بأن الله بين لأنبيائه في كتبهم جميع ما هو واقع في هذه الأمة من أحداث وفتن، وأخبار خلفائها وملوكها، من ذلك:

ما أخرجه ابن عساكر[٤]: عن الربيع بن أنس، قال: مكتوب في الكتاب الأول: «مثل أبي بكر الصديق مثل القطر أينما يقع نفع».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»[٥]: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد، أمير شديد، لا يخاف في

---

(١) في نسخة «خ»: «يقاتلون»، وهو خطأ.

(٢) الحمادون: يعني أنهم يحمدون الله على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وصعود وهبوط، وذلك مختص بهذه الأمة المحمدية دون غيرها. فتح المنان شرح سنن الدارمي ١/ ٢١٦.

(٣) إشارة إلى عنايتهم وملاحظتهم لأوقات الصلاة من خلال الشمس، من حين طلوعها إلى غروبها ممتثلين لأمر ربهم في إقامة الصلوات في أوقاتها. قال تعالى ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر**﴾.

(٤) في تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٣٨. وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة ٢/ ١١٤ فقرة ٥٦٣ (٢٨٦).

(٥) ٦/ ٢٥، ٢٦. وأخرجه أيضاً نعيم بن حماد في الفتن ١/ ١٠٢.



الله لومة لائم، ثم يكون من بعدك خليفة تقتله (أمته)[١] ظالمين له، ثم يقع البلاء بعده.

وأخرج ابن عساكر[٢]: عن عمر بن الخطاب أنه دعا[٣] الأسقف، فقال: هل تجدونا في شيء من كتبكم؟ قال: نجد صفتكم وأعمالكم.

وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة»[٤]: عن محمد بن يزيد الثقفي، قال: اصطحب قيس ابن خرشة وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين وقف كعب، ثم نظر ساعة، ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله، فقال قيس: ما يدريك فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به. فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة الذي أنزل الله على موسى ما يكون عليه، وما يخرج منه إلى يوم القيامة.

وأخرج عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد»[٥]: عن هشام بن خالد الربعي، قال: قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبدالعزيز أربعين سنة.

والآثار في هذا المعنى كثيرة جداً، وقد سردتها في كتاب «المعجزات». وحاصلها القطع بأن الله بيّن لأنبيائه جميع ما يتعلق بهذه الأمة من أحكام، وما يحدث فيها من حوادث وفتن، فعلم الأنبياء ذلك بطريق الوحي من الله من غير احتياج إلى أن يأخذوه باجتهاد[٦] أو تقليد.

---

(١) من الحلية لأبي نعيم ٦ / ٢٦، وفي المخطوط: «أمة». والصواب ما أثبتناه، والشاهد لذلك قوله «ظالمين»، ولا وجه لنصبها إلا أن تكون حالاً من قوله «أمته».

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ووجدته بلفظ: «قال كعب لعمر: يا أمير المؤمنين! الحق فإنك ميت في ثلاثة أيام. فقال عمر: الله! إنك لتجد عمري في التوراة؟ قال: لا، ولكن أجد صفتك ونعتك». مختصر تاريخ دمشق ١٩ / ٣٥.

(٣) في «خ»: «دعى».

(٤) ٦ / ٤٧٦، ٤٧٧، وإسناده ضعيف من أجل محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي.

(٥) ص ٣٦٦، ولفظه: في التوراة، أو في بعض الكتب: «السماء تبكي على عمر بن عبدالعزيز أربعين سنة بكاء الحزين».

(٦) في «خ»: «ما حدوه بالجهاد».



هذا ما يتعلق بالطريق الأول.

وقد اعترض عليّ في هذا الطريق بأنه يلزم عليه أن يكون كل ما في القرآن مضمناً[١] في جميع الكتب السابقة، وأقول: لا مانع من ذلك، بل دلت الأدلة على ثبوت هذا اللازم قال تعالى: ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وإنه لفي زبر الأولين** ﴾[٢]. {الشعراء: ١٩٢ – ١٩٦}.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣]: (من طريق معمر)[٤] عن قتادة في قوله: ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين** ﴾. {الشعراء ١٩٢} قال: القرآن.

(وأخرج[٥] من طريق سعيد، عن قتاده)[٦] في قوله: ﴿ **وإنه لفي زبر الأولين** ﴾ {الشعراء: ١٩٦} قال: أي: في كتب الأولين.

---

(١) في «خ، ض»: «مثبتاً».

(٢) قوله: ﴿ **وإنه لفي زبر الأولين** ﴾ قال ابن كثير: وإن ذكر هذا القرآن، والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله الميثاق عليهم بذلك، حتى قام آخرهم خطيباً في ملته بالبشارة بأحمد: ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾. والزبر هنا هي الكتب، وهو جمع زبور، وكذلك الزبور، وهو كتاب داود. أ.هـ تفسير ابن كثير ٣ /٣٤٧.
وقال الشوكاني: قوله: ﴿ **وإنه لفي زبر الأولين** ﴾ أي: إن هذا القرآن باعتبار أحكامه التي أجمعت عليها الشرائع في كتب الأولين من الأنبياء. الزبر: الكتب، والواحد: زبور» أ.هـ فتح القدير ٤ /١١٧.

(٣) في تفسيره ٩ /٢٨١٧ . ح رقم (١٥٩٤١)، قال: أخبرنا أبو عبدالله الطهراني– فيما كتب إلي– أنبا عبدالرزاق، أنبا معمر، عن قتادة، مثله . ثم قال: وروي عن محمد بن كعب، وقتادة، والسدي، والضحاك، والزهري، مثل ذلك.

(٤) ما بين قوسين من: «ش»، وسقط من سائر النسخ.

(٥) أي: ابن أبي حاتم في تفسيره: ٩ /٢٨١٩. ح رقم (١٥٩٥١). قال حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتاده قوله.. مثله. ثم قال عقبه: وروي عن السدي مثل ذلك.

(٦) ما بين قوسين من: «ش»، وسقط من سائر النسخ.



وأخرج[١] عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في الآية، قال: يقول: إنه في الكتب التي أنزلها على الأولين.

وأخرج[٢] عن مبشر بن عبيد القرشي في قوله: ﴿ **أولم يكن لهم آية** ﴾ «قال: يقول: (أولم يكن لهم القرآن آية)[٣] ﴿ **أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾ {سورة الشعراء: ١٩٧}.
فقد دلت هذه الآية وكلام السلف في تفسيرها على أن المعاني التي تضمنها القرآن موجودة في كتب الله السابقة.

وقد نص على هذا بعينه الإمام أبو حنيفة[٤] حيث استدل بهذه الآية على جواز قراءة القرآن بغير اللسان العربي، وقال: إن القرآن مضمن فى الكتب السابقة، وهي بغير اللسان العربي أخذاً من هذه الآية.

ومما يشهد بذلك وصفه تعالى للقرآن فى عدة مواضع بأنه مصدق لما بين يديه من الكتب، فلولا أن ما فيه موجود فيها لم يصح هذا الوصف، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾ {سورة المائدة:٤٨}.

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره ٩ /٩١٨٢. ح رقم (٢٥٩٥١)، قال: أخبرنا أبويزيد القراطسي، فيما كتب إلي، أنبأ أصبغ بن الفرج، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿ **لفي زبر الأولين** ﴾.

(٢) ابن أبي حاتم ٩ /٢٨١٩. ح رقم (١٥٩٥٣) قال: حدثنا أبوعامر إسماعيل بن عمرو بن سعد الحمصي السكوني، إمام مسجد حمص، ثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، ثنا أبو عبدالملك، عبدالواحد بن ميسرة القرشي الزيتوني، حدثني مبشر بن عبيد، قراءة: ﴿ **أولم يكن لهم آية** ﴾ يقول: أولم يكن لهم قرآن. وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٦ /٣٤٢، ٣٤٣.

(٣) ما بين قوسين سقط من: «خ، ض».

(٤) ذكره السيوطي في الإكليل ص١٦٩ في قوله تعالى: ﴿ **وإنه لفي زبر الأولين** ﴾ فقال: استدل به أبو حنيفة على جواز قراءة القرآن بالفارسية قال: إنما هو في الكتب السابقة بمعناه بألفاظه السريانية=



أخرج ابن جرير[١]: عن ابن جريج في الآية، قال: «القرآن أمين على الكتب فيما أخبرنا به أهل الكتاب عن كتابهم، فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا».

وأخرج[٢] عن ابن زيد في الآية، قال: «كل شيء أنزله الله من توراة، أو إنجيل، أو زبور، فالقرآن مصدق على ذلك. كل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها، وعلى ما حدث عنها أنه حق».

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿**إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى**﴾، {سورة الأعلى: ١٨، ١٩}.

أخرج البزار[٣] بسند صحيح عن ابن عباس، قال: لما أنزلت: ﴿**إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى**﴾ {سورة الأعلى: ١٨، ١٩}. قال النبي ﷺ: «كان كل هذا في صحف إبراهيم وموسى».

=ونحوها، لا بلفظه العربي. وانظر أيضاً الإكليل ص٢٨٦، وفيه «استدل به أبوحنيفة على جواز قراءة القرآن بالعجمية كما تقدم في الشعراء». وقد رجع عنه عندما تحقق عنده أن قيد العربي معتبر في مفهوم القرآن. وأصبح هذا هو المفتى به في المذهب. انظر: التقرير والتحبير ٣ /٤، وأصول الفقه الإسلامي لمحمد مصطفى شلبي ١ /٧٥، ٧٦، والوسيط في أصول الفقه لوهبة الزحيلي ١ /٤٢٣، ٤٢٤.

(١) في تفسيره ١٠ /٣٧٨. ح رقم (١٢١٠٦) (طبعة أحمد ومحمود شاكر) قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني الحجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**ومهيمناً عليه**﴾ {المائدة: ٤٨}: مؤتمناً على القرآن، وشاهداً ومصدقاً. وقال ابن جريج: وقال آخرون: القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب في كتابهم بأمر، إن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا».

(٢) أي: الطبري في تفسيره ١٠ /٣٨٠ رقم (١٢١٢١) (طبعة شاكر)، قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**ومهيمناً عليه**﴾ قال: مصدقاً عليه، كل شيء أنزله الله من توراة، أو إنجيل، أو زبور، فالقرآن مصدق على ذلك، وكل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها، وعلى ما حدث عنها أنه حق.

(٣) في مسنده، ذكره الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ٣ /٨٠. ح رقم (٢٢٨٥)، وأخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ /٥٠١، قال: حدثنا نصر بن علي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن=



وأخرج سعيد بن منصور[١]: عن ابن عباس، قال: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]: عن السدي، قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ.

وأخرج عبدالرزاق[٣] عن قتادة في قوله: ﴿**إن هذا لفي الصحف الأولى**﴾ {سورة الأعلى: ١٨} قال: ما قص الله في هذه السورة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤]: عن الحسن: ﴿**إن هذا لفي الصحف الأولى**﴾ {سورة الأعلى: ١٨} قال: في كتب الله كلها.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿**أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر ....**﴾ الآيات {سورة النجم: ٣٦ - ٣٨} فقد دل[٥] ذلك وأمثاله من القرآن على أن معاني القرآن موجودة في كتب الله التي أنزلها على أنبيائه. والله أعلم.

=عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿**إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى**﴾ {سورة الأعلى: ١٨، ١٩} قال النبي ﷺ: كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى. ثم قال: لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس غير هذا، وحديثاً آخر رواه مثل هذا» أهـ. قال الهيثمي ١/ ١٣٧: رواه البزار، وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح. وانظر: الدر المنثور ٨/ ٤٨٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٤/ ١١٥٠. ح رقم (١٦٤٧١، ١٦٤٧٤) عن ابن عباس نحوه.

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٤٨٧، قال: وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.. ثم قال: ولفظ سعيد: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

(٢) في تفسيره ١٠/ ٣٤١٩. ح رقم (١٩٢٤٤). وانظر: الدر المنثور ٨/ ٤٨٦، ٤٨٧.

(٣) في تفسيره ٢/ ١٧ مثله. وزاد: ﴿**لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى**﴾.

(٤) في تفسيره ١٠/ ٣٤١٩. ح رقم (١٩٢٤٨). وانظر: الدر المنثور ٨/ ٤٨٨.

(٥) من «خ، ش، ـ»، وفي «ظ»: «ذكر».



الطريق الثاني: إن عيسى صلى الله عليه وسلم يمكن أن ينظر في القرآن فيفهم منه جميع الأحكام المتعلقة بهذه الشريعة من غير احتياج إلى مراجعة الأحاديث، كما فهم النبي ﷺ ذلك من القرآن، فإن القرآن العزيز قد انطوى على جميع الأحكام الشرعية، وفهمها النبي ﷺ منه بفهمه الذى اختص به، ثم شرحها لأمته في السنة، وأفهام الأمة تقصر عن إدراك ما أدركه صاحب النبوة، وعيسى صلى الله (عليهما)[1] وسلم نبي فلا يبعد أن يفهم من القرآن كفهم النبي ﷺ.

وشاهد ما قلناه من أن جميع الأحكام الشرعية فهمها النبي ﷺ من القرآن-قول الإمام الشافعي رضى الله عنه: جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن[2].

ويؤيده ما أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة[3] أن رسول الله ﷺ قال: «إني لا أحل إلا ما أحل الله فى كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه».

وقال الشافعي[4] أيضاً: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن.

وقال الشافعي[5] أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على

---

(١) ما بين القوسين من «خ».

(٢) والقول في الإكليل للمؤلف ص ١٢ أيضاً.

(٣) لم أقف عليه في الأوسط من رواية عائشة رضي الله عنها غير أن الترمذي أخرج في سننه ٣ / ٢٨٠ كتاب اللباس باب ما جاء في لبس الفراء. ح رقم (١٧٣٢) بسنده إلى سلمان، قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه». وسنده ضعيف. وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه في باب (٦٠) من كتاب الأطعمة. وانظر: الإكليل للسيوطي ص١١، وأضواء البيان للشنقيطي ٣ /٣٣٧.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ /٦، والإكليل للسيوطي ص ١١.

(٥) في الرسالة ص٢٠، ونصه: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي..».



سبيل الهدى فيها[١]. وقال ابن برجان[٢]: ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن، أو فيه أصله، قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه[٣] عنه من عمه، وكذا كل ما حكم، أو قضى به.

وقال بعضهم[٤]: ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبى ﷺ ثلاثاً وستين من قوله تعالى فى سورة المنافقين ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ {سورة المنافقون: ١١}. فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده.

وقال المرسي فى «تفسيره»[٥]: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل: الخلفاء الأربعة، ومثل ابن مسعود، وابن عباس، حتى قال: «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته فى كتاب الله».

وقال ﷺ: «ستكون فتن». قيل: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما

(١) في «خ»: «لها».

(٢) هو عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن أبو الحكم اللخمي الإفريقي ثم الإشبيلي، الصوفي العارف، المشهور بابن برجان، من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والكلام والتصوف، مع الزهد، والاجتهاد في العبادة، وله تواليف مفيدة، منها تفسير القرآن، وشرح الأسماء الحسنى، سمع الحديث من ابن منظور، توفي بمراكش سنة ست وثلاثين وخمسمائة .طبقات المفسرين للسيوطي رقم (٥٨)، وللداوودي ١ / ٣٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٧٢، طبقات المفسرين لأحمد ابن محمد الأدنه وي: ص١٦٩، ١٧٠. وانظر قوله هذا في الإكليل ص١٣.

(٣) العمه: التحير والتردد، وقد عمه من باب طرب فهو عمه، وعامه، والجمع عمه. مختار الصحاح: مادة عمه.

(٤) القول في الإكليل أيضاً ص١٣.

(٥) المرسي، العلامة، شرف الدين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل السلمي الأندلسي، المحدث المفسر النحوي {٥٧٠ -٦٥٥هـ} كان كثير الأسفار والتطواف، جماعة لفنون العلم، ذكياً، ثاقب الذهن، له تصانيف كثيرة، مع زهد وورع، وفقر وتعفف، من أهل السنة، توفي في



قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم». رواه الترمذي[١].

وقال تعالى: ﴿ **ونزلنا (عليك)** [٢] **الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾ {النحل:٨٩}.

وقال تعالى: ﴿ **وما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ {الأنعام:٣٨}.

وقال ﷺ: «إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة». رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب «العظمة»[٣].

العريش وهو متوجه إلى دمشق، ودفن بتل الزعقة، رحمه الله. سير أعلام النبلاء ٢٣ /٣١٨، شذرات الذهب ٥ /٢٦٩.

(١) في سننه ١١ /٣٠، ٣١ في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم (٢٩٠٦). قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا حسين بن الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، قال علي الجعفي، قال: سمعت حمزة الزيات، عن أبي المختار: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ... الحديث مطولاً. ثم قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال. وأخرجه الدارمي في سننه ٢ /٣١٣. كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن. ح رقم (٣٣٣٤) قال: أخبرنا محمد بن يزيد الرفاعي، ثنا الحسين الجعفي، به، ونحوه. قال ابن كثير: لم ينفرد بروايته حمزة الزيات، بل رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته. أهـ. وأخرجه أحمد في مسنده ١ /٩١ قال ثنا يعقوب، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال: وذكر محمد بن كعب القرظي، عن الحارث بن عبدالله الأعور، قال: قلت: لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية، قال: فجئته بعد العشاء، فدخلت عليه، فذكر الحديث، قال: ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل- عليه السلام- فقال: يا محمد! إن أمتك مختلفة بعدك، فقلت له: «فأين المخرج يا جبريل؟» قال: «فقال: كتاب الله، به يقصم الله كل جبار، ومن اعتصم به نجا، ومن تركه هلك -مرتين-، قول فصل وليس بالهزل، لا تختلقه الألسن، ولا تفنى أعاجيبه، فيه نبأ ما كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبرما هو كائن بعدكم»أهـ. وفي إسناده الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، في حديثه ضعف (التقريب ١ /١٤٤، ١٤٥) ومحمد بن إسحاق: صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع والقدر (التقريب ٢ /١٥٣).

(٢) من «ش»، وفي «خ، ظ، ت،ض»: «إليك»، وهو خطأ بين.

(٣) ٢ /٥٣٣، ٥٣٤ فقرة: ١٨٧. وإسناده ضعيف جداً من أجل إسماعيل بن يعلى الثقفي، فإنه متروك الحديث.



وقال ابن مسعود: «من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين». رواه سعيد بن منصور في سننه [(١)].

وقال ابن مسعود أيضاً: «أنزل في هذا القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن». رواه ابن جرير [(٢)]، وابن أبي حاتم [(٣)] في «تفسيرهما».

وقال ابن مسعود: «إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله». رواه ابن أبي حاتم.

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله. رواه ابن أبي حاتم [(٤)].

---

(١) ١ /٧ في كتاب فضائل القرآن، قال: حدثنا حديج بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود. وحديج بن معاوية صدوق يخطئ (التقريب ١ /١٥٨). وأبو إسحاق مدلس من الثالثة، فسند الحديث ضعيف. وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤ /٥١٣. ح رقم (١٨٠٨) من طريق سعيد بن منصور بمثله. وأخرجه أيضاً مسدد في مسنده كما في المطالب العالية ٣ /١٣٣. ح رقم (٣٠٧٩)، وأخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢٢٩. ح رقم (٨٥٤)، والطبراني في الكبير ٩ /١٤٦. ح رقم (٨٦٦٦) ثلاثتهم من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن عبدالله ابن مسعود، قال: «من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين». وهذا سند صحيح على شرط الشيخين، ورواية شعبة عن أبي إسحاق مأمونة من التدليس. وعليه فرواية سعيد بن منصور بمجموع الطرق ترتقي إلى الحسن لغيره، والله أعلم.

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود، قال: إن الله أنزل في هذا الكتاب تبياناً لكل شيء، ولقد علمنا بعضاً مما بين لنا في القرآن ثم تلا ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾ {النحل :٨٩}

(٣) في تفسيره: ٧ /٢٢٩٧. ح رقم (١٢٦٣٢) عن ابن مسعود، قال: إن الله أنزل في هذا الكتاب تبياناً لكل شيء، ولقد علمنا بعضاً مما بين في القرآن، ثم تلا: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾ قال: بالسنة. وانظر: الدر المنثور ٥ /١٥٧.

(٤) الأثران الأخيران أوردهما السيوطي كذلك في كتابه الإكليل.



فعرف[١] بمجموع ما ذكرناه أن جميع الشريعة منطوية تحت ألفاظ القرآن، غير أنه لا ينهض لإدراكها منه إلا صاحب نبوة.

قال بعض العلماء: (العبارة)[٢] في القرآن للعامة، (والإشارة)[٣] للخاصة، (واللطائف)[٤] للأولياء، (والحقائق)[٥] للأنبياء. وعيسى عليه السلام نبي رسول، فيفهم من القرآن ما انطوى عليه، ويحكم به، وإن خالف الإنجيل، وهذا معنى كونه يحكم بشرع نبينا ﷺ.

فهذان طريقان، كل منهما يحتمل في معرفة عيسى صلى الله عليه وسلم بأحكام هذه الشريعة، ومأخذهما قوي في غاية الاتجاه.

الطريق الثالث: ما أشار إليه جماعة من العلماء، منهم السبكي[٦] وغيره: أن عيسى عليه السلام مع بقائه على نبوته (معدود)[٧] في أمة النبي ﷺ، وداخل في زمرة الصحابة، فإنه اجتمع بالنبي ﷺ وهو حي (مؤمناً)[٨] به، ومصدقاً، وكان اجتماعه به مرات في غير ليلة الإسراء، من جملتها بمكة.

---

(١) في «خ، ض»: «فحرر».
(٢) في «خ،ض»: «القتال»!
(٣) في «خ، ض»: «والإمساك»!
(٤) في «خ، ض»: «والطعام»!
(٥) في «خ، ض»: «واللباس»!
(٦) الفتاوي للسبكي ٢ /٦.
(٧) في «ظ»: «ومعه ورد» وهو تصحيف.
(٨) في «خ» بياض.

روى ابن عدي في الكامل [١]: عن أنس، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ إذ رأينا برداً ويداً، فقلنا: يا رسول الله! ما هذا البرد الذي رأينا واليد؟ قال: «قد رأيتموه»؟ قلنا: نعم، قال: «ذاك عيسى ابن مريم سلم علي».

وأخرج ابن عساكر[٢] من طريق آخر، عن أنس، قال: كنت أطوف مع رسول الله ﷺ حول الكعبة إذ رأيته صافح شيئاً، ولا نراه، قلنا: يا رسول الله! رأيناك صافحت شيئاً ولا نراه. قال: «ذلك أخي عيسى ابن مريم انتظرته حتى قضى طوافه فسلمت عليه». فحينئذ لا مانع من أن يكون يتلقى من النبي ﷺ أحكامه المتعلقة بشريعته المخالفة لشريعة الإنجيل لعلمه بأنه سينزل في أمته، ويحكم بينهم

---

(١) ٧ / ١١٨ في ترجمة هلال بن زيد بن يسار، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٧ / ٤٨٥ من طريق ابن عدي، قال: أخبرنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، أنبأنا أبوأحمد بن عدي، حدثنا ابن قتيبة والحسين بن أبي معشر، قالا: حدثنا عبدالوهاب بن الضحاك، حدثنا ابن عياش، عن عمر بن محمد، عن أبي عقال مولى رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ ... الحديث. اسم أبي عقال: هلال بن زيد بن يسار. في إسناده عبدالوهاب بن الضحاك بن أبان السلمي الحمصي كان يضع الحديث، كما قال البخاري، وعامة حديثه كذب كما قال صالح بن جزرة الحافظ. (تهذيب التهذيب ٢ / ٦٣٧، ٤٨٥). والراوي عن أنس: هلال بن زيد أبو عقال، قال ابن حبان: روى أشياء موضوعة. (المغني في الضعفاء للذهبي ٢ / ٧١٤).

(٢) في تاريخ دمشق ٤٧ / ٤٨٥، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم السلمي، وأبو يعلى حمزة بن الحسن بن المفرج الأزدي، قالا: أنبأنا علي بن محمد السلمي، أنبأنا عبدالرحمن بن عثمان التميمي، أنبأنا خيثمة بن سليمان القرشي، حدثنا أحمد بن أبي غرزة، حدثنا إسماعيل بن أبان الأزدي، حدثنا محمد بن زياد الألهاني، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي عقال، عن أنس بن مالك، قال: كنت أطوف .. الحديث. كذا قال. وقال أيضاً: وأخبرنا أبو طالب علي بن عبدالرحمن الصوري، أنبأنا علي بن الحسن المقرئ، أنبأنا أبو محمد عبدالرحمن بن عمير النحاس، أنبأنا أبو سعيد ابن الأعرابي، حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة، حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا عمرو بن زياد الألهاني، عن جابر الجعفي، عن أبي عقال، عن أنس، قال: رأيت النبي ﷺ وأهوى إلى شيء وهو في الطواف، كأنه يصافح، فقلنا: يا رسول الله! رأيناك أهويت إلى شيء فصافحته، ولم نر شيئاً، قال: ذاك ابن مريم انتظرته حتى قضى طوافه فسلمت عليه. تاريخ دمشق =



بشريعته، فأخذها عنه بلا واسطة [١] .

وقد روى ابن عساكر [٢]: عن أبي هريرة، قال، قال رسول الله ﷺ : «ألا إن عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي، ولا رسول، ألا إنه خليفتي في أمتي من بعدي».

وقد رأيت في عبارة السبكي فى تصنيف[٣] له ما نصه: إنما يحكم عيسى بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة.

فحينئذ فيترجح أن أخذه للسنة من النبي ﷺ بطريق المشافهة[٤] من غير واسطة.

وقد عده بعض المحدثين في جملة الصحابة هو والخضر وإلياس.

قال الذهبي في «تجريد الصحابة» [٥]: عيسى ابن مريم عليه السلام نبي وصحابي فإنه

=٤٧ /٤٨٦ . في إسناده جابر الجعفي، وهو معروف الحال متروك، كان يقول بالرجعة، وقد رواه عن أبي عقال، هلال بن زيد، وتقدم أنه روى أشياء موضوعة.

(١) قد عرفت أن الحديث إسناده ضعيف جداً، فلا داعي أن نبني عليه هذا.

(٢) في تاريخ دمشق ٤٧ /٤٩٢ من طريق الخطيب البغدادي ومن طريق الطبراني أيضاً، قال: أخبرناه أبو الحسن بن قبيس، حدثنا- وأبونصر بن خيرون أنبأنا- أبوبكر الخطيب، أنبأنا محمد بن عبدالله بن شهريار الأصبهاني، أنبأنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا عيسى بن محمد الصيدلاني البغدادي، حدثنا محمد ابن عقبة السدوسي، حدثنا محمد بن عثمان بن سيار القرشي، حدثنا كعب أبو عبدالله، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول، ألا إنه خليفتي في أمتي من بعدي، ألا إنه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها، ألا فمن أدركه منكم فليقرأ عليه السلام». وهو عند الطبراني في الأوسط (٤٨٩٥) والصغير ص٣٠٥ رقم (٧٢٦). قال الهيثمي في المجمع ٨ /٢٠٥: وفيه: محمد بن عقبة السدوسي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم. أهـ . والقطعة الأولى رواها البخاري في صحيحه رقم (٣٤٤٢) ومسلم (٢٣٦٥ /١٤٣، ١٤٤ مكرر) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس بيني وبين عيسى نبي». ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه ١١ /١٧٣ في ترجمة عيسى بن محمد الصيدلاني.

(٣) فتاوى السبكي ٢ /٣٨ وما بعدها.

(٤) في «خ، ض»: «المشاهدة».

(٥) ١ /٤٢٢ رقم (٤٦٧٣).



رأى النبي ﷺ [ليلة الإسراء](١)، وسلم عليه، فهو آخر الصحابة موتاً. انتهى.

وقول السائل: **وكيف حكمه في أموال بيت المال؟ أيقر ذلك على ما هو الآن؟**

كلام في غاية العجب، فإن أموال بيت المال جارية الآن على غير القانون الشرعي، ولا يقر نبي على ذلك. وقد قال أصحابنا في المواريث: إنه لا يورث بيت المال إلا عند انتظامه، وانتظامه أن يكون كما كان في أيام الصحابة.

وقد قال ابن سراقة (٢) من أئمتنا ـ وهو قبل الأربعمائة ـ: لبيت المال سنين كثيرة ما استقام فكيف قرب التسعمائة، ولا يزداد الأمر إلا شدة. (وقد ألفت كتاباً في آداب الملوك من طالع ما فيها من الأحاديث والآثار علم أن غالب أمور بيت المال جارية الآن على غير القانون الشرعي)(٣).

وقد وردت الأحاديث (٤) بأن المهدي يأتي قبل عيسى ابن مريم، فيملأ الأرض عدلاً بعد ما مُلئت جوراً، ويأتي عيسى فيقر صنع المهدي، ومما يعدل فيه المهدي أنه يقسم بين المسلمين فيئهم الذي استولى عليه ولاة الأتراك، وأكلوه واستبدوا به دونهم.

(١) ما بين معقوفتين زيادة من تجريد الصحابة ١/ ٤٢٢.

(٢) هو محمد بن يحيى بن سراقة الغطريف العامري البصري، أبوالحسن المشهور بـ: ابن سراقة، الفقيه الفرضي، مشهور، صاحب تصانيف في الفقه والفرائض وغيرها. أقام بآمد، كانت له رحلة في الحديث وعناية به، ورحل في طلبه، والتقى بالعلماء وتحمل عنهم، ولقي شيخ المحدثين ببغداد الإمام أبا الحسن الدار قطني. كان حياً سنة أربعمائة. طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٢٨٥، السير ١٧/ ٢٨١، طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢١١ ـ ٢١٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٧، ٢٨.

(٣) ما بين قوسين سقط من «خ،ض».

(٤) في سنن أبي داود: ص ٦٤٦ ح رقم (٤٢٨٢) عن عبدالله بن مسعود،و(٤٢٨٣) عن علي، وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري وغيره ٣/ ٢٨، ٣٦، ٧٠، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٦٦. في باب خروج المهدي من كتاب الفتن. ح رقم (٤٠٨٢). وفي الزوائد: إسناده ضعيف؛ لضعف يزيد بن أبي زياد الكوفي. لكن لم ينفرد يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم؛ فقد رواه الحاكم في المستدرك من طريق عمر بن قيس، عن الحكم، عن إبراهيم.



روى الإمام أحمد في مسنده[١]، والبزار[٢]، والطبراني[٣]، وأبو نعيم[٤]، والحاكم في مستدركه[٥] بسند صحيح عن سمرة، قال قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم، فيأكلون فيئكم».

وورد ذلك أيضاً من حديث أنس[٦]، وحذيفة[٧]، وابن عمرو[٨]، (وأبى)[٩] موسى الأشعري[١٠].

وروى ابن حبان في صحيحه[١١]: عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ في

(١) ٥/ ١٠، ١٧، ٢٢، بسنده إلى سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «يوشك أن يملأ الله تبارك وتعالى، أيديكم من العجم (وقال عفان مرة: من الأعاجم) ثم يكونوا أسداً، لا يفرون، يقتلون مقاتلتكم، ويأكلون فيئكم». وأخرجه البزار في مسنده ٧/ ٢٢١. ح رقم (٦٩٢١).

(٢) في مسنده ٦/ ٣٥٩ ح رقم (٢٣٧٠)، وأخرجه الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ١٢٩ ح رقم (٣٣٦٦).

(٣) في معجمه الكبير ٧/ ٢٢٢ ح رقم (٦٩٢١) به، عن سمرة، مثل رواية أحمد.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) المستدرك ٤/ ٥١٢ ساقه بسنده مثله، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه أيضاً في المستدرك ٤/ ٥١٩ بسنده عن حذيفة مثله، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولم يقره الذهبي على ذلك، بل قال: محمد واه كأبيه.

والفيء: الخراج والغنيمة. مختار الصحاح ص ٥١٦.

(٦) أورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ١٢٨. ح رقم (٣٣٦٤).

(٧) أخرجه البزار في مسنده: ٧/ ٢٩١. ح رقم (٢٨٨٢). وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار: ٤/ ١٢٩ ح رقم (٣٣٦٥). وقال في المجمع: رواه البزار، وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي، وهو متروك. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٧/ ٣١١.

(٨) في نسختي: «ظ، ت»: «وابن عمر»، والحديث من روايته أخرجه البزار في مسنده: ٦/ ٣٥٩ ح رقم (٢٣٧٠). وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار: ٤/ ١٢٨ ح رقم (٣٣٦٣).

(٩) في «خ»: «وأبو». وهو خطأ.

(١٠) لم أقف على روايته فيما بين يدي من كتب.

(١١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ٦/ ١٣٣ ح رقم (١٨٨١). وإسناده حسن من أجل=



المهدي: «إنه يقسم بين المسلمين فيئهم، ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ، ويلقي الإسلام (بجرانه)[١] إلى الأرض (فيمكث)[٢] سبع[٣] سنين.

وأخرج أحمد في مسنده[٤] (وأبويعلى[٥]، بسند جيد)[٦]: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً» قيل: ما صحاحاً؟ قال: «بالسوية بين الناس، ويملأ قلوب أمة محمد غنى، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادي: مَنْ له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد[٧]، فيكون كذلك سبع سنين».

وقول السائل: وما صدر فيها من الأوقاف؟

جوابه: أن ما كان منها وقفاً على وجوه البر، ومصالح المسلمين، والعلماء والقراء، وذرية

=محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة. والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده ١٢ /٣٦٩، ٣٧٠. ح رقم (٦٩٤٠) والطبراني في المعجم الكبير ٢٥ /٦ وأخرجه أبو داود في سننه ص ٦٤٦، ٦٤٧ في كتاب المهدي الباب الأول ح رقم ٤٢٨٦ مطولاً.

(١) في «خ» بياض. وجرانه: الجران باطن العنق، والمعنى: يقر قرار الإسلام ويستقيم كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض. النهاية في غريب الحديث والأثر ١ /٢٦٣.

(٢) في «ظ، ش،ت»: «يمكث».

(٣) في «ض»: «تسع»، وهو خطأ من الناسخ. والله أعلم.

(٤) ٣ /٣٧ مختصراً، وباختلاف يسير بألفاظ.

(٥) في مسنده ٢ /٢٧٤، ٢٧٥. ح رقم (٩٨٧) مختصراً بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً... » الحديث.

(٦) ما بين قوسين سقط من «خ، ض».

(٧) وتتمة الحديث من المسند ٣ /٣٧ «.....فيقول: ائت السدان -يعني: الخازن- فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجره وائتزر ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً، أو عجز عني ما وسعهم، قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده، أو قال: لا خير في الحياة بعده». وقد أخرج أحمد حديث المهدي في المسند مختصراً في عدة مواضع ٣ /١٧، ٢١، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٧٠.



النبي ﷺ وأقاربه، والفقراء والمرضى والزمنى[١] والمنقطعين، والمدارس والمساجد، والحرمين،وبيت المقدس، وكسوة الكعبة، وما شاكل ذلك؛ فهو وقف صحيح، موافق للشريعة فيقره، وما كان وقفاً على نساء الملوك والأمراء وأولادهم؛ فهو وقف باطل، مخالف للشرع فيبطله.

ثم ظهر لي طريق رابع: وهو أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجتمع بالنبي ﷺ في الأرض فلا مانع من أن يأخذ عنه ما يحتاج إليه من أحكام شريعته.

ومستندي في هذا الطريق أمور:

الأول: ما أخرجه أبو يعلى في «مسنده»[٢]: عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم، (ثم لئن قام على قبري، فقال: يا محمد! لأجيبنه».

وأخرج ابن عساكر[٣]: عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ: «ليُهبطن الله عيسى ابن مريم)[٤] حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فليسلكن فج

---

(١) الزمنى: جمع زمن، أي: مبتلى بيّن الزمانة، وقد زمن من باب سلم. مختار الصحاح ص ٢٧٥.

(٢) ٦/١٠٠، ١٠١. ح رقم (٦٥٥٣)، قال: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، عن أبي صخر، أن سعيداً المقبري أخبره أنه سمع أبا هريرة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى ابن مريم إماماً مقسطا، وحكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليصلحن ذات البين، وليذهبن الشحناء، وليعرضن عليهم المال فلا يقبله أحد، ثم لئن قام على قبري، فقال: يا محمد! لأجيبنه». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وذكره الحافظ في المطالب العالية ٤/٣٦٩. والحديث معلول، فيه أبو صخر حميد بن زياد بن أبي المخارق، صاحب العباد، مدني سكن مصر، صدوق يهم (التقريب ١/٢٠٠). ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٩٥ من حديث ابن إسحاق، عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أم حبيبة، قال: سمعت أبا هريرة مرفوعاً بمعناه، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، لكن فيه ابن إسحاق مدلس. والحديث بطريقيه يرتقي إلى الحسن لغيره.

(٣) في تاريخ دمشق ٤٧/٤٩٣، ٤٩٤.

(٤) ما بين قوسين من «ثم لئن.. إلى ابن مريم» سقط من نسخة «ض».



الروحاء[١] حاجاً، أو معتمراً، أو ليقفن على قبري، فليسلمن علي، ولأردن عليه».

الثاني: أن النبي ﷺ في حياته كان يرى الأنبياء، ويجتمع بهم في الأرض كما تقدم أنه رأى عيسى في الطواف[٢].

وصح أنه ﷺ مر على موسى، وهو يصلي في قبره.[٣] وصح أنه ﷺ، قال: «الأنبياء أحياء (في قبورهم)[٤] يصلون»[٥].

فكذلك إذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض يرى الأنبياء، ويجتمع بهم، ومن جملتهم النبي ﷺ فيأخذ عنه ما احتاج إليه من أحكام شريعته.

الثالث: أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامة الولي أنه يرى النبي ﷺ ويجتمع به في اليقظة، يأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب.

---

(١) فج الروحاء بين مكة والمدينة. والفج: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع: فجاج -بالكسر-. مختار الصحاح ص ٤٩١.

(٢) بينت سابقاً أن فيه جابراً الجعفي، وهو معروف الحال متروك، كان يقول بالرجعة، وقد رواه عن أبي عقال، هلال بن زيد، وهو يروي أشياء موضوعة.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه ٩٦٧. ح رقم (٢٣٧٥). والإمام النسائي في سننه ص٢٥٤ من حديث (١٦٣٣ - ١٦٣٩). والإمام أحمد في مسنده ٣ /١٤٨، ٢٤٨، ٥ /٣٦٢، ٣٦٥، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت (وفي رواية هداب: مررت) على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره». لفظ مسلم، وروايات الآخرين باختلاف يسير، والمعنى واحد.

(٤) ما بين قوسين من «ش»، وسقط من سائر النسخ.

(٥) حديث صحيح: أخرجه أبو يعلى في مسنده ٦ /١٤٧. ح رقم (٣٤٢٥) عن أنس رضي الله عنه، والبزار في مسنده ٢٥٦. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨ /٢١١، وقال: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى ثقات. وأخرجه تمام الرازي في فوائده رقم ٥٦، والبيهقي في حياة الأنبياء ص٣، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢ /٨٣. وذكره الشيخ الألباني - رحمه الله- في الصحيحة ٢ /١٨٧ - ١٩١، وأطال الكلام على سنده فارجع إليه، وذكره أيضاً في صحيح الجامع الصغير وزياداته ١ /٥٣٩=



وممن نص على ذلك من أئمة الشافعية: الغزالي[١]، والبارزي[٢] والتاج ابن السبكي[٣] والعفيف اليافعي[٤].

=ح رقم (٢٧٩٠). وقال أيضاً: وصححه المناوي، ويشهد له حديث أنس المتقدم في مسند أبي يعلى برقم (٣٣٢٥): «مررت ليلة أسري بي بموسى، وهو قائم يصلي في قبره». قلت: بل الحديث رواه غير أبي يعلى، تقدم تخريجه في التعليق السابق، وهو حديث صحيح. وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٣ / ٢٢١. ح رقم (٣٠٨٩) عن أنس، وهو حديث حسن. وقال المناوي في فيض القدير ٣ / ١٨٤: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» لأنهم كالشهداء، بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم، وفائدة التقييد بالعندية الإشارة إلى أن حياتهم ليست بظاهرة عندنا، وهي كحياة الملائكة، وكذا الأنبياء، ولهذا كانت الأنبياء لا تورث. وقوله: «يصلون»: قيل: المراد به: التسبيح والذكر (عن أنس بن مالك) وهو حديث صحيح. أ.هـ.

(١) الإمام حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي. صاحب التصانيف والذكاء المفرط. طبقات الشافعية للإسنوي ص٣٠٧، ٣٠٨. سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٢٠ – ٣٣٤. العبر ٤ / ١٠. وانظر قوله هذا في المنقذ من الضلال للغزالي ص١٤٠، وتنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك ضمن الحاوي للفتاوي ٢ / ٣١٠.

(٢) ابن البارزي، شيخ الإسلام، قاضي حماة، شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن القاضي نجم الدين بن عبد الرحيم الجهني، الحموي، الشافعي، صاحب التصانيف (٦٤٥ – ٧٣٨هـ) كان من بحور العلم، قوي الذكاء، متين الديانة، حسن المعتقد، له تفسيران، وكتاب بديع القرآن، وكتاب شرح الشاطبية وغيرها. انظر: العبر ٤ / ١١٠، البداية والنهاية ٩ / ٤٢٥. وقوله ذكره السيوطي في تنوير الحلك ضمن الحاوي للفتاوي ٢ / ٣١١.

(٣) تاج الدين، عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، ولد في القاهرة سنة ٧٢٧هـ، وتوفي سنة ٧٧١هـ، صاحب الطبقات. الدرر الكامنة ٢ / ٤٤٥، الأعلام للزركلي ٤ / ٣٣٥. ولم أقف على قوله في ذلك.

(٤) الشيخ عبدالله بن أسعد اليمني المكي، الملقب عفيف الدين، المشهور باليافعي، ولد قبل السبعمائة، كان إماماً يستشهد بعلومه ويقتدى، تردد بين الحرمين الشريفين، ورحل إلى الشام، وزار القدس والخليل وأقام بها نحو مائة يوم، ثم قصد مصر، وكان أكثر إقامته بالقرافة، وصنف تصانيف كثيرة، توفي بمكة سنة ٧٦٨. طبقات الشافعية للإسنوي ٢ / ٤٤٨ – ٤٥٠. وانظر قوله في كتابه روض الرياحين في حكايات الصالحين ص ٤٩٠، ٤٩١.

ومن أئمة المالكية: القرطبي[١]، وابن أبي جمرة[٢]، وابن الحاج[٣] في «المدخل»[٤].

وقد حكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه، فروى ذلك الفقيه حديثاً، فقال له الولي: هذا الحديث (باطل)[٥] فقال الفقيه: من أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي ﷺ واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث، وكشف للفقيه فرآه.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[٦]: «لو حجبت عن النبي ﷺ طرفة عين ما عددت

(١) القرطبي الإمام العلامة المفسر صاحب التصانيف أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي، نزيل منية بني خصيب من الديار المصرية، عمل التفسير الكبير، وتعب عليه، وحشاه بكل فريدة، وألف كتابه الأسنى في الأسماء الحسنى، توفي في مدينة قنا أقصى الصعيد سنة ٦٧٢هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠١،١٠٢. وانظر: تنوير الحلك مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٣١٣، ولم أقف له على هذا القول في التذكرة.

(٢) عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد ابن أبي جمرة، من العلماء بالحديث، مالكي، أصله من الأندلس، ووفاته بمصر سنة (٦٩٥هـ). من كتبه جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة، وبهجة النفوس في شرح جمع النهاية، والمرائي الحسان في الحديث والرؤيا. البداية والنهاية ١٣/ ٣٤٦، الديباج ص ١٤٠، وفيه: وفاته سنة ٦٩٩هـ، الأعلام ٤/ ٨٩. وانظر قوله هذا في كتابه بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ٤/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) ابن الحاج: الإمام العالم القدوة أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي ثم المصري، المالكي، المعروف بابن الحاج، من أصحاب الشيخ عبدالله بن أبي جمرة، حدث بالموطأ عن التقي عبيد الإسعردي، وألف كتاباً في البدع والحوادث، وكان متزهداً متعبداً، عاش بضعاً وثمانين سنة. توفي في جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة. السير ١٧/ ٥٢١، الدرر الكامنة ٤/ ٢٣٧ وعنده الفارسي!

(٤) انظر: المدخل له ٤/ ٢٨٨ - ٢٩٥. لكن لم أقف على كلامه في رؤية النبي يقظة. في حين أن كلام السيوطي في تنوير الحلك، ٢/ ٣١٠،٣١١ واضح في ذلك فارجع إليه.

(٥) في «خ»: «باطلاً». وهو خطأ.

(٦) هو علي بن عبدالله بن عبدالمجيد المغربي الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية، نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية، نشأ ببلده، فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريراً، ثم سلك منهاج التصوف، وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه، مات بصحراء عيذاب قاصداً الحج في أواخر ذي القعدة سنة (٦٥٦هـ). شذرات الذهب ٥/ ٢٧٨، ٢٧٩، حسن المحاضرة ١/ ٥٢٠.



نفسي مع المسلمين»[١].

فإذا كان هذا حال الأولياء مع النبي ﷺ فعيسى النبي عليه السلام أولى أن يجتمع به في أي وقت شاء، ويأخذ عنه ما أراد من أحكام شريعته من غير احتياج إلى اجتهاد، ولا تقليد لحفاظ الحديث.

الرابع: أنه روي عن أبي هريرة أنه لما أكثر الحديث، وأنكر عليه الناس، قال: لئن نزل عيسى ابن مريم قبل أن أموت لأحدثنه عن رسول الله ﷺ فيصدقني[٢].

فقوله: «فيصدقني» دليل على أن عيسى عليه السلام عالم بجميع سنة النبي ﷺ، من غير احتياج إلى أن يأخذها عن أحد من الأمة، حتى إن أبا هريرة الذي سمع من النبي ﷺ احتاج إلى أن يلجأ إليه يصدقه فيما رواه، ويزكيه. هذا آخر الجواب.

ثم إن مولانا، أمير المؤمنين، وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين، وابن عم سيد المرسلين، الإمام المتوكل على الله[٣]، أعزه الله، وأعز به الدين، وهو الآمر بالكتابة أولاً أعاد الأمر ثانياً: هل ثبت أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يأتيه وحي؟.

---

(١) ذكر السيوطي قوله أيضاً في تنوير الحلك ضمن الحاوي للفتاوي ٢ /٣١٢، ٣١٣، وانظر ترجمة الشيخ أبي العباس المرسي رأس أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي في حسن المحاضرة ١ /٤٥٢ فقد نسب له مثل هذا القول أيضاً.

(٢) أخرجه ابن منده في الإيمان ٢ /٢٠٠ بسند صحيح، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف في باب نزول عيسى عليه السلام ١١ /٤٠٢ حديث (٢٠٨٤٦) من طريق معمر به، ولفظه: «تروني شيخاً كبيراً قد كادت تلتقي ترقوتاي من الكبر، والله إني لأرجو أن أدرك عيسى، وأحدثه عن رسول الله ﷺ فيصدقني».

(٣) أمير المؤمنين الخليفة عبدالعزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل الأول، أبو العز العباسي الهاشمي الملقب بالمتوكل على الله، من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر (٨١٩ - ٩٠٣هـ) الأعلام ٤ /٢٩.



والجواب: نعم، روى مسلم[١]، وأحمد[٢]، وأبوداود[٣]، والترمذي[٤]، والنسائي[٥] وغيرهم: من حديث النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال إلى أن قال: فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق[٦] واضعاً يديه[٧] على أجنحة ملكين، فيدركه، فيقتله عند باب لد[٨] الشرقي، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى ابن مريم إني قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور فيبعث الله يأجوج ومأجوج .. الحديث.[٩]

فهذا صريح في أنه يوحى إليه بعد النزول، والظاهر أن الجائي إليه بالوحي جبريل عليه السلام بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه، لأن ذلك وظيفته، وهو السفير بين الله وبين أنبيائه، لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة.

---

(١) في صحيحه (شرح النووي ٩ /٢٨٩) كتاب الفتن (٥٢) باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٠). ح رقم (١١٠) من حديث طويل، قال فيه: «... فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم ..» الحديث.

(٢) في مسنده ٤ /١٨١ من حديث طويل، وفيه اختلاف في ألفاظ يسيرة.

(٣) في سننه ص٦٥٢، كتاب الملاحم (٣١) باب خروج الدجال (١٤). ح رقم (٤٣٢١) مختصراً.

(٤) في سننه ٥ /٥١٠ - ٥١٤ كتاب الفتن (٣٤) باب ما جاء في فتنة الدجال (٥) ح رقم (٢٢٤٠) مطولاً نحو رواية مسلم. وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن يزيد بن جابر. وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ٢ /١٣٥٦. كتاب الفتن (٣٦) باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (٣٣). ح رقم (٤٠٧٥). وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه ٢ /٣٨٤. ح رقم (٣٢٩٤).

(٥) في السنن الكبرى ح رقم (٨٠٢٤) ولم أقف عليه في الصغرى، وذكر المزي في تحفة الأشراف طرفاً يسيراً جداً منه أول حديث في مسند النواس بن سمعان ٩ /٥٩، ٦٠، ٦١.

(٦) زاد في صحيح مسلم: «بين مهرودتين». شرح النووي على مسلم ٩ /٢٩٠. قال النووي: لابس مهرودتين: أي: ثوبين مصبوغين بورس وزعفران.

(٧) في صحيح مسلم: واضعاً كفيه. والمعنى واحد.

(٨) بضم اللام وتشديد الدال، بلدة قريبة من بيت المقدس. شرح النووي على مسلم: ٩ /٢٩٧.

(٩) اختصر المصنف الحديث، وهنالك اختلاف في ألفاظ بين نصه وبين نص مسلم. وقوله: «لا يدان=



والدليل على ذلك: ما أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة»[١]: عن عائشة، قالت: قال ورقة لخديجة: جبريل أمين الله بينه وبين رسله.

وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره»[٢]، وأبو الشيخ ابن حيان في كتاب «العظمة»[٣]: عن ابن سابط، قال: في أم الكتاب كل (شيء)[٤] هو كائن إلى يوم القيامة، ووكل به ثلاثة من الملائكة؛ فوكل جبريل بالكتب، والوحي إلى الأنبياء، ووكل أيضاً بالهلكات، إذا أراد الله أن يهلك قوماً، ووكله بالنصر عند القتال، ووكل ميكائيل بالقطر والنبات، ووكل ملك الموت بقبض الأنفس، فإذا كان يوم القيامة، عارضوا بين (حفظهم)[٥] وبين ما في أم الكتاب فيجدونه سواء.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦]: عن عطاء بن السائب، قال: أول من يُحاسب جبريل لأنه كان أمين الله إلى رسله.

=لك» بكسر النون: تثنية يد. قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة، يقال: مالي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان، لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد وكان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه. ومعنى: «فحرز عبادي إلى الطور» أي ضمهم، واجعله لهم حرزاً، يقال: حرزت الشيء أحرزه إحرازاً: إذا حفظته، وضممته إليك، وصنته عن الأخذ. شرح النووي ٩ /٢٩٨.

(١) لم أقف عليه في دلائل النبوة عن عائشة رضي الله عنها.
وفي كتاب العظمة لأبي الشيخ ٢ /٧٠٣، عن خالد بن أبي عمران أنه قال: جبريل أمين الله تعالى إلى رسله، وميكائيل يتلقى الكتب، وإسرافيل بمنزلة الحاجب. وهو إسناد مقطوع، وفيه عبدالقاهر: مجهول. فالأثر ضعيف. نقلاً عن حاشية كتاب العظمة ٢ /٧٠٣.

(٢) ١٠ /٣٣٩٧ ح رقم (١٩١١٧) وانظر الدر المنثور للسيوطي ٨ /٤٠٤، ٤٠٥ مختصراً.

(٣) لأبي الشيخ ٣ /٩٧٣، ٩٧٤. ح رقم (٤٩٦) وقد أخرجه مختصراً في العظمة أيضا ٣ /٨٨. ح رقم (٣٧٦)، وفي ٢ /٨١٠. ح رقم (٣٧٨) وهو إسناد مقطوع، رجال إسناده ثقات سوى شيخ المؤلف. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٨ /٤٠٥، وابن الجوزي في تفسيره ٩ /١٧.

(٤) في «خ، ض»: «أمر».

(٥) في «خ،ض»: «فعلهم».

(٦) لم أقف عليه في تفسيره.



وأخرج أبو الشيخ[١]: عن خالد بن أبي عمران، قال: جبريل أمين الله إلى رسله، وميكائيل يتلقى الكتب، وإسرافيل بمنزلة الحاجب.

(و)[٢] أخرج أيضاً[٣]: عن عكرمة بن خالد أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الملائكة أكرم على الله؟ فقال: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، فأما جبريل فصاحب الحرب، وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط، وكل ورقة تنبت، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض روح كل عبد في بر أو بحر، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم.

وأخرج أيضاً[٤]: عن عبدالعزيز بن عمير، قال: اسم جبريل في الملائكة خادم ربه.

---

(١) في كتاب العظمة ٢/ ٧٠٣. ح رقم(٢٩٢ -٣١)، قال حدثنا الوليد، حدثنا أبو حاتم، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، أن عبدالقاهر حدثه، عن خالد بن أبي عمران أنه قال: جبريل أمين الله ... الحديث. وذكره أيضاً بنفس السند والمتن في ٣/ ٨١٠، ٨١١. ح رقم (٥٣٧ -٥) إلا أنه زاد بعد قوله «يتلقى الكتب» قوله: «التي ترفع من أعمال الناس». وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٠/ ٩٤. وعبدالقاهر: هو ابن عبد الله ويقال أبو عبد الله، ذكره ابن حبان في الثقات ٨/ ٣٩٢، مجهول روى له أبو داود في المراسيل. (التقريب: ١/ ٤٧٦، التهذيب: ٦/ ٣٦٨). وأبو صالح: هو عبدالله بن صالح، كاتب الليث، صدوق، كثير الغلط (التقريب: ١/ ٤٠٠). وعليه فإن هذا الأثر بهذا الإسناد ضعيف.

(٢) سقطت من «خ».

(٣) كتاب العظمة ٣/ ٨١١، قال: حدثنا الوليد، حدثنا أسيد بن عاصم، حدثنا سعيد-يعني: ابن عامر- عن معتمر بن سليمان، عن مسلم بن خالد، عن عكرمة بن خالد، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الخلق أكرم على الله؟ قال: لا أدري؛ فجاء جبريل، فقال: يا جبريل، أي الخلق أكرم على الله؟ قال: لا أدري، فعرج جبريل، ثم هبط، فقال: أكرم الخلق على الله جبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، عليهم السلام .. الحديث مثله. وهو إسناد مرسل، وفيه مسلم بن خالد: صدوق، كثير الأوهام (تقريب التهذيب ٢/ ٢٥١). وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٩٣.

(٤) كتاب العظمة ٢/ ٧٧٦. ذكر الملائكة الموكلين في السموات والأرضين. ح رقم (٣٥١ -١٣)، قال: حدثنا عمر بن بحر، قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري، حدثنا عبدالعزيز بن عمير، به. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦٦، قال: حدثني أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، به، مثله. وزاد في آخره: فحدثت به أبا سليمان الداراني فانتفض، وقال: هذا الحديث أحب إلي من كل شيء -في دفتر كان بين يديه. وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٩٢. وهو إسناد مقطوع، ورجاله ثقات.



وأخرج ابن أبي زمنين(١) في كتاب «السنة»: عن كعب، قال: إذا أراد الله أن يوحي أمراً جاء اللوح المحفوظ حتى يصفق جبهة إسرافيل، فيرفع رأسه، فينظر فإذا الأمر مكتوب، فينادي جبريل، فيلبيه، فيقول: أمرت بكذا، أمرت بكذا، فيهبط جبريل على النبي، فيوحي إليه.

وأخرج أبو الشيخ(٢): عن أبي بكر الهذلي، قال: إذا أمر الله بالأمر تدلت الألواح على إسرافيل بما فيها من أمر الله، فينظر فيها إسرافيل، ثم ينادي جبريل فيجيبه، وذكر نحوه.

وأخرج أيضاً(٣): عن (أبي)(٤) سنان، قال: اللوح المحفوظ معلق بالعرش، فإذا أراد الله أن يوحي بشيء كتب في اللوح فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل(٥)، فينظر فيه، فإن كان إلى

---

(١) في «ش»: «رزين» وهو خطأ. وابن أبي زمنين هو محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري الإمام أبو عبدالله الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين، من المفاخر الغرناطية، ولد سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وكان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين، عارفاً بمذهب مالك، بصيراً، توفي بالبيرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٦١، ١٦٢، بغية الملتمس: ص٧٧، شذرات الذهب ٣/ ١٥٦، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٤، العبر ٣/ ٧١.

(٢) في كتاب العظمة ٢/ ٦٨٦ ح (٢٨٧ – ١٦) قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن أبي بكر الهذلي، قال: ليس شيء أقرب إلى الله عز وجل من إسرافيل ... وساق الحديث بطوله وفيه: فإذا أمر الله عز وجل بالأمر تدلت الألواح ... الخ. وأبوبكر الهذلي اسمه سلمى بن عبدالله بن سلمى، وقيل: اسمه روح وهو ابن بنت حميد ابن عبدالرحمن الحميري، إخباري، متروك الحديث من السادسة (ت: ١٦٧هـ) روى له ابن ماجه. (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥، تقريب التهذيب ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩).

(٣) كتاب العظمة ٢/ ٧٠٤ ح رقم (٢٩٣ – ٣٢) قال: حدثنا أبو بشر محمد بن عمران بن الجنيد، حدثنا يعقوب بن إسحاق الدشتكي، حدثنا إسحاق – يعني: ابن سليمان – حدثنا أبو سنان، قال: أقرب الخلق من الله تبارك وتعالى اللوح، وهو معلق بالعرش، فإذا أراد الله عز وجل أن يوحي بشيء كتب .. الحديث بطوله غير أنه لم يقل في آخره: ثم كذلك.

(٤) في «خ، ض»: «ابن». وهو خطأ، وأبو سنان هو سعيد بن سنان البرجمي، الشيباني الأصغر الكوفي، نزيل الري، صدوق، له أوهام من السادسة (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥، تقريب التهذيب ١/ ٢٩٠). والأثر أورده السيوطي أيضاً في كتابه الحبائك ص ٢٩، وإسناده مقطوع، وفيه رجلان لم يعرف حالهما.

(٥) زاد في كتاب العظمة: «وإسرافيل قد غطى وجهه بجناحه، أو جناحيه، لا يرفع بصره إعظاماً لله عز وجل...».



أهل السماء رفعه إلى ميكائيل، وإن كان إلى أهل الأرض رفعه إلى جبريل، فأول ما يحاسب يوم القيامة اللوح، يدعى به ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيدعى إسرافيل ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغك اللوح؟ فإذا قال: نعم، قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب، ثم كذلك.

وأخرج أيضاً[(١)]: عن (وهيب)[(٢)] بن الورد، قال: إذا كان يوم القيامة دعي إسرافيل ترعد فرائصه، فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل، فيدعى جبريل ترعد فرائصه، فيقال: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل، فيؤتى

---

(١) أي: أبو الشيخ في كتاب العظمة ٣ /٨٤٥، ٨٤٦. ح رقم (٣٩٣ -٩)، قال حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، قال: حدثنا أحمد الدورقي، حدثنا رجل- وهو إسحاق- عن مؤمل بن إسماعيل، قال: سمعت وهيب بن الورد رحمه الله تعالى، يقول: بلغني أن أقرب الخلق من الله عز وجل إسرافيل، العرش على كاهله، قال: فإذا نزل الوحي دلي لوح من تحت العرش، قال: فيقرع جبهة إسرافيل، فينظر فيه، فيدعو جبريل فيرسله، فإذا كان يوم القيامة أتي بإسرافيل. قال مؤمل: هكذا حفظي: إسرافيل، وقال بعض أصحابنا: اللوح ترعد فرائصه، فيقال ما صنعت فيما أدى إليك .. الحديث بطوله غير أنه زاد في العظمة: إلى قوله: وما كنا غائبين.

وقد أورده السيوطي في الدر المنثور ٣ /٦٨، وعزاه إلى المؤلف وعبد بن حميد. وفي سنده: مؤمل بن إسماعيل: صدوق سيء الحفظ. (التقريب ٢ /٢٩٤، ٢٩٥، الجرح والتعديل ٨ /٣٧٤، التاريخ الصغير ٢ /٣٠٦).

وللحديث شاهد من حديث حبان بن أبي جبلة -سيذكره المؤلف- أخرجه ابن المبارك في الزهد ص٥٥٧. وابن جرير الطبري في تفسيره ٢ /١٠ من طريق سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن راشد بن سعد (والصواب: رشدين بن سعد) قال: أخبرني ابن أنعم المعافري، عن حبان بن أبي جبلة بسنده إلى رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله عباده يوم القيامة، كان أول من يدعى إسرافيل...» ثم ذكر نحوه. وإسناده ضعيف، في سنده رشدين ابن سعد، وكان صالحاً فأدركته غفلة الصالحين، فخلط في الحديث (التقريب ١ /٢٤٦، الجرح والتعديل ٣ /٥١٣، طبقات ابن سعد ٧ /٥١٧). وابن أنعم، وهو عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، ضعيف في حفظه، كما في (التقريب ١ /٤٤٧). وحبان بن أبي جبلة تابعي ثقة لم ير النبي ﷺ (تقريب التهذيب ١ /١٥٠).

(٢) من «ت»، وفي سائر النسخ: «وهب»، وهو خطأ. ووهيب بن الورد القرشي مولاهم المكي، أبو عثمان، أو أبوأمية، يقال: اسمه: عبدالوهاب: ثقة عابد، من كبار السابعة. (تقريب التهذيب ٢ /٣٤٦).



بالرسل، فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس، فهو قوله تعالى:

﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ (الأعراف: ٦).

وأخرج ابن المبارك في «الزهد»[١]: عن ابن أبي جبلة بسنده، قال: أول مَنْ يدعى يوم القيامة إسرافيل، فيقول الله: هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم، رب قد بلغت جبريل، فيدعى جبريل، فيقال: هل بلغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم، فيخلي عن إسرافيل، فيقول لجبريل: ما صنعت في عهدي، فيقول: رب[٢] قد بلغت الرسل، فيدعى الرسل، فيقال لهم: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيخلي عن جبريل. . . الحديث.

فعرف بجميع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى الأنبياء، وعرف بها أيضاً أنه إنما يتلقى الوحي عن الله بواسطة إسرافيل، وقد كنا سئلنا عن ذلك منذ أيام.



(١) ص ٥٥٧.
(٢) في «ظ، ش»: «يارب».



خاتمـــة

اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل الى الأرض بعد موت النبي ﷺ، وهذا شيء لا أصل له.

ومن الدليل على بطلانه: ما أخرجه الطبراني في «الكبير»(١): عن ميمونة بنت سعد، قالت: قلت: يا رسول الله! هل يرقد الجنب؟ قال: «ما أحب أن يرقد(٢) حتى يتوضأ، فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل».

فهذا الحديث يدل على أن جبريل ينزل إلى الأرض، ويحضر موت كل مؤمن حضره الموت، فهو على ظاهره، والله أعلم.

ثم وقفت على حديث آخر، فيه نزول جبريل إلى الأرض وهو ما:

أخرجه نعيم بن حماد في كتاب «الفتن»(٣)، والطبراني(٤) من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ في وصف الدجال، قال: فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيل، بعثني الله لأمنعه من حرمه، ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل، بعثني الله لأمنعه من حرم رسوله.

ثم رأيت في قوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها...﴾ الآية {سورة القدر: ٤}

---

(١) المعجم الكبير ٢٥ / ٣٦ ح رقم (٦٥) وأوله: قلت: يا رسول الله، هل يأكل أحدنا وهو جنب؟ قال: «لا، حتى يتوضأ». قال: قلت: هل يرقد الجنب. قال: «... إني أخشى أن يتوفى فلا يحضره جبريل عليه السلام». قال الهيثمي في المجمع ١ / ٢٧٥: وفيه عثمان بن عبدالرحمن، عن عبدالحميد بن يزيد، وعثمان بن عبدالرحمن هو الحراني الطرائفي وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو عروبة الحراني وابن عدي: لا بأس به، يروي عن المجهولين، وقال البخاري وأبو أحمد الحاكم: يروي عن قوم ضعاف، وقال أبو حاتم: يشبه بقية في روايته عن الضعفاء. أهـ.

(٢) من «ظ، خ»، وفي «ش»: «أن يرقد الجنب جنباً»، وفي «ض»: «أن يرقد الجنب».

(٣) ٢ / ٥٤٣-٥٤٦، ساقه مطولاً فارجع إليه.

(٤) لم أقف عليه في المعجم الكبير.



عن الضحاك أن الروح هنا جبريل[١]، وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر، ويسلمون على المسلمين، وذلك في كل سنة[٢].

وقد زعم زاعم أن عيسى ابن مريم إذا نزل لا يوحى إليه وحياً حقيقياً، بل وحي إلهام.

وهذا القول ساقط مهمل لأمرين:

أحدهما: منابذته للحديث الثابت عن رسول الله ﷺ كما تقدم في صحيح مسلم[٣] وغيره.

وقد رواه الحاكم في «المستدرك»[٤]، ولفظه: «فبينما هم كذلك إذ أوحى الله: يا عيسى، إني قد أخرجت عباداً لي لا يد لأحد بقتالهم، فحول عبادي إلى الطور». وقال: صحيح على شرط الشيخين، وذلك صريح في أنه وحي حقيقي، لا وحي إلهام.

والثاني: أن ما توهمه هذا الزاعم من تعذر الوحي الحقيقي فاسد، لأن عيسى نبي، فأي مانع من نزول الوحي إليه.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٢ /٧٧٨. ح رقم (٣٥٣ - ١٥) بسنده إلى الضحاك قال: الروح: جبريل عليه السلام. وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٠ /٢٢ عن ابن حميد، عن أبي سنان به. وثابت في إسناد أبي الشيخ لا تعرف درجته من الجرح والتعديل. وقد تابعه سفيان، عن الضحاك. وأخرجه ابن جرير أيضاً في تفسيره: عن ابن حميد، عن مهران، عن سفيان، به. وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٣ /٨٧٣، ٨٧٤، قال: حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا عبدالله بن عمران، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا أبو سنان، عن ثابت، عن الضحاك. ومن طريق مهران، عن أبي سنان، به. أبو سنان: صدوق، له أوهام، ولكن تابعه سفيان، عن الضحاك. وأخرجه الطبري في تفسيره ٣٠ /٢٢، وذكر هذا القول ابن الجوزي في تفسيره ٩ /١٢، وهو قول سعيد بن جبير والشعبي أيضاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠ /٣٤٥٢، ٣٤٥٣. ح رقم (١٩٤٢٨) من حديث طويل عن كعب بهذا المعنى.

(٣) وفيه: «... فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى، إني أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ...» الحديث. شرح النووي ٩ /٢٨٩.

(٤) ٤ /٤٩٣، ٤٩٤ في كتاب الفتن والملاحم: في حديث طويل في ذكر الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء.



فإن تخيل في نفسه أن عيسى قد ذهب وصف النبوة عنه، وانسلخ منه، فهذا قول يقارب الكفر، لأن النبي لا يذهب عنه وصف النبوة أبداً، ولا بعد موته، وإن تخيل اختصاص الوحي للنبي بزمن دون زمن فهو قول لا دليل عليه، ويبطله ثبوت الدليل على خلافه.

وقد ألم السبكي بشيءٍ مما ذكرناه، فقال في تصنيف له[١]: ما من نبي إلا أخذ الله عليه الميثاق أنه إن بعث محمد في زمانه ليؤمنن به، ولينصرنه، ويوصي أمته بذلك. وفي ذلك من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى. وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، وتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، ويكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته . ويكون قوله: «بعثت إلى الناس كافة»[٢]. لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً... إلى أن قال: فالنبي ﷺ هو نبي الأنبياء،[٣] ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به، ونصرته، وبذلك أخذ (الله)[٤] الميثاق عليهم، فنبوته عليهم، ورسالته إليهم، معنى حاصل له، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه[٥]، فلو

(١) في الفتاوي ٢ /٣٨ – ٤١ باختلاف يسير.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم باب (١) . ح رقم (٣٣٥)، وفي كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» ح رقم (٤٣٨)، وفي كتاب فرض الخمس باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم». ح رقم (٣١٢٢) مختصراً من حديث جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً.. الحديث». وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة من حديث جابر أيضاً ح رقم (٥٢١)، وساق له عدة طرق، وح رقم (٥٢٣) من رواية أبي هريرة.

(٣) وتتمة الكلام: «ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وهو في الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه..».

(٤) في «خ»: «له».

(٥) وتتمة الكلام: «فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم، لا إلى عدم اتصافه بما تقتضيه، وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل، وتوقفه على أهلية الفاعل، فهنا لا توقف من جهة الفاعل، ولا من جهة ذات=



وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك، ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته، وهو نبي كريم على حاله، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمة، نعم، هو واحد من هذه الأمة بما قلناه أن اتباعه للنبي ﷺ، وإنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة، وكل ما فيها من أمر، أو نهي، فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة، وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء، وكذلك لو بعث النبي ﷺ في زمانه، أو زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم، والنبي ﷺ نبي عليهم، ورسول إلى جميعهم، فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم. هذا كلام السبكي بحروفه.

فعرف بذلك أنه لا تنافي بين كونه ينزل متبعاً للنبي ﷺ وبين كونه باقياً على نبوته، ويأتيه جبريل بما شاء الله من الوحي، والله أعلم.

قال زاعم: الوحي في حديث مسلم[١] مؤول بوحي الإلهام. قلنا: قال أهل الأصول: التأويل صرف اللفظ عن ظاهره لدليل، فإن لم يكن لدليل فلعب، لا تأويل، ولا دليل على هذا، فهو لعب بالحديث.

(قال زاعم: الدليل عليه حديث: «لا وحي بعدي». قلنا: هذا الحديث بهذا اللفظ باطل)[٢]. قال زاعم: الدليل عليه: حديث «لا نبي بعدي»[٣].

=النبي ﷺ الشريفة، وإنما هي من جهة وجود العصر المشتمل عليهم، فلو وجد في عصرهم..». فتاوى السبكي ٢ /٣٩.

(١) وقد مر قريباً.

(٢) ما بين قوسين سقط من نسخة: «خ، ض».

(٣) حديث متواتر أخرجه أئمة الحديث في مصنفاتهم بألفاظ مختلفة، مطولاً ومختصراً إلا أنها اتفقت على لفظ «لا نبي بعدي».

فمن رواية أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: في باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، من كتاب الإمارة. ح رقم (١٨٤٢). والإمام أحمد في مسنده ٢ /٢٩٧.
ومن رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٤ /١٨٧٠، ١٨٧١=



قلنا: يا مسكين! لا دلالة في هذا الحديث على ما ذكرت بوجه من الوجوه، لأن المراد لا يحدث بعده بعث نبي بشرع ينسخ شرعه، كما فسره بذلك العلماء. ثم يقال لهذا الزاعم: هل أنت آخذ بظاهر هذا الحديث من غير حمل على المعنى المذكور فيلزمك عليه أحد أمرين:

إما نفي نزول عيسى، أو نفي النبوة عنه، وكلاهما كفر.

ثم بعد مدة من كتابتي هذا[١] الجواب وقفت على سؤال رفع إلى شيخ الإسلام ابن حجر[٢]، صورته: ما قولكم في قول سيدنا رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم في

=في باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من كتاب المناقب. ح رقم (٣٧٤٥) بلفظ «إلا أنه لا نبوة بعدي». وحديث رقم (٣٧٥٢). والترمذي في سننه ٥ /٦٤١ في باب مناقب علي ابن أبي طالب. ح رقم (٣٧٣١) وقال أبو عيسى عقبه: هذا الحديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه، عن سعد، عن النبي ﷺ، ويستغرب هذا الحديث من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري. وابن ماجه في سننه ١ /٨٦ في باب (١١) من كتاب المقدمة. ح رقم (١٢١).
ومن رواية أنس رضي الله عنه: أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ /٢١٧.
ومن رواية ثوبان رضي الله عنه: أخرجه أبوداود في سننه ٤ /٩٧،٩٨ في كتاب الفتن والملاحم ح رقم (٤٢٥٢). والترمذي في سننه ٤ /٩٣ في باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون من كتاب الفتن. ح رقم (٢٢٢٦)، والإمام أحمد في مسنده ٥ /٢٧٨. بلفظ «وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي».
ومن رواية ابن أبي أوفى رضي الله عنه: أخرجه البخاري في صحيحه ٥ /٢٨٩ في باب من سمى بأسماء الأنبياء من كتاب الأدب. ح رقم (٥٨٤١). وابن ماجه في سننه ٢ /٢٢٣، في باب ما جاء في الصلاة على ابن الرسول ﷺ وذكر وفاته، من كتاب الجنائز. ح رقم (١٥١٠).
ومن رواية جابر بن عبدالله رضي الله عنه: أخرجه الترمذي في سننه ٥ /٤٠٩، ٤١٠. ح رقم (٣٧٥١). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب: عن سعد، وزيد ابن أرقم، وأبي هريرة، وأم سلمة. ومن رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أخرجه ابن ماجه في سننه ٤ /٤٠٥ في باب (٣٣) من كتاب الفتن. ح رقم (٤٠٧٧). ومن رواية عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما: أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ /١٧٢، ٢١٢ ومن رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ /٣٢.

(١) في «ظ، ش، ت»: «لهذا».

(٢) أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ) حافظ، ومدقق ومحقق. انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ٢ /٣٦، حسن المحاضرة ١ /٣٦٣، شذرات الذهب ٧ /٢٧٠.



آخر الزمان حكماً »[١] فهل ينزل عيسى عليه السلام حافظاً لكتاب الله القرآن العظيم، ولسنة نبينا ﷺ، أو يتلقى الكتاب والسنة عن علماء ذلك الزمان، ويجتهد فيها ؟ وما الحكم في ذلك؟.

وأجاب بما نصه، ومن خطه نقلت: لم ينقل لنا في ذلك شيء صريح، والذي يليق بمقام عيسى عليه الصلاة والسلام أنه يتلقى ذلك عن رسول الله ﷺ فيحكم في أمته بما تلقاه عنه، لأنه في الحقيقة خليفة عنه، والله أعلم بالصواب[٢].

تنبـيه:

ويشبه هذا ما بلغني عن بعض المنكرين أنه أنكر ما ورد من أن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلي خلف المهدي صلاة الصبح، وأنه صنف في إنكار ذلك كتاباً، وقال في توجيه ذلك: إن النبي أجل مقاماً من أن يصلي خلف غير نبي. وهذا من أعجب العجب؛ فإن

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب قتل الخنزير من كتاب البيوع. ح رقم (٢١٠٩)، وفي باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، من كتاب الأنبياء ح رقم (٣٢٦٤) واللفظ له. وأخرجه مسلم في باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ من كتاب الإيمان . ح رقم (٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦) مطولاً ومختصراً. وأخرجه الترمذي في سننه: ٤ / ١٠٠ في باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم . ح رقم (٢٢٤٠) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده: ٢ / ٢٤٠، ٢٩٤، ٥٣٨ كلهم من حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ».

(٢) ختمت نسخة: « خ » بما يلي: تم المصنف بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الأحد السادس في شهر صفر الخير، لسنة إحدى وخمسين ومائة بعد الألف، أحسن الله ختامها آمين.

وختمت نسخة « ض » بما يلي: تم المصنف المسمى « بالإعلام بحكم عيسى عليه السلام » للشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى. تمت على يد الفقير الملا عبدالحميد رضى زاده ١٢٧٥.



صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة بإخبار رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، الذي لا يتخلف خبره.

من ذلك: ما رواه أحمد في «مسنده»[١]، والحاكم في «المستدرك»[٢]، وصححه: عن عثمان بن أبي العاصي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكر الحديث... وفيه: فينزل عيسى عند صلاة الفجر، فيقول له أمير الناس: تقدم يا روح الله فصل بنا، فيقول: إنكم معشر هذه الأمة أمراء بعضكم على بعض، تقدم أنت فصل بنا، فيتقدم[٣] فيصلي بهم، فإذا انصرف أخذ عيسى حربته نحو الدجال».

- وفي «الصحيحين»[٤]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: («كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، وإمامكم فيكم».

وفي «مسند» أحمد[٥]: عن جابر بن عبدالله، قال قال رسول الله ﷺ)[٦]: «يخرج الدجال، فذكر الحديث... إلى أن قال: «فإذا هم بعيسى، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم...» الحديث.

---

(١) المسند ٤ /٢١٧. ح رقم (١٩٠٦٠) و(١٩٠٦١).

(٢) المستدرك ٤ /٤٧٩، قال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم بذكر أيوب السختياني، ولم يخرجاه، وخالفه الذهبي، قال في التلخيص: ابن هبيرة واه.

(٣) زاد في نسخة «ش»: «المهدي».

(٤) صحيح البخاري: في باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من كتاب أحاديث الأنبياء. ح رقم (٣٤٤٩)، وصحيح مسلم: في كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ. ح رقم (١٥٥) وساق له ثلاث روايات (٢٤٤ - ٢٤٦)

(٥) المسند ٣ /٣٦٨. ح رقم (١٥٠١٧) من رواية جابر بن عبدالله، قال قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في خفة من الدين، وإدبار من العلم..» الحديث.

(٦) ما بين قوسين من نسختي: «ظ . ت»، وسقط من نسخة: «ش».



وفي «مسند» أبي يعلى(١): عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقول إمامهم: تقدم، فيقول: أنت أحق؛ بعضكم أمراء على بعض، أكرم الله به هذه الأمة».

وروى أبو داود(٢)، وابن ماجه(٣): عن أبي أمامة الباهلي، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فحدثنا عن الدجال .. فذكر الحديث.. إلى أن قال: «وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام يمشي القهقرى ليتقدَم عيسى يصلي، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، إنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: «افتحوا»(٤) الباب، فيفتح ووراءه الدجال(٥).

وروى مسلم(٦): عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على

---

(١) ٤/ ٥٩، ٦٠. ح رقم (٢٠٧٨) بلفظ: «لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقول إمامهم..». الحديث. وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٢) في سننه كتاب الملاحم باب خروج الدجال. ح رقم (٤٣٢٢) مختصراً، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ نحوه، وأحال على حديث النواس بن سمعان. ح رقم (٤٣٢١) ثم قال: وذكر الصلوات مثل معناه.

(٣) في سننه ٢/ ١٣٥٩-١٣٦٣، في باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، من كتاب الفتن. ح رقم (٤٠٧٧).

(٤) من سنن ابن ماجه: ٢/ ٣٥٩-١٣٦٣، وفي نسخ المخطوط: «أقيموا» وهو تصحيف.

(٥) كتب على حاشية «ش»: «في المحاضرات أن كنيته أبو يوسف». أقول: ولا علاقة لهذا الكلام مع ما نحن بصدده، والله أعلم.

(٦) في صحيحه، كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح رقم (١٥٦) بسنده من حديث جابر.



الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم {صلى الله عليه وسلم}[(١)]، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير[(٢)]، تكرمة الله هذه الأمة».

وقول هذا المنكر: إن النبي[(٣)] أجل مقاماً من أن يصلي خلف غير نبي.

جوابه: أن النبي ﷺ أجل الأنبياء (مقاماً)[(٤)]، وأرفعهم درجة، وقد صلى خلف عبدالرحمن بن عوف مرة[(٥)]، وخلف أبي بكر الصديق[(٦)] أخرى، وقال: «إنه لم يمت نبي حتى يصلي خلف رجل من أمته»[(٧)]. ثبت ذلك في أحاديث صحيحة؛ فكيف يتجه لهذا المنكر أن يقول هذا الكلام بعد ذلك.

ولست أعجب من إنكار من لا يعرف؛ إنما أعجب من إقدامه على تسطير ذلك (في ورق)[(٨)] (يخلد)[(٩)] بعده، ويسطر في صحيفته.

---

(١) زيادة من صحيح مسلم.
(٢) هكذا في نسخ المخطوط، وفي صحيح مسلم: «أمراء».
(٣) من «ظ، ش»، وفي «ت»: «نبينا».
(٤) ما بين القوسين من «ش، ت»، وسقط من «ظ».
(٥) ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٦ /٣١٢ في ترجمة الصحابي عبدالرحمن بن عوف: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. {ت ٣٢هـ}. قال: «وصلى رسول الله ﷺ خلفه في سفرة سافرها ركعة من صلاة الصبح». أخرجه من حديث المغيرة بن شعبة.
(٦) صلاته ﷺ خلف أبي بكر الصديق في مرض موته، مشهورة في كتب الحديث: صحيح البخاري، في كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح.. الخ. ح (رقم ١٩٨). وفي كتاب الأذان باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول. ح رقم (٦٨٤). وفي مواضع متعددة من صحيحه: ح رقم (٢٦٩٠)، (٧١٩٠) فارجع إليها. وفي صحيح مسلم، كتاب الصلاة. ح رقم:١٠٢ (٤٢١)، وابن ماجه في سننه ١ /٣٩٠، في كتاب إقامة الصلاة.. باب ما جاء في صلاة النبي ﷺ في مرضه. ح رقم (١٢٣٤) وغيرها.
(٧) أخرج ابن عبدالبر في التمهيد ٩ /١٦٢ من رواية عمر، قال: حدثني أبوبكر، وأحلف بالله إنه لصادق، أن نبي الله ﷺ قال: «لا يموت نبي حتى يؤمه بعض أمته».
(٨) من «ش،ت»، وسقط من «ظ».
(٩) من «ش،ت»، وفي «ظ»: «يجلد». وهو تصحيف.



ثم رأيت في «مصنف» ابن أبي شيبة[١]: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: المهدي من هذه الأمة، وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم عليهما السلام، (والله أعلم)[٢]

(هذه آخر ما كتبه الشيخ الحافظ، الرحلة، المجدد لهذه الأمة أمر دينها)[٣].



(١) الكتاب المصنف ٧ /٥١٣، كتاب الفتن. ح رقم (٣٧٦٣٨).

(٢) هنا تنتهي النسختان «ظ،ت».

(٣) من «ش» وبعد هذه النسخ «لبس اليلب في الجواب عن إيراد حلب».



المصادر والمراجع

١- أصول الفقه الإسلامي لمحمد مصطفى شلبي، دار النهضة، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.

٤- الإكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطي، تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- البحر الزخار للبزار أبي بكر أحمد بن عمرو، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٦- البرهان في علوم القرآن للإمام بدرالدين بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م، دار المعرفة، بيروت.

٧- الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت.

٨- البعث للإمام البيهقي، بتحقيق عامر أحمد حيدر، دار الفكر، دمشق، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.



٩- بهجة العابدين بترجمة جلال الدين السيوطي، تأليف الشيخ عبدالقادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبدالإله نبهان، دمشق ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٠- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها لأبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، دار الجيل، بيروت.

١١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، طبعة القاهرة ١٩٣١م.

١٢- تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٠٧هـ، ١٩٥٢م.

١٣- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٤٩٩ -٥٧١هـ)، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر ابن عزامة العمروي، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

١٤- تجريد الصحابة للإمام الذهبي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٥- تفسير عبدالرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ). تحقيق مصطفى مسلم محمد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.

١٦- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، نسخة مصورة عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

١٧- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي أبي حاتم (ت:٣٢٧هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، مكتبة نزار مصطفى الباز.

١٨- التصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي (١٢٩٢ -١٣٥٢)، ضمن رسائل الكشميري، الناشر المجلس العلمي كراتشي، إخراج وتوزيع إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، الطبعة الأولى

١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٩- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٢٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد لابن عبدالبر، تحقيق مصطفى محمد عبدالكبير البكري وزميله، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

٢١- جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

٢٢- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للإمام السيوطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، وضع حواشيه خليل المنصور.

٢٣- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٤- الخصائص الكبرى للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، (مصورة).

٢٥- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعجي وعبدالبر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٦- دلائل النبوة للبيهقي، تقديم وتحقيق عبدالرحمن بن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالمحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبع الأولى ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.



٢٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، حققه السيد جاد الحق، الناشر: دار التراث بمصر، والمكتبة العتيقة بتونس، الطبعة الأولى.

٢٨- الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٩- الرسالة للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٣٠- روض الرياحين في حكايات الصالحين لعفيف الدين اليافعي، راجعه مأمون محمد، سعيد الصاغرجي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، دار البشائر، دمشق، سوريا.

٣١- الرياض النضرة لمحب الله الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٢- ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني، ليدن ١٩٣١م.

٣٣- سنن ابن ماجه، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٣٤- سنن أبي داود السجستاني، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٥- سنن الترمذي، تحقيق صدقي محمد جميل العطار ورفاقه، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٣٦- سنن الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٣٧- سنن سعيد بن منصور، تحقيق سعيد بن عبدالله آل حميد، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٨- سنن النسائي، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى بعناية عبدالفتاح أبو غدة، ١٣٤٨هـ، ١٩٣٠م.

٣٩- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق محيي الدين أبي سعيد عمر بن عزامة العمروي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٤٠- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة مصورة.

٤١- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق سعيد محمد اللحام، إشراف مكتب البحوث للدراسات، دار الفكر للطباعة، بيروت.

٤٢- شرح مقامات السيوطي، شرح وتحقيق الدكتور سمير الدروبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٤٣- صحيح البخاري، بعناية مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٤٤- صحيح مسلم، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار أبي حيان، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٤٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، نشر مكتبة الحياة، بيروت.

٤٧- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٨- طبقات الشافعية لجمال الدين عبدالرحيم الإسنوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.



٤٩- طبقات الشافعية الكبرى للإمام عبدالوهاب علي السبكي، تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، طبع عيسى الحلبي، ١٣٨٣هـ.

٥٠- طبقات الفقهاء الشافعية للإمام تقي الدين أبي عمرو ابن الصلاح، هذبه ورتبه واستدرك عليه الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، بيض أصوله ونقحه الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي، تحقيق يحيى علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٥١- طبقات المفسرين، تأليف أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٢- طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٥٣- طبقات المفسرين للإمام السيوطي، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، بيروت.

٥٤- العبر في خبر من غبر للإمام الذهبي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٥- فتاوي السبكي، طبعة حسام الدين القدسي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، طبعة محب الدين الخطيب، مطبعة دار أبي حيان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٥٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد



عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٥٨- الكامل في الضعفاء لابن عدي، دققها يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.

٥٩- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٦٠- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٦٢- مختار الصحاح للإمام الرازي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.

٦٣- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، الإمام محمد بن عكرمة المعروف بابن منظور، دار الفكر، دمشق، بإشراف يوسف عبدالرحمن المرعشي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٦٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، نسخة مصورة، دار المعرفة، بيروت.

٦٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال



والأفعال، طبعة مصورة، دار صادر، بيروت .

٦٦- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٦٧- المصنف لابن أبي شيبة، حققه عبدالخالق الأفغاني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨- معالم السنن للخطابي، منشورات المكتبة العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، ١٩٨٠م.

٦٩- معجم البلدان لياقوت الحموي، نسخة مصورة، دار العربي، بيروت.

٧٠- المعجم الصغير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمود إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧١- معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٢- المعجم الكبير للإمام الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نسخة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٩٥م.

٧٣- المنقذ من الضلال للإمام الغزالي، تحقيق جميل صليبا، كامل عباد، الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٣م، دار الأندلس، بيروت.

٧٤- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي، دار الثقافة العربية، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٧٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مجدالدين أبي السعادات المبارك



ابن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية .

٧٦- نيل الفضائل في تخريج أحاديث كتاب الدلائل، تأليف الحافظ موفق الدين أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الملقب «قوام السنة»، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له أبو عبدالرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

***



شروح كتاب الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه المذهب الحنفي

«دراسة موضوعية فقهية»

د. سائد بكداش*

التعريف بالبحث:

جاء البحث ليعرف بكتاب «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» عمدة فقهاء الحنفية المتأخرين، وليوقف الباحثين على شروح هذا الكتاب المبارك، والتي بلغت خمسة وعشرين شرحاً، مع ذكر تراجم مختصرة لمؤلفيها، وبيانٍ للمطبوع منها، وإرشادٍ لأماكن ما هو مخطوط إن تيسر، وكان من أشهرها: حاشيتا: الطحطاوي وابن عابدين. ثم خصَّ البحث بالذكر شرحاً موسوعياً عظيماً نادراً، يهتم بكثرة التدليل والتفريع، لم يزل بعد مخطوطاً، وهو شرح الإمام محمد عابد السندي الأنصاري (ت١٢٥٧هـ)، المسمى: «طوالع الأنوار»، وقد بلغت مخطوطته عشرة آلاف لوحة، أي ما يعادل ستين مجلداً لو طبع. هذا، مع بيان أهمية هذا البحث في مقدمته، وفائدة الوقوف على شروح الدر المختار.

* أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز – فرع المدينة المنورة. ولد في مدينة حلب بسورية عام (١٩٥٩م)، وحصل على درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله في كلية الشريعة بجامعة أم القرى عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) بتقدير ممتاز، وله عدد من الكتب والبحوث المنشورة.

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم آياته: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمدٍ القائل: «مَن يُرِد اللهُ به خيراً يُفقِّهْه في الدين»، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى سائر العلماء العاملين، والأئمة الفقهاء المجتهدين، والمقلِّدين لهم من عامة المسلمين، الممتثلين أمْر الله تعالى حيث يقول: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

وبعد:

فقد كان مِن حِفْظ الله تعالى لكتابه المبين، حفظُه جلَّ وعلا لفقهه وما يستنبط منه من أحكام الدين، حيث هيأ الله تعالى لذلك أئمة علماءَ أُمناء، جعلهم الله من أهل الذكر والبصر والبصيرة، قاموا بهذا الواجب حق القيام، مصداقاً لقوله جلَّ وعلا: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾.

كما أمَرَ الله تعالى عامةَ الناس بسؤالهم، والرجوع إليهم، ليسيروا على هدى ونور، وليكونوا على بينةٍ من الأمر.

ومن هنا كان مَن كان مِن فقهاءِ الصحابة ومجتهديهم، وغيرهم من التابعين ومَن بعدهم، وكانت لهم آراء ومذاهب فقهية، ولكن اقتضت حكمة الله جلَّ وعلا بقاءَ مذاهب فقهية أربعة دون غيرها، وهي مذاهب الأئمةِ الفقهاء المجتهدين الأربعة المشهورين: أبي حنيفة ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، رضي الله عنهم وعن سائر الأئمة المجتهدين.

وهكذا دُوِّنت مذاهبهم، وحُرِّرت ونُقِّحت وهُذِّبت، ووصلت إلينا صافية صافية في مؤلفات كثيرة، قام بها في كلِّ مذهبٍ أئمةٌ جهابذة من خَدَمة هذا الدين الحنيف، وذلك

في شتى البقاع والأزمنة، رحمةً منه جلَّ وعلا، ليحفظ سبحانه على الناس دينهم، وليُقيم الحجةَ عليهم، فالحمد لله على ما أنعم به وتفضّل.

ولقد حفظ الله تعالى كثيراً من خزائن الكتب بنفائس الكتب العامرة الزاخرة والمؤلفات، في مختلف الفنون عامة، وبالأخص كتب فقه المذاهب الأربعة، حيث خُدمت خدمات جليلة قروناً طويلة، لا سيما كتب فقه السادة الحنفية، فقد كان لها من ذلك الحظُّ الأوفر، والنصيبُ الأكبر، وذلك لأسباب كثيرة ليس هذا موضع سَرْدها، لكن كان مِن أهمها سيادةُ هذا المذهب في قضاء وإفتاء دولٍ إسلامية كثيرة دهوراً طويلة.

وهكذا حَفِظَ الله تعالى كتباً كثيرة في فقه المذهب الحنفي، وكَتَب لها البقاء وعدم الضياع، فكان منها مختصراتٌ ومتونٌ وشروحٌ وحواشٍ وتعليقات، منها ما هو المبسوط كل البسط، ومنها ما هو دون ذلك، مع تفننٍ وتنوعٍ في الخدمات.

وكان من هذه الكتب المعتمدة المعتبرة من كتب متأخري الحنفية: كتاب «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» للإمام علاء الدين الحصكفي: محمد بن علي، المتوفى سنة (١٠٨٠) رحمه الله تعالى، الذي شرح فيه مختصراً جامعاً لمسائل المتون المعتمدة في المذهب، وهو «مختصر تنوير الأبصار وجامع البحار» للإمام العلامة التُّمُرتاشي: محمد بن عبدالله، المتوفى سنة (١٠٠٤)، رحمه الله تعالى.

وقد حرص الحصكفي في «الدر المختار» أن يذكر الفروع الصحيحة في المذهب، متحرّياً أرجح الأقوال، مبالغاً في التلخيص والتحرير والتنقيح.

وحظي هذا الكتاب «الدر المختار» بقبول كبير عجيب عند المتأخرين من فقهاء الحنفية، فاعتمدوه في القضاء والفتيا والتدريس، واهتموا به اهتماماً بالغاً، فكُتب عليه أعمال فقهية جليلة كثيرة، حتى بلغ عدد ما وقفتُ عليه منها خمسةً وعشرين عملاً، ما



بين شرحٍ وحاشية وتعليق وتقرير وتحرير.

ولقد بلغ حجم أحد شروح الدر المختار قدرَ عشرة آلاف لوحة مخطوطة، أي عشرين ألف صفحة، بما يعادل أكثر من ستين مجلداً بحجم مطبوعات عصرنا الحالي، وهو شرح نفيس جداً، لكنه بعدُ حبيس رفوف المخطوطات، وهو «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» للإمام العظيم الفقيه المحدِّث الشهير الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري المدني، المتوفى بالمدينة المنورة سنة (١٢٥٧) رحمه الله تعالى.

وهكذا لم يحظ بالطبع من هذه الأعمال الفقهية التي قامت على الدر المختار إلا اثنان منها، وهما: حاشية الطحطاوي على الدر المختار، لأحمد بن محمد الطحطاوي، المتوفى سنة (١٢٣١) رحمه الله تعالى، وحاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)، لمحمد أمين بن عمر عابدين، المتوفى سنة (١٢٥٢) رحمه الله تعالى.

وحين طُبعت حاشية ابن عابدين في زمن الدولة العثمانية سنة (١٢٧٢)، كانت هي العمدة في المذهب عند فقهاء الحنفية في ذلك الزمن، وإلى زمننا هذا، حتى اعتبروا ما فيها هو خاتمة التحقيقات والترجيحات في المذهب، بل هي منتهى المطاف في القضاء والفتيا، فلا يكاد يُفتى في المذهب الحنفي دون الرجوع إليها.

كما انحصرت قراءات كثيرين من علماء المذهب فيها دون غيرها، وإذا ما انتهوا من قراءتها أعادوا الكرة، حتى بلغ عدد قراءات العلامة الفقيه الحنفي المتقن الشيخ عبد القادر خوجة الحمصي، المتوفى سنة (١٣٧٣)، بلغ عدد قراءاته لها قراءةَ درسٍ ست مرات.

وهذا الاهتمام الكبير بحاشية ابن عابدين، له أسباب عديدة، كان من أهمها ما لهذه الحاشية من مكانة علمية عالية، وخاصة في تحرير رأي المذهب الحنفي، وبيان الراجح المفتى به في المذهب.



ولكن الذي ساعد كثيراً في انتشارها بين العلماء، وإقبالهم عليها، هو طباعتها وتداولها بينهم، وتيسّر الوقوف عليها دون غيرها من الأعمال الفقهية الكثيرة التي قامت على «الدر المختار»، والتي فيها ما هو عظيم وعظيم جداً، ولا يقل علمياً أبداً عن حاشية ابن عابدين.

بل تجد في تلك الأعمال من المزايا الكثيرة ما لا تجده في حاشية ابن عابدين، من شرح وتعليل وتدليل، بل واستدراكات عليه، كما هو شأن ذلك الكتاب الضخم الفخم: «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» للشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، المتقدم الذكر.

فقد كانت للشيخ محمد عابد استدراكات كثيرة على حاشية عصريّه ابن عابدين، والتي أخذ كثيراً منها العلامة الشيخ عبدالقادر الرافعي (ت١٣٢٣)، وضمّنها في تقريراته على ابن عابدين التي سماها: «التحرير المختار على رد المحتار»، ناسباً إلى الشيخ محمد عابد ما ينقله عنه بقوله: (انتهى سندي).

وهكذا فإن اعتماد كتاب «الدر المختار» للحصكفي في القضاء والفتيا والدرس عند فقهاء الحنفية المتأخرين، وانتشار حاشيتي الطحطاوي وابن عابدين عليه بسبب طبعهما، وتيسّر تداولهما، جعل كثيراً - إن لم أقل أغلب فقهاء الحنفية المتأخرين - يقتصرون عليهما في شرح وتحرير كتاب الدر المختار، دون غيرهما من الأعمال الفقهية الكثيرة التي قامت على الدر المختار، وذلك - غالباً - بسبب غياب هذه الأعمال عنهم وبُعدِها عنهم، لا لأنها أقلُّ علمياً من تلك الأعمال، بل فيها من المزايا ما لا تجده في هاتين الحاشيتين المطبوعتين: للطحطاوي وابن عابدين، كما تقدم.

ومن هنا وجدت أن مع هذا الاعتماد الكبير على كتاب «الدر المختار» في فقه

الحنفية، وما تبعه من اعتماد عظيم وبالأخص لحاشية ابن عابدين عليه، وجدت أن من الواجبات عليّ أن أُطلع طلاب الفقه عامة، وقرّاء «الدر المختار» خاصة على تمام الأعمال الفقهية التي قامت عليه، وأن أعرِّف بها، وبمؤلفيها، وبمكان وجودها.

ثم أخص منها بالدراسة ذلك العمل الموسوعي الكبير الذي قام به الإمام الفقيه المحدث الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، وهو كتاب: «طوالع الأنوار شرح الدر المختار»، الذي كان من مراجعه غالب الأعمال الفقهية التي قامت على الدر المختار، ممن كَتَبَ قبله، أو عاصره، سواء كان من أهل المشرق أو المغرب، أو من السند أو الهند، أو من مصر أو الشام، أو اليمن أو غيرها.

كما تشمل هذه الدراسة مقارنة بين كتاب «طوالع الأنوار» مع كلٍّ من حاشيتي الطحطاوي وابن عابدين، لتظهر مزية وخصائص كل منها، وذلك من خلال دراستي لطوالع الأنوار عموماً، ومن واقع عدة نصوصٍ أنقلها من هذه الكتب الثلاثة.

وهكذا يمكن إبراز جملة من فوائد هذه الدراسة الموضوعية الفقهية لشروح «الدر المختار» في النقاط التالية:

١- ظهور مدى اعتماد علماء المذهب الحنفي لكتاب «الدر المختار» بشكل واضح كبير.

٢- التعرف على مزايا كلٍّ من كتاب «تنوير الأبصار»، وشرحه «الدر المختار».

٣- التعرف على جملة من الأعمال العلمية التي قامت على متن «تنوير الأبصار وجامع البحار»، والتي كان منها شرحه «الدر المختار» للحصكفي.

٤- التيسير على الباحثين في الوقوف على الأعمال الفقهية التي قامت على «الدر المختار»، والتي لم أرَ مَن جَمَعها في غير هذا البحث، وهي من أعظم المفاتيح التي



يحرص عليها كل من أراد الدقة والتتبع.

٥ ـ إن الوقوف على هذه الأعمال ومراجعتها، ييسّر حلَّ عبارات «الدر المختار» وفهمها على كافة الوجوه، وبأنظار مختلفة للعلماء.

٦ ـ التعرف على ما كتبه ابن عابدين مبيَّضاً من حاشيته، وما تركه مسوّداً، وما قام به ولده الشيخ محمد علاء الدين من إتمامٍ لعمل والده فيما كتبه في «قرة عيون الأخبار».

٧ ـ يبرز هذا البحث ذلك العمل العظيم الذي قام به الإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، وهو كتاب «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» الذي جاء في عشرة آلاف لوحة مخطوطة، وهو شرح عظيم نادرٌ جداً، أرى أنه يجب أن يطلع عليه كل مَن أراد قراءة «الدر المختار»، أو التحقيق في المذهب الحنفي.

٨ ـ يقف المطلع على هذا البحث على المزايا الفقهية العظيمة النادرة لكتاب «طوالع الأنوار»، مما لا يجده القارئ في غير هذا البحث.

٩ ـ إن الوقوف على هذه الأعمال الفقهية، التي قام بها علماءُ من بلادٍ شتى: شامية ومصرية وحجازية ويمانية وسندية وهندية وغيرها، يُظهر للمطلع عليها تفاني العلماء في خدمة هذا الدين الحنيف، لاسيما علم الفقه عامة، وبالأخص فقه المذهب الحنفي.

١٠ ـ بالاطلاع على هذا البحث، وما فيه من دراسة موضوعية مقارنة لبعض شروح «الدر المختار» يتأكد مايذكره العلماء، بأنه لا يغني كتاب عن كتاب، ويرى المطلع أيضاً أن في كلٍّ من هذه الشروح من المزايا ما لا يجده في الآخر.

١١ ـ يقف المطلع على هذا البحث على تراجم مجملة لطائفة من كبار فقهاء الحنفية المتأخرين، والتي قد اجتمع شملها في هذا البحث، وبالأخص ترجمة الإمام الشيخ محمد عابد السندي.



وغير هذا من الفوائد الكثيرة المنثورة ضمن البحث.

وهكذا فقد اقتضى البحث بعد ذكر هذه المقدمة أن أقوم أولاً بالتعريف بكل من كتاب «تنوير الأبصار وجامع البحار» للتمرتاشي، وشرحه «الدر المختار» للحصكفي، مع ذكر نبذة عن حياة مؤلِّف كلٍّ منهما، وبيان مدى أهمية الكتابين واعتمادهما في فقه الحنفية.

يتلو ذلك سردٌ للأعمال العلمية الفقهية التي قامت على «الدر المختار»، مما يسَّر الله تعالى لي الوقوف عليه منها، مع بيان المطبوع منها والمخطوط، ومكان وجودها، ومع ذكر نبذة لطيفة عن مؤلفيها.

ويعقب هذا مقارنة فقهية بين ثلاثةٍ من تلك الأعمال، وهي حاشية الطحطاوي، وابن عابدين، وطوالع الأنوار، وذلك بعد وقفة خاصة طويلة نوعاً ما مع «طوالع الأنوار».

ثم أختتم ذلك كله بأهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.

هذا، وأسأل الله الكريم أن يرزقنا السداد والصواب، مع الإخلاص والقبول، وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا، ولكلِّ مَن له حقٌّ علينا، وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وصلى الله على سيدنا محمد سيد السادات، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله أولاً وآخراً.



التعريف بكتاب
«تنوير الأبصار وجامع البحار»، وذكر نبذة عن مؤلِّفه

«كتاب (تنوير الأبصار وجامع البحار) يقع في مجلد لطيف في فروع الحنفية، جَمَعَ فيه مؤلِّفُه مسائلَ المتون المعتمدة، عوناً لمن ابتُلي بالقضاء والفتوى»[١]، مع زيادات عليها.

«وهو كتاب جليلُ المقدار، جَمُّ الفائدة، دقَّق في المسائل كلَّ التدقيق، ورُزق فيه السَّعد، فاشتهر في الآفاق، وهو من أنفع كتب المذهب»[٢].

وقال شارحه الحصكفي[٣] مثنياً عليه:

«وهو الذي فاق كُتُبَ هذا الفن ـ أي الفقه الحنفي ـ في الضبط والتصحيح والاختصار، ولعَمْري لقد أَضْحَتْ روضة هذا العلم به مفتَّحةَ الأزهار، مسلسلةَ الأنهار، من عجائبه ثمرات التحقيق تُختار، ومن غرائبه ذخائرُ تدقيقٍ تُحَيِّر الأفكار».

وهكذا فمن أهم مزايا هذا الكتاب، أنه جامعٌ لمسائل المختصرات والمتون المعتمدة في المذهب، مثل مختصر الطحاوي والقدوري والمختار للموصلي، وكنز الدقائق والوقاية وغيرها[٤]، التي هي كالبحار في الفقه، وهذا هو الذي قَصَده في عنوانه: «جامع البحار»، حيث جمع هذا المتن غالب مسائلها[٥].

وقد طبع متن: «تنوير الأبصار وجامع البحار» في مجلد لطيف يقع في (٢٥٢) صفحة، في المطبعة العامرة المليجية بمصر، بدون تاريخ.

---

(١) كشف الظنون ١/ ٢٠١.
(٢) خلاصة الأثر للمحبي ٤/ ١٩، ونقل كلامه ابنُ عابدين في مقدمة حاشيته ١/ ١٩.
(٣) الدر المختار ١/ ١٧.
(٤) ينظر المذهب عند الحنفية ص ٩٣.
(٥) كما في حاشية الطحطاوي على الدر المختار ١/ ١٢.

نبذة عن مؤلِّف كتاب: «تنوير الأبصار وجامع البحار»:

هو الإمام الكبير الشيخ شمس الدين محمد عبدالله بن أحمد بن التُّمُرْتاشي الغَزِّي الحنفي، عمدة المتأخرين الأخيار، ورأس الفقهاء في عصره، وعلامة زمانه، صاحبُ التآليف العجيبة المتقنة، وله رسائل كثيرة، المولود سنة (٩٣٩)، والمتوفى سنة (١٠٠٤) رحمه الله تعالى.

والتمرتاشي إما نسبة إلى تُمُرْتاش، وهي قرية من قرى خوارزم، أو نسبة إلى جده تمرتاش، وهذا ما رجحه ابنُ عابدين، وأما الغَزِّي فنسبة إلى غزة، بلدة بفلسطين[١].

وقد قامت أعمال علمية عديدة على هذا المتن: « تنوير الأبصار » تدل على اهتمام العلماء وعنايتهم البالغة به، واعتمادهم له [٢]، ومن أشهر شروحه: شرح علاء الدين الحصكفي المسمى بالدر المختار.

---

(١) له ترجمة في خلاصة الأثر ٤ / ١٨، مقدمة حاشية ابن عابدين ١ / ١٨ - ١٩، الأعلام ٦ / ٢٣٩.

(٢) من هذه الأعمال التي قامت عليه:

١- مِنَحُ الغفّار شرح تنوير الأبصار، في مجلدين ضخمين، لمؤلِّف المتن التمرتاشي، كما في كشف الظنون ١ / ٥٠١، وتوجد منه نسخة خطية في المحمودية في جزأين تحت رقم (١١٥٠+١١٥١).

٢- وعلى الشرح السابق (منح الغفار) حاشية مفيدة لشيخ الإسلام خير الدين بن أحمد الرملي، صاحب الفتاوى الخيرية، المتوفى سنة (١٠٨١) رحمه الله تعالى، كما في خلاصة الأثر ٢ / ١٣٤، وحاشية ابن عابدين ١ / ٣٢، وقد ردّ في هذه الحاشية على غالب اعتراضات الشارح على الكنز.

٣- ولولده نجم الدين محمد بن خير الدين الرملي، المتوفى سنة (١١١٣) حاشية سماها: لوائح الأنوار على منح الغفار، كما في إيضاح المكنون ٢ / ٥٧٦، ولمؤلفها ترجمة في الأعلام ٦ / ١١٩. وتوجد منها قطعة في المحمودية برقم (١١٤٣)، في (٢٤٤) ورقة.

٤- كما شَرَحَ « تنوير الأبصار » المنلا حسين بن إسكندر الرومي نزيل دمشق، المتوفى نحو سنة (١٠٨٤)، كما في إيضاح المكنون ٢ / ١٥٧٦، ولمؤلفها ترجمة في الأعلام ٢ / ٢٣٣.

٥- خزائن الأسرار وبدائع الأفكار في شرح تنوير الأبصار، للحصكفي صاحب الدر المختار، المتوفى سنة (١٠٨٨)، كما صرح بهذا في مقدمة الدر.

٦- وشَرَحَه أيضاً الشيخ عبدالرزاق، مدرس الناصرية الجُوّانية بدمشق، كما في إيضاح المكنون ٢ / ٥٧٦. =



٢- التعريف بكتاب: «الدُّر المختار شرح تنوير الأبصار» للحصكفي:

وهو من أعظم وأشهر شروح: «تنوير الأبصار» للتمرتاشي، وقد أثنى عليه عمدة المحققين في المذهب ابنُ عابدين، في مقدمة حاشيته فقال:

«كتابٌ قد طار في الأقطار، وسار في الأمصار، وفاق في الاشتهار على الشمس في رابعة النهار، حتى أكبَّ الناسُ عليه، وصار مَفْزَعُهم إليه، وهو الحَرِيُّ بأن يُطلَب، ويكون إليه المذهب، فإنه الطراز المُذهبُ في المَذْهب، فلقد حوى من الفروع المنقَّحة، والمسائلِ المصحَّحة، ما لم يَحْوِه غيرُه من كبار الأسفار، ولم تَنْسُج على منواله يدُ الأفكار، بَيْدَ أنه لصِغَر حجمه، ووُفور علمه، قد بلغ في الإيجاز إلى حد الإلغاز...» اهـ.

وأثنى عليه المصنِّف الحصكفي نفسه، فبعد أن ذكر مصادره في الكتاب قال:

«... مع تحقيقات سَنَحَ بها البال، وتلقيتُها عن فحول الرجال، ويأبى الله العصمة لكتابٍ غيرِ كتابه، والمُنْصِف من اغْتَفَرَ قليلَ خطأ المرء في كثير صوابه.

ومع هذا فمَن أتقن كتابي هذا، فهو الفقيه الماهر، ومن ظَفرَ بما فيه، فسيقول بملء فيه: كم ترك الأوَّلُ للآخر، ومَن حصَّله فقد حَصَل له الحظ الوافر، لأنه هو البحر لكن بلا ساحل، ووابِلُ القَطْر غير أنه متواصل، بحُسْن عبارات، ورَمْز إشارات، وتنقيحِ معاني، وتحريرِ مباني، وليس الخبر كالعَيان، وستقرُّ به بعد التأمل العَيْنان.

فهاكَ مؤلَّفاً مهذَّباً بمهمات هذا الفَنّ، مُظْهِراً لدقائقَ استعمَلْتُ الفِكْرَ فيها إذا ما الليل جَنَّ، متحرّياً أرجحَ الأقوال، وأوجزَ العبارة، معتمِداً في دفع الإيراد ألْطَفَ إشارة»[١] اهـ.

= ٧ - وكتب عليه شيخ الإسلام بالديار الرومية، وهو المولى محمد بن حسين الأنكوري (الأنقروي) صاحب الفتاوى، المتوفى سنة (١٠٩٨)، كتب عليه كتابات في غاية التحرير والنفع، كما في خلاصة الأثر ٤ /١٨، وحاشية ابن عابدين ١ /١٩، ولصاحبها ترجمة في الخلاصة ٤ /٣١٤.

(١) الدر المختار ١ /٢٦ -٣١.



وقد طبع الدر المختار مستقلاً في مجلدين، في زمن السلطان العثماني عبدالمجيد خان سنة (١٢٧٧)، في دار الطباعة العامرة بالآستانة.

وطبع أيضاً في مجلدين في مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر القاهرة، بدون تاريخ، وكذلك طبع في مطبعة الواعظ بالقاهرة على نفقة مدرِّسي مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة في مجلدين.

وقد كان المصنِّف الحصكفي بدأ بشرح تنوير الأبصار شرحاً مطولاً للغاية، يبلغ عشر مجلدات كبار، وبيَّض الجزءَ الأول منه، وسمّاه: خزائن الأسرار وبدائع الأفكار[١] في شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، فلم يكمله بهذا الطول، وصَرَفَ عِنان العناية نحو الاختِصار، وسمى شرحه المختصر وهو المتداول بـ (الدر المختار)، كما صرَّح بذلك في مقدمته[٢].

نبذة عن مؤلِّف الدر المختار:

هو مفتي الحنفية بدمشق الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن الحِصْني الأثري، المعروف بعلاء الدين الحَصْكفي، الإمامُ العالم المحدث الفقيه النحوي، مَن أقرَّ له بالفضل والتحقيق مشايخُه وأهلُ عصره، المولود بدمشق سنة (١٠٢٥)، والمتوفى بها سنة (١٠٨٨)، رحمه الله تعالى.

وله عدة مصنفات، منها: الدُّرُّ المُنْتَقَى شرح الملتقى (ملتقى الأبحر)، مطبوع، وله شرح على المنار في أصول فقه الحنفية سماه: إفاضة الأنوار على أصول المنار، وشرح قطر الندى في النحو، وغيرها من المصنفات.

---

(١) وصل فيه إلى باب الوتر والنوافل، كما في خلاصة الأثر ٤ /٦٣، وينظر إيضاح المكنون ١ /٤٢٨.
(٢) ١ /١٦، وينظر إيضاح المكنون ١ /٤٢٨.



والحصكفي نسبة إلى: حِصن كيفا، وهو من ديار بكر شمالي سورية، وجنوب تركيا، وكان القياس أن ينسبوا إليها: الحِصني، كما فعل البعض، لكن نسبوا إلى اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر، وركّبوا من مجموع الاسمين اسماً واحداً، ونسبوا إليه، مثل: عبدالله، فنسبوا إليه: العبدلي، وهكذا[١].

الأعمال العلمية الفقهية على الدر المختار:

لقد كتب الله تعالى السَّعد والقبول لكتاب الدر المختار، حتى غدا العمدة عند المتأخرين في فقه السادة الحنفية، وأصبحت له مكانة عالية، واعتنى به العلماء عناية خاصة، وأكبّوا عليه، واهتموا به اهتماماً بالغاً، فكتبوا عليه الشروح والحواشي والتعليقات، لتحريره وتحقيقه وتدقيقه، حتى بلغ عدد الأعمال العلمية التي قامت عليه - مما وقفت عليه - خمسةً وعشرين عملاً[٢].

وكان من أشهرها تداولاً واعتماداً: حاشية الطحطاوي وحاشية ابن عابدين، وكلاهما مطبوع.

وفيما يلي آتي على ذكر هذه الأعمال التي وقفت عليها، مع التعريف بها، لتظهر مكانة «الدر المختار»، وبعدها أخصُّ بالدراسة شرح الشيخ محمد عابد السندي على الدر المختار، وهو طوالع الأنوار، مع مقارنته بحاشيتي الطحطاوي وابن عابدين، لنتعرَّف على قيمته ومكانته العلمية الفريدة.

---

(١) له ترجمة في خلاصة الأثر ٤ /٦٣، مقدمة حاشية ابن عابدين ١ /١٥، الأعلام ٦ /٢٩٤.

(٢) وغالب الظن أنه لو تيسَّر الاطلاع على مخطوطات تركيا، لتمَّ الوقوف على أكثر من هذا العدد بكثير، والله أعلم.



أما الأعمال الفقهية على الدر المختار فهي :

١- مفاتح الأسرار ولوائح الأفكار شرح الدر المختار، لابن عبد الرزاق الدمشقي الخطيب، واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، المعروف بابن عبد الرزاق، العالم الفاضل الفقيه الأديب، ولد سنة (١٠٧٥)، وتوفي سنة (١١٣٨)، رحمه الله تعالى[١].

وقد وصل في شرحه هذا إلى آخر كتاب الصلاة، ومن كتاب النكاح نبذة رائقة، وتحريرات فائقة[٢].

ومنه نسخة في مخطوطات الظاهرية[٣]، وكذلك في دار الكتب المصرية[٤].

وقد نقل عنه ابن عابدين في مواضع عديدة[٥].

٢- قرة الأنظار على شرح تنوير الأبصار (الدر المختار)، للقاضي أبي الطيب محمد بن عبدالقادر السندي المدني، العلامة الفقيه، المتوفى سنة (١١٤٩)، رحمه الله تعالى، وقد ذكره له مترجموه [٦]، ونقل عنه الشيخ محمد عابد السندي في طوالع الأنوار[٧].

ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة في مجلدين، الأول منهما برقم (١١٣١) في ٦٧٤ صفحة، وصل فيه إلى كتاب الربا، والثاني برقم (١٣١٢) في ٧٠٤ صفحة.

---

(١) له ترجمة في سلك الدرر ٢ / ٢٦٦، إيضاح المكنون ٢ / ٥٢٠، الأعلام ٣ / ٢٩٣.

(٢) كما ذكر المرادي في سلك الدرر ٢ / ٦٦.

(٣) فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ٢ / ٤١٦.

(٤) كما في الأعلام ٣ / ٢٩٣.

(٥) منها حاشية ابن عابدين ١ / ١٥، ٣٨.

(٦) له ترجمة في نزهة الخواطر ٦ / ١٦، وتراجم أعيان المدينة المنورة ص ٨٨، لكن البغدادي في إيضاح المكنون ٢ / ٢٢٣ جعل وفاته سنة ١٢٠٠.

(٧) في عدة مواضع، منها في كتاب الشركة والوقف.



٣- حاشية على الدر المختار، للعلامة الشيخ السيد أمين ابن السيد حسن المِيرغني [١]، الفقيه الحنفي المكي، الجهبذ المحقق، كان على جانبٍ عظيم من التقوى والزهد والورع والصلاح، المتوفى بمكة المكرمة سنة (١١٦١)، رحمه الله تعالى.

له مصنفات عديدة، فيها تحريرات فائقة، منها حاشية على شرح الزيلعي على الكنز (تبيين الحقائق)، وله رسائل عديدة [٢].

٤- ومن محفوظات المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة كتاب: دلائل الأسرار على الدر المختار، لخليل بن محمد بن إبراهيم الفتَّال الدمشقي، المتوفى سنة (١١٨٦) [٣]، وهو في (٥٥٨) صفحة، برقم (١٠١٩)، وذكر الزركلي وجود نسخة منه في بغداد.

ووصفها المرادي بأنها «حاشية جليلة مفيدة»، ورأيت الشيخ محمد عابد السندي ينقل عن هذه الحاشية في طوالع الأنوار [٤].

٥- حاشية على الدر المختار، للإمام العلامة المحدث الفقيه الشيخ أبي الحسن السندي الصغير: محمد بن صادق، المتوفى سنة (١١٨٧) [٥]، رحمه الله تعالى، وقد نقل عنها الشيخ محمد عابد السندي في طوالع الأنوار [٦].

٦- حاشية على الدر المختار للعلامة المحقق المدقق الشيخ إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم الحلبي، المتوفى سنة (١١٩٠) [٧]، رحمه الله تعالى، سمّاها: تحفة الأخيار،

---

(١) أصل كلمة (ميرغني): أمير غني، كما في مختصر نشر النَّور والزَّهَر ص ١٣٦.

(٢) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ١٣٥، أعلام المكيين ٢ / ٩٥٠.

(٣) له ترجمة في سلك الدرر ٢ / ٩٩، الأعلام ٢ / ٣٢٢.

(٤) ج١ لوحة ٤٢٧.

(٥) له ترجمة في نزهة رياض الإجازة ص٢٦٠، النَّفس اليماني ص١٨٤.

(٦) ج ١ لوحة ٦٤٣، وفي كتاب الشركة والوقف وغيرها من المواضع.

(٧) له ترجمة في إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ ٧ / ٩٣ -٩٥، الأعلام ١ / ٧٤.

وهي من محفوظات الأزهرية بالقاهرة، ومنها نسخة أيضاً في قصر (طوب قابي سراي) في تركيا، برقم ٤١٦٠.

٧- وللإمام ابن عابدين صاحب حاشية رد المحتار - الآتي ذكره -، حاشية خاصة على حاشية الحلبي هذه، تتبّعه فيها، وسماها: رَفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار[١].

٨- سِلك النُّضار[٢] على الدر المختار، للعلامة الفقيه المحدِّث الأديب المفنَّن، الذكي البارع الشيخ عبدالقادر بن صالح بن عبدالرحمن البانقوسي الحلبي، المولود بحلب الشهباء سنة (١١٤٢)، والمتوفى بها سنة (١١٩٩)[٣] رحمه الله تعالى.

وهو شرحٌ على الدر المختار، لكن لم يتمّه، وبيَّض من مسوّداته مجلدين، وصل فيهما إلى كتاب الصوم.

وذكر الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ في إعلام النبلاء[٤]، أن «المسودة موجودة بخطه عند أسعد أفندي العينتابي، من وجهاء حلب، والمبيضة موجودة عند المرحوم الشيخ إبراهيم أفندي المرعشي، وهي في مجلدين ضخمين». اهـ

وتوجد نسخة منه أيضاً في متحف طوب قابي سراي بتركيا، ورقمها (٤١٦٩).

٩- حاشية على الدر المختار، للإمام العلامة القاضي الفقيه الحنفي المكي الشيخ جمال الدين محمد بن محمد الأنصاري.

ولد بمكة المكرمة، ونشأ فيها، وقرأ على كبار علمائها، منهم العلامة السيد أمين

---

(١) أعيان القرن الثالث عشر ص ٣٨.
(٢) النُّضار بالضم: الذَّهَب، والجوهر الخالص من التِّبْر. القاموس المحيط (نضر).
(٣) له ترجمة في سلك الدرر ٣/ ٤٩-٥٦، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٧/ ١١٣، الأعلام ٤/ ٣٩.
(٤) ٧/ ١١٤ في الحاشية.



ميرغني وغيره، حتى برع وصار إماماً.

له تصانيف عديدة مفيدة، منها شرح على كنز الدقائق، وشرح على المنسك الصغير للملا رحمة الله السندي، وشرح على المنسك الأوسط له.

قال العلامة الشيخ أحمد أبو الخير الميرداد في نشر النور والزهر(١): «وحاشيته على الدر المختار هي إحدى الحواشي المعتبرة المرادة عند إطلاق قول العلامة ابن عابدين: (قال بعض المحشّين)، كما علمتُ ذلك بالتتبع لما هنالك، ونبّهتُ في هامش نسختي من رد المحتار». اهـ

ولم ينص الميرداد على سنة وفاته، وقال: إنه من أهل القرن الثاني عشر، رحمه الله تعالى.

١٠- حاشية على الدر المختار للعلامة الفقيه الشيخ مصطفى زين الدين بن محمد بن رحمة الله بن عبدالمحسن بن جمال الدين الأيوبي، نسبة إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، الخزرجي الحنفي الدمشقي، ثم المدني، ثم المكي، الشهير بالرحمتي.

ولد سنة (١١٣٥)، وجاور بالمدينة المنورة سنة (١١٨٧)، ثم انتقل إلى مكة المكرمة، وتوفي قُرْبَ الطائف في السَّيْل سنة (١٢٠٥)، ودفن هناك، رحمه الله تعالى.

وحاشيته على الدر المختار في ثلاثة أجزاء: جزأين على القسم الأول من الدر المختار، وجزء من الآخر، ولم يتيسر له إتمامه، ومع هذا فعليها المعوَّل، كما في نشر النَّوْر والزهر(٢)، ولذا يُلحظ أن ابن عابدين يُكثر النقل عنها في حاشيته، وكذلك الشيخ محمد عابد السندي في طوالع الأنوار.

---

(١) المختصر ص ٤٠٥، وقد ترجم له في هذا الموضع.

(٢) مختصر نشر النور والزهر ص ٤٩٨، وله ترجمة في ثَبَت ابن عابدين (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) ص ٣١، أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم ص ٣٠، الأعلام ٧ / ٢٤١، وينظر هدية العارفين ٢ / ٤٥٤.

١١- نخبة الأفكار على الدر المختار، حاشية لمحمد بن عبدِ القادر بن أحمد بن محمد زاده الأنصاري المدني، كان حيّاً سنة (١١٩٤)[١].

أما صاحب هدية العارفين[٢] - وتابعه عمر رضا كحالة - فنسبها لمحمد صالح بن عبدالله قاضي زاده المدني، (ت١٠٨٧).

وقد نقل عنها ابن عابدين في حاشيته في مواضع عديدة، سمّاها مرة حاشية المدني[٣]، ومرة قال: (وفي النخبة)[٤]، وهكذا.

وتوجد نسخة من هذه الحاشية في الظاهرية بدمشق، في أربعة أجزاء، وأرقامها من (٢٥٦٧) إلى (٢٥٧٠).

١٢- نتائج الأفكار على الدر المختار، للعلامة الفقيه المحدِّث الشيخ محمد طاهر بن محمد سعيد سُنْبُل، المتوفى سنة (١٢١٨) رحمه الله تعالى[٥].

ومن هذه الحاشية نسخة في مخطوطات الحرم المكي، برقم عام (٢١٨٥)[٦].

١٣- وللشيخ محمد طاهر سنبل هذا حواشٍ خاصة على كُتُبٍ معينة من الدر المختار، منها حاشيةٌ على كتاب المناسك فقط من الدر المختار، سمّاها: ضياء الأبصار على مناسك الدر المختار، وصل فيها إلى باب الحج عن الغير[٧].

---

(١) ينظر فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ٢ / ٢٤٢.

(٢) ٢ / ٢٩٥، وينظر إيضاح المكنون ٢ / ٦٣٠، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٨٤.

(٣) رد المحتار ١ / ٣٤٤، ٤٨٧.

(٤) رد المحتار ٢ / ٤٩٨.

(٥) له ترجمة في الأعلام ٦ / ١٧٢، أعلام المكيين ١ / ٥٢٧.

(٦) معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف للمعلمي ص ٣١٧.

(٧) منها نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي برقم عام (١٨٤٣) و (١٩٦٩)، ينظر معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ص ٣١٧، وينظر الأعلام ٦ / ١٧٢ - ١٧٣.

ثم أكملها العلامة الفقيه إبراهيم بن محمد سعيد الفتّه المكي، تلميذ الشيخ محمد عابد السندي، المتوفى سنة (١٢٩٠) رحمه الله تعالى[١].

وللشيخ محمد طاهر سنبل أيضاً حاشية على كتاب الدعوى من الدر المختار[٢].

وله تعليقات على كتابَيْ: البيوع والصوم، من الدر المختار[٣].

١٤– حاشية العلامة النحرير الشيخ أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي (الطهطاوي)، المتوفى سنة (١٢٣١)[٤]، رحمه الله تعالى.

والطهطاوي نسبة إلى (طهطا) بالقرب من أسيوط في مصر، وقد تقلّد مشيخة الحنفية في زمنه، وهذه الحاشية من مآثره العظيمة.

ومن مصادره المعتمدة في حاشيته هذه: حاشية الحلبي المتقدمة برقم (٧)، كما صرّح الطحطاوي في مقدمة حاشيته.

وكان من المساعدين للإمام الطحطاوي في تأليف حاشيته على الدر المختار، تلميذُه الذي تخرج به، مفتي مكة المكرمة العلامة الفقيه الحنفي الشيخ محمد حسين كتبي، المولود سنة (١٢٠٢)، المتوفى سنة (١٢٨١)[٥]، رحمه الله تعالى.

وقد طبعت حاشية الطحطاوي في أربع مجلدات ضخام، في بولاق بمصر سنة ١٢٥٤، ثم صُوِّر عنها، وقد جَمَعَ فيها مؤلفها المواد التي كُتِبت على الكتاب، وضمَّ إليها غيرها.

---

(١) وينظر مختصر نشر النور والزهر ص ٥١.

(٢) هدية العارفين ٢ / ٣٥٤.

(٣) مختصر نشر النور والزهر ص ٢٢٥.

(٤) له ترجمة في تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) ٣ / ٥٣١، حلية البشر ١ / ٢٧٠، الأعلام ١ / ٢٤٥.

(٥) مختصر نشر النور والزهر ص ٤٧٦.



وهيَ من المعتمدات المهمة جداً عند ابن عابدين في حاشيته، ويُكثِر النقل عنها، بحيث إنه اصطلح على رمز (ط) عند النقل عنها، اختصاراً واكتفاءً عن تكرار اسم مؤلفها، وكذلك اعتمدها وأَكْثَرَ النقلَ عنها الشيخ محمد عابد السندي في طوالع الأنوار.

١٥- حاشية للشيخ عبدالمولى بن عبدالله الدمياطي الحنفي، تلميذ الإمام السيد أحمد الطحطاوي، سماها: «تعاليق الأنوار على الدر المختار»، ونقل عنها الإمام اللكنوي في كتابه عمدة الرعاية[١]، وفي سِبَاحة الفِكر في الجهر بالذكر[٢]، وأيضاً في الفوائد البهية[٣]، ووصفها اللكنوي[٤] بأنها حاشية نفيسة.

وقال: «قد طالعتها، وأولُها: الحمد لله رب العالمين مربّي الخلائق بإنعامه المبين الخ، وذكر في الديباجة أنه شرع فيها ليلة الأربعاء لخمسٍ وعشرين مضت من ذي الحجة سنة ١٢٣٢، وذكر في الآخر أنه فرغ منها يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة سنة ١٢٣٨، ولم أطلع على تاريخ ولادته ووفاته»[٥]اهـ.

١٦- حاشية ردّ المحتار للإمام الشهير عمدة المتأخرين ابن عابدين محمد أمين بن عمر عابدين الحسيني، المولود سنة (١١٩٨)، والمتوفى سنة (١٢٥٢) رحمه الله تعالى[٦].

وهي الحاشية المشهورة المتداولة عند المتأخرين من الحنفية، وعليها مدار الفتوى، وقد قال ابن عابدين في أول مقدِّمتها، بعد أن أثنى على (الدر المختار)، فوصف عَمَلَه

---

(١) ص ١٧ -١٨.

(٢) ص ٢٥.

(٣) ص ١٣.

(٤) التعليقات السنية على الفوائد البهية ص ١٣.

(٥) وينظر إيضاح المكنون ١ /٢٩٤.

(٦) له ترجمة مطوَّلة كتبها ابنه العلامة الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين بن عابدين، في مقدمة ما أتمَّ به من حاشية والده التي سماها: قُرَّة عيون الأخيار لتكملة رد المحتار ٧ /٧ طبعة البابي الحلبي.



في الحاشية، وبيَّن فضله ومزيّته، وصاحبُ الدار أدرى بما فيها، فقال:

«وقد كنتُ صَرَفْتُ في معاناته بُرهةً من الدهر، وبذلتُ له مع المشقة شُقَّة من جديد العمر، واقتنصتُ بشبكة الأفهام أجَلَّ شوارده، وقيَّدتُ بأوتار الأقلام جُلَّ أوابده، وصِرْتُ في الليل والنهار سميرَه، حتى أسرَّ إليَّ سِرَّه وضميرَه، وأطلعني على حُوره المقصورات في الخيام، وكَشَفَ لي عن وجوه مُخَدَّراته اللِّثام، فطَفِقتُ أُوَشِّي حواشي صفائح صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض الصحيفة.

ثم أردتُ جمعَ تلك الفوائد، وبَسْطَ سِمْط هاتيك الموائد، من متفرّقات الحواشي والرِّقاع، خوفاً عليها من الضياع، ضامّاً إلى ذلك ما حرَّره العلامة الحلبي، والعلامة الطحطاوي وغيرهما من محشِّي هذا الكتاب....

وبذلتُ الجهد في بيان ما هو الأقوى، وما عليه الفتوى، وبيان الراجح من المرجوح، مما أُطلق في الفتاوي أو الشروح....

فدونك حواشي هي الفريدة في بابها، الفائقةُ على أترابها، المُسْفِرة عن نِقابها، لطلابها وخُطَّابها، قد أرشدَتْ مَن احتار من الطلاب، إلى فهم معاني هذا الكتاب، فلهذا سمّيتها: «ردّ المحتار على الدر المختار»اهـ.

وقد طُبعت هذه الحاشية عدة طبعات، وأصحها وأكثرها تداولاً طبعة بولاق الأولى بمصر، سنة ١٢٧٢، في خمس مجلدات كبار ضخام، ثم صورت عدة مرات[١].

وهناك طبعات أخرى للكتاب منها طبعة متداولة أيضاً، وهي طبعة مصطفى البابي

(١) وقد خُدمت هذه الطبعة بفهرس أبجدي لموضوعات الحاشية، قام به وزير الأوقاف الأسبق بدمشق المحامي القاضي الشيخ أحمد مهدي الخضر، وطبع في دمشق عام ١٣٨٣، في مجلد في ٣١٦ صفحة. وفي عام ١٤٠٠ طبعت وزارة الأوقاف الكويتية فهرساً تحليلياً أبجدياً، أوسع بكثير من السابق وأيسر في البحث، جاء في ٤٨٠ صفحة.



الحلبي بالقاهرة، كانت الطبعة الثانية منها سنة ١٣٨٦، وهي دون البولاقية في الصحة، وتقع في ست مجلدات.

وصدر أخيراً عام ١٤٢١ ما يعادل ربع الحاشية في طبعة جديدة محققة، فيها عناية واضحة، وجهد كبير مشكور، جاء في سبع مجلدات كبار إلى آخر كتاب الحج، وذلك بعناية د. حسام الدين فرفور، ومجموعة من الطلاب، وجعلوا معها تقريرات الرافعي، وفهارس عديدة، طبع دار الثقافة والتراث بدمشق، يسَّر الله لهم إتمام هذا العمل بهذه الصورة المشرقة.

١٧- قرة عيون الأخيار تكملة رد المحتار:

وهي حاشية على أبواب معينة من الدر المختار، جاءت تكملة لحاشية ابن عابدين، كتبها نَجْل ابن عابدين العلامة الفقيه الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين بن عمر بن عابدين، المولود سنة (١٢٤٤)، والمتوفى سنة (١٣٠٦) رحمه الله تعالى[١].

وقد طبعت هذه التكملة عدة طبعات، منها طبعة في مجلد واحد كبير، أُلحق بطبعة بولاق لحاشية ابن عابدين، وجعلت في المجلد السادس منها، كما ألحقت هذه التكملة بطبعة مصطفى البابي الحلبي في مجلدين، وجعلا في الأخير، أي المجلد السابع والثامن من هذه الطبعة.

وأُبيِّن فيما يلي عمل نجل الإمام ابن عابدين في تكملته هذه: قرة عيون الأخيار، وما هو الشيء الذي أكمله؟ مع بيان موضعه في المطبوع من الحاشية.

كان الإمام ابن عابدين رحمه الله قد بيَّض من حاشيته (رد المحتار) من الأول إلى أواخر كتاب القضاء، أي إلى ٤/ ٣٦٢ من طبعة بولاق، و ٥/ ٤٤٨ من طبعة البابي الحلبي، إلى قول صاحب الدر: «وقد حرَّر محشِّي الأشباه المنعَ، قياساً...».

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٦/ ٢٧٠.



ولم يبيِّض ابن عابدين من هذا الموضع إلى آخر كتاب الهبة.

ثم بيّض من كتاب الإجارة بعد الهبة، أي بداية الجزء الخامس من طبعة بولاق، وأول السادس من طبعة البابي الحلبي، إلى آخر الكتاب.

وعلى هذا تكون القطعة التي لم يبيِّضها ابن عابدين، هي من المجلد الرابع صفحة (٣٦٢) إلى آخره صفحة (٥٢٣) من طبعة بولاق، ويقابلها من طبعة البابي الحلبي من المجلد الخامس صفحة (٤٤٨) إلى آخره صفحة (٧٧١).

وهكذا لما أُريد طَبْعُ حاشية ابن عابدين، قام ابنُه العلامة الشيخ محمد علاء الدين فجرَّد من نسخة والده المسوَّدة ما كتبه والده من تعليقات وتحريرات واعتراضات على القسم الذي لم يبيّضه، وطُبع مع ما بُيِّض على حاله كما هو، بدون زيادة أو نقصان.

وعلى هذا صارت الحاشية (رد المحتار) المطبوعة بأجزائها الخمسة من طبعة بولاق، والأجزاء الستة من طبعة البابي الحلبي، كلها من تبييض ابن عابدين نفسه، ما عدا القسم غير المبيّض، الذي تمَّ بيانه آنفاً.

وهو يشمل من أواخر كتاب القضاء، ثم كتاب الشهادات، والوكالة والدعوى والإقرار والصلح والمضاربة والإيداع والعارية والهبة إلى آخرها.

ثم يأتي كتاب الإجارة إلى الأخير، وهو مما بيَّضه ابن عابدين[1].

أما تكملة حاشية ابن عابدين لابنه الشيخ محمد علاء الدين، وهي قرة عيون الأخيار، فهي شرحٌ جديد مستقل لهذه القطعة التي لم يبيِّضها والدُه من الحاشية، مع التنبيه إلى أنه ضمَّن في تكملته هذه، ما وَجَدَه في مسوَّدة الحاشية من نسخة والده.

---

(١) ينظر للمعلومات السابقة عن التكملة: حاشية ابن عابدين ٤ /٣٦٢ (بولاق)، و٥ /٤٤٩ (البابي الحلبي)، وكذلك مقدمة: قرة عيون الأخيار.



١٨- تقريرات مفتي الديار المصرية العلامة الشيخ عبدالقادر بن مصطفى الرافعي [١]، على حاشية ابن عابدين، سمّاها: التحرير المختار على رد المحتار.

وكانت ولادة الرافعي في سنة (١٢٤٨)، وتوفي سنة (١٣٢٣)، رحمه الله تعالى.

وهذه التقريرات إنما هي تحريرات واستدراكات مهمة جداً على حاشية ابن عابدين، كَتَبَها مؤلّفُها[٢] بعد أن قرأ حاشية ابن عابدين (رد المحتار) عدة مرات، ووقف في كل مرة منها على غوامضها وأسرارها، وكشف عنها حُجُبَ الخفاء حتى أضاءت لديه بأنوارها، فعلّق عليها تقريراته هذه، بعد أن أنفق فيها شطر عمره: بين مراجعةٍ وتنقيبٍ وإيضاح وتقريب ونظر وتحريرٍ وبحثٍ وتقرير.

وقد جرَّد هذه التقريرات من نسخة المؤلف ولدُه وتلميذه محمد رشيد الرافعي بعد استئذانه، وقابل ذلك مع والده المؤلف بعد تجريده لها، ولم يزل يتعهّدها مؤلّفُها بالنظر والتنقيح، حتى كان آخر عهده بها في اليوم الآخر من شهر شعبان سنة ١٣٢٣، أي قبل وفاته ببضعة أيام، وقد فرَغ يومئذ من النظر فيها.

وقد استفاد الرافعي في تقريراته هذه من طوالع الأنوار للشيخ محمد عابد السندي كثيراً جداً، فما تخلو غالباً صفحة من صفحات هذه التقريرات إلا وفيها نقل أو نقول عن الشيخ محمد عابد، يختمها بقوله: (اهـ سندي).

وقد طبعت هذه التقريرات في مجلد مستقل بجزأين، في المطبعة الأميرية الكبرى بمصر سنة ١٣٢٤، ثم صوّرت عدة مرات، وألحقت بمجلد مستقل مع حاشية ابن عابدين طبعة بولاق، وأخيراً طبعت في باكستان، موزّعة هذه التقريرات على محالّها من حاشية ابن عابدين،

(١) له ترجمة في الأعلام ٤ /٤٦، ولولده محمد رشيد الرافعي ترجمة خاصة لوالده مطبوعة، ومنها نسخة في مكتبة الشيخ عبدالقادر الشلبي في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

(٢) كما ذكر في مقدمة تقريراته.



معتمدين طبعة مصطفى البابي الحلبي، وبذا يسّروا الوقوف على هذه التقريرات بأدنى نظوة.

١٩- تعليقات على حاشية ابن عابدين على الدر المختار:

كتبها العلامة الشيخ عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي اليساري الفاروقي، وهو مفتي الحنفية بطرابلس الشام، ومن قضاة مدينة تعز ثم صنعاء باليمن، ثم انقطع للعبادة في مكة المكرمة، وتوفي فيها سنة (١٣٠٧)، وقيل: (١٣٠١)، رحمه الله تعالى [١].

٢٠- حاشية على رد المحتار لابن عابدين، كتبها العلامة الفقيه الشيخ عبدالحكيم الأفغاني، نزيل دمشق، المتوفى بها سنة (١٣٢٧)[٢]، صاحب: كشف الحقائق شرح كَنز الدقائق.

٢١- وللعلامة الشيخ عبدالحكيم الأفغاني هذا حاشية أيضاً على المتن، وهو الدر المختار للحصكفي.

٢٢- حاشية على الدر المختار للشيخ السيد محمد ياسين ابن العلامة الشيخ عبدالله مِيْرْغَني، واشتهر والده بالمحجوب، الحسني المكي الحنفي.

ولد بمكة المكرمة، وكان عالماً فقيهاً ورعاً زاهداً، ومن مشايخه: الشيخ مصطفى الرحمتي، والشيخ محمد طاهر سنبل.

وكان من المدرِّسين بالمسجد الحرام، وعُرِض عليه منصب إفتاء الحنفية بمكة، فلم يَقْبَلْه لشدة ورعه، وكانت وفاته سنة (١٢٥٥)، وقيل: (١٢٥١)، وعُمُره قد ناهز السبعين، رحمه الله تعالى[٣].

---

(١) كما في الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢، إيضاح المكنون ١/ ٢٨٢، هدية العارفين ١/ ٥٩٥.

(٢) كما ذكر الفاسي في معجم الشيوخ ٢/ ٦٦، وقد ترجم له في هذا الموضع، وينظر الأعلام للزركلي ٣/ ٢٨٣، العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج ص ٢٠٠.

(٣) له ترجمة في مختصر نشر النور والزهر ص ٤٩٢.

وقد وقفتُ على نقلٍ عن هذه الحاشية في رسالةٍ مطبوعة من جمع الشيخ سليمان الخالدي النقشبندي المكي، في فتاوى علماء الحرمين وعلماء السلطنة العثمانية، في مسألة اشتراط كون ابتداء الطواف من الحجر الأسود ص ٢٥، وهي من محفوظات مكتبة الشيخ عبدالقادر الشلبي، برقم (٢٠٦٧) في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

٢٣- شرح على الدر المختار للعلامة الشيخ عبد القادر الخلاصي، فقد ذكر نجل الإمام ابن عابدين العلامة الفقيه الشيخ محمد علاء الدين في أول تكملة رد المحتار: قرة عيون الأخيار [١]، وهو يعدّد تلاميذ والده، فذكر منهم: «العلامة الفاضل الشيخ عبدالقادر الخلاصي شارح الدر المختار، والألفية لابن مالك وغيرهما» اهـ.

ولم أقف له على ترجمة، لكن وقفتُ له على رسالة في (٣٣) ورقة، في مخطوطات مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، برقم (٦٦ / ٩٠٠) ترجم فيها لبعض العلماء والمشايخ، ومنهم شيخه ابن عابدين، لوحة (٢١)، وذكر أنه حجَّ معه سنة (١٢٣٣)، وكان في خدمته [٢].

٢٤ - سراج الأنوار على الدر المختار، شرحٌ متوسطٌ كَتَبه العلامة الشيخ محمد علاء الدين نجل ابن عابدين صاحب رد المحتار، المتوفى سنة (١٣٠٦) رحمه الله تعالى، وقد جاء في مقدمته: أنه التقطه من حاشية الطحطاوي، وتحفة الأخيار للحلبي، ورد المحتار، وطوالع الأنوار للسندي.

وهو في جزأين، الأول منهما في (٣٥٠) ورقة، وجاء في آخره: يتلوه الجزء الثاني، أوله كتاب النكاح، وهو بخط العلامة الشيخ محمد عبد الحق الإله آبادي (ت ١٣٣٣) [٣].

---

(١) ص ١٣ طبعة البابي الحلبي.

(٢) وقد ترجم في هذه الرسالة أيضاً للعلامة الشيخ عبد الغني الميداني تلميذ ابن عابدين، وصاحب «اللباب شرح الكتاب».

(٣) له ترجمة في مختصر نشر النَّوْر والزهر ص٢٣٣، الأعلام ٦ / ١٨٦.



وقد نقلت هذه المعلومات عن الفهرس القديم لمكتبة الحرم المكي، المطبوع سنة ١٣٩٢، ص ٨١، لكن فوجئت حين لم أر لهذا الكتاب ذكراً في الفهرس الجديد الذي صنع سنة ١٤١٥، وهو في عداد الكتب المفقودة من مخطوطات المكتبة؟!.

٢٥– طوالع الأنوار على الدر المختار، للإمام الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري، المتوفى سنة (١٢٥٧) رحمه الله تعالى.

وقبل الكلام عن هذا الشرح والوقوف عنده لبيان مخطوطاته، ومزايا الكتاب وخصائصه، أذكر تنبيهاً فيه تصحيحٌ لنسبة عملٍ للدر المختار، والواقع أنه عمل على الدرر والغرر، لمنلا خسرو.

تنبيه: فيه تصحيحٌ لنسبةِ عملٍ للدر المختار:

جاء في كتاب: تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي[١]، نقلاً عن الإمام العلامة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري[٢]، المتوفى سنة (١٣٥٢)، رحمه الله تعالى، وهو يتكلم عن خلاف العلماء في مسألة: الاقتداء في الصلاة بالمخالف في الفروع قال:

«... والقول الثالث فيه لنوح أفندي، وهو فاضلٌ ذكي متيقّظ، بعد الشيخ ابن الهُمَام، وله حاشيةٌ مبسوطة على الدر المختار، أودع فيها مباحث لطيفة، يُعلم منها أنه رجلٌ محقِّق». اهـ.

قلت: النص كما هو في فيض الباري، لكن الصواب – والله أعلم – أن العلامة نوحاً، له حاشية على الدرر والغرر، وليس على الدر المختار، وبيان ذلك فيما يلي:

(١) ص ٧١.
(٢) فيض الباري ١ /٣٥٢.



فالعلامة نوح أفندي هو نوح بن مصطفى القُونوي الرومي، الإمامُ الفقيه العلامة المفتي الحنفي، اشتهر في علومٍ عديدة، لاسيما التفسير والفقه والأصول والعقائد، وقد وُلد في بلاده قونية في تركيا، ثم رحل إلى مصر، واتخذها داراً له.

وله عدة مصنفات، منها حاشية على الدرر والغرر، لمنلاخسرو، سمّاها: نتائج النظر في حواشي الدرر والغرر، وقد توفي رحمه الله سنة (١٠٧٠) [١].

أما كتاب الدُّرَر والغُرر، فأصله أن العلامة منلاخسْرو (محمد بن فَرامُرْز)، المتوفى سنة (٨٨٥)، رحمه الله تعالى، ألَّف كتاباً في فروع الحنفية سماه: (غُرَر الأحكام)، وهو متن متين، ثم شرحه في كتابٍ سماه: (دُرَر الحُكَّام في شرح غُرر الأحكام)[٢].

وهو مطبوعٌ متداوَل، وعليه حواشٍ عدة، منها حاشية العلامة نوح السابقة الذكر.

وهذا الكتاب يختصرون اسمه أحياناً، فيقولون: الدرر والغرر، لمنلاخسْرو، وأحياناً يسمونه: الدرر.

وغالب ظني أنه تصحَّف اسم هذا الكتاب على الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، أو على جامع «فيض الباري» وهو العلامة الشيخ محمد بدر عالم، وذلك حين ذُكر أن للعلامة نوح (حاشية على الدرر)، فتصحَّفت العبارة إلى: (حاشية على الدر)، وظُنَّ أنها حاشية على الدر المختار، وكان ما سبق بيانه.

وإلا فليس للعلامة نوح حاشية على الدر المختار، إذ إن الحصكفي انتهى من تأليف الدر المختار سنة (١٠٧١)، ووفاة العلامة نوح سنة (١٠٧٠) [٣].

---

(١) له ترجمة في خلاصة الأثر ٤ /٤٥٨، هدية العارفين ٢ /٤٩٨، الأعلام ٨ /٥١.
(٢) ينظر كشف الظنون ٢ /١١٩٩.
(٣) وقد بيّنت هذا كله تصحيحاً لما جرى، ولئلا تضاف حاشية نوح على أعمال الدر المختار.



النسخ الخطية لكتاب طوالع الأنوار:

١- توجد نسخة كاملة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، وَقَفَها عليها العلامة الفقيه الشيخ عبدالقادر بن مصطفى الرافعي، صاحب التقريرات على حاشية ابن عابدين، المتوفى سنة (١٣٢٣)، وتاريخ الوقفية سنة (١٣١٤).

وهذه النسخة خطّها جميل واضح، بلغ عدد لوحاتها عشرة آلاف لوحة تقريباً، وبالتحديد (٩٥٢٢) لوحة، موزّعة على ستة عشر جزءاً، وتاريخ نسخها من عام (١٢٩٣) إلى عام (١٢٩٦).

وقد قام بنسخها أربعة نُسَّاخ:

الأول: علي بن علي بن حسن الشرقاوي الحلواني، حيث نسخ منها تسعة أجزاء، وهي: (١-٣-٤-٦-٧-٩-١٠-١٣-١٦).

الثاني: مصطفى أبو سُنَّة، حيث نسخ منها خمسة أجزاء هي: (٢-٥-٨-١٤-١٥).

والثالث: يوسف زيادة البغدادي، حيث نسخ منها الجزء (١٢).

والرابع: عبده يوسف زيادة، حيث نسخ منها الجزء (١١)، ويظهر أنه ابن الناسخ السابق الذكر.

وفيما يلي قائمة تبين عدد أوراق كل جزء منها، واسم ناسخه، وتاريخ النسخ:

رقم الجزء	عدد الأوراق	اسم الناسخ	التاريخ
الأول	٧٦١	علي الشرقاوي	١٢٩٣
الثاني	٦٩٧	مصطفى أبو سنة	١٢٩٣
الثالث	٣٤١	علي الشرقاوي	١٢٩٣
الرابع	٤٨٨	علي الشرقاوي	١٢٩٤
الخامس	٤٤٧	مصطفى أبو سنة	١٢٩٤



رقم الجزء	عدد الأوراق	اسم الناسخ	التاريخ
السادس	٥١٦	علي الشرقاوي	١٢٩٣
السابع	٧٧٠	علي الشرقاوي	١٢٩٤
الثامن	٤٦٩	مصطفى أبو سنة	١٢٩٣
التاسع	٥١٧	علي الشرقاوي	١٢٩٦
العاشر	٦٣٨	علي الشرقاوي	١٢٩٥
الحادي عشر	٥٨٢	عبده يوسف زيادة	١٢٩٢
الثاني عشر	٧٠٣	يوسف زيادة البغدادي	—
الثالث عشر	٧١٧	علي الشرقاوي	١٢٩٥
الرابع عشر	٧٩٤	مصطفى أبو سنة	١٢٩٥
الخامس عشر	٥٦٢	مصطفى أبو سنة	١٢٩٤
السادس عشر	٥١٠	علي الشرقاوي	١٢٩٣

وتوجد صورة كاملة (ميكروفيلم) لهذه النسخة الأزهرية بمكتبة مركز البحث العلمي، بجامعة أم القرى، تحت الأرقام التالية: (١١٦) إلى (١٣١) فقه حنفي، مرتبة من الأول إلى السادس عشر.

كما توجد صورة على الميكروفيلم للأجزاء الأربعة الأولى من هذه النسخة نفسها، في مخطوطات مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت الأرقام التالية:

ج١ برقم (٩٥٧٩)، ج٢ (٩٥٩٣)، ج٣ (٩٥٧٩)، ج٤ (٩٤٩٦).

٢- وتوجد نسخة كاملة أخرى من طوالع الأنوار في مكتبة قصر (طوب قابي سراي) بتركيا، وتقع في ثماني مجلدات كبار، وأرقامها كما جاء في فهرس مخطوطات هذه المكتبة[١] تبدأ من (٤١٦١) إلى (٤١٦٨)، ويبدأ الأول منها بكتاب الطهارة، والأخير بكتاب إحياء المَوَات إلى آخر الكتاب، وتقع هذه النسخة في (٣٣٦٠) ورقة، وفي كل صفحة (٣٧) سطراً مرصوصاً.

(١) ٢ / ٥٩٠.



٣- ورأيت في مكتبة مكة المكرمة (مكتبة مولد النبي ﷺ) جزأين من نسخة خطية أصلية ثالثة من طوالع الأنوار، كانت في حوزة مفتي مكة المكرمة العلامة الشيخ عبدالله سراج، وكَتَبَ على ظهرها ترجمة مختصرة لمؤلفها الشيخ محمد عابد السندي.

وهذان الجُزآن يمثّلان أول الكتاب، فالأول منهما يبدأ بكتاب الطهارة مباشرة بدون مقدمة للمؤلف، وبدون مقدمة للدر المختار، بل يبدأ الشرح مباشرة من كتاب الطهارة، كما هو الحال في النسخة الأزهرية، ونسخة طوب قابي سراي.

وهذا الجزء الأول يقع في (٤٨٤) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٣) سطراً، ورقمه في المكتبة (٥) فقه حنفي.

أما الجزء الثاني فعدد لوحاته (٤٨٧) لوحة، وفي كل صفحة من لوحاته (٢٣) سطراً، ورقمه في المكتبة (١٠٨) فقه حنفي، وينتهي بالكلام عن الصلاة في الكعبة.

ولم يُذكر تاريخ نسخ الجزأين.

٤- ويوجد جزء من نسخةٍ خطية أصلية رابعة للكتاب، موقوفٌ بالمدينة المنورة، ونصُّ وقفيته كما جاء على غلافه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، أما بعد: فقد وقف وحبّس وسبّل حضرةُ العلامة الفاضل، والإمام الكامل الشيخ أحمد سليمان باشا: «شرح طوالع الأنوار بشرح الدر المختار» على مَن يَنتفع به من ذريته وأهل العلم، القاطنين بالمسجد الكبير، الكائن بحارة المغاربة بجوار المِنْشِيّة، إنشاءَ جَدِّه المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالرحيم.

وذرّيتُه مقدّمون، وجَعَلَ مَقَرَّه خِزانة كتب المسجد المذكور، وإذا تعذّر الانتفاع

بالاندراس ـ معاذ الله ـ فيكون مقرّه إلى المسجد النبوي، ينتفع به أهل العلم.

وجعل النَظَر عليه لمن يكون ناظراً على مسجد جَدِّه، وإذا آل إلى المسجد النبوي، يكون النظر للمتوكل عليه إذ ذاك، فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم » اهـ نص الوقفية.

وقد آل هذا الجزء إلى مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (٣٠٥)، وعنه صورة على الميكروفيلم برقم (٤٢٠٦).

وهذا الجزء هو التاسع من هذه النسخة، ويقع في (٥١٥) لوحة بخط نسخي واضح، وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٩، على يد كاتبه الفقير معوَّض سلامة المالكي مذهباً، الخلوتي طريقة، الطهطاوي بلداً، وهي نسخة مقابلة على نسخة المؤلف.

ويبدأ من الشركة، وينتهي بآخر الوقف، وكُتِبَ في آخره: يتلوه كتاب البيع، وهو بداية الجزء الثاني من الدر المختار.

وكَتَب الناسخ في آخر هذا الجزء: « وكان الفراغ من تسويد المؤلف له في آخر ربيع الثاني سنة ١٢٤٧هـ في المدينة المشرفة المحمدية على مشرِّفها أفضل الصلاة وأكمل التحية ». اهـ

٥- وتوجد نسخة خامسة من طوالع الأنوار في هولندا (ليدن)، برقم (٥٩٦)، كما أفاد بهذا بروكلمان في الملحق[١]، وكذلك الدكتور عاصم حمدان علي حمدان في كتابه: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ[٢].

وهذه النسخة كانت في المدينة المنورة ضمن مجموعة كبيرة جداً من المخطوطات،

---

(١) ٢/ ٤٢٨

(٢) ص ٦٢، وينظر ص ٥٥.



يبلغ عددها (٦٠٠) مخطوط، وقيل أكثر، في مكتبة السيد أمين بن حسن الحلواني المدني، المتوفى سنة (١٣١٦) رحمه الله تعالى[١].

وقد آلت هذه المجموعة إلى هولندا سنة ١٣٠١ حيث ابتاعتها منه مكتبة (ليدن) بهولندا، الغنية بنفائس المخطوطات العربية، ثم تفرّقت هذه المخطوطات شَذَر مَذَر، بين هولندا (ليدن)، وألمانيا (برلين)، وأمريكا (برنستون)، كما تفيد بذلك الفهارس.

٦- وذكر الشيخ غلام مصطفى القاسمي في مجلة يصدرها باللغة السندية اسمها: (الرحيم)، أن الشيخ محمد عابد السندي أهدى نسخةً من كتابه: طوالع الأنوار لشيخه الشيخ محمد زمان السندي، في بلدة لواري من مضافات حيدر آباد، ولم يذكر شيئاً عن وجودها[٢].

تاريخ انتهاء الشيخ محمد عابد من تأليف كتابه طوالع الأنوار:

قال الشيخ محمد عابد في نهاية الجزء الثاني من نسخة الأزهرية: «وقد تفضّل الله تعالى علي بتمامه في سادس عشر شوال سنة ١٢٤٤ بالمدينة المشرفة.

وقد كنتُ حرَّرتُ شرحَ كتاب الصوم والزكاة سنة ١٢٣٦ أيضاً بالمدينة المنورة، وكتبتُ من أول الحج إلى بعض الجنايات في جُدَّة سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٣، وأسأل الله تعالى أن يُعينني في إكمال كتاب الحج بغاية التوضيح والتنبيه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم». اهـ.

وقال في نهاية الجزء الرابع، وبه ينتهي شرح آخر كتاب الحج:

«وَقَعَ الفراغُ من شرح كتاب الحج في المدينة المشرفة في ٢٤ صفر سنة ١٢٤٥». اهـ.

---

(١) له ترجمة في الأعلام ٢ / ١٥، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ص ٤٨.

(٢) أفادني بهذا الأخ الكريم الفاضل الدكتور الشيخ سيد محمد عبدالكريم عبدالغفور السندي، الباحث بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

وقال في نهاية الجزء الذي وجدته من النسخة الموقوفة على المسجد الكبير في حارة المغاربة بالمدينة المنورة، والذي يبدأ بكتاب الشركة، وينتهي بآخر كتاب الوقف قال:

«انتهى مؤلفه من هذا الجزء في آخر ربيع الثاني سنة ١٢٤٧ في المدينة المنورة». اهـ.

وقال في نهاية جزء (١٦) وهو آخر كتاب طوالع الأنوار:

«أقول: وأنا المفتقر إلى رحمة ربه العزيز الغفَّار محمد عابد ابن الشيخ أحمد علي بن محمد مراد بن يعقوب بن محمود الأنصاري الخزرجي الأيوبي نسباً، السندي مولداً، المدني توطناً:

قد تفضَّل الله تعالى بإتمام هذا الشرح على الدر المختار، في بلدة مَنْبَع الأنوار، وسيد الأخيار، ومدينة المختار صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد كنت ابتدأت أيضاً فيها، إلا أني أولَ ما شرعتُ في تحرير كتاب الزكاة، وكتاب الصوم وكتاب النكاح والطلاق والعتاق والأيمان، وكتاب البيوع والكفالة، وبعضٍ من كتاب القضاء، اقتصرتُ في ذلك التحرير على القول الموضّح بلا تطويل، لما عدا ما في الشرح.

ثم قدَّر الله لي الارتحال إلى الجهات اليمنية، فأقمت فيها سنين، وكتبتُ في كتاب الشهادات والوكالة كتابة مختصرة جداً.

ثم لم تساعِدْني المقادير الربانية على تحرير ما زاد على ذلك، حتى تفضَّل الله تعالى عليَّ بالرجوع إلى المدينة الشريفة، والبلدة المُنيفة في سنة ألف ومائتين وثلاثة وأربعين، وطلب بعضُ أفاضل ذلك الوقت القراءة فيه، فلم يسَعْني إلا أن أشرع في تكميل شرحي هذا، من أوله حتى انتهيت الكتابة إلى آخر كتاب الصلاة.

ثم شرعت في تكميله من كتاب الحج إلى كتاب النكاح، ثم شرعتُ في تتميمه من آخر كتاب الأيمان إلى آخر الشرح، بإيراد أبحاثٍ وفروعٍ مستزادة على ما في الشرح.

فالحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، وأسأل الله تعالى أن يجعله مقبولاً

في حضرته وفي خلقه، وينتفعَ به الخاص والعام في كافة الأقطار، ويجعله مكفِّراً للأوزار بفضله وكرمه، إنه رحيم كريم وهَّاب.

وكان اختتامه في يوم الثلاثاء في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٥١، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» اهـ.

وعلى هذا يكون تاريخ تأليفه للكتاب، بهذه الصورة الموسّعة، من زمن بدء الدرس به، وهو سنة ١٢٤٣ بالمدينة المنورة إلى سنة ١٢٥١ حين أتمّه.

ويظهر من النصوص السابقة منهجُ الشيخ محمد عابد في هذا الشرح، فقد كان في بداية الأمر ينحو منحى الاختصار، وتحرير القول الموضِّح لنص الدر المختار فقط بلا تطويل، ثم لما طُلب منه في المدينة المنورة بعد أن استقرَّ فيها أن يقرأ للطلبة فيه، أعاد النظر فيما شرحه من الكتاب سابقاً، وغيَّر منهجه، فأطال في الشرح وتوسع، وأورد أبحاثاً وفروعاً مستزادة على ما سبق، وكان ما كان من هذا الخير الكبير، والفتح العظيم في التوفيق لإتمام الكتاب على هذه الصورة الحالية.

وأنبه هنا أنني لم أقف على مقدمةٍ لهذا الكتاب، فقد خَلَت النسخة الأزهرية من مقدمة، وكذلك نسخة مكتبة مكة المكرمة (المولد) لنرى فيها ما يكتبه المؤلفون عادة في مقدمة كتبهم، من بيانهم لعملهم ومنهجهم في الكتاب، إلا إذا اعتبرنا ما ذكره الشيخ محمد عابد في آخر الكتاب ـ مما تقدم نقله ـ هو بمثابة مقدمة، وبيانٍ لمنهجه.

كما خَلت النسختان من شرحٍ لمقدمة الدر المختار، المتضمنة لمقدمة الحصكفي، وفيها كلام عن رسم المفتي ونحو هذا.

فلا أدري هل بدأ الشيخ محمد عابد مباشرة بشرح كتاب الطهارة، دون البدء بشرح مقدمة الدر المختار، وبدون مقدمةٍ منه لشرحه؟ أم أننا سنجد ذلك في النُسَخ الأخرى للكتاب، والتي



لم يتيسرَ الوقوف عليها بعد؟ وإن كنتُ أستبعد الاحتمال الأخير، حيث إن النسخة التركية أيضاً، تبدأ بكتاب الطهارة، كما ذكر مفهرسو مكتبة (طوب قابي سراي)، والله أعلم بالحال.

مزايا كتاب طوالع الأنوار شرح الدر المختار:

يمتاز كتاب طوالع الأنوار بمزايا عظيمة، انفرد في كثير منها، وقد لا توجد مجتمعة في غيره، وأسجل هنا ما لاحظته منها من خلال مطالعاتي فيه، وهي كما يلي:

١- التدليل الواسع لغالب المسائل الفقهية الواردة في كتاب الدر المختار، فهو من أعظم كتب أدلة فقه الحنفية، إذ كان للشيخ محمد عابد اهتمام بالغ في تتبع أدلة المسائل والبحث عنها.

٢- اهتمام مؤلِّفه - لاطلاعه الواسع في الحديث - بإيراد روايات عديدة لكثير من الأدلة، مع الجمع بينها، وإزالة التعارض الظاهر بينها إن كان هناك تعارض.

٣- اعتناء مؤلفه بتخريج الأدلة التي يذكرها في الغالب، مع اهتمامه ببيان درجتها وحكمها، ولكن ليس بشكل مطرد.

٤- ذكره لفوائد حديثية نادرة منثورة في ثنايا الكتاب، قد لا تجدها عند غيره، أو تجدها لكن في مصادر عزيزة.

٥- كتاب طوالع الأنوار هو شرح كامل لنص الدر المختار، وليس بحاشية أو تعليقات على مواضع معينة دون أخرى، كما هو حال حاشية الطحطاوي وابن عابدين.

٦- اطلاع مؤلفه، ووقوفه على غالب ما كُتِب من أعمالٍ علمية على الدر المختار، ونَقْله عنها، وتضمينه المجمَل لفوائدها وتحقيقاتها.

٧- التوسع والبسط الكبير في شرح النص الفقهي، مع التحقيق فيه، وإيراده لزياداتٍ



وتفريعات وأبحاثٍ كثيرة، لم يذكرها غيره من شُرَّاح الدر المختار، ولذا قال صاحب اليانع الجني عن هذا الكتاب: «وهو حافلٌ جداً، استوفى فيه غالبَ فروع مذهب أصحابه، واستوعب مسائل الواقعات والفتاوى، بحيث إنه لو قيل: لم يَفُتْه منها إلا النَّزْر اليسير، لم يبعد ذلك كلَّ البُعْد». اهـ.

٨- إيراده لتحقيقات لغوية وصرفية وأصولية مفيدة للغاية في بيان الأدلة والاستنباط منها، ممالا تجده عند غيره من شراح الدر المختار.

٩- تحقيقه الفقهي الواسع لخلاف فقهاء المذاهب الأربعة في مسائل كثيرة من الكتاب.

١٠- نقوله النادرة عن رسائلَ مؤلَّفةٍ في مسائل خاصة، لمؤلِّفين من علماء الهند والسند وغيرهم، غير مشهورة، فيها تحقيقات نادرة، لا تجدها في غير هذا الشرح.

١١- ثراء هذا الشرح بالمصادر الكثيرة، والتقاط المؤلف الفوائد الغزيرة النادرة منها، إذ كان زمن تأليف الكتاب في أواخر عمره، وقد تحصّلت عنده مكتبة عظيمة نادرة، ضَمَّت من الكتب والرسائل العجب العجاب، وإن تتبُّعَ هذه المصادر ودراستها، يحتاج لجهد خاص كبير، لا تسعه هذه العجالة.

١٢- ذِكره للمفتى به المعتَمَدِ المصحَّحِ في المذهب وتحقيقه لذلك.

١٣- استدراكه على مَن سبقه من شُرَّاح الكتاب(١)، وهذا وإن كان طبيعياً عند العالم المحقق المتأخِّر زمنياً عن غيره، لكن يبقى مزية تُذكر له.

١٤- إن التوسُّع الكبير المشهود للمؤلِّف في كثيرٍ من المسائل الفقهية في هذا الشرح، يجعل من الممكن أن تُفرَد كثيرٌ من الأبحاث والإطالات في رسائل مستقلة خاصةٍ بتلك المسائل، حتى لقد بلغ طول إحدى المسائل (٤٠) لوحة من المخطوط.

(١) ينظر كمثال طوالع الأنوار ١/ ٦٨٥، وتقريرات الرافعي في مواضع كثيرة.



١٥- ومن مزاياه أيضاً، أنه من آخر مؤلفات الشيخ محمد عابد، وذلك بعد أن استقر في المدينة المنورة، وقد بلغ من النُّضْج العلمي الدرجة القصوى في فنون كثيرة، وبالأخص في فن الحديث والفقه.

١٦- ومما زاد هذا الشرح أهمية فوق أهميته، وميزة وقوة وتحريراً وتحقيقاً وتدقيقاً، أن مؤلفه قد قام بتدريسه وشرحه للطلاب في درس القراءة خلال ثماني سنين، وهو يشرحه الشرح الأخير الموسَّع، من سنة ١٢٤٣ إلى سنة ١٢٥١ بالمدينة المنورة، وكان قد شرح الدر المختار من قبل لكن بشكل مختصر، كما تقدم.

١٧- امتازت عبارة الكتاب بكونها سهلةً غير صعبة، ولا مغلقة، وذلك مما ييسِّر التعامل مع الكتاب، والإقبال عليه.

وهكذا فالحق أن كتاب طوالع الأنوار بحرٌ زاخر، مليء بالدُّرَر والجواهر، وكنزٌ ثمين مخفي، يجب أن يُسعى لإظهاره سعياً حثيثاً، للكشف عن مكنوناته، وما أودع فيه مؤلِّفه من تحقيقات نادرة، وإفادات غالية، وإضافات مهمة، يسَّر الله تعالى خدمته وإخراجه على أحسن حال. اللهم آمين.

اعتماد كتاب طوالع الأنوار عند فقهاء الحنفية المتأخرين:

لقد كان الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري إماماً حجة معتمَداً في فنونٍ عديدة من العلوم، وذلك بشهادات كبار العلماء من مشايخه والمعاصرين له، ومَن بعدهم.

ومن هذه العلوم التي هو عمدة وحجة فيها علم الفقه عامة، وفقه الحنفية خاصة، ولذا نرى مَن جاء بعده، من كِبار فقهاء الحنفية المعتمَدين، ممن كَتَبَ في الفقه الحنفي، نراه قد اعتمد الشيخَ محمد عابد تمام الاعتماد، مثل الإمام الفقيه الحنفي المدقق الشيخ



عبدالقادر الرافعي، المتوفى سنة (١٣٢٣) رحمه الله تعالى، صاحب تقريرات الرافعي على حاشية ابن عابدين (التحرير المختار على رد المحتار).

فقد كان كتاب طوالع الأنوار عمدتَه الأولى في هذه الاستدراكات والتعقبات المهمة، حيث كانت لديه نسخة منه لا تغادره في غالب استدراكاته وتحريراته، فما تخلو صفحة من صفحات تقريراته غالباً إلا وفيها نقل، بل نُقول عن كتاب طوالع الأنوار، مع عزوه إليه بقوله: (اهـ سندي).

وهكذا نراه التقط الكثير جداً من الفوائد المهمة الغالية، والاستدراكات النادرة الحديثية والفقهية واللغوية وغيرها، من كتاب طوالع الأنوار، وأودعها في تقريراته، واستمر هذا حتى آخر صفحات التقريرات، أي اشتمل ذلك جميع أبواب الفقه.

وهذا يدل ويؤكد على علو كعب الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار، وقبول استدراكاته على سابقيه، وبالأخص ابن عابدين، ذلك الإمام الفقيه العمدة في المذهب، ومع هذا استدرك عليه، واعتمد استدراكاته مَن جاء بعده.

وممن رأيتُه اعتمد كتاب طوالع الأنوار أيضاً، العلامة الفقيه الشيخ عبد الغني حسين المكي، المتوفى سنة (١٣٦٦) رحمه الله تعالى[1] في حاشيته: (إرشاد الساري) على مناسك ملا علي القاري[2]، نقلاً عن تقرير الشيخ عبد الحق، وعن غيره.

ومن نظر ترجمة الشيخ محمد عابد رأى اعتمادَ العلماء المعاصرين له، من القضاة والفقهاء ورؤساء الحرمين الشريفين، ورجوعهم إلى أقواله الفقهية، بل كان هو الحكم الفصل بينهم إذا اختلفوا.

---

(١) له ترجمة في سير وتراجم، لعمر عبد الجبار ص ٩٦.

(٢) ص ٥٦ وغيره كثير من المواضع.

نماذج مقارنة بين شروح الدر المختار:

طوالع الأنوار وحاشيتي الطحطاوي وابن عابدين

إن من أشهر الأعمال العلمية المطبوعة على الدر المختار المعتمدة المتداولة بين العلماء وطلاب العلم: حاشية الطحطاوي، وحاشية ابن عابدين، وهما من الأعمال التي استفاد ونَقَلَ عنهما الشيخ محمد عابد في طوالع الأنوار، فقد نقل عن الطحطاوي كثيراً، وعن ابن عابدين بنسبة أقل بكثير (١).

وقد كانت هذه الأعمال العلمية الثلاثة متقاربة في الزمن جداً، فوفاة الطحطاوي رحمه الله سنة (١٢٣١)، وابنُ عابدين انتهى من تبييض آخر الكتاب، من الإجارة إلى الأخير سنة (١٢٣٣)، ثم بيّض من أول الكتاب إلى آخر الحج سنة (١٢٤٢)، وبقيت قطعة لم يبيضها كما تقدم.

أما الشيخ محمد عابد السندي فقد انتهى من شرح كتاب الزكاة والصوم باختصار سنة (١٢٣٦)، ولما استقر في المدينة المنورة سنة (١٢٤٣) شَرَحَ الدر المختار من جديد شرحاً مطولاً، انتهى من آخره سنة (١٢٥١).

ولا ريب أن لكل مؤلِّف قصداً وغرضاً ومنهجاً في كتابته وتأليفه، ولكلٍّ اهتمامٌ بجانبٍ من الجوانب.

ولما كانت الشهرة والتداول لحاشيتي الطحطاوي وابن عابدين، أردت أن أذكر هنا نماذج من كلٍ منهما، لمقارنتها مع كتاب طوالع الأنوار، ليظهر جلياً الفرقُ بين كل كتاب، وميزةُ كلٍ منها، واهتمامُ كلّ مؤلِّف وكاتب.

وليطمئن قلب كلِّ مطلع وواقف عليها، أنه لا يُغني كتاب عن كتاب وإن كانا شرحين لمتن واحد، ولئلا يُغْتَرَّ بقول بعض المتعالين البعيدين عن حقيقة العلم، وكُتُب أهله،

(١) من هذه المواطن التي نقل فيها عنه: ١ / ٦٦٠، ١ /١٦٥، ١ /٦٧٢، ٢ /٤٩١، وغيرها.



القائلين بأن هذه الشروح وأمثالها مكررة لا حاجة لنا إليها، وأنه يكفي بعضها، ونحو هذا الكلام الذي لا يصدر إلا من شخص قليل الاطلاع.

وفيما يلي ثلاثة نماذج من هذه الكتب الثلاثة، مع ذكري في أول كل مسألة نصَّ متن الدر المختار، الذي عليه قامت تلك الشروح.

مسألة الطهارة بالماء المشمَّس:

١ ـ الدرُّ المختار[١]: «يُرْفَع الحَدَثُ بماءٍ مطلق، وبماءٍ قُصِدَ تشميسه بلا كراهة، وكراهته عند الشافعية طبِّية».

٢ ـ حاشية الطحطاوي على الدر المختار[٢]:

«قوله: (وبماءٍ) بالمدّ والتنوين. قوله: (قُصِد تشميسه) قيد، لأنه لو لم يُقْصَد، لم يكره اتفاقاً. أبو السعود.

قوله: (طبية) أي لكونه يُورِث البَرَص.

والمنصوص عن مشايخ مذهبه أنه مما اجتمع فيه الكراهتان: الشرعية والطبية، بشرط أن يكون في إناءٍ في قُطْرٍ حارٍّ، وأن لا يبرد بعد ذلك.

وفيه أن الكراهة عنده لا تختص بقصد التشميس الذي هو موضوع المسألة» اهـ.

٣ ـ حاشية ابن عابدين:

«قوله: (قُصِد تشميسه) قيد اتفاقي، لأنَّ المصرَّح به في كُتُب الشافعية: أن لو تشمّس بنفسه كذلك.

(١) مع ابن عابدين ١/ ١٨٠.

(٢) ١/ ١٠٢.

قوله: (وكراهته الخ) أقول:

المصرَّح به في شرحَيْ ابن حجر والرملي على المنهاج، أنها شرعية تنزيهية، لا طبية، ثم قال ابن حجر: واستعماله يُخشى منه البرص، كما صحَّ عن عمر رضي الله عنه، واعتمده بعضُ محققي الأطباء، لقبض زهومته على مسامّ البدن، فتَحْبِس الدم، وذَكَرَ شروطَ كراهته عندهم، وهي: أن يكون بقُطر حارٍّ، وقت الحر، في إناءٍ منطبعٍ غير نقد، وأن يُستعمل وهو حار.

أقول: وقدّمنا في مندوبات الوضوء عن الإمداد أن منها أن لا يكون بماء مشمَّس، وبه صرّح في الحَلْبة، مستدلاً بما صحَّ عن عمر من النهي عنه.

ولذا صرَّح في الفتح بكراهته، ومثله في البحر، وقال في معراج الدراية: وفي القنية: وتكره الطهارة بالمشمَّس، لقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها حين سخّنت الماء بالشمس: «لا تفعلي يا حميراء [1]، فإنه يورث البرص» [2]. وعن عمر مثله.

وفي رواية: لا يكره، وبه قال أحمد ومالك.

والشافعي: يكره إن قُصد تشميسه.

وفي الغاية: وكره بالمشمّس في قُطر حارٍّ في أوانٍ منطبعة، واعتبار القصد ضعيف، وعدمه غير مؤثِّر. اهـ ما في المعراج.

---

(١) الحُمَيْراء: تصغير (حمراء)، بمعنى بيضاء اللون، مُشْرَبٌ بياضُها بحُمرة، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها كذلك. وهذا التصغير تصغير تحبيب.

ينظر النهاية ١ /٤٣٨، تهذيب الأسماء واللغات ٣ /٧١، تعليقات الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله على كتاب: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص ٢١١ -٢١٢.

(٢) لكن النووي في المجموع ١ /٨٧ بعد أن ذكر هذا الحديث قال: «هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين، ومنهم من يجعله موضوعاً، وما روي عن عمر رضي الله عنه، فضعيف أيضاً باتفاق المحدثين، فحصل من هذا أن المشمس لا أصل لكراهته، ولم يثبت عن الأطباء فيه شيء، فالصواب=



فقد علمتَ أن المعتمدَ الكراهةُ عندنا، لصحة الأثر، وأن عدمها روايةٌ.

والظاهر أنها تنزيهية عندنا أيضاً، بدليل عَدِّه في المندوبات، فلا فرق حينئذٍ بين مذهبنا ومذهب الشافعي، فاغتنم هذا التحرير» اهـ.

٤ـ طوالع الأنوار[١]:

(ويُرفَع الحدث مطلقاً أيضاً بماء قُصِد – على بناء المفعول – تشميسه، قيد، لأنه لو لم يُقصد، لم يُكره اتفاقاً. أبو السعود.

بلا كراهة عندنا، وكراهته عند الشافعية، لما أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: سخَّنتُ ماءً في الشمس، فأتيتُ به النبي ﷺ، فقال: «لا تفعلي يا عائشة، فإنه يورِث البياض».

وفي إسناده محمد بن مروان السُّدِّي، وقد أجمعوا على ضعفه، وقال: لا يُروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

قال الهيثمي: وقد رويناه من حديث ابن عباس.

قلت: وقد رواه العقيلي والدارقطني عن أنس مرفوعاً بلفظ: «لا تغتسلوا في الماء الذي يُسخَّن في الشمس، فإنه يُعدي من البرص».

وفي لفظ الدارقطني: «لا تغسلوا صبيانكم بالماء الذي سُخِّن من الشمس، فإنه يورِث البرص».

=الجزم بأنه لا كراهة فيه، وهذا هو الوجه الذي حكاه المصنِّف وضعَّفه، وكذا ضعّفه غيره، وليس بضعيف، بل هو الصواب الموافق للدليل، ولنص الشافعي فإنه قال في الأم: «لا أكره المشمّس، إلا أن يكره من جهة الطب»، فهذا ما نعتقده في المسألة، وما هو كلام الشافعي، ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد وداود والجمهور أنه لا كراهة، كما هو المختار، وأما الأصحاب فمجموع ما ذكروا فيه سبعة أوجه». ثم سردها. انتهى من المجموع.

(١) مخطوط ١ /١٧٤.



وفي إسناد العقيلي: سوادة، وكان غالياً في التشيع، يروي المناكير عن المشاهير.

وفي إسناد الدارقطني: زكريا بن حكيم، قال فيه أحمد ويحيى: ليس بشيء.

ولذلك قال ابنُ الملقِّن بعد كلام طويل: فتَلخَّص أن الوارد في النهي عن استعمال الماء المشمّس من جميع طرقه باطل لا يصح، ولا يحل لأحدٍ الاحتجاج به.

(طبّية) أي بكونه يورِث البرص، وكَرِهه لذلك جماعةٌ من الحنفية أيضاً.

ولذا قال في المِنَح: وقيل: يكره، وبه قال الشافعي.

قيل: وإنما كره لأن الشمس بحِدَّتها تَفْصِل زهومةً تعلو الماءَ، فإذا لاقت البدن بسخونته، خيفِ أن تَقْبِض عليه، فيَنْحَبِس الدم، فيحصل المرض.

ويشترط لكراهته: أن يكون بقُطر حارّ كالحجاز، وإناء منطبع كنحاس، وأن لا يبرد بعد ذلك.

قال الإمام العلامة شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المُقْرِئ اليمني[1]: أُنهي مسألة الماء المشمّس إلى خمسة آلاف ألف وجه، ومائةِ ألف وأربعةٍ وثمانين ألف وجه، فقال رضي الله عنه:

يكره ما قُصد تشميسه دون غيره، ومنهم مَن لم ينظر إلى القصد، ومنهم مَن كرهه في الحجاز فقط، ومنهم مَن عمَّمه في البلاد الحارة، ومنهم مَن خصَّها بالفصول الحارة،

---

(١) ترجم له الحافظ السخاوي في الضوء اللامع ٢ /٢٩٢ ونقل ثناءً عظيماً عليه عن كبار العلماء، حتى قال الحافظ ابن حجر: له حِذْق تام، وما رأيت باليمن أذكى منه، فكان إماماً فقيهاً شافعياً، ذا فهم ثاقب، ورأي صائب، بل هو بَهاء الفقهاء، ونورالعلماء، محقّق مدقِّق، مشارك في كثير من العلوم، والاشتغال بالمنثور والمنظوم، إن نَظَمَ أعجب وأعجز، وإن نَثَرَ أجاد وأوجز، بل قالوا فيه: يُرْبي في الشعر على أبي الطيب المتنبي، وعمل قصيدة استنبط فيها معان كثيرة، تزيد على ألف ألف معنى. وله مصنفات كثيرة، منها كتاب عجيب لم يُسبق إلى مثاله، وهو: (عنوان الشرف الوافي)، وقد التزم أن تخرج من أوائله وأواخره وأواسطه علوم غير العلم الذي وُضع الكتاب له، وهو الفقه، فقد حوى مع الفقه على النحو والتاريخ والعروض والقوافي، وتوفي رحمه الله سنة ٨٣٧.



ومنهم مَن خصَّه في الصيف الصائف.

ومنهم مَن خصص بما إذا كان في إناءٍ ضيق الرأس، ومنهم مَن خصص بما إذا انفردت الشمس بتسخينه، ولم تشارِكها النار.

ومنهم مَن خصص بما إذا استعمل للطهارة فيما يَعُمّ البدن كالجنابة، ومنهم مَن ألحق مالا يعم بما يعم، ومنهم مَن خصَّص بمَن عمَّه البرص، ومنهم مَن خصص الحيَّ دون الميت، ومنهم مَن خصص أبدان النساء، ومنهم مَن خصَّص شديدة البياض منهن، ومنهم مَن خصص بالآدمي منهم، ومنهم مَن ألحق تطهير بدن غير الآدمي، ومنهم مَن ألحق تطهير غير البدن كالثوب ونحوه به، ومنهم مَن كرهه في البدن خاصة، وسوّى بين الطهارة وغيرها.

ومنهم مَن خصَّص الكراهة بما عدا الغسلة الأولى، ومنهم مَن خصصها بمَن يستعمله في غالب أوقاته، ومنهم مَن خصصها بما إذا عَلِم أنه يضره، ومنهم مَن خصصها بما إذا نهى عنه عَدْلان طبيبان.

ومنهم مَن خصصها بالأواني المنطبعة، ومنهم مَن خصها بما سوى النقدين، ومنهم مَن خصها بالنحاس والرصاص فقط، ومنهم مَن خص النحاس وحده، ومنهم مَن خص بما إذا انفصل من أجزاء الإناء شيءٌ شاهده، ومنهم مَن خصص بما قبل تبريده.

هذا جملة ما قيل، فإذا أردت جمعَ هذه، فقل: المشمس بغير قصد أو بقصد، في الحجاز وسائر البلاد الحارة، في الفصول الحارة، في الفصول الباردة، في الصيف الصائف، في إناء ضيق الرأس غير مغطى بغطاء، في بدن الميت، في بدن الأبرص، في أبدان النساء، في أبدان شديدة البياض، في بدن غير الآدمي، في غير البدن، لفرط الحرارة، غير مفرطها، انفردت الشمس بتسخينه، أو شاركتها النار، استعمله للطهارة، لغير الطهارة، فيما يعم البدن كالجنابة، فيما لا يعم كالوضوء، فيما عدا الغسلة الأولى، في غالب الأوقات، في نادرها،



عالماً أنه يضر، جاهلاً، نهى عنه الأطباء، أو لم ينهَوْا عنه، ولم يبلغ قلتين، أو بلَغَهُما، في إناء غير منطبع، منطبع من النقدين، من النحاس والرصاص، من النحاس خاصة، ولم ينفصل من أجزاء الماء شيء، أو انفصل، قبل تبريده، أو بعد تبريده، هل يكره؟ فيه وجهان.

هذه مسألة واحدة، ثم تبدل منها لفظة: قبل تبريده، فنقول: بعد تبريده، فيكون ذلك مسألتين، هذا على قولنا، ولم ينفصل، وإن جعلتَ عوضَه: وانفصل كان فيه أيضاً مسألتين، فكان ذلك أربع مسائل.

هذا كله إذا كان في إناء غير منطبع، وإذا جعلت مكان غير المنطبع: المنطبع مما سِوَى النقدين، كان فيه أربع أُخرى، وفي المنطبع خاصة من الصُّفْر أربع، وفي المنطبع من النقدين أربع، فتكون الجملة عشرين مسألة.

هذا ولم يبلغ قلتين، وفيه إذا بلغها مثلها، تكون الجملة أربعين.

هذا وقد نهى عنه الأطباء، وفيه إذا لم يَنْه عنه مثلها، تكون الجملة ثمانين.

هذا إذا عَلم أنه يضر، وفي الجاهل مثلها، تكون الجملة مائة وستين.

هذا إذا استعمل في غالب الأوقات، وفي النادر مثلها، تكون الجملة ثلاث مائة وعشرين.

هذا فيما عدا الغسلة الأولى، وفي الأولى مثلها، تكون الجملة ست مائة وأربعين.

هذا فيما يعم البدن كالجنابة، وفيما لا يعم مثلها، تكون الجملة ست مائة وأربعين.

وبدن شديدة البياض ست مائة وأربعين، وبدن غير الآدمي ست مائة وأربعين، تكون الجملة خمسة آلاف ومائة وعشرين مسألة.

هذا كله إذا استُعمل للطهارة، وفيه إذا استعمل لغير الطهارة مثلها، تكون الجملة عشر آلاف ومائتين وأربعين.

هذا إذا انفردت به الشمس، وفيه إذا شاركتها النار مثلها، تكون الجملة عشرين ألفاً



وأربعمائة وثمانين.

هذا إذا كان في فرط الحرارة، وفي الغالب مثلها ، تكون الجملة أربعين ألفاً وتسعمائة وستين.

هذا إذا كان غير مغطى، وفي المغطى مثلها، تكون الجملة أحداً وثمانين ألفاً وتسعمائة وعشرين.

هذا إذا كان ضيق الرأس، وفي المفتوح مثلها، تكون الجملة مائةَ ألف وثلاثةً وستين ألفاً وثمانمائة وأربعين.

هذا في الفصول الحارة، وفي الفصول الباردة مثلها، تكون الجملة أربعمائة ألف وأحد وسبعين ألفاً وخمسمائة وعشرين مسألة.

هذا كله في الحجاز، وفي البلاد الحارة مثلها، تكون الجملة ألف ألف وأربعمائة ألف مسألة وأربعة وتسعين ألفاً وخمسمائة وستين مسألة.

هذا كله بغير قصد، وفي المشمس بقصد مثلها، تكون الجملة ألفي ألف مسألة، وتسعمائة ألف مسألة وتسع وأربعين ألف مسألة ومائة وعشرين مسألة.

وكل مسألة من هذه المسائل فيها وجهان، إلا ما يتفرع على مسألتين، وهما استعماله لغير الطهارة في بدن غير الآدمي، وبغير الطهارة في غير البدن، فإن استعمال هذا غير مكروه قطعاً.

والذي لا خلاف فيه ثلاثمائة ألف وتسعة وخمسون ألفاً ومائة وعشرون مسألة، والمسائل التي فيها الخلاف ألفا ألف وخمسمائة ألف واثنان وتسعون ألفاً، وفي كل مسألة وجهان.

فجملة الوجوه خمسة آلاف ألف ومائة ألف وأربعة وثمانون ألف وجه. اهـ كلام المُقْرئ) اهـ من طوالع الأنوار.



مسألة وجوب سجدة التلاوة:

١– الدر المختار[١]: (باب سجود التلاوة: من إضافة الحكم إلى سببه، يجب بسبب تلاوة آية).

٢– حاشية الطحطاوي[٢]: (قوله: يجب: لقوله عليه الصلاة والسلام: « السجدة على مَن سمعها »[٣]، و (على): للإلزام. مِنَح). اهـ

٣– حاشية ابن عابدين: (قوله: يجب: أي وجوباً موسَّعاً في غير صلاة – كما سيأتي– ولا يجب على المُحتضَر الإيصاءُ بها، وقيل: يجب. قُنية. والثاني بالقواعد أليق. نهر.

والظاهر أنه يُخْرِج عنها، كصلاة فرض أو صوم يوم، لأنه المعهود. تأمل. رحمتي. ثم رأيته مصرَّحاً به في التتارخانية، مع تصحيح عدم الوجوب). اهـ.

٤– طوالع الأنوار[٤]:

(تجب سجدة التلاوة لقوله ﷺ: « السجدة على مَن سمعها »، و(على): للإلزام.

ولما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:

« إذا قرأ ابنُ آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي. يقول: يا ويله، أُمِر ابنُ آدم بالسجود، فسجد، فله الجنة، وأُمِرت بالسجود، فامتنعت، فلي النار ».

---

(١) مع ابن عابدين ٢ /١٠٣.

(٢) ٢ /٣٢٢.

(٣) قال الزيلعي في نصب الراية ٢ /١٧٨: حديث غريب، وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في مصنفه ٢ /٦ موقوفاً على ابن عمر، وعلقه البخاري في صحيحه ٢ /٥٥٧ مع الفتح، من قول عثمان رضي الله عنه: « إنما السجود على من استمع »، وهو موصول في مصنف عبدالرزاق وسنن سعيد بن منصور بطريقين صحيحين، كما في الفتح.

(٤) ٢/٤٠٨ ب + ٤٠٩أ.

والأصل: أن الحكيم إذا حكى عن غير الحكيم أمراً، ولم يعقِّبه بالإنكار، كان دليل صحته، فهذا ظاهرٌ في الوجوب.

مع أن السجدة تفيده أيضاً، لأنها على ثلاثة أقسام:

قسم فيه الأمر به، وقسم به تضمن حكاية استنكاف الكفار، حيث أُمروا به، وقسم فيه حكاية فعل الأنبياء عليهم السلام.

وكلٌّ من الامتثال والاقتداء ومخالفة الكفرة واجب، إلا أن يدل دليل في معيَّن على عدم لزومه.

لكن دلالتها فيه ظنية، فكان الثابت الوجوب لا الفرض). اهـ

مسألة حكم الصيد وقطع الشجر في حرم المدينة المنورة:

١- الدر المختار[١]: (لا حَرَم للمدينة عندنا). اهـ

٢- حاشية الطحطاوي[٢]:

(قوله: لا حرم للمدينة عندنا: قال في البحر: اختلف العلماء في أن مكة مع حرمها، هل صارت حرماً آمناً بسؤال الخليل عليه الصلاة والسلام، أم كانت قبله كذلك؟ والأصح أنها ما زالت محرَّمة من حين خلق الله السموات والأرض. اهـ

ثم اعلم أنه ليس للمدينة حرم عندنا، فيجوز الاصطياد فيها، وقطع أشجارها.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما صريحةٌ في تحريم المدينة كمكة، وأوَّلَها أصحابُنا بأن المراد بالتحريم: التعظيم.

---

(١) مع ابن عابدين ٢ /٦٢٦.
(٢) ١ /٥٦١.



ويردُّه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إني حرّمت المدينة ما بين لابَتَيْها، لا تُقطع أغصانها، ولا يُصاد صيدها».

فهو صريح في أن لها حرماً كمكة، فلا يجوز قطع شجرها، ولا الاصطياد فيها.

والأحسن الاستدلال بحديث أنس الثابت في الصحيحين، إذ كان له أخٌ صغير يقال له: أبو عُمَير، وكان له نُغَيْر يَلعب به، فمات النُّغَير، فكان النبي ﷺ يقول: «يا أبا عُمير ما فَعَل النُّغَيْر».

ولو كان للمدينة حرم، لكان إرسالُه واجباً عليه، ولأنكر رسولُ الله ﷺ على إمساكه، ولا يمازحه.

وأجاب في المحيط عن الأحاديث الصريحة في أن لها حرماً، أنها من أخبار الآحاد فيما تعم به البلوى، لأن الشجر في المدينة أمرٌ تعم به البلوى، وخبر الآحاد إذا ورد فيما تعم به البلوى لا يُقبل، إذ لو كان صحيحاً، لاشتهر نقله فيما عمّ به البلوى. انتهى). اهـ.

٣- حاشية ابن عابدين(١):

(قوله: لا حرم للمدينة عندنا: أي خلافاً للأئمة الثلاثة، قال في الكافي: لأنا عرَفْنا حِلَّ الاصطياد بالنص القاطع، فلا يحرم إلا بدليل قطعي، ولم يوجد.

قال ابن المنذر: وقال الشافعي في الجديد، ومالك في المشهور، وأكثر مَن لقينا من علماء الأمصار: لا جزاء على قاتل صيده، ولا على قاطع شجره.

وأوجب الجزاءَ ابنُ أبي ليلى وابنُ أبي ذئب وابنُ نافع المالكي، وهو القديم للشافعي، ورجَّحه النووي، وتمامه في المعراج). اهـ.

(١) ٢ / ٦٢٦.



٤- طوالع الأنوار [١]:

(لا حرم للمدينة عندنا، فيجوز الاصطياد فيها، وقَطْع أشجارها.

وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في الصحيحين وغيرهما، صريحةٌ في تحريم المدينة كمكة.

منها في الصحيحين: «اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا - وفي رواية: دعا لأهلها - وإني حرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة».

وللبخاري من حديث أبي هريرة: «حُرِّم ما بين لابتي المدينة على لساني».

ولمسلم: «اللهم إني أحرّم ما بين جبليها مثل ما حَرَّم إبراهيمُ مكة».

وله: «اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة، فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة، فجعلتها حراماً بين مَأزِمَيْها، أن لا يُهْراق فيها دم، ولا يُحْمَل فيها سلاح لقتال، ولا يُخْبَط فيها شجر إلا لعلف».

ومَأزِما المدينة: جبلاها، كما صرَّح به النووي، وهما: عَيْر، وثَوْر، لما في رواية مسلم في حديث الصحيفة عن علي رضي الله عنه:

«المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْر».

ولأبي داود مثله، وزاد: «إن رسول الله ﷺ قال: لا يُخْتلى خَلاها، ولا يُنَفَّر صيدها، ولا يُلتقط لُقَطَتُها إلا مَن أنشد بها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا أن يقطع منها شجرة إلا أن يَعْلف رجل بعيرَه».

وكان أبو هريرة يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ما ذَعَرْتُها. قال رسول الله ﷺ: «ما بين لابتيها حرام» أخرجه البخاري.

وزاد في رواية مسلم: وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حِمَى.

---

(١) ٤/ ٤٣٦ - ٤٣٧.



ولأبيَ داود: حَمَى رسولُ الله ﷺ كلَّ ناحيةٍ من المدينة بَريداً، لا يُخْبَط شجرها، ولا يعضد إلا ما يساق به الجَمَل.

وقد وردت بمعنى ما ذكرنا أحاديث كثيرة صحيحة جداً.

وللفضل الجَنَدي: أن سعداً رضي الله عنه قال في قصة العبد الذي وَجَدَه يعضد أو يخبط عِضاهَها بالعقيق: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن وَجَدَ مَن يعضد أو يخبط شيئاً من عِضاه المدينة، بَريداً في بَريد، فله سَلَبُه» . . .

فلم أكن لأردّ شيئاً أعطانيه رسولُ الله ﷺ .

وتكلف أصحابنا الحنفية في الجواب عن هذه الأحاديث منْ وجوه متعددة:

* منها: ما قاله بعضهم: إن هذه الأحاديث مضطربة، لأنه وقع في رواية: «ما بين جبليها»، وفي رواية: «ما بين لابتَيْها»، وفي رواية: مأزِميها.

وتُعُقِّب بأن الجمع بينها واضح، وبمثل هذا لا تُرَدُّ الأحاديث الصحيحة، وأن الجمعَ لو تعذَّر، أمكن الترجيح، ولا شك أن رواية: «ما بين لابتيها» أرجح، لتوارد الرواة عليها، ورواية: «جبليها»، لا تنافيها.

فيكون عند كل لابة جبل، أو لابتيها من جهة الجنوب والشمال، وجبليها من جهة الشرق والغرب.

وتسمية الجبلين في رواية أخرى لا تضر.

وأما رواية: «مأزميها»، فهي في بعض طرق حديث أبي سعيد.

والمأزِم بكسر الزاي: المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه.

* ومنها ما قاله الطحاوي: يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها: كون الهجرة كانت إليها، فكان بقاء الصيد والشجر مما يزيد في زينتها، ويدعو إلى ألفتها.



كما روى ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن هدم آطام المدينة، فإنها من زينة المدينة.

فلما انقطعت الهجرة، زال ذلك.

* ومنها ما أجاب به في المحيط: بأنها أخبار الآحاد فيما تعم به البلوى، لأن الشجر في المدينة أمرٌ تعمّ به البلوى، وخبر الآحاد إذا ورد فيما تعم به البلوى لا يقبل، إذ لو كان صحيحاً، لاشتهر نقله فيما عمَّ به البلوى.

* ومنها أنه يعارض حديث أنس الثابت في الصحيحين، أنه كان له أخٌ صغير يُقال له أبو عُمَير، وكان له نُغَير يلعب به، فمات، فكان النبي ﷺ يقول: يا أبا عُمَير ما فعل النُّغَيْر؟.

قالوا: ولو كان للمدينة حرمٌ، لكان إرسالُه واجباً عليه، ولأنكر رسول الله ﷺ على إمساكه، ولا يمازحه.

وحديثُ عائشة رضي الله عنها: كان لآل محمد ﷺ بالمدينة وحوش يُمسكونها.

وحديث سلمة: أمَا إنك لو كنت تصيد بالعقيق، لشيَّعتك إذا ذهبت، وتلقيتُك إذا جئت، فإني أُحِبُّ العقيق. كذا نقله في اللوامع، ولم يخرِّج الحديثين الأخيرين.

ولا يخفى على كل عالِمٍ مُنْصِف متضلِّع في الحديث والفقه كراهة صيدها، وعضدِ شجرها لغير حاجة، تحصّناً من نهيه ﷺ، وخروجاً من خلاف العلماء، ويجب تعظيمها واحترامها، واحترام أهلها إكراماً لمن شرَّفها ﷺ والله أعلم) اهـ طوالع الأنوار.

وهكذا يُلحظ من خلال هذه النماذج القليلة المقارنة بين هذه الأعمال الثلاثة على الدر المختار: الطحطاوي وابن عابدين وطوالع الأنوار، أن في كل منها من الفوائد والاهتمامات، ما ليس في الآخر، ولكلٍّ طالبٌ ومريد، مع ملاحظة أن المتأخّر قد يتضمّن الأسبق بنِسَبٍ مختلفة من هذا التضمين، مما لا يمكننا أن نستغني عن الأسبق أبداً.



وهكذا كلما كثرت الشروح والحواشي والتعليقات على كتابٍ ما، كثرت الفوائد، من تحرير ذلك الكتاب، وتدقيقه، والتفريع عليه، وبذا يكون أكبر ثراء ونماء للعلم.





الخاتمــة

وهكذا في ختام مطاف هذا البحث أقف لأحمد الله تعالى على ما يسَّر وأعان عليه، وأشكره جلَّ وعلا على توفيقه، حيث تمَّ التعريف بكل من كتاب «تنوير الأبصار وجامع البحار» للإمام التمرتاشي (ت١٠٠٤)، وشرحه «الدر المختار» للإمام الحصكفي (ت١٠٨٨)، ورأينا مزايا كل منهما، والاعتماد الكبير عليهما عند علماء مذهب الفقه الحنفي.

كما وقفنا على تلك الأعمال الفقهية الكثيرة التي قامت على «الدر المختار»، والتي بلغ عددها خمسةً وعشرين عملاً، ما بين شرح وحاشية وتعليق، وما هذا الاهتمام الكبير من فقهاء الحنفية بهذا الكتاب «الدر المختار» إلا دليل على بالغ اعتمادهم عليه في القضاء والفتيا والتدريس.

ورأينا من أعظم هذه الأعمال التي حظيت بالطبع كتاب (رد المحتار على الدر المختار)، للإمام ابن عابدين (ت١٢٥٢).

وأن من الأعمال الضخمة الفخمة التي قامت عليه، ولم يحظ بالطبع بعد، كتاب «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» للإمام الفقيه المحدِّث الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري (ت١٢٥٧)، والذي بلغ حجم مخطوطته عشرة آلاف لوحة، أي ما يعادل لو طبع أكثر من ستين مجلداً.

كما تمَّ في هذا البحث بيان مزايا هذا الكتاب «طوالع الأنوار»، وذلك في سبع عشرة نقطة، رأينا من خلالها أن هذا الكتاب جدير أن يطَّلع عليه كل من اهتم بالمذهب الحنفي عامة، وبالأخص من عُني بكتاب «الدر المختار» في الفتيا أو التدريس أو القضاء، إذ هو



من أعظم شروح الدر المختار، بل فيه استدراكات كثيرة على ابن عابدين في حاشيته، والتي ضمّن كثيراً منها بشكلٍ مختصرٍ الشيخ الرافعي في تقريراته على ابن عابدين، مشيراً إليها بقوله: (اهـ سندي).

ورأينا الاهتمام البالغ للشيخ محمد عابد في كتابه «طوالع الأنوار» بالتدليل لمسائل المذهب الحنفي، مع تخريج الأدلة والحكم عليها غالباً، إذ إن مؤلفه من كبار المحدّثين والفقهاء.

كما وقفنا في هذا البحث من خلال ثلاثة نصوص مقارنة بين شروح الدر المختار، وهي حاشية الطحطاوي وابن عابدين وطوالع الأنوار، وقفنا على ميزة كل منها، وأن أوسعها هو «طوالع الأنوار»، وأنه لايغني كتاب عن كتاب، ففي كلٍّ من الفوائد ما لا يستغنى بها عن الآخر.

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً، والحمد لله أولاً وآخراً.



المصادر والمراجع

١ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، ت ١٣٩٦، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٦ /١٩٨٤م.

٢ ـ أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١ /١٤٢١.

٣ ـ إعلام النُّبَلاء بتاريخ حلب الشَّهباء، محمد راغب بن محمود الطباخ، ت١٣٧٠، صححه وعلق عليه محمد كمال، دار القلم العربي بحلب، ط٢ /١٤٠٨.

٤ ـ أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، خليل بن أحمد مختار مردم بك، ت ١٣٩٧، تقديم وتعليق عدنان خليل مردم بك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ /١٩٧٧.

٥ ـ إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، إسماعيل بن محمد باشا الباباني البغدادي، ت ١٣٣٩ = كشف الظنون.

٦ ـ البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، الشوكاني محمد بن علي، ت ١٢٥٠، دار المعرفة، بيروت.

٧ ـ بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)، (الملحق باللغة الألمانية)، كارل بروكلمان، ت ١٣٧٥.

٨ ـ تراجم أعيان المدينة المنورة، (لمؤلف مجهول)، تحقيق محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ط١ /١٤٠٤.

٩ ـ رسالة في تراجم بعض العلماء والمشايخ، عبدالقادر الخلاصي تلميذ الإمام ابن عابدين، (مخطوط).

١٠ ـ تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي، في القرن الرابع عشر، وآثارهم الفقهية، عبدالفتاح



أبو غدّة، ت ١٤١٧، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١ /١٤١٧.

١١ ـ التعليقات السنية على الفوائد البهية، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤، = الفوائد البهية.

١٢ ـ تقريرات الرافعي (التحرير المختار على ردّ المحتار)، الرافعي عبدالقادر بن مصطفى، ت ١٣٢٣، دار الطباعة الأميرية ببولاق، ١٣٢٤، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ /١٤٠٧.

١٣ ـ تهذيب الأسماء واللغات، النووي يحيى بن شرف، ت ٦٧٦، صورة عن الطبعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ ـ ثَبَت ابن عابدين (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي)، محمد أمين بن عمر عابدين، مطبعة المعارف، سورية، دمشق، سنة ١٣٠٢، تصحيح محمد أبي الخير عابدين.

١٥ ـ حاشية (رد المحتار على الدر المختار) لابن عابدين محمد أمين بن عمر، ت ١٢٥٢، طبعة بولاق + طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢ /١٣٨٦.

١٦ ـ حاشية الطحطاوي على الدر المختار، أحمد بن محمد، ت ١٢٣١، صورة عن الطبعة البولاقية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥.

١٧ ـ حاشية على مسند الإمام أحمد، أبو الحسن السندي الكبير محمد بن عبدالهادي، ت ١١٣٨، (مخطوط).

١٨ ـ حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان العصر، حسن بن أحمد الضمدي، الملقب بعاكش، ت ١٢٨٩، (مخطوط) + مطبوع بتحقيق إسماعيل بن محمد البشري، ط١ /١٤١٣.

١٩ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، البيطار عبدالرزاق بن حسن، ت ١٣٣٥، تحقيق حفيده: محمد بهجة البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٠.



٢٠ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي محمد أمين ابن فضل الله، ت ١١١١، دار صادر، بيروت.

٢١ ـ الدر المختار شرح تنوير الأبصار، الحصكفي محمد بن علي، ت ١٠٨٨ = حاشية ابن عابدين.

٢٢ ـ درر نحور الحور العين في سيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، (المنصور هو حاكم صنعاء)، لطف الله بن أحمد جَحَّاف، ت ١٢٤٣، (مخطوط).

٢٣ ـ دلائل الأسرار على الدر المختار، خليل بن محمد الفتَّال، ت ١١٨٦، (مخطوط).

٢٤ ـ سِبَاحة الفكر في الجهر بالذكر، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٤ /١٤٠٨.

٢٥ ـ سِلْك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المرادي محمد خليل بن علي، ت ١٢٠٦، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ودار ابن حزم، بيروت، ط٣ /١٤٠٨.

٢٦ ـ سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر، عمر عبدالجبار، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، ط٢ /١٣٨٥.

٢٧ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي محمد بن عبدالرحمن، ت ٩٠٢، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٨ ـ طوالع الأنوار شرح الدر المختار، محمد عابد السندي، (عدة نسخ خطية).

٢٩ ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي عبدالرحمن بن حسن، ت ١٢٣٧، دار الجيل، بيروت.

٣٠ ـ عمدة الرعاية على شرح الوقاية، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤، مكتبة تهانوي، ديوبند، الهند.



٣١ ـ فتاوى علماء الحرمين وعلماء السلطنة العثمانية في مسألة اشتراط كون ابتداء الطواف من الحجر الأسود، سليمان الخالدي النقشبندي المكي، طبعة حجرية، بدون تاريخ.

٣٢ ـ فهرس حاشية ابن عابدين، أحمد مهدي الخضر، طبع دمشق ١٣٨٣ .

٣٣ ـ فهرس حاشية ابن عابدين، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، ١٤٠٠ .

٣٤ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية، الفقه الحنفي، طبع دمشق.

٣٥ ـ فهرس مخطوطات قصر طوب قابي سراي، استانبول، تركيا، ط١ / ١٩٦٤م.

٣٦ ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي محمد عبدالحي، ت ١٣٠٤، دار المعرفة، بيروت.

٣٧ ـ فيض الباري بشرح صحيح البخاري، محمد أنور شاه الكشميري، ت ١٣٥٢، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٧ .

٣٨ ـ القاموس المحيط، الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، ت ٨١٧، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧١ .

٣٩ ـ قرة الأنظار على شرح تنوير الأبصار (الدر المختار)، أبو الطيب محمد بن عبد القادر السندي المدني، ت١١٤٩ . (مخطوط).

٤٠ ـ قرة عيون الأخيار تكملة رد المحتار، محمد علاء الدين بن محمد أمين بن عابدين، ت ١٣٠٦ = حاشية ابن عابدين، طبعة مصطفى البابي الحلبي.

٤١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله جلبي، المعروف بحاجي خليفة، ت١٠٦٧، صورة عن طبعة تركيا، وكالة المعارف، ١٣٦٠ .

٤٢ ـ لوائح الأنوار على مِنَح الغفار شرح تنوير الأبصار، نجم الدين محمد بن خير الدين الرملي، ت ١٠١٣ (مخطوط).



٤٣ ـ المجموع شرح المهذَّب، النووي يحيى بن شرف، ت٦٧٦، دار الفكر.

٤٤ ـ مختصر نشر النَّوْر والزَّهَر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار: محمد سعيد العمودي المكي، ت ١٤١١، وأحمد علي بن أسد الله الكاظمي المكي، ت ١٤١٣، والأصل من تأليف عبدالله ميرداد أبو الخير، ت ١٣٤٣، طبعة النادي الثقافي بمكة المكرمة + طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٢ /١٤٠٦.

٤٥ ـ المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، عاصم حمدان علي حمدان، من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، رقم ٦٩، ط١ /١٤١٢.

٤٦ ـ المَذْهب عند الحنفية، محمد إبراهيم أحمد علي، بحث منشور ضمن كتاب برقم ٢٦، في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، تحت عنوان: دراسات في الفقه الإسلامي.

٤٧ ـ المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، ت٢٣٥، الدار السلفية، الهند، ط٢ /١٣٩٩.

٤٨ ـ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، ملا علي القاري، ت١٠١٤، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، ط٢ /١٣٩٨.

٤٩ ـ معجم الشيوخ (رياض الجنة أو المدهش المطرب)، الفاسي عبدالحفيظ بن محمد الطاهر بن عبدالكبير، ت ١٣٥٠، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، ط١ /١٣٥٠.

٥٠ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ت ١٤٠٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١ ـ معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي، من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط١ /١٤١٦.

٥١ ـ مناسك ملا علي القاري، ت١٠١٤، دار الكتاب العربي، بيروت..

٥٢ ـ منح الغفار شرح تنوير الأبصار، التمرتاشي محمد بن عبد الله، ت١٠٠٤. (مخطوط).



٥٣ ـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)، عبدالحي بن فخر الدين الحسني، ت ١٣٤١، نشر: طيب آكادمي، باكستان، ١٤١٣.

٥٤ ـ نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر مناقب المشايخ أهل الرواية والإصابة، عبدالخالق ابن علي المزجاجي، ت ١٢٠١، تحقيق مصطفى عبدالكريم، دار الفكر، بيروت، ط١ / ١٤١٩.

٥٥ ـ نصب الراية لأحاديث الهداية، الزيلعي عبدالله بن يوسف، ت ٧٦٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ / ١٣٩٣.

٥٦ ـ النَّفَس اليماني في إجازة القضاة بني الشوكاني، (وفيه أجاز أولادَ الإمام الشوكاني، وهم: علي وأحمد ويحيى)، عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، ت ١٢٥٠، مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، ١٩٧٩م.

٥٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ت ٦٠٦، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت.

٥٨ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى البغدادي، ت ١٣٣٩، صورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، ١٤٠٢.

٥٩ ـ اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبدالغني (الدهلوي)، محمد بن يحيى التُّرْهتي، ت ١٢٩٣ تقريباً، (مخطوط)، وهو مطبوع أيضاً في حاشية كشف الأستار عن رجال معاني الآثار، لرشد الله السندي.

***



القيم الإسلامية في العمران

بين التراث والحاجة إلى التجديد

د. مصطفى بن حموش*

التعريف بالبحث:

يعكس العمران الإسلامي القيم التي وضعها الإسلام لتنظيم الحياة المدنية الجماعية والفردية للمجتمع، ويقوم هذا البحث برصد أهم تلك القيم ثم تتبع أثرها المباشر في شكل المدينة. ويمكن تصنيف هذه القيم في ثلاثة محاور: القيم الربانية والإنسانية والبيئية. فالمحور الأول تدور حوله كل القيم التي تتعلق بالعبودية لله وتحكيم أوامره وإذعان النفس له. أما المحور الثاني فيشمل مجمل القيم التي تضبط علاقات الإنسان بمجتمعه ابتداء بقرابته ثم جيرانه وأمته، هذا مع اعتبار الجنس الآخر. أما المحور الثالث فيشمل القيم التي تضبط سلوكه مع الطبيعة والأشياء المحيطة به. وتعتبر هذه القيم ثوابت في الفكر العمراني الإسلامي حيث تفسر لنا الكثير من مظاهر العمران الإسلامي مثل شكل المدن وهندسة أنسجتها الحضرية وطرزها المعمارية والعمرانية. ويكون بالتالي اختلاف أشكال العمران في البلاد الإسلامية وفي التاريخ عبارة عن تجسيد مميز لهذه القيم المشتركة أملته ظروف الزمان والمكان. وتعيش المدن المعاصرة غياباً واضحاً لهذه القيم بفعل تأثير القيم العصرية ذات الأصل الغربي، يتجسد في الكثير من المظاهر السلبية التي نعيشها. ولذلك فإن أي تحسين لوضعية مدننا المعاصرة لا يكون إلا برد الاعتبار لهذه القيم.

* عضو هيئة التدريس في قسم الهندسة المدنية والمعمارية في كلية الهندسة بجامعة البحرين، ولد في بجاية في الجزائر سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ونال درجة الدكتوراه في التخطيط من جامعة باريس بفرنسا سنة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) وله عدة كتب وبحوث منشورة.

المقدمة

لا يزال موضوع وجود المدينة الإسلامية وماهيتها مطروحاً إلى يومنا في الأوساط الأكاديمية دون القطع فيه نهائياً رغم قدمه سواء في التراث العربي أو في كتب المستشرقين(١). ولذلك فإن هدفنا في هذا البحث لن يقف عند جدليات « هل هناك مدينة إسلامية أم لا وما هي؟ » بل يتجاوز ذلك إلى استقراء مجموعة القيم المؤكدة في الإسلام، وتتبع أثرها في العمران الإسلامي(٢).

ولذلك فإن هذا البحث يقوم على فرضية أنه يمكن تفسير الكثير من وجوه العمران مثل شكل المدن وهندسة أنسجتها الحضرية وطرزها المعمارية والعمرانية بتأثير القيم التي جاء بها الإسلام والتي تحولت عبر الزمن إلى تطبيقات ميدانية آنية . ولئن اختلفت الصور المادية لهذه القيم في مختلف أشكال العمران بفعل عاملي الزمن والرقعة الجغرافية الواسعة، فإن القيم نفسها ثابتة بثبات نصوص الشريعة ومقاصدها .

ويعتمد منهج هذا البحث على عرض القيم وإيجاد الصور المادية لها . وقد صنفت هذه القيم وفق موضوعاتها في ثلاث مجموعات هي القيم الربانية والقيم الإنسانية والقيم البيئية .

تعريف القيم :

تعرف القيم في اللغة بكونها مشتقة من الفعل « ق ا م » وقد جاء في لسان العرب « أ

---

(١) انظر دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية لناجي عبد الجبار، وهل هناك مدينة إسلامية؟ لجمي أكبر، وكذلك ريمون أندري.

aymond A. «Islamic City, Arab City: Orientalist Myths and Recent views» p 3-19 .

(٢) عرض الأستاذ خليل إنالسيك أثر العقيدة الإسلامية في تكوين وتحويل مدينة إسطنبول لكنه ا يعرض أثر القيم الإسلامية بالتفصيل، وإنما اكتفى بعرض المؤسسات الرئيسية مثل القضاء والحس والأوقاف . انظر:

:lil Inalcik (1990) « Istanbul: An Islamic City» p 1-23.

القيمة هي الاستقامة، وهي اعتدال الشيء واستواؤه، فالقوام هو العدل، كما جاء كذلك أن قوام الأمر هو نظامه وعماده، وهو ما يفسر الآية ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً** ﴾ بمعنى التي تقوم أموركم بها، ويقال قومت السلعة إذا قدرت قيمتها، وهو تحديد ثمن الشيء بالتقويم. ومن جهة أخرى فإن القائم كل من ثبت على شيء وتمسك به، ومنه جاء ﴿ **ومن أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ وهو المواظبة على الدين والقيام به.

ومن خلال جذر الكلمة نرى أن مفهوم القيمة له معنى أصلي مادي يدل على المقابل والعوض المقدر ثمناً للشيء. لكن اللفظ انتقل من الدلالة المادية إلى الدلالة المجازية المعنوية المتعددة. فأصبح لكثير من جوانب الحياة قيمة – ليست بالضرورة مادية –، وإنما هي مهمة وذات منفعة[١]. ويرى البعض أن مقابل مصطلح القيمة في التراث العربي الأدبي القديم هو «الخُلُق» الذي عرف بكونه حالة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية. وامتداداً لهذا الفهم فإن القيم تصبح مرادفة للأخلاق والشمائل حيث إن القيم هي تقدير الفرد أو المجتمع لصفات خاصة في الأشياء أو الأحياء تجعلها محمودة أو مذمومة، ومرغوبة أو منبوذة[٢].

وقد دخلت هذه الكلمة بقوة في العلوم الإنسانية منذ بداية القرن الماضي، واختلف فيمن بدأ باستعمالها أساساً. ويرى بعض الباحثين أن للفيلسوف الألماني نيتشه المتوفى سنة (١٩٠٠م) أثراً كبيراً في شيوع هذا المصطلح، ذلك رغم ما تحمله فلسفته من هدم للقيم الأخلاقية والدينية.[٣] ورغم قيام علم – أو نظرية على الأقل – للقيم متفرع من الفلسفة سمي بالأكسيولوجيا يبحث في ماهية القيم وحقيقتها ودلالتها، فإن الموضوع

(١) القيم بين الخصوصية والعمومية لناصر الدين الأسد، مؤتمر الثقافة والعلم ص ١–١٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥.

(٣) القيم في الإسلام لصلاح الدين رسلان ص ٧، القيم والعادات الاجتماعية لفوزية دياب ص ١٥.



كان ولا يزال مادة خلاف عميق في مختلف فروع العلوم الإنسانية. فالقيم هي من أكثر المفاهيم غموضاً لأنه -أي مفهوم القيم- مرتبط بالفلسفة من جهة، ويعبر عن أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم والمعارف من جهة أخرى[١]. فقد اهتم بها الكثير من الباحثين في مختلف المجالات كالدين والفلسفة والفن والتربية وعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس وغيرها. ولذلك فهي من المفاهيم المراوغة التي يكتنفها الخلط والغموض بسبب اختلاف المعنى بين تخصص وآخر[٢].

وتختلف القيم باختلاف الثقافات[٣]، فلا يمكن فهم قيمة معينة إلا في إطارها الاجتماعي أو الثقافي، ولذلك يفضل عند الحديث عن القيم أن نضعها في إطار نسق القيم الذي تنتمي إليه وتتفاعل معه. فكل مجتمع يملك نسقاً للقيم يلتزم به، ويتسم هذا النسق بالحيوية والتفاعل بين عناصره، فعندما تنضم قيمة جديدة إلى ذلك النسق يتطلب الأمر ترتيباً جديداً أو إعادة توزيع مجموع القيم وفقاً لأولوياتها[٤].

وفي الثقافة الواحدة تعتبر القيم إحدى العناصر الخفية المكونة لها، فالثقافة كل معقد مكون من عدة طبقات متفاوتة من الأنظمة، وهي: العقائدية، القيمية، والأعراف والمقاييس، أي ما يكافأ وما يعاقب عليه، وما ينبغي وما لاينبغي، ثم أنماط السلوك المشاهد، مثل طريقة القيام بعمل ما، أو سلوك معين تجاه قضية ما. وفي كل هذا تبدو القيم في موقع متوسط. فهي متأثرة بالنسق المفاهيمية الأكثر عمقاً منها، وبالتحديد

(١) القيم والعادات الاجتماعية لفوزية دياب ص ١٨، القيم الثقافية ودورها في نقل التكنولوجيا لمحمد مقداد، مؤتمر الثقافة والعلم، ص ٥.

(٢) القيم في عصر المعلومات لأحمد فؤاد باشا، مؤتمر الثقافة والعلم، ص ١.

(٣) الموسوعة البريطانية على القرص المدمج، طبعة ١٩٩٩.

(٤) القيم في عصر المعلومات لأحمد فواد باشا، ص ١.



العقائد، وهي بدورها تؤثر في نسق أسفل منها إلى أن تصل إلى السلوك المشاهد للفرد والجماعة. فهي بمعنى آخر تستسقي وجودها من المعتقد والأيديولوجيا والسياسة وتتصل مباشرة بعالم الأداء والإبداع، ويكون العمران بالتالي التجسيد المباشر لها[١].

وتعرف القيم كذلك بكونها بنية مفاهيمية افتراضية تشير إلى التفضيلات التي تمتلك قوة الحفز وتؤثر في اختيار الوسائل والطرق. وتمثل الحوافز التي هي أشبه ما يكون بالمثل العليا مصدراً للقيم، بينما تمثل القيم مصدراً للاتجاهات التي تضم التفضيلات والاستعدادات للعمل والسلوك الميداني[٢].

وكما أنه ليس للقيم تعريف مجمع عليه فكذلك ليس هناك تصنيف موحد للقيم لعسر ذلك[٣]. وقد صنفها البعض بحسب أولويتها إلى التوحيد وتناسق الكون والتناغم بينه وبين الإنسان، والخلافة في الأرض، ومقاصد الشريعة[٤]. كما ذهب آخرون إلى تفصيل دقيق حيث وضع للقيم قائمة طويلة ترتبط مباشرة بالأداء وتزيد عن الخمسين، ومن أمثلتها: الإتقان والإحسان والإخلاص والمحاسبة والتقوى والعدل والأمانة والصبر والاعتدال.

(١) عن ارتباط القيم بعالم الإبداع والأداء انظر الدين والقيم لعلي عرسان، مؤتمر الثقافة والعلم، ص ١.

(٢) نحو مدخل إسلامي لمعالجة صراع القيم في الحياة التنظيمية لعارف عطاري، مؤتمر الثقافة والعلم ص ٢-٦.

(٣) عن صعوبة التصنيف انظر القيم والعادات الاجتماعية لفوزية دياب ص ٧٣-٩٠.

(٤) نحو مدخل إسلامي لمعالجة صراع القيم في الحياة التنظيمية لعارف عطاري، مؤتمر الثقافة والعلم ص١٢.



القيم والعمران عبر التاريخ

لقد طرحت مسألة ارتباط العمران بالقيم في التراث الإسلامي وفي غيره بشكل أو بآخر[١]. لكن الدارس لهذا الإنتاج يجد في الموضوع فسحة كبيرة تتطلب بحوثاً حديثة وكثيرة لتغطيتها، وسنحاول عرض أهم المراجع الأدبية التي تطرقت إلى هذه المسألة.

ففي الأدب الغربي عرفت أوروبا تطوراً مطرداً لفكر ما عرف تعريباً بالطوباوية الذي كان يجسد أحلام المفكرين والإصلاحيين للتنظيم الأفضل للحياة المدنية وتجسيد قيم جديدة. وقد كانت هذه المشاريع تأخذ في الغالب شكل المدينة الفاضلة التي ينعم أهلها بالسعادة والتي تصور ما ينبغي أن تكون عليه حياة البشر. وقد بدأت مسيرة الطوباوية بالمدينة الفاضلة لأفلاطون التي تحكمها الفلسفة والحكمة. وفي عصر النهضة أخذت الطوباوية ميداناً تتجسد فيه قيم الإصلاح الديني والتسامح والإنسانية والحرية الفكرية. وقد تميز عصر التنوير بالهجوم على القيم الدينية والمطالبة بحرية العقل من قيود الفكر اللاهوتي الكنسي، والسعي إلى إعادة تنظيم المجتمع في ظل قيم عقلانية جديدة جسدتها الثورة الفرنسية فيما بعد في شعار الحرية والأخوة والمساواة. أما في القرن التاسع عشر فقد التمست الطوباوية السعادة من مبدأ الوفرة والرفاهية عن طريق إشباع الحاجات المادية المتزايدة مما أدى إلى تزايد الاستهلاك والترف الذي جاءت الثورة الصناعية (وكذلك الاستعمار) لتحقيقه. وقد انبثق عن ذلك على مستوى الفرد قيم مادية تقيس سعادة المرء بقدر ما يملك من الأشياء، ولذلك يمكن تصنيف الاتجاه الطوباوي في الأدب الغربي إلى صنفين وفق النظامين الليبرالي والاشتراكي، حيث كان كل منهما مصدراً لمجموعة قيم لا زالت تشكل ملامح العمران الغربي، وتكون أحياناً منفصلة وأحياناً متمازجة. فقد اتجهت الطوباوية الليبرالية إلى تمجيد الحرية الفردية كأداة للوصول إلى السعادة، بينما اتجهت الطوباوية

---

(١) المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ماريا لويزا برنيري ص ٢٩ – ٢٥٧.



الاشتراكية إلى تمجيد الجماعة وتقييد الحرية الفردية للوصول إلى السعادة البشرية العالمية[١].

أما في الأدب الإسلامي فقد حاول الفارابي إضفاء القيم الروحية والأخلاقية والسلوكية للمدينة، وصنف المدن حسب تبني سكانها لكل منها، فقد اعتبر في البدء أن هناك مدينة فاضلة تتميز بسكانها الذين يميلون إلى النظام والفضيلة والخضوع لمبدأ تقسيم العمل، ومدن غير فاضلة تتنوع بحسب غياب الفضيلة في أهلها. فمن المدن من تكون جاهلة وأخرى فاسقة وأخرى ضالة، ومنها المتبذلة التي دب الفساد في آراء أهلها[٢].

وقد اعتمد الفارابي في الغالب على مذهب أستاذه أفلاطون، ولم ينجح في تأسيس نظرية إسلامية مستقلة رغم محاولته التوفيق بين العقيدة الإسلامية والمنطلقات الفلسفية الإغريقية[٣]. ونفس القول يمكن أن ينطبق على رسائل إخوان الصفا الذين أبدعوا في تصنيف الحياة المدنية ومقتضياتها لكنها في الغالب من المنظور الفلسفي الإغريقي[٤].

وأما ابن خلدون فقد اكتفى بالتنظير للعوامل الاجتماعية والسياسية والجغرافية التي تؤثر في العمران البشري ولم يتعرض بالتفصيل للقيم التي جاء بها الإسلام في تشكيل المدينة. فلئن كان استعماله لمصطلح العمران واسعاً ومتكرراً ومبتكراً إلا أن المستقرئ لمعناه الإجمالي سيدرك أن المقصود به هو حصر القواعد التي تخضع لها التجمعات البشرية، وليس المدينة بمفهومها الدقيق المعاصر[٥].

---

(١) لقد قمنا في هذه الفقرة بانتقاء مقتطفات من كتاب المدينة الفاضلة عبر التاريخ ص٢٩ – ٢٥٧.

(٢) المدينة الفاضلة للفارابي ص١٠ – ٥٥.

(٣) انظر التراث الجغرافي الإسلامي لمحمد محمود محمدين ص٣٠٧.

(٤) مجموعة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ١/٢٥ – ٦٥.

(٥) المقدمة لابن خلدون ١/٦ – ٤١، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٥م، وقد ناقشت هذه المسألة أثناء تحقيقي لمخطوط رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي للقاضي كامي أفندي الإدرنوي (١٦٤٩ – ١٧٢٣م) ص ٩ – ١٠.



ويمكن ذكر أبي حامد الغزالي في هذا الموضوع حيث أورد القيم الأخلاقية الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وربطها بالشوارع والأسواق والمساجد[١]. ولا أحد ينكر ما لهذا الركن من التشريع الإسلامي من أثر في منظومة القيم الإسلامية إلا أنها تبقى في رأي الباحث أداة مراقبة وصيانة وليست مصدراً لتوليد وتجديد القيم التي تصدر من الضمير والاقتناع.

وفي رأينا الذي ينبني عليه هذا البحث فإن العمران الإسلامي هو الإفراز المادي على الأرض لمجموعة القيم المتدرجة التي جاء بها الإسلام والتي تبنتها المجتمعات المسلمة عقيدة وسلوكاً باختلاف الزمان والمكان اللذين وجدت فيهما.

وتفيد هذه الفرضية في الخروج من وهم البحث عن الأشكال الهندسية من خلال النصوص الشرعية التي يعتقد بعض الباحثين في وجودها تعطشاً لتجسيد المدينة الإسلامية، فليس في الإسلام نموذج تصميمي وتخطيطي مفصل، حيث لا توجد في الشريعة أحكام إلزامية تتعلق بالتخطيط وتنظيم المدن والمستوطنات البشرية[٢].

أما الشيء المؤكد فهي تلك القيم التي تضبط مسألة التمدن والحياة الجماعية التي التزم بها المجتمع الإسلامي منذ ولادته في المدينة المنورة، والتي استمرت في التأثير على مر التاريخ الحضري الإسلامي. وفي مقابل ثبات تلك القيم كانت الاستجابات المادية تختلف باختلاف المنطقة والأزمنة والأعراف.

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٢/ ٣٣٠ - ٣٣٦، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ت.
(٢) هذا ولا ننكر أن هناك نصوصاً قرآنية وحديثية تتعلق بالعمران، مثلما سنذكره بعد قليل، ومثلما ذكر في أبحاث أخرى.



القيم والعمران الإسلامي

في ظل الاختلاف المذكور أعلاه، يكون من الأهون تصنيف القيم بحسب ما يقتضيه المجال الذي تدرس فيه. ولذلك يمكن تصنيف القيم التي جاء بها الإسلام والتي أثرت في العمران الإسلامي إلى ثلاثة أصناف، وهي بالتسلسل: القيم الربانية، والقيم الإنسانية، والقيم البيئية[١].

القيم الربانية:

لقد جاء الإسلام بمنظومة عقائدية وتعبدية تضبط علاقة المسلم بخالقه وخالق الكون الذي يعيش فيه، ولهذه المنظومة بُعْدان سُمِّيا بمفهوم الربوبية والألوهية. فالأول يضم كل المعارف الغيبية التي يؤمن بها المسلم تسليماً، والثاني يشمل الجانبين التشريعي والتعبدي الذي يجب أن يخضع له المسلم فرداً كان أم جماعة.

ومع أن تلك القيم الربانية التي جاء بها الإسلام في الغالب معنوية وباطنية تخاطب الضمير إلا أن الكثير منها نجده متجسداً في المدينة بمفهومها المادي الفيزيائي. ولذلك فسنركز هنا على إفراز هذه القيم في الجانب المادي من المدينة.

(١) للأمانة العلمية فقد سمعت هذا التقسيم من خلال حصة في المذياع لإحدى القنوات العربية في الخليج، ولست أذكر صاحبها بالضبط ولا اسم البرنامج.



بين المعايير القسرية والمعايير الباطنية:

لعل أهم تأثير للمعتقدات الإسلامية هو تربية الوازع الديني ضمير المسلم مما يجعله أداة مراقبة في تصرفاته اليومية، خاصة المدنية[١]. فكل تصرفاته تكون خاضعة لمقياسي الترغيب والترهيب الربانيين، لكسب الحسنات أو درء السيئات.

هذا، وقد جاءت النصوص الطافحة التي توصي بالاهتمام بمصلحة المجتمع وعدم الإضرار، وتجعل من خدمة المجتمع فضيلة أهم من العبادة مثل الصوم والصلاة التطوعيين. ومن ذلك إماطة الأذى عن الطريق وإيواء أبناء السبيل وإرواء العطشى ومساعدة الفقراء وعدم التبول والتبرز في الأماكن التي يجتمع فيها الناس أو التي يستظل بها المارة، مما كان له الصورة المجسدة في المدن الإسلامية مثل إنشاء المستشفيات وإقامة العيون ودور العجزة والمعوزين والمسافرين ونظافة الأماكن العامة.

وقد جاء في كتب الفقهاء أن لكل آحاد الرعية في المجتمع الإسلامي أن ينهى عن المنكر في الشوارع والأسواق والأماكن العامة بقدر المستطاع[٢]. فمن ذلك منع البناء في الطريق وإعاقة المرور، وغير ذلك.

ولعل أهم ما يكون في هذا التوجيه هو الدافع الداخلي للمسلم حتى في غياب السلطة، وكأن المجتمع المدني المسلم يتحرك بذاتيته، دون سلطة ولا قانون، وهو مصداق الحكمة الإنجليزية التي تقول «المجتمع السعيد كأن لا وجود للقانون فيه»[٣].

وقدأدرك الفكر التخطيطي والعمراني المعاصر في هذه العشريات الأخيرة مدى أهمية

---

(١) سبق لي أن ناقشت مسألة الفرق بين المعيارين في مقالة علمية «أزمة محيط أم أزمة سلطة؟ قراءة جديدة في أزمة العمران العصري» ص١ – ٢١.

(٢) انظر الموضوع بتفصيل في رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي ص ٢١٦.

(3) Stoljar S. (1980) Moral and Legal Reasoning London, Macmillan Press, p95.

مشاركة وإسهام المواطن في عمليات التخطيط والإدارة الحضرية والمحافظة على البيئة، وأصبحت هدفاً في كل عملية.

الحكم بما أنزل الله:

يظهر كذلك البعد الرباني في ارتباط دار الحكم والمسجد ودار العدالة في المدن الأولى مثل الكوفة وغيرها[١]. وهو ما يرمز إلى رجوع الحاكمية لله وحده، وكذلك الحكم بما أنزل الله. وفي الأمثلة العكسية كان لانفكاك قصر الحاكم عن المسجد أثره على الحكم في دار الإسلام.

كما يظهر تأثير هذه الرابطة في الجانب الفني المعماري؛ من حيث غياب الأشكال المجسدة واللجوء إلى الزخرفة الهندسية المجردة مثل المقرنصات والفسيفساء والخزف. وكذلك استعمال الماء والنبات والنور والتراب والسماء كعناصر تشكيلية. وهذا التوجه يختلف جذرياً مع التوجه الفني في الغرب حيث أصبح الفن يستعمل كمادة استهلاكية بصرية قاصرة.

ومن أمثلة تأثير الوازع الديني على سلوك المسلم في التعمير والتمدن ما جاء عن أحد تلامذة أبي حنيفة وهو نصر بن محمد المروزي أنه «كان إذا أراد أن يطين داره نحو السكة خدشه ثم طيّنه لئلا يأخذ شيئاً من الهواء» فلو كان يضع القشرة الجديدة كل مرة فوق القشرة القديمة لازداد سمك حائطه على حساب الشارع وحينئذٍ يدخل في زمرة الذين

---

(١) عن تركيبة المدن الإسلامية عموماً انظر: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية لعبد الجبار ناجي، وعن نشأة مدينة الكوفة انظر: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية لهشام جعيط.
أما عن دار العدالة فانظر مقالة:
Rabbat N. The Ideological Significance of the Dar Al Adle in the Medieval Islamic Orient International journal of Middle Eastern Studies 27 (1995), 3-28.



توعدهم الإسلام بالعذاب[١]. وقد كان هذا الأمر كذلك سبباً في إسقاط شهادة المرء في المجالس وجرح عدالتهم وتقواهم[٢]. فقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل هجر تلميذاً له بسبب أنه قام بتطيين باب داره من جهة الشارع فأخذ مقدار ظفر من أرض العامة[٣].

العبودية لله في الشعائر الإسلامية:

التوجه إلى القبلة يتضح في الكثير من المدن التي تقع في منطقة جغرافية منحرفة على الخطين العموديين شرق غرب وجنوب شمال. ومن أمثلة ذلك مسجد أصفهان، وعلى المعماري أن يجد الحل التصميمي المناسب لإشكالية الهندسة الحضرية وتوجه القبلة.

ومن العادات الجارية لدى المسلمين في بناء البيوت عدم استقبال القبلة في الغائط، والتي فيها خلاف فقهي مشهور في كونها من المندوب[٤].

---

(١) «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» صحيح البخاري الحديث رقم (١٣٣٨) من كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم الحديث رقم (٣٠٢٠) من كتاب المساقاة، سنن الترمذي الحديث رقم (١٣٣٨) من كتاب الديات.

(٢) انظر كذلك في باب موانع قبول الشهادة في: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لبرهان الدين محمد بن فرحون المالكي ١/ ١٧٤.

(٣) نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض السنامي (ت ٧٣٤) تحقيق موئل يوسف عز الدين، ص ٢٠٩، ومجموع فتاوى الشيخ أحمد ابن تيمية ٣٠/ ١٠، والروايتان نقلتا عن عمارة الأرض في الإسلام لجميل أكبر ص ٢٥٨.

(٤) الحديث «إذا أتيتم الخلاء فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا» رواه الشيخان، ونحوه في الموطأ.
هذا، ويعتبر فقهاء المذهب المالكي هذا الحكم قاصراً على الفلاة، ولاينطبق على من بداخل البناء لوجود الحائط الذي يحول دون اتجاه القبلة، ويستدلون بحديث عن عبد الله بن عمر في الصحيحين أيضاً يقول فيه «رقيت يوماً على بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ يقضي حاجته مستقبل الشام، مستدبر الكعبة». انظر المسألة كذلك في تبيين المسالك لمحمد الشيباني الشنقيطي ١/ ١٧٤.



كذلك جاءت أحكام في تصميم المساجد لها قيم روحية هي توسيع الصف الأول بقدر المستطاع للإكثار من الأجر، وعدم قطع الصفوف بواسطة السواري، وهي كلها تعبير عن القيم العقدية[١].

ولعل أكبر رمز عمراني أصبح عرفاً على مر الزمن وفي مختلف الأماكن الجغرافية هو علو المئذنة على باقي المباني، وقد أصبحت بذلك معلماً في المدينة يهتدي به الزائر.

وفي جانب آخر نجد بخلاف الكتلة المتشكلة من البيوت المتشابهة زخرفة مقصودة في بناء المساجد أو على الأقل استعمال لون مخالف للمباني المحيطة ليظهر التضاد. ومن أمثلة ذلك مساجد القرى والمداشر (ما دون القرى) في بلاد القبائل بشمال إفريقيا التي تعلو قمم الجبال.

كما نجد كذلك في ا لمدن الإسلامية شبكة متدرجة من المساجد التي تختلف فيما بينها بحسب أهميتها من حيث هي مسجد جامع أو مصلى عيد أو مسجد للصلاة اليومية. كما توجد في كثير من الأحيان مساجد لكل حي سكني وكذلك لكل حرفة أو صناعة.

بين الزخرف والزهد:

لعل أكبر إشكالية في الفكر الإسلامي في مجال العمران هو تأرجحه بين اتجاهين متناقضين هما الزهد والزخرف. فتاريخ الحضارة الإسلامية حافل بالزخرف والمباني الرفيعة، كما تشهد الفنون التشكيلية بتقدم المسلمين على غيرهم من الأمم وتأسيس

(١) الحديث «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا...» موطأ الإمام مالك الحديث رقم (١٣٦) كتاب النداء إلى الصلاة. صحيح البخاري الحديث رقم (٥٨٠) كتاب الأذان. صحيح مسلم الحديث رقم (٦٦١) كتاب الصلاة، أما عن النهي عن الصلاة بين السواري فانظر سنن الترمذي الحديث (٢١٢) كتاب الصلاة.



مدارس في مجال النقوش والنحت والخطوط وهندسة الأشكال. وفي مقابل هذا الجانب نجد نصوصاً كثيرة تدفع المسلم إلى الزهد في البناء وتذم التطاول والإسراف فيه، وقد جاءت الآية لتذكر المسلم بضرورة تفضيل الله تعالى ورسوله ﷺ على المساكن والتجارة والعشيرة[١]. كما جاءت الأحاديث التي تذكر أن «البناء كله وبال إلا ما لا وما لا»[٢] كما أنه من أشراط الساعة «أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»[٣]. وجاء في حديث «ما أمرت بتشييد المساجد. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»[٤]. كما جاء عن عمار بن أبي عمار أنه قال: «إذا رفع الرجل بناءه فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين إلى أين؟»[٥]. وفي الجانب الميداني يروى أن النبي ﷺ غضب على رجل من الأنصار وضع قبة مشرفة على بيته، فأعرض عنه مراراً إلى أن هدمها ذلك الرجل[٦]. وفي روايات عن بيوت النبي ﷺ أن الداخل إليها يمكنه تناول

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤.

(٢) سنن الترمذي الحديث رقم ٢٤٠٤ كتاب صفة القيامة.

(٣) صحيح مسلم الحديث رقم (٩) ورقم (١١) كتاب الإيمان، سنن الترمذي الحديث (٢٥٣٥) كتاب الإيمان، سنن النسائي الحديث رقم (٤٩٠٩) كتاب الإيمان وشرائعه، سنن أبي داود الحديث (٤٠٧٥) كتاب السنة.

(٤) سنن أبي داود الحديث رقم (٣٧٨) كتاب الصلاة.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١/ص٩٢، نقلاً عن البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي لإبراهيم محمد الفائز ص٢٤٤.

(٦) سنن أبي داود ٤/٣٦٠ الحديث رقم (٥٢٣٧) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذه لفلان رجل من الأنصار. قال: فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ يسلم عليه في الناس أعرض عنه مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال: والله إني لأنكر رسول الله ﷺ، قالوا: خرج فرأى قبتك. قال: فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها قال: ما فعلت القبة؟ قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها. فقال: أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا. يعني ما لا بد منه» وكذلك في مسند أبي يعلى ٣٠٨/٧ الحديث رقم (٤٣٤٧)، تهذيب الكمال ٤٣٩/٣٣ الحديث رقم (٧٤٥٣).

سقفها بيده(١). وفي نفس هذا السياق ذكرت كتب السير والتاريخ الإسلامي الأول عن الصحابة أن الكثير منهم مات ولم يكن في بيته إلا الأسودان ووعاء للوضوء والأكل والتغوط وفراش للنوم. بل إن بعضهم قد استكثر ذلك وأخذ يبكي حين جاءه الأجل خشية أن يحاسب عليهما(٢). وقد تطور هذا المنحى في الزمن الإسلامي الأول ليصبح مصدراً لاستنباط المعايير التخطيطية والهندسية، فقد وضع عمر بن الخطاب حدوداً لسكان الكوفة من حيث التوسع في البناء حيث أمرهم «ألا يزيد أحدهم عن ثلاث غرف» وذكر للحاكم آنذاك «أن الزموا السنة تلزمكم الدولة»(٣).

وإذا اجتهدنا في تفسير تضارب هذين المنحيين في ظل التصور الإسلامي العام فإننا نجد في الأول أن تشجيع الإسلام للزهد إنما هو ترغيب في التقرب إلى الله سبحانه، وترهيب من نسيان عبادته والانشغال بالمادة بالإسراف فيها. فالبناء الفاخر كثيراً ما يؤدي بصاحبه إلى الانغماس في الحياة المرفهة وينسى بذلك العبادة. في الدرجة الثانية فإن إطلاق العنان في البناء يؤدي إلى ظهور روح التنافس المادي بين أفراد المجتمع الذي يفكك بدوره أواصر التكافل والترابط الاجتماعي وينشئ الطبقية الحادة، غير أن ذلك لا يعني نهي الإسلام عن البناء والإعمار الذي هو عين الاستخلاف في الأرض ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب**﴾(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١/٤٢.

(٢) يزخر التراث الإسلامي بكتب الزهد وأحوال الزهاد. ومن ذلك كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل، وكتاب النظم الفائق في الزهد والرقائق لزين الدين عمر بن أحمد الشماع (ت٩٣٦هـ) وغيرها من الكتب التي حملت هذا الاسم. كما اشتهرت أسماء في الزهد منها عبد الله بن المبارك، والحارث المحاسبي، وبشر الحافي، وذو النون المصري.

(٣) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (ت٣١١/٩٢٣) ٢/٣٣٠-٣٣٥.

(٤) سورة هود الآية ٦١.

ولذلك فإن النتيجة التوافقية بين الاتجاهين هو أن مسألة الزهد هي أولاً مسألة شخصية تعود إلى قناعة الفرد ودرجة إيمانه، ثم إن العمران في الإسلام يجب أن يخضع لمقاصد الدين ويكون وسيلة للعبادة. وما دام يخدم تلك المقاصد وينضبط بها فإنه يدخل في دائرة المباح. وللدولة حق التدخل في المسألة من الناحية التي تمس وحدة المجتمع الإسلامي وتماسكه، فلها أن تحدد سقفاً للاستهلاك بحسب مستوى معيشة المجتمع، وأن تمنع التنافس بين الأفراد، وأن تفرض نسبة من توحيد الطراز المعماري الذي يناسب المنطقة والمناخ ومواد البناء إن أمكن. وبقول آخر: يمكن للدولة أن تتدخل لضبط العمران أو احترام أعراف إسلامية بواسطة معايير جمالية واستهلاكية وسلوكية لحفظ وحدة الأمة والمصلحة العامة.

ولا بد هنا أن نذكر أن الفن الإسلامي رغم بعده عن دائرة الزهد في أوج الحضارة مثلما هو في عهد العباسيين والأمويين في الأندلس، فقد كان إلى حد ما وفياً للضوابط الإسلامية، فقد كان في الغالب يتجه إلى تطوير الخط واستعمال عناصر الطبيعة في التجميل مثل الماء والنور والنبات والتراب، وكذلك الزخارف الهندسية المجردة. ولم تكن التماثيل النادرة في التاريخ الإسلامي إلا استثناءً أو انحرافاً عن المنهج العام. ولعل التصور العام الذي يشرح ذلك هو جعل المادة سواء كانت خطاً أو تشكيلاً هندسياً أو ماءً أو نباتاً وسيلةً للتأمل في المادة وتوجهاً للتوحيد.

القيم الإنسانية

لقد جاء الإسلام بالإضافة إلى العقائد بقيم سلوكية تضبط الحياة الخاصة بحيث لا يظلم الإنسان نفسه، وتوجه الحياة الجماعية بين المسلمين للتعريف بحقوق كل فرد وواجباته تجاه مجتمعه. وهكذا فإن هناك قيماً إنسانية أولاها الإسلام الكثير من الاهتمام.



ومن هذه حرية التمتع بزينة الحياة الدنيا، والحث على الزهد، والجوار، والقرابة، والتكافل الاجتماعي، والتكامل بين الجنسين، ومنع الاختلاط. وسنحاول دراسة كل قيمة من هذه القيم وتتبع أثرها على شكل المدينة.

القـــــرابة:

لقد أولى الإسلام أهمية كبيرة لمسألة القرابة مما دفع الأصوليين والفقهاء إلى اعتبارها من مقاصد الشريعة وكلياتها الأصولية. وقد سرى هذا الاهتمام في كثير من تفاصيل التنظيم الاجتماعي والمدني. ومن ذلك تنظيم الأحياء السكنية حسب الانتماء القبلي، ووجود العائلة الواحدة في بيت واحد كبير ينتظم حول الحوش أو يتصل بعضه ببعض[١]. وقد ذكر ابن الربيع في وصيته للخليفة نصيحة مفادها أن يميز بين قبائل ساكنيها[٢].

الجـــــوار:

لقد جاءت النصوص المتتالية التي تحث على حسن الجوار، ومراعاة حقوق الجار. ففي الآية القرآنية تصنيف للجوار إلى ثلاثة أصناف[٣]:

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾.

---

(١) سبق أن ناقشت هذا الموضوع بتفصيل في بحث منشور بعنوان «من معالم العمران الإسلامي قرابة النسب وقرب المكان» مجلة الأحمدية، مصطفى بن حموش، العدد الثاني ١٩٩٨م ص٣١١ - ٣٣٦.

(٢) سلوك المالك في تدبير الممالك لابن الربيع، تحقيق ناجي التكريتي ص١٩٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٦.



فقد نشأ في الفقه الإسلامي باب يسمى بالمرفق، أو الارتفاق، وهو ترافق الجيران في تبادل المصالح بينهم والحث على التنازل عن بعض الحقوق لبعضهم البعض عند الحاجة[١]. ففي باب حث الجيران على إحسان بعضهم إلى البعض يوصي الرسول ﷺ بعدم منع الجار غرز خشبه في جدار الجار الملاصق[٢]. وقد حمل بعض الفقهاء ذلك على وجه الندب لإمكانية تعارضه مع حق الملكية وفتح باب التعدي والغصب.

كما شددت النصوص التشريعية النكير على الإساءة إلى الجيران بالإطلال عليهم والإضرار بهم بالروائح والدخان والاهتزاز والإزعاج بمختلف الوسائل. وناقش فقهاء مختلف المذاهب مسألة منع حجب الريح والشمس والضوء برفع البناء. ففي رأي بعض فقهاء الحنفية أن الضوء من الحوائج الأصلية، التي لا يجوز منعها، بخلاف الريح والشمس التي اعتبروها من الحوائج الزائدة، والتي لا يلتفت إليها في الخصومة[٣]. أما المالكية فقد قيّدوا حجب الريح والشمس والضوء بالضرورة وبشرط عدم الإضرار. قال ابن كنانة: ليس لأحد أن يمنع أحداً من رفع شيء من البنيان إذا كان إنما يرفع ذلك لحاجته، فأما إذا رفع ذلك فأضر به جاره وليس له فيه منفعة منع من ذلك. وأما الجدار فإنما يرفعه بقدر ما يحصن به على نفسه فإن رفع أكثر من ذلك ليضر به جاره من غير منفعة له في ذلك منع من

---

(١) يوجد مخطوط قديم بعنوان «القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر» أو ما يعرف بكتاب الجدار لصاحبه عيسى بن موسى التطيلي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ، وتحتفظ المكتبة الوطنية بالجزائر بنسخة منه.

(٢) عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره» ثم يقول أبو هريرة «ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم». وقد انقسم رأي فقهاء مختلف المذاهب إلى رأيين أحدهما بوجوب عدم منع الغرز أخذاً بظاهر الحديث، والرأي الآخر بندب ذلك لكون حق الملكية ثابتاً ولا يجوز استعمال ملك الجار إلا بإذنه. انظر المناقشة في: البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي لإبراهيم محمد الفائز ص٤٥٩ – ٤٧١.

(٣) عن آراء الحنفية في ذلك انظر: رياض القاسمين ص١٦٩.



ذلك الضرر[1]. كما شرعت الشفعة في رأي الأحناف لكي يتدافع الشركاء الضرر الناشئ بينهم، ولذلك يرون أنه على الجار –باعتباره شريكاً– أن يعرضها على جيرانه وشركائه قبل بيع حصته[2]. وقد صنفوا الجيران في استحقاقهم حق الشفعة بحسب قربهم في المكان.

التفريق بين الجنسين:

يحث الإسلام دوماً على الفضيلة وضبط العلاقة بين الرجل والمرأة، فمع تأكيده على المساواة بين الرجل والمرأة في الواجبات والحقوق، والجزاء الأخروي وكذلك في علاقة التكامل بين الجنسين، فإنه قد فصَّل في القرآن أحكاماً في غض البصر، والدخول على البيوت ومعاملة النساء بحسب وضعهن كمحارم أم أجنبيات. ويدخل ذلك في مقصد حفظ العرض أو النسب الذي يهدف إلى تحقيق استمرار الجنس البشري والروابط الاجتماعية. وقد كان للكثير من هذه الأحكام إسقاطات مباشرة على المدينة، ومن أهمها عدم انفتاح البيوت على الخارج إلا ما استثني من نوافذ صغيرة جداً أو أبواب منكسرة لا تسمح بالرؤية المباشرة من الخارج، بينما ترتكز العناصر الجمالية مثل الألوان والزخارف والنافورات في الداخل. ومن الطريف أن يشبه البيت في هذا السياق سلوك المرأة المسلمة بحسب وضعها خارج البيت أو داخله. فهي ترتدي الحجاب عند خروجها وتمتنع عن وضع العطور والمساحيق على جسدها بغرض ستر كل ما يبدو من زينتها وعدم جلب انتباه الغير إليها، في حين يجوز لها أن

(١) الإعلان بأحكام البنيان لمحمد ابن الرامي ص٢٤٦.

(٢) يستند الأحناف في رأيهم هذا إلى حديث «الجار أحق بصقبه» الذي جاء في صحيح البخاري كتاب الحيل برقم ٦٤٦٥ و٦٤٦٦. انظر المسألة بالتفصيل في رياض القاسمين ص٢٠٢– ٢١١.



تفعل ما منع عنها داخل بيتها وبين ذويها[١].

كما يوضع مجالس الرجال والضيوف في البيوت عند المدخل وفي مكان لا يسمح بالاطلاع على داخل البيوت، وهي حل لمعادلة حرجة تتمثل في حسن الضيافة من جهة وفي حفظ عرض البيت من الأجنبي من جهة أخرى. وقد تجسد هذا التوزيع في العهد العثماني في تقسيم البيوت إلى منطقتين منفصلتين إحداهما سميت «السلاملك» وهي منطقة استقبال الرجال والثانية «الحراملك» وهي منطقة النساء[٢].

ومن آثار هذه القيمة نشأت كذلك أعراف في كيفية استعمال السطوح التي غالباً ما تلجأ إليها العائلة خاصة في المناطق الحارة للنوم وفي المناطق الباردة للتشميس وتجفيف الخضار ونشر الثياب. وذلك يؤدي إما إلى وضع ستارة عالية بقدر قامة الشخص أو أن يمنع الرجال من الصعود إلى السطوح فيكون بذلك مكاناً خاصاً بالنساء. وتذكر بعض الروايات أنه يمكن للمرأة في مدينة زنجبار بالقرن الإفريقي الشرقي أن تزور كل المدينة من خلال الممرات الموجودة على السطوح دون الحاجة إلى النزول إلى الشوارع لمزاحمة الرجال. وفي مقياس معماري أقل فإن تصميم المساجد يقوم كذلك على التفريق بين مكاني النساء والرجال في قاعة الصلاة حيث توضع عادة السدة ويكون مدخلها من خلف المسجد بعيداً عن مدخل الرجال. أما في المباني الأخرى مثل الحمامات التي اشتهرت في الأندلس وفي بلاد شمال إفريقيا فإن مسألة الفصل بين الجنسين كانت تحل بالتوقيت حيث كان الصباح –ولا يزال في بعض المناطق– للنساء والمساء للرجال. أما في البيوت

---

(١) سبق لي أن تطرقت لهذا الموضوع في مقال:

Ben Hamouche Mustafa The Impact of Sight Restrictions on the Maghrib Architecture in Intellectual Discourse Vol 7/no 2, 1999, p133-154.

(٢) نفس المرجع السابق.



فإن التفريق بين الجنسين يمتد إلى مكان النوم حيث يفرض الإسلام عدم السماح للإخوة بالنوم مع الأخوات عند سن معين، وهو ما يؤدي حتماً إلى تخصيص غرف لكل من الجنسين[١].

كما يمكن أن نجد لمسألة الاستئذان في دخول الغرباء إلى البيوت وما بين أفراد العائلة الواحدة داخل البيت آثاراً فراغية معمارية، ومن ذلك انكسار المداخل وعدم تقابلها في الشارع الواحد، والأمر باستئذان الأبناء في أوقات معينة للدخول على آبائهم.

التكافل الاجتماعي أو مفهوم الأمة:

تصور الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تراحم المؤمنين وترابطهم فيما بينهم بالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً. ولذلك فإن تداخل البناء وتماسكه جزء من التراث العمراني الإسلامي[٢]. ومن الطريف في المدن القديمة التي تتداعى حالياً بسبب قلة الرعاية والصيانة أنه عندما تنهار الدار الواحدة فإن الدور الأخرى المحيطة بها والملاصقة لها تبدأ هي الأخرى بالتآكل والانهيار التدريجي، وذلك بفعل الاشتراك في الحوائط والسقوف والأسس. وقد تكون توصية الرسول ﷺ للمؤمنين بتقديم المعونات لبعضهم البعض مثل السماح للجار بغرز خشبه، والاشتراك في الجدران، هي العامل الأساسي في نشأة هذا التلاحم بين المباني الذي يغلب طابعه المدن القديمة من المحيط إلى الخليج.

وتمثل مؤسسات الوقف التي كانت العمود الفقري في إدارة المرافق والخدمات في

---

(١) جزء من حديث طويل«...فرقوا بينهم في المضاجع» سنن أبي داود كتاب الصلاة حديث رقم (٤١٨)، مسند أحمد حديث رقم (٦٤٠٢) من مسند المكثرين، والحديث رقم (٦٤٦٧) من نفس المسند.

(٢) صحيح البخاري الحديث رقم (٤٥٩) كتاب الصلاة، صحيح مسلم الحديث رقم (٤٦٨٤) كتاب البر والصلة، مسند أحمد الحديث رقم (١٩٦٢٤) من مسند الكوفيين، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.



المدن الإسلامية القديمة مثل المستشفيات والمساجد والمدارس والحصون والقلاع وغيرها مثالاً آخر للتكافل الاجتماعي بالمدن الإسلامية. والوقف عبارة عن تنازل الشخص بنية التعبد عن ملكيته لصالح الأمة أو جماعة معينة، حيث تعود غلة هذا العقار بعدها للمستفيدين المعنيين. ويقسم في الغالب إلى نوعين **الوقف الخيري** المقصود به عامة أفراد الأمة، و**الوقف الأهلي** الذي يختص به الواقف أفراد أسرته. وقد جرت العادة أواخر العهد العثماني أن يوقف المالك عقاراً على أهله، وعند انتهاء سلالته يعود إلى مؤسسة عامة مثل الجامع الأعظم أو الحرمين الشريفين أو الفقراء واليتامى أو المدارس[١]. وقد وصل الحد في بعض المدن القديمة مثل الجزائر والقاهرة أن يكون نصفها أو ثلثها وقفاً.

ونجد روح الانتماء كذلك تتجسد في التسليم بتسبيق المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية من خلال مبدأ نزع الملكية للمصلحة العامة أو مبدأ الاستملاك. وقد كانت أولى عمليات الاستملاك تلك التي قام بها عمر بن الخطاب لتوسيع المسجد النبوي، وقد حدثت حادثة طريفة مع ابن عباس التي تنازل فيها ابن عباس طواعية عن حقه

---

(١) لقد تكاثرت البحوث على دراسة الوقف في الحضارة الإسلامية وبالخصوص سبب تكاثره في بعض مراحل الدول، وقد فسره بعض الباحثين -خاصة الغربيين والمستشرقين- بتفشي الظلم ونزع الملكيات، ولذلك كان يلجأ الملاك إلى وقف أملاكهم على ذرياتهم ثم على جهات الخير العامة، صوناً لها من سطوة الحكام. ومهما كان أثر هذا العامل صغيراً أو كبيراً فإن ذلك لا يحجب مقدار الخدمات التي قدمتها مؤسسات الوقف للمجتمعات الإسلامية، بل إن اللجوء إلى الوقف لتخليص الملكية من ظلم الحكام هي إحدى الفوائد. في تفصيل دور الأوقاف في إدارة المدن الإسلامية انظر ورقة المؤلف «الوقف ودوره في إدارة وتخطيط المدن الإسلامية القديمة» مؤتمر «الوقف الإسلامي» ٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧، العين، جامعة الإمارات العربية المتحدة. وعن مدينة الجزائر انظر الفصل الخامس من «المدينة والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني» لمصطفى بن حموش، وكذلك «أوقاف الحرمين، الجزائر في العهد العثماني» لمريم هوكستر بريل.



دون مقابل بعد أن أثبت لعمر بن الخطاب عدم شرعية النزع قهراً[١].

ويرى بعض الباحثين الاجتماعيين والانثروبولوجيين كذلك أن الوحدة الثقافية لمجتمع معين كثيراً ما تأخذ طريقها في العمران لتترجم من خلال تجانس النمط السكني والواجهات واللون المستعمل والطراز المشترك[٢]. ويظهر ذلك في المدن الإسلامية القديمة حيث تشترك البيوت في الطراز المعماري لكنها في المقابل تكون منفردة في تفاصيلها وسعتها بحسب خصوصية كل فرد. وفي السنة النبوية أن الرسول ﷺ غضب على أحد سكان المدينة الذي وضع على بيته قبة ترى من الخارج، ولم يسمح بالسلام عليه إلى أن هدمت تلك القبة[٣]. وفي رأي الباحث أنه يمكن ترجمة هذا النص إلى قانون يهدف إلى المحافظة على الطراز الواحد المشهور في المدينة، وذلك منعاً للشذوذ المعماري والخروج على الأعراف، ومنعاً للمفاخرة والتنافس المادي.

وخلافاً للتنظيم المدني الغربي سواء الحالي أو القديم الذي يعتمد على التوزيع الطبقي، فإن المدن الإسلامية ليس فيها أحياء للفقراء وأخرى للأغنياء، ففي الكثير من الأحيان نجد البيت الصغير بجنب بيت كبير، ولا يعرف الاختلاف بينهم إلا

(١) انظر الحادثة بالتفصيل في كتاب نور الدين علي بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ/١٥٠٦) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ٢/٤٨٢-٤٨٣. هذا وقد نوقشت مسألة نزع الملكية بالتفصيل في رسالة الفائز: البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي ص٥٨٦-٦٠٠، وذكر صاحب الرسالة بعد عرض الآراء المختلفة أن المسألة محل اتفاق الفقهاء. وجملة ذلك أن نزع الملكية للمصلحة العامة تندرج ضمن مبدأ «المصلحة العامة أولى من المصلحة الخاصة»، ووجوب طاعة الإمام العادل الذي يسعى لإقامة المصلحة العامة، والتعويض العادل للمالك المتضرر من النزع وترضيته.

(٢) انظر كتاب أموس رابوبور المشهور عن الثقافة والبيت والشكل المعماري:

Rapoport A. House, Form and Culture N. J. Prentice Hall, 1969.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص٢٠٤



من خلال سعة الأحواش وأحياناً زخرفة المدخل، والسر في ذلك أن كل حي سكني ينتظم بحسب انتمائه العائلي بعلاقات الدم أوالنسب أو القرابة. وينجم عن ذلك أن فقراء الحي الواحد تكون إعالتهم وكفالتهم على أغنيائهم. وتتجلى هذه العلاقة التي تتحول إلى مسؤولية جماعية على حركات الأفراد من خلال حكم الدية التي تتوزع على جميع أفراد القبيلة أو العائلة.

الحرية الفردية وحق الاختلاف:

قد يقع التباس في الفكر الإسلامي حول تغلب النزعة الجماعية على الحياة المدنية. لكن المتفحص في النصوص المرجعية وكذلك في الجانب المادي في الحياة المدنية سيجد أن هناك مساحة مهمة للحياة الفردية الخاصة، وهو ما يسمى في الأدب المعاصر بحق الاختلاف والخصوصية. فعلى مستوى العقيدة يفسح الإسلام المجال للمسلم بالتنعم بالحياة الدنيا المباحة من خلال النص القرآني:

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾[١]

وقد أوصى الإسلام بأخذ الزينة عند الخروج للمسجد والحياة العامة[٢]، كما جاء في الحديث «إن الله جميل يحب الجمال»[٣]. وكل هذه النصوص والمراجع توحي بسعة مساحة الحرية الفردية في التنعم والتوسع الشخصي في دائرة المباح في مقابل المتطلبات

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٣١.
(٣) صحيح مسلم الحديث رقم (١٣١) كتاب الإيمان، مسند أحمد الأحاديث رقم (٣٦٠٠، ١٦٥٧٥، ١٦٧٢٩) من مسند الشاميين.



الصارمة للحياة الجماعية. ونجد ذلك متجسداً في وجود النافورات داخل الأحواش وسعة الحوش بحيث يتسع للنباتات وحتى للبساتين الغناء ولقنوات المياه مما يجعل البناء جنة فوق الأرض. وقد ضربت الحياة الفردية في الأندلس أقصى حد للترف والتوسع في المباحات.

ولذلك تبقى معادلة الزهد والزخرف في حياة المسلم مسألة فردية تختلف من شخص إلى آخر بحسب اجتهاده في العبادة، ومدى قناعته الدينية. وأعتقد أن هناك مساحة محددة بين طرفي الزخرف والزهد هي مساحة المباح التي تنضبط بدرجة الوعي الديني والورع من جهة، وبالمستوى المعيشي للمجتمع الإسلامي في الزمن والمكان المحددين من جهة أخرى.

القيم البيئية:

يمكن اعتبار هذه القيم سلوكية، باعتبارها ترشد الإنسان إلى كيفية التعامل مع الكون والطبيعة انطلاقاً من التصور الإسلامي العام للوجود. وقد تحولت الكثير من هذه القيم إلى أعراف وتقاليد توجه أفعال المجتمع والأفراد آنياً كما سنرى.

ويوجد في النصوص الإسلامية الكثير من الإشارات إلى ضرورة الاهتمام بالبيئة وعدم الإساءة إليها باعتبار ذلك فساداً في الأرض. وقد جاء في الأثر أنه «إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها».[١]. وفي حديث آخر أنه «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٢]. كما جاءت الأحاديث التي تحث على الاقتصاد في استعمال الماء للوضوء حيث يوصى المسلم أن يقتصد في الوضوء، ولو كان على شفا نهر جار. كما جعل من الكبر البراز في الأماكن

---

(١) مسند الإمام أحمد الحديث رقم (١٢٤٣٥) باقي مسند المكثرين.

(٢) صحيح البخاري الحديث رقم (٢١٥٢) كتاب المزارعة، صحيح مسلم الحديث رقم (٢٩٠٤) كتاب المساقاة.



المظللة والتي يقصدها الناس للجلوس. وجعل إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وذلك حتى الشوكة التي تكون في الطريق(١).

وكان لهذا التوجيه أثره المباشر في نشأة القيم البيئية عند المسلمين، وبالتالي تفاعل العمران الإسلامي مع البيئة وخصوصاً العناصر الرئيسية مثل الشمس والخضرة والماء والتراب والحيوان. فقد نشأت مثلاً في المناطق الصحراوية الحارة الجافة عمارة تتجاوب مع الشمس من حيث استقبال الحرارة في الشتاء وتجنبها في الصيف. وسوف نقتصر هنا على بعض المبادئ المتجسدة في العمران والمؤسسة على بعض هذه القيم البيئية.

إحياء الأرض الموات:

الإحياء باب من أبواب الخير قبل أن يكون مسألة تملك للأرض، حيث يدفع المسلمين إلى توسيع رقعة الإعمار في الأرض. ويكون الإحياء بجلب الماء لها وزرعها عندما تكون جدباً أو بإزالة الماء عنها إن كانت مغمورة، أو بإقامة البناء عليها(٢).

---

(١) مر النبي ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف! قال: نعم، وإن كنت على نهر جار» سنن ابن ماجه الحديث رقم (٤١٩) كتاب الطهاره وسننها. مسند الإمام أحمد الحديث رقم (٦٧٦٨) مسند المكثرين من الصحابة.

وعن التبول والبراز جاء الحديث «اتقوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل» مسند أحمد الحديث رقم (٢٥٨٠) مسند بني هاشم، سنن أبي داود الحديث رقم (٢٤) كتاب الطهارة، سنن ابن ماجه الحديث رقم (٣٢٣) كتاب الطهارة وسننها.

وعن إماطة الأذى عن الطريق نقرأ «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» صحيح مسلم الحديث رقم (٥١) كتاب الإيمان، سنن النسائي الحديث رقم (٤٩١٨) كتاب الإيمان وشرائعه.

(٢) انظر بالتفصيل الباب الخامس عشر من كتاب الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي (٤٥٠هـ) ص١٩٨ – ٢٠٥، وكذلك البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي لإبراهيم محمد الفائز ص٦١٧– ٦٢٤، وعن آليات إحياء الأرض الموات انظر عمارة الأرض في الإسلام لجميل أكبر ص٥٥– ٦٢.



وفي المذهب المالكي قول بأن الأراضي المملوكة بإحياء أو بمجرد وضع اليد والتي أهملت ولم تستغل مدة طويلة بحيث عادت مواتاً مرة أخرى يمكن تملكها من غير المالك الأول بإحياء جديد. فهذا الرأي وإن كان يعارض من بعض الوجوه حق الملكية فإن له كذلك جانباً إيجابياً حيث يدفع أصحاب الأرض إلى استغلالها[١].

ويمتد مبدأ الإحياء في رأي بعض الفقهاء حتى إلى داخل المدينة. ففي الكثير من الأحيان يلجأ سكان المدينة إلى استغلال المساحات العاطلة الباقية في المدينة بتمديد البناء عليها. وينطبق ذلك على بناء الأجنحة والرواشن التي تمتد فوق الشوارع بعد ترك المساحة الباقية للمرور. يقول فيّ ذلك القرافي في إحدى قواعده الفقهية «إن هواء الموات موات، وهواء الوقف وقف»، ويضيف «... إن الأفنية هي بقية الموات الذي كان قابلاً للإحياء، منع الإحياء فيه لضرورة السلوك، وربط الدواب، وغير ذلك...»[٢]. فإذا كان الشارع الذي هو نتيجة لترك الأرض بدون بناء أصله موات، ويكون حكم كل ما هو حوالي المسار -من أفنية ليس لها وظيفة معينة أو هواء فوقه لاحاجة للمسلمين به للمرور- حكم الموات الذي يجوز إحياؤه.

كما ينهى الإسلام نهياً قاطعاً عن الفساد في الأرض بقطع الأشجار أو تخريب مصادر المياه حتى في وقت الحرب وفي أرض العدو. وقد حزن المسلمون كثيراً عندما قاموا بقطع نخيل اليهود على اعتبار أن ذلك فساد في الأرض، ولم يزل عنهم الحزن حتى نزلت آية الاستثناء[٣] ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**﴾.

---

(١) انظر المسألة كذلك في المرجع السابق ص٦١. هذا وقد بنت السلطات الجزائرية في وقت الرئيس «أبو مدين» سياسة الثورة الزراعية على أساس مبدأ «الأرض لمن يخدمها» لتحرير الأرض من الاحتكار.

(٢) الفروق لأبي شهاب الصنهاجي القرافي، الفرق رقم (٢١٢).

(٣) سورة الحشر، الآية ٥.



الاقتصاد والإحسان:

تعود الكثير من القيم في العمران الإسلامي إلى مبدأي الاقتصاد في الاستهلاك، والإحسان في الاستعمال. والاقتصاد يعني التصرف وَفْقَ الحاجة بعكس الإسراف والتبذير، أما الإحسان فهو التصرف الأمثل والفعال في استعمال الأشياء، وفق الحديث النبوي «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[١]. وهو كذلك التصرف بمنتهى الدقة باستحضار وجود الله سبحانه ومراقبته[٢].

فبالنسبة إلى الاقتصاد، يوصي الإسلام بمراعاة الحاجة في استهلاك أي عنصر من الطبيعة وعدم تجاوز الحد. ويكون عكس ذلك هو الإسراف ﴿ **يابني ءادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[٣].

وفي الرسالة التي بعث بها عمر بن الخطاب إلى صاحب الكوفة مثال كذلك في ضرورة الاقتصاد حتى في استهلاك الفراغ «ابنوا ولا يزيدن أحدكم عن ثلاث غرف، والزموا السنة تلزمكم الدولة»[٤].

كما يوصي الإسلام بعدم الإسراف في استعمال الماء حتى في الوضوء[٥]. ونجد في

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٣٦١٥) في كتاب الذبائح والصيد والحيوان.

(٢) جاء في تعريف الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» في باب الإيمان صحيح البخاري حديث رقم (٤٨).

(٣) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ٢/ ٣٣٠– ٣٣٥.

(٥) «مر النبي ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف، فقال: أفي الوضوء إسراف، قال: نعم، وإن كنت على نهر جار» سنن ابن ماجه الحديث رقم (٤١٩) كتاب الطهارة وسننها، مسند أحمد الحديث رقم (٦٧٦٨) مسند المكثرين من الصحابة، وقد مرَّ قريباً. كما حدد مقدار الماء الضروري للوضوء الأصغر بمدّ والأكبر بصاع وهو أربعة أمدّ من «الطهارة وسننها» لابن ماجه (ت٢٧٥هـ) الحديث رقم (٢٦٧).

التاريخ الإسلامي العمراني أمثلة رائعة في استعمال مياه الأمطار وتخزينها واستعمالها في الأوقات الحارة، وكذلك تقسيمها تقسيماً دقيقاً بين المستحقين[١].

وفي العمران الإسلامي كذلك آليات يمكن التأصيل لها بالعودة إلى الإحسان بمفهومه الشرعي الدقيق. فقد رغب الإسلام في مضاعفة استعمال الأشياء، وذلك استحساناً في توظيفها. وقد جاءت الآية عن سيدنا موسى في قوله عن العصا[٢]: ﴿**قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى**﴾.

وكثيراً ما نجد ذلك ينطبق على أثاث المنزل في البيوت القديمة، فتكون الغرفة للنوم ليلاً ثم للاستقبال نهاراً، والأكل ظهراً، وللعب الأطفال، وغيرّ ذلك. وهذا عكس القيمة المختزلة التي أدخلها علينا الغرب في تخصيص كل غرفة بوظيفة دون الأخرى مما يجعل الغرف تستعمل جزئياً في اليوم الواحد. ومن أسباب هذا الاختزال في استعمال الفراغات طريقة تصميم الأثاث الذي يكون عادة ضخماً وثقيلاً يصعب تحريكه. ولعل النموذج الياباني في التصميم المرن سواء للأثاث أو الفراغات الداخلية يستجيب أكثر لهذه المرونة والاستعمال المكثف. وقد استطاع اليابانيون تسخير التكنولوجيا الحديثة لتجسيد هذا المطلب حيث أصبح الكثير من الأثاث متحركاً يمكن طيه وإلصاقه بالحوائط، ثم استعمال الفراغات لعدة أنشطة متعددة بحسب أجزاء اليوم من ليل ونهار.

ومن باب الإحسان كذلك إكرام الطعام الباقي في الإناء، وعدم تعمد ترك فتات الطعام يسقط ويداس. ومن الصور المشابهة لذلك في المدن الإسلامية العتيقة ألا نجد الأراضي الضائعة، حيث يجتهد السكان في استعمال أي شبر من المساحة. وقد يمتد هذا إلى

---

(١) انظر مثلاً:

Bianca Stefano Urban Form in the Arab World Zurikh, ETH, 2000, pp66-67.

(٢) سورة طه، الآية ١٨.



استعمال هواء الشوارع باعتباره فراغاً زائداً عن وظيفة المرور التي كانت تحدد عادة بأعلى شيئ يوضع فوق الجمل أو الدابة عند المرور. ولا يتم توسيع المدينة وهدم الأسوار لضم أراضٍ جديدة وبناء السور الجديد إلا بعد أن تكون الأراضي داخل الأسوار القديمة قد استنفدت كلياً.

المحافظة على البيئة ومبدأ التدوير :

يمكن اعتبار هذه القيم السلوكية تجاه الطبيعة بمجموعها فرعاً من مبدأي الإحسان، والنهي عن الفساد في الأرض. وإن كنا نريد وصف هذا الجانب في العمران الإسلامي بلغة العصر فسيكون مقابله لا محالة مفهوم البيئة المستديمة. لقد كانت دورة استغلال الإنسان المسلم للطبيعة متوازنة، ولا تتطلب إهدار طاقات جديدة دوماً وعناصر طبيعية كبيرة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. كما كان هناك إعادة استعمال العنصر الواحد عدة مرات، ومن ذلك استعمال روث الحيوانات في الزراعة وفي تجيير الحيطان. واستعمال قصب القمح والشعير والذرة في تحضير الطوب « المسلح » واستغلال أجزاء الأشجار الميتة مثل جريد النخل وجذوعه في التسقيف، واستغلال الظواهر الطبيعية لتوليد الطاقة مثل استعمال ملاقف الهواء.

ويذكر المقدسي أن أهل البصرة كانوا يستغلون ظاهرتي المد والجزر في إدارة الأرحية، فكان الماء يدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى، فإذا جاء الجزر أفاد أيضاً في عمل الأرحية لأنها على أفواه الأنهار، فإذا خرج الماء أدارها، ويبلغ المد إلى حدود البطائح[١].

---

(١) التراث الجغرافي الإسلامي لمحمد محمدين ص٣٦٩.



وتتبع ياقوت الحموي طريقة تسميد الأرض في البصرة فذكر أن للفضلات الإنسانية قيمة، ولها فيما زعموا تجاراً يجمعونها، فإذا كثرت جمع عليها أصحاب البساتين، ووقفوا تحت الريح لتحمل إليهم نتنها، فإنه كلما كانت أنتن كان ثمنها أكثر[١].

وجدير بالذكر أن المسلمين ابتكروا طريقة الري بالتنقيط، حيث أشار ابن العوام في كتابه «الفلاحة» إلى وضع جرتين كبيرتين من فخار جديد عند أصل الشجرة، وتملأ الجرتان بالماء العذب، وأسفل كل جرة منهما ثقب وينفذ منه الماء إلى أصل الشجرة، وكلما نقص ماء الجرتين زيدتا[٢].

النظافة والقيم الجمالية:

بعكس ما يتبادر إلى الذهن من تشجيع الإسلام للزهد فإن هناك الكثير من النصوص التي تولي الاهتمام بالجمال والزينة. لقد أولى الإسلام اهتماماً بمسألتي الجمال والزينة. فقد جاء في سورة الأعراف مخاطبة المؤمنين بأخذ الزينة عند كل مسجد[٣]. هذا وإن الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال»[٤] يجعل الجمال جزءاً من عقيدة المسلم لارتباطه بصفة من صفات الله سبحانه وتعالى. ولذلك فقد أسس المسلمون الأوائل اتجاهات فنية عديدة ومميزة تجلت في تطوير الخطوط ومعالجة المساحات بالمقرنصات، واستعمال الألوان والزخرفة بالفسيفساء، وإدخال النبات والماء والضوء في المباني كعناصر تضفي الجمال على المكان، وتشهد بعظمة الله وإبداعه في الخلق.

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٤٣٦- ٤٣٧.
(٢) التراث الجغرافي الإسلامي لمحمد محمدين ص٣٥٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية ٣١.
(٤) سبق تخريجه ص٢١٤.



ولنا أن نتساءل هنا ما هو مفهوم الجمال عند المسلمين؟ فالجواب أن كل ما هو في الطبيعة من مخلوقات هي مبدئياً آية من آيات الله وهي ليست في ذاتها جميلة ولكنها بما توصِّلُ إليه من توحيد وعبادة لله ثم التمتع بنعم الله المباحة. وبعبارة أخرى فإن الفن والجمال ليسا هدفاً في حد ذاتهما ولكنهما وسيلة للوصول إلى الحقيقة الإلهية والعبودية له. ولذلك فإن منظر الرجل المشرك أو المرأة الكافرة أو المنظر الجنسي مهما كان جميلاً فإنه في معايير الإسلام الأخلاقية والتعبدية دنيء، لأن جماله الذاتي لا يؤدي تلك الوظيفة الأساسية بل يناقضها: ﴿ **ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** ﴾[1].

ولأهمية الطهارة عند المسلمين الروحية والحسية فقد أصبحت كذلك قيمة جمالية، حيث يُعتبر كل ما هو طاهر جميلاً. فقد جاءت أحاديث تعتبر الطهارة شطر الإيمان، وتأمر المسلمين أن ينظفوا مساجدهم ويطيِّبوا أفنية بيوتهم ولا يكونوا كاليهود[2].

كما جاءت روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ في الألوان والطيب[3]. ومن العادات التي انتشرت عند المسلمين استعمال البخور في نشر الطيب في أرجاء البيوت. وقد سبق أن

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢١.

(٢) «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا –أراه قال– أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود» سنن الترمذي الحديث رقم (٢٧٢٣) كتاب الأدب، وعن تنظيف المساجد «أمر ببناء المساجد في الدور وأمر بها أن تنظف وتطيب» مسند أحمد الحديث رقم (٢٥١٨٢) باقي مسند الأنصار، سنن الترمذي الحديث رقم (٥٤٢) كتاب الجمعة.

(٣) عن الطيب مثلاً انظر حديث «حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني الصلاة». سنن النسائي الحديث رقم (٣٨٧٨) كتاب عشرة النساء، مسند الإمام أحمد الحديث رقم (١١٨٤٥)=



ذكرنا مجموعة من الأحاديث التي تحث على تنظيف الدور والمساجد والشوارع العامة واستعمال الطيب.

المدينة في غياب القيم:

شهدت الكثير إن لم نقل أغلب المجتمعات العربية والإسلامية منذ القرن الماضي تحولاً جذرياً في منظومة قيمها. وبغض النظر عن مجموعة العوامل المتعددة لهذا التحول فإنه قد مسّ مختلف ميادين الحياة المدنية والفردية، حيث أزيحت الكثير من القيم الإسلامية، واستبدلت بقيم عصرية. وفي اعتقاد الباحث أن موضوع استقصاء هذه التحولات ثم البحث عن صورها المجسدة في المدنية المعاصرة هو بحث مستقل بذاته. ولذلك فإن هدف هذا الباب هو عرض صورة إجمالية لغياب تلك القيم، في ضوء المحاور المذكورة أعلاه، وأثرها المادي في العمران، وذلك لتأكيد صحة فرضية الموضوع من جهة، وفتح أفق بحث جديد من جهة أخرى.

فقد استبعدت القيم الربانية والدين عموماً من الحياة المدنية، واعتبرت مسألة شخصية. وكان ذلك بمثابة سدٍّ لمصدر القيم التي كانت تحرك الضمير بعيداً عن السلطة الخارجية. وقد حلت محلها قيم قسرية أنشأتها الدولة المركزية الممثِّلة -نظرياً- للمصلحة العامة. وهكذا فقد أصبحت المدينة العصرية تحت تصرف الدولة في التخطيط

=باقي مسند المكثرين. كما جاء في أحاديث متعددة ذكر حب الرسول ﷺ لألوان متعددة منها الأبيض والأصفر والأحمر والأخضر، منها «عن أبي رمثة رأيت النبي ﷺ يخطب وعليه بردان أخضران» سنن النسائي الحديث رقم (١٥٥٤) كتاب صلاة العيدين، ومنها «عن سمرة عن النبي ﷺ قال: البسوا من ثيابكم البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم» سنن النسائي الحديث رقم (١٨٧٠) كتاب الجنائز، ومنها عن أبي اسحاق عن البراء قال ما رأيت أحداً أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ وجمته تضرب منكبيه» سنن النسائي الحديث رقم (٤٩٧٤) والحديث رقم (٤٩٩٨) من كتاب الزينة.



والإدارة مما زاد في مسؤولياتها، وأنشأ في المقابل نوعاً من التوكل واللامبالاة لدى الفرد، وتقلص التفاعل مع محيطه إلى داخل بيته على أحسن حال؛ لكون الخارج يخضع كلياً للقوانين التي تضعها الدولة. ومن أمثلة تأثير غياب الوازع الديني في المدينة نشأة ظاهرة التخريب للممتلكات العامة. وقد كتبت الكثير من الأبحاث عن هذه الظاهرة التي سميت بالوندالية[١]. وقد اعتبر بعض الباحثين أن الإجرام في بعض المدن الأمريكية مصدره قلة الأمن الاجتماعي الذي هو نتيجة عدم اكتراث أفراد المجتمع بما يجري خارج نافذة البيت باعتباره مسؤولية الدولة[٢].

وفي غياب التوازن بين الزهد والزخرف نجد أن غالبية سكان المدينة يتجهون نحو التنافس في أشكال الواجهات والمواد المستعملة، وقد أصبحت المدينة مسرحاً للطرز المتنافرة والمختلفة التي لا يجمعها أي رابط أو عرف.

كما نجد في العمران العصري تجسيداً مباشراً لغياب أو ضعف قيم القرابة والجوار والتكافل الاجتماعي والتفريق بين الجنسين. فقد حل محلها قيم مبنية على أساس تمجيد الطبقية والاستقلالية الفردية المبني على أساس الحرية من ناحية، والمصلحة الفردية من ناحية أخرى. وقد تجسد ذلك في إعادة تنظيم المدينة إلى أحياء سكنية ومناطق بحسب الدخل الفردي والمكانة، وانتشار نزعة التكسب والتنافس مع الغير في البناء، والميل إلى البناء الفردي المنفصل عن الجماعة نمطاً وموقعاً.

كما كان لإهمال الخصوصية والحرمة والاختلاط أثره على أنماط الأبنية السكنية حيث تغلب عليها الطابع المفتوح للخارج. وبسبب تعارضها مع المتطلبات الاجتماعية تشهد هذه

(1) Ward C. (1972) Vandalism Architectural Press London

(2) Newman O. (1984) Defensible space London, Architectural Press.



المباني ردود فعل سلبية تتمثل في تغيير الواجهات بتغطية الشرفات بمواد مختلفة، أو بإهمال استعمالها لإطلالها على الخارج، أو بإحاطة البيت بسور أرفع من ارتفاع البيت نفسه.

أما بخصوص البيئة فإن فقدان المجتمع للقيم البيئية أدى إلى بروز مظاهر حضرية سلبية متعددة، ومن أهمها الإهدار المستمر للطاقات والمواد الطبيعية مثل الماء والهواء والتراب والنبات. كما انتشرت ظاهرة إلقاء القمامات في الخارج باعتبار وجود عمال البلدية. وفي الجانب الاستهلاكي فقد أصبح الضابط الرئيس فيها هو قدرة الشخص المادية وحدود متعته الشخصية القصوى، ولم يعد للحاجة بالمفهوم الديني -عدم الإسراف- مكانة في السلوك الفردي. ونظراً للوفرة في بعض البلدان ذات الدخل المرتفع فإن مسألة التدوير وإعادة استعمال المواد لا يعار لها أي اهتمام يذكر. ورغم المجهودات الضخمة التي تبذل حالياً في البلدان المتقدمة لدفع هذه الصناعة الجديدة -التدوير- بسبب الكميات الهائلة من النفايات التي تصدر من المدن فإنها في المقابل ترزح تحت ثقل المنهج الاستهلاكي الهائل الذي تنتهجه المجتمعات المعاصرة. ولعل الأمواج الهائلة من الإشهار للسلع عبر التلفزيون ووسائل الإعلام التي تقوم بها الشركات المنتجة على سبيل الربحية هي إحدى منابع التردي البيئي. فالمجتمعات سواء المتقدمة أو المتأخرة أصبحت أوعية للاستهلاك المطلق دون مراعاة لمصادر الطبيعة، أو حتى القدرات البيولوجية للإنسان.

الخلاصة:

يعكس العمران الإسلامي القيم الروحية والسلوكية التي وضعها الإسلام لتنظيم الحياة المدنية الجماعية والفردية للمجتمع. وقد اهتممنا في هذا البحث برصد أهم تلك القيم ثم تتبع أثرها المباشر في شكل المدينة. ويمكن اختصار هذه القيم في ثلاث كليات:



الكلية الربانية والكلية الإنسانية والكلية البيئية.

فأهم ما جاء به الإسلام هو ضبط علاقة الإنسان بربه عن طريق العقائد والتعبدات. فقد تجسدت الكلية الأولى من خلال المعايير الضميرية، والتسليم للحكم بما أنزل الله، وإقامة الشعائر التعبدية سواء الجسدية أو الروحية. ولذلك فقد كانت تصرفات الأفراد والجماعات تخضع للوازع الضميري في الغالب قبل أن يتدخل عامل السلطة الخارجية المتمثل آنذاك في السلطة والقضاء والمراقبة الخارجية أو الحسبة. وكانت لكل من هذه القيم صور مادية واضحة في المدن الإسلامية. ومن أهم تلك الصور: وضع المعايير الضميرية للإنسان في سلوكه الحضري سواء الخاص، على مستوى سكنه، أو العام، على مستوى الشارع والسوق وأماكن التجمعات العامة، ومراعاة الشعائر التعبدية، بإقامة أماكن العبادة، وتوجهها إلى القبلة، واختيار الموقع المركزي المناسب لها.

وتشمل **الكلية الثانية** كلاً من قيم القرابة والجوار، والتكافل الاجتماعي، والحرية الفردية، والتفرقة بين الجنسين. وقد أخذت هذه القيم مكانتها في كثير من مظاهر التمدن الإسلامي وعمارته مثل أنماط السكن المنفتح إلى الداخل وحجم المباني المناسب لحجم العائلة الكبيرة، وتنظيم الفراغات الحضرية والبيتية، ومعالجة الواجهات، وتلاصق المباني، وغير ذلك من الميزات العمرانية والمعمارية.

كما كان لمراعاة الإسلام **للجانب البيئي** أثره المباشر على شكل المدينة، تمثل في اتساع رقعة العمران بواسطة آليات الإحياء وترشيد الاستهلاك بحسب الحاجة، وكذلك نظافة المحيط وإضفاء القيم الجمالية عليه والمحافظة على البيئة. وبرصد هذه الميزات يمكن القول أن المحافظة على الطبيعة وتوجيه النشاط البشري وفق متطلبات البيئة المستدامة بالمفهوم العصري كانت إحدى إفرازات العمران الإسلامي.



وما نخلص إليه أنه لكي نرفع من نوعية المحيط الحضري في مدننا المعاصرة يجب مراجعة المنظومة العمرانية الحالية وإدراج مجموع القيم المذكورة. فلا يمكن بحال تحسين نوعية محيطنا دون الاعتماد على الحوافز الداخلية للأفراد والمجتمع التي تستمد روحها من هذه القيم.



المراجع العربية

١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي الماوردي (٤٥٠هـ) تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠.

٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠.

٣- أزمة محيط أم أزمة سلطة؟ قراءة جديدة في أزمة العمران العصري لمصطفى بن حموش، مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط، الرياض، جدة، مجلد ١١/(١٤١٩هـ- ١٩٩٩م)ص ١- ٢١.

٤- البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي لإبراهيم محمد الفائز، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٥- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (ت ٣١١/٩٢٣)، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٦.

٦- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لبرهان الدين محمد بن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة العامرة الشرفية بمصر، ١٣٠١ هـ.

٧- تبيين المسالك لمحمد الشيباني الشنقيطي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥.

٨- التراث الجغرافي الإسلامي لمحمد محمود محمدين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٩٩.

٩- جامع العلوم والحكم، تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي، ط دار المعرفة، بيروت.

١٠- دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية لناجي عبد الجبار، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

١١- رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي للقاضي كامي أفندي الإدرنوي (١٦٤٩-١٧٢٣م) تحقيق مصطفى بن حموش، دار البشائر، دمشق،٢٠٠٠.

١٢- سلوك المالك في تدبير الممالك لابن الربيع، تحقيق ناجي التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ ص١٩٢.

١٣- عمارة الأرض في الإسلام لجميل أكبر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.

١٤- الفروق، لأبي شهاب الصنهاجي القرافي، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

١٥- القيم الثقافية ودورها في نقل التكنولوجيا لمحمد مقداد، مؤتمر الثقافة والعلم جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢١ -٢٣ أكتوبر ٢٠٠١.

١٦- القيم بين الخصوصية والعمومية لناصر الدين الأسد، مؤتمر الثقافة والعلم جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢١ -٢٣ أكتوبر ٢٠٠١.

١٧- القيم في الإسلام لصلاح الدين رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠.

١٨- القيم في عصر المعلومات لأحمد فؤاد باشا، مؤتمر الثقافة والعلم جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢١ -٢٣ أكتوبر ٢٠٠١.

١٩- القيم والعادات الاجتماعية لفوزية دياب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،

القاهرة، ١٩٦٦.

٢٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المعارف، الرباط، دون تاريخ.

٢١- مجموعة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٨٥.

٢٢- مخطوط الجدار، تأليف عيسى بن موسى التطيلي (ت٣٨٦هـ)، المكتبة الوطنية بالجزائر.

٢٣- المدينة الفاضلة لأبي نصر الفارابي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٨٥.

٢٤- المدينة الفاضلة عبر التاريخ لماريا لويزا برنيري، ترجمة عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧.

٢٥- المدينة والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني لمصطفى بن حموش، دار البشائر -دمشق- مع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ١٩٩٩.

٢٦- معجم البلدان لياقوت الحموي، بيروت، ١٩٥٥.

٢٧- المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

٢٨- من معالم العمران الإسلامي: قرابة النسب وقرب المكان لمصطفى بن حموش، مجلة الأحمدية العدد الثاني، ١٩٩٨، ص٣١١- ٣٣٦.

٢٩- الموسوعة البريطانية على القرص المدمج، طبعة ١٩٩٩.

٣٠- نحو مدخل إسلامي لمعالجة صراع القيم في الحياة التنظيمية لعارف عطاري، مؤتمر



الثقافة والعلم جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢١ –٢٣ أكتوبر ٢٠٠١.

٣١– نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض السنامي (ت ٧٣٤) تحقيق موئل يوسف عز الدين، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣.

٣٢– هل هناك مدينة إسلامية؟ لجميل أكبر، في مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٦ العمارة والتخطيط بالعربية، الرياض (١٤١٤هـ– ١٩٩٤م).

٣٣– وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لنور الدين علي بن أحمد السمهودي (ت ٩١١هـ– ١٥٠٦م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤.

٣٤– الوقف ودوره في إدارة وتخطيط المدن الإسلامية القديمة لمصطفى بن حموش، مؤتمر الوقف الإسلامي ٦– ٧ ديسمبر ١٩٩٧، العين، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

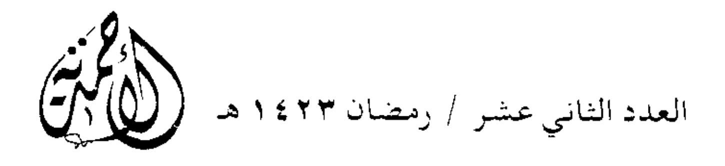
المراجع الأجنبية:

35- Ben Hamouche M. The Impact of sight Restrictions on the Maghrib Architecture in Intellectual Discourse Vol 7/no 2, 1999, p133-154.

36- Bianca S. (2000) Urban Form in the Arab World, Zurikh, ETH, 2000.

37- Hoexter M. Endowments, Rulers and Community, Brill, Leiden, 1998.

38- Inalcik H. ''Istanbul: An Islamic City'' in journal of Islamic Studies 1



(1990) p 1-23.

39- Newman O. (1984) Defensible space London, Architectural Press.

40- Rabbat N. The Ideological Significance of the Dar Al Adl in the Medieval Islamic Orient International Journal of Middle Eastern Studies 27 (1995), p 3-28.

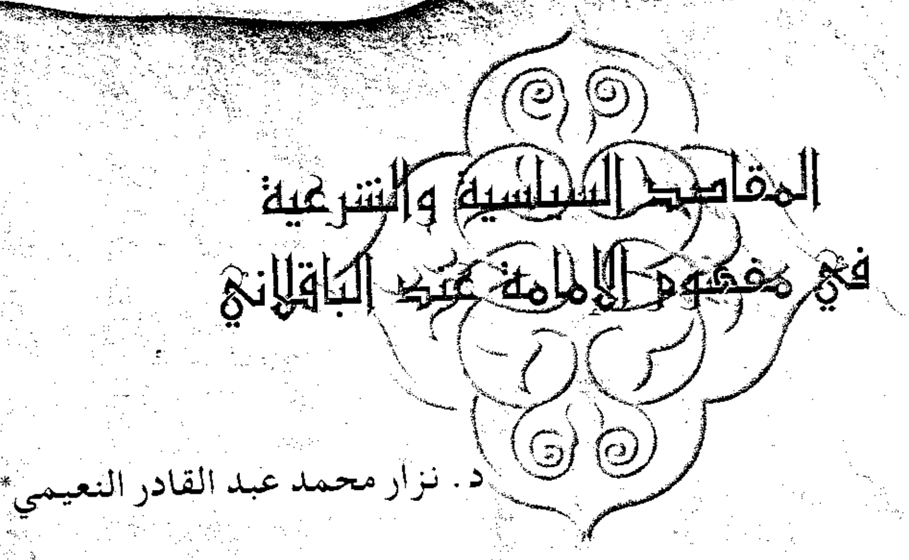
41- Rapoport A. House, Form and Culture N.J. Prentice Hall, 1969.

42- Rapoport A. "Islamic City, Arab City: Orientalist myths and Recent Views" in British journal of Middle Eastern studies Vol 21, no 1, 1994, p3-19.

43- Stoljar S. (1980) Moral and Legal Reasoning London, Macmillan Press, p95.

44- Ward C. (1972) Vandalism Architectural Press London.

***



المقاصد السياسية والشرعية في مفهوم الإمامة عند الباقلاني

د. نزار محمد عبد القادر النعيمي *

التعريف بالبحث

يتناول البحث دراسة أوضاع الدولتين العباسية والفاطمية خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وتنافسهما في أحقية كل منهما بالإمامة على العالم الإسلامي.
وكان من جملة الوسائل التي سخرت في هذا التنافس: التنظير السياسي، الذي استهدف التشريع لنظرية تستمد أصولها من الشرع والسوابق التاريخية في ضوء الواقع التاريخي والتنافس السياسي، بما يعزز من شرعية وأحقية كل من العباسيين والفاطميين بالإمامة.

وكان الباقلاني من فقهاء القرن الرابع الهجري، الذي تولى الدفاع عن الخلافة العباسية، ضد كل التيارات التي هددت كيانها وشككت في شرعيتها، إذ مثل بحثه في الإمامة الذي ضمنه كتابه «التمهيد» الأساس لتبلور ملامح نظرية سياسية تقف بوجه الطروحات التي شكلت خطراً على المؤسسة السياسية العباسية، اعتمد منطلقاتها فيما بعد فقهاء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، في صياغة نظرية دستورية سنية.

* أستاذ مساعد في قسم التاريخ بكلية التربية / جامعة الموصل. ولد في الموصل بالعراق سنة (١٩٥٧) وحصل على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الآداب بجامعة الموصل سنة (١٩٨٤)، وعلى الدكتوراه كذلك سنة (١٩٩٤)، وكان عنوان رسالته « الخلافة العباسية في ظل التسلط البويهي » وله عدد من البحوث المنشورة.

المقدمة

أصبحت قيادة الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ سؤالاً مطروحاً للمناقشة [١] وقد أدى اختلاف المسلمين حول ماهية وشكل النظام السياسي وقيادته، إلى تفاوت الآراء ووجهات النظر التي أسفرت عن نفسها حيناً [٢] وخفتت حيناً آخر، تبعاً لواقع التطورات السياسية التي تعرضت لها الأمة طيلة النصف الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي [٣].

إلا أن الأزمات التي رافقت التبدلات السياسية [٤] كانت كافية للتأكيد على أن ملامح النظام السياسي والإداري والعسكري ما زالت في مرحلة التكوين، وأنها لم تتبلور بعد إلى قواعد محددة، أو أعراف متفق عليها من قبل كافة المسلمين.

لذا أصبحت الإمامة، المركز الأول في هذا التنظيم، قضية الخلاف الرئيسية، وسبباً لما مرت به الأمة من فترات متأزمة [٥] وأصبحت أساساً لانبثاق الأحزاب والفرق، وتبلور آراء وأفكار، أضحت فيما بعد نظريات قائمة بذاتها [٦].

وقد احتدم الجدل بين هذه الفرق، حول هذا الموضوع، فيما يتعلق بالطبيعة، والشروط والأحقية والشرعية [٧]. وأفرز هذا الجدل وما تمخض عنه من تطورات وأفكار وردود أفعال،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧.
(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٧.
(٣) نقصد بذلك انشغال المسلمين بحركات الردة في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، والفتوحات في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).
(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ٤/ ٤٣٤، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، لإبراهيم بيضون ٤٥.
(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٤.
(٦) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١/ ٤٣.
(٧) State and Goverenment in Medieval of Islam: Lambton ،p96 وينظر: دراسات في حضارة الإسلام، جب، ٥٨١، الدولة الإسلامية بين الواقع التاريخي والمنظور الفقهي، لأحمد بغدادي، ٥٨١.

تبلور ملامح نظرية دستورية، بدأت بالتشكل مع مزيج مبرر من اعتقادات وشروط مركزة، اشتقت من التجربة الإسلامية الأولى وتطورات الواقع السياسي الذي تمر به الأمة، مستهدفة في خطوطها العامة إضفاء الشرعية على النظام السياسي الذي استظلت به الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ، بكل نظمه وتشريعاته، من خلال التأكيد على أن الأمة تقوم على الشريعة، وأن استمرارها منوط بقوة الإجماع المبرأ من الخطأ، فضلا عن تبيان الشرعية في النظام السياسي القائم –ممثلاً بالخلافة العباسية– ودعمه بوجه الضغوط والتحديات السياسية والفكرية التي شككت بشرعيته وهددت كيانه [١].

وبما أن المؤلفات القديمة التي تعرضت لماهية النظام السياسي، قد وضعت في فترات متأزمة من التاريخ الإسلامي [٢] وأن نظرية للحكم نشأت من هذا الوضع،وتطورت من جراء الأسباب المختلفة للمطالبة بالسلطة، فإن الباحث لا يمكن أن يفهم الرسائل السياسية التي كتبها الفقهاء، إلا على ضوء الواقع التاريخي، والصراع السياسي، ولا يمكن أن يفهم تاريخ تطور الأفكار فهماً صحيحاً في معزل عن تاريخ تطور الأحداث، لما بينهما من علاقة جدلية متبادلة متفاعلة ومتفاوتة [٣].

لقد شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي،تطورات مهمة على واقع الخارطة السياسية للدولة العربية الإسلامية،كان لها انعكاساتها على الوحدة السياسية والفكرية التي أظلت العالم الإسلامي.

ولعل من أبرز هذه التطورات هيمنة السلطة الأجنبية البويهية على الخلافة العباسية، بعد أن أسست لها إمارة وراثية في بغداد، وسيطرت على مقاليد الأمور فيها، وجردت الخلافة

(١) سيرة الحاجب جعفر لليماني ١٠٩.

(٢) النظم والمؤسسات الإسلامية للمغيربي ٢ / ٧١.

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مشتاق ٥.



من صلاحيتها وامتيازاتها بدعوى عدم أحقيتها وشرعيتها. وفي الطرف الآخر من الدولة، أقام الفاطميون نظامهم الخلافي في المغرب، في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وأعلنوا أحقيتهم بالخلافة. فأحدثوا تطوراً بعيد المدى، ترتب عليه تنافس بين الخلافتين، استخدمت فيه مختلف الوسائل لتدعيم كل منهما في أحقيتها بالسيادة الدينية والسياسية على العالم الإسلامي.

واستناداً لذلك، احتل هذا التنافس مقاماً مهماً في كتابات الفقهاء من كلا الجانبين، مما خلف لنا الكثير من المصنفات في الرد والجدال، من خلالها نستطيع أن نتبين مدى الأثر الذي تركته هذه التطورات في نفوس هؤلاء الكتاب[١].

دوافع التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية:

أقام الفاطميون كيانهم السياسي في رقادة (في تونس)، أواخر شهر ربيع الآخر من سنة ٢٩٧هـ / ٨٩٢م[٢]، وخطب لأبي محمد عبيد الله من على منابر رقادة والقيروان، بلقب الإمام المهدي بالله، أمير المؤمنين[٣]، وبذلك أعلن عن قيام نظام خلافي[٤]. فكان ذلك حدثاً وتطوراً جديداً في تاريخ الحركات الدينية والسياسية التي قامت في مشرق الدولة العربية الإسلامية ومغربها، التي استهدفت إقامة كيانات سياسية إقليمية، تدور أو لا تدور في فلك التبعية للخلافة العباسية، إذ لم يجرؤ أي منها على انتحال لقب الخلافة[٥].

---

(١) أصول الإسماعيلية، لويس ١٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/١٣٣.

(٣) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ٢٤٩.

(٤) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، فون كرونباوم ٢٢١.

(٥) دراسات في التاريخ الإسلامي، جب ٤٦.



ولم يكن هدف الفاطميين، من إعلان الخلافة، مشاركة العباسيين للسلطة السياسية والدينية على العالم الإسلامي فحسب، بل أعلنوا أنهم الخلفاء الشرعيون بعهد وتفويض من الله، لأنهم أصحاب الحق الشرعي في الزعامة الروحية والسياسة للجماعة الإسلامية[١] وبذلك اعتبروا العباسيين مغتصبين ما ليس لهم بحق[٢].

واستناداً إلى ذلك، فقد تحددت أهداف الفاطميين في العمل على إنهاء الخلافة العباسية، وإزالة وجودها الديني والسياسي من العالم الإسلامي[٣]وهذا ما أدى إلى نشوب صراع بين الخلافتين، استخدمت فيه مختلف الوسائل السياسية والعسكرية والفكرية[٤] لتثبيت أحقية كل منهما بالخلافة، وكان في مقدمة ذلك: الصراع الفكري، إذ تولى الفقهاء هذا الجانب لما لآرائهم من تأثير فعال في الحياة السياسية[٥] وجاءت البداية من قبل الفاطميين الذين أولوا هذا الجانب أهمية كبرى، ذلك لأنهم كانوا نظاماً حديث النشأة، في حاجة إلى قوة تعزز كيان الخلافة الفاطمية الناشئة، إذ إن نشر المعتقدات الإسماعيلية الفاطمية، كان بمثابة التمهيد الفكري، أو التهيئة الذهنية للسيطرة السياسية والعسكرية المباشرة[٦] لذلك بذل فقهاء الإسماعيلية جهوداً كبيرة لوضع أصول فلسفة الحكم، على أسس قوية متينة من المذهب الإسماعيلي ذاته، أصبحت فيه الإمامة المحور

(١) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، للمقريزي ١/ ٢٣.

(٢) الديوان لابن المعز ١٦١.

(٣) أهداف الدعوة الإسماعيلية في مصر وبلاد المشرق الإسلامي منذ عهد مبكر لإقبال ٢٢١.

(٤) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ٢٥٤–٢٥٥، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي ١٧٩ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ١/ ٣٧٨.

(٥) العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين لأبي غنيم ٥٨.

(٦) ابن سينا في مرابع إخوان الصفا لتامر ٢٣.



الأساس الذي قامت عليه الخلافة الفاطمية، مذهباً ومجتمعاً ودولة [١].

في الطرف الآخر، كانت الخلافة العباسية التي شهدت أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، أوضاعا بالغة السوء، لسيطرة القادة الأتراك على مقاليد الأمور فيها، بحيث كانت عاجزة عن أن تفعل شيئاً أمام إعلان الفاطميين لنظامهم الخلافي وأحقيتهم في إمامة المسلمين دينياً وسياسياً. وزاد الأمر سوءاً وقوع الخلافة تحت نير التسلط البويهي ابتداءاً من سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م [٢]، بعد أن كانت السنوات العشر السابقة (فترة إمرة الأمراء) قد أفقدتها آخر ما تبقى لها من قوة ونفوذ [٣] ولم يعد الخلفاء باستطاعتهم حراكاً بعد أن جُوِّدوا من كافة صلاحياتهم، ليكونوا هم ومؤسستهم تحت طائلة البويهيين واعتباراتهم المصلحية [٤] فكان ذلك بلا ريب ظرفاً ذهبياً للفاطميين، استغلوه لتنفيذ أهدافهم على الواقع، فبدءوا بالزحف نحو الشرق، حيث مناطق النفوذ العباسي، دون أن تقف في طريقهم مقاومة جدية، فبعد استيلائهم على مصر، واتخاذها مقراً لهم [٥] انساحوا في بلاد الشام [٦]، فأصبحوا بذلك يطلون على العراق، لذلك سعوا جاهدين لتحقيق هدفهم بالوصول إلى بغداد، من خلال تطويقها بمؤيديهم وأنصارهم [٧].

(١) ينظر حول مفهوم الإمامة عند الإسماعيلية: السجستاني ١٦، ٦٦، البيان لمباحث الإخوان للشادلي ١٠٩، السجلات المستنصرية ١١٠، طائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين ١٥٤، تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب ٤١.
(٢) تجارب الأمم لمسكويه ٢/٨٥.
(٣) عصر إمرة الأمراء في العراق للدوري.
(٤) تجارب الأمم ٢/١٠٥-١٠٦، التنبيه والإشراف للمسعودي ٣٤٦-٣٤٧.
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٧/٤٧.
(٦) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١.
(٧) الكامل لابن الأثير ٧/١٥٧، ١٨١.

إلا أن أوضاعاً أخرى كانت تستجد لصالح استعادة الخلافة العباسية بعضاً من مكانتها ونفوذها، فبعد وفاة عضد الدولة البويهي سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، انشغل ورثته بالصراع على السلطة، وانسحبوا إلى مقرهم في شيراز، تاركين بغداد لنوابهم[١]. وفي الوقت ذاته، أعلنت قوة جديدة، بدأ نجمها يتألق في مشرق الدولة، وهي القوة الغزنوية، تبعيتها ودعمها للخلافة العباسية[٢]، وهذا ما أتاح لخلفاء بني العباس، تسلم زمام القيادة والمبادرة في الدفاع عن كيانهم وأحقيتهم في زعامة العالم الإسلامي، فبدأ عهد جديد للصراع بين الخلافتين، سجلت فيه الخلافة العباسية، في عهد الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣٠م) عدة انتصارات سياسية[٣].

وعلى الصعيد الفكري، تولى الخليفة القادر بالله قيادة حملة، شارك فيها الفقهاء والخطباء والوعاظ وحتى الشعراء، استهدفت الرد على الدعاوى الفاطمية أفرزت العشرات من المصنفات[٤]. ولعل أبرز ما تمخض عن هذه الحملة على صعيد الخلافة، المنشور الذي أصدرته سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م، والمتضمن التشكيك بنسب الفاطميين، ونفي صلتهم بنسب الرسول ﷺ وآل بيته، ووقع على ذلك الفقهاء من مختلف التيارات الفكرية[٥]. وقد استهدفت الخلافة من هذه الحملة تحقيق هدفين:

أولهما: تجريد الفاطميين من عطف وتأييد الرأي العام الإسلامي.

وثانيهما: تقويض المرتكزات التي استندوا إليها في إقامة كيانهم السياسي.

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ١٩٨، ٣٠١-٣٠٢.

(٢) كتاب التاريخ للصابي ٨/ ٨-٩

(٣) ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع الروذراوري ٣/ ٢٨٣، المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي ١/ ٢٢٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ١١٦.

(٥) المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٥٥-٦٥٢، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٢/ ١٤٢، العبر في خبر من غبر للذهبي ٢/ ٢٠٠.



موقف الباقلاني من الخلافة العباسية :

كان الباقلاني [١] من جملة الفقهاء الذين اختصوا بالوقوف ضد التيارات التي شكلت تهديداً لاستمرارية حكومة الشرع، فجاءت مناظراتهم ومصنفاتهم، لتؤيد الحقيقة التي تراها الأغلبية في وجه الاتجاهات التي لها وجهات نظر مخالفة [٢].

وعلى الرغم من أن الباقلاني، لم تكن تربطه بالخلافة في هذه المرحلة علاقة تفرض عليه توجهاتها الرسمية، ويتحدد بثوابتها ومنطلقاتها، إلا أن إدراكه لمدى الخطر الذي بدأت تمثله الاتجاهات المخالفة في الرأي، على النظام السياسي، بكل ما يمثله من سيادة للشريعة وسلطانها ونظمها وتشريعاتها؛ كانت من أبرز الدوافع وراء قبوله تلبية دعوة عضد الدولة البويهي لمناظرة الاتجاهات الفكرية التي ضمها بلاطه، فغادر مسقط رأسه – البصرة – وهو في مقتبل العمر، إلى شيراز، مدفوعاً بإيمانه وقناعته المجردة، بعدم جدوى الحظر المفروض على التعامل مع السلطة البويهية، هذا الحظ الذي فسح المجال أمام الاتجاهات المخالفة، لتثبيت دعواها لدى السلطة الفعلية [٣].

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد، الملقب بأبي بكر، القاضي المعروف بابن الباقلاني، ولد بالبصرة سـ ٣٣٨هـ/٩٤٩م، ونشأ فيها، ثم رحل إلى بغداد ودرس على علمائها، انتقل إلى شيراز بدعوة من عضد الد البويهي لمناظرة أهل الاعتزال في مجلسه، وأعجب به ومال إليه، وعهد إليه بتعليم ولده صمصام الدولة، ألف كتاب التمهيد. رافق عضد الدولة عند مجيئه إلى بغداد سنة ٣٦٧هـ – ٩٧٧م، وقد استقر في بغ وبقي فيها بعد وفاة عضد الدولة، وكان ينزل بالكرخ، وله حلقة عظيمة في جامع المنصور. تولى القـ بالثغر. وقد حظي الباقلاني بمنزلة رفيعة لدى الخلافة العباسية، فقد أرسله الخليفة القادر بالله إلى الدولة البويهي في شيراز سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م لنقل احتجاجه على تغاضي بهاء الدولة عن الزحف الفاط الذي وصل إلى الموصل. توفي الباقلاني في بغداد، سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م. ينظر عن سيرته ومؤلفاته: بغداد للخطيب البغدادي ٥/٣٧٩ – ٣٨٠، المنتظم لابن الجوزي ٧/٢٦٥، الأنساب للسمعاني وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢٧٨-٢٧٩، الباقلاني وآراؤه الكلامية لمحمد رمضان ١٣٧-١٣٨.

(٢) State: Lambton، p69

(٣) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢٤٢.

مثل الباقلاني موقف (أهل السنة)، إزاء الاتجاهات الأخرى التي ضمها البلاط البويهي، وقد كشفت مناظرته لهم غزارة معلوماته، وفصاحته، وحسن فقهه، إذ كان عظيم الجدل صارماً فيه، قوي الحجة شديد الوطأة على المخالفين، وإليه ينسب نقل الحجاج إلى ميدان العقل النظري، بعد أن كان مَنْ تقدمه يستند إلى النصوص بسبب نقص التكوين الفلسفي، وقلة الإحكام للمنطق، أو الغوص بحثاً عن الأصول العقلية [١].

فضلاً عن هذا، عرف بغزارة نتاجه الفكري، وكان معظم ما صنفه رداً على المخالفين من جهة، والدفاع عن مؤسسة الخلافة من جهة أخرى [٢].

ففي مجال دفاعه عن شرعية الخلافة العباسية، وضع عدة مصنفات تناول فيها إمامة المسلمين، وما يتعلق بها من شروط وأحكام، وما يوجب خلع الإمام وسقوط طاعته، وأورد ما روي في معارضتها وتأويلها بما يغني الناظر فيها [٣]، إلا أن هذه المصنفات لم تصل إلينا، ولم يسعفنا الحظ بالاطلاع عليها.

وعلى الرغم من هذا، فمن الممكن بناء تصور عن مفهوم الإمامة كما يراه الباقلاني، من خلال كتابه الموسوم بـ« التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » وهو وإن كان عملاً تفنيدياً، ومناقشة للآراء التي كانت سائدة في وقته، إلا أنه ضمَّن كتابه بحثاً عن الإمامة [٤] تعرض فيه لها من جميع نواحيها، خصوصاً ناحيتها

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥ / ٣٨٠ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٧٨ ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ٣ /٦-٨ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٣ / ١٦٩ .

(٢) مقدمة إلى معجم مصطلحات الباقلاني لسميرة فرحات ٢١-٢٣ .

(٣) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة للباقلاني ١٨٦ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ /١٩٣ ، البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ١١ /٣٤٦-٣٥٠ ، الباقلاني وآراؤه الكلامية لمحمد رمضان١٩٦-٢١٥ .

(٤) التمهيد للباقلاني ١٦٤-١٨٧ .



القانونية، وواجباتها وشروطها، وقد عده الباحثون من خير ما كتب في الموضوع [١]، فهو وإن كان بمثابة أجوبة على الكثير من التساؤلات التي كانت مطروحة حول الإمامة، إلا أنه في الوقت نفسه يعد الأساس لتبلور نظرية سياسية،تقف بوجه الطروحات الفكرية المخالفة التي مثلت خطراً على المؤسسة السياسية ممثلة بالخلافة العباسية، اعتمد منطلقاتها فقهاء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في صياغة نظرية دستورية رسمية.

مفهوم الإمامة عند الباقلاني:

طرق التولية:

بذل الباقلاني جهداً واضحاً - استغرق الجزء الأكبر من بحثه في الإمامة - للرد على المرتكز الأساس للفكر الإسماعيلي في الإمامة، ومنه استقت الخلافة الفاطمية شرعيتها، والذي ينص على أن الإمامة بالنص وليست بالاختيار [٢]، لأنها ركن من أركان الدين [٣]، وأن تعيين الإمام هو شأن من شؤون السماء ليس للبشر رأي أو دور في ذلك [٤]، في حين كان الباقلاني يرى أن الإمامة قضية مصلحية يعود تقريرها للبشر [٥]، واستناداً إلى ذلك انطلق من مبدأ «إثبات أحد الطرفين ببطلان الآخر أو إبطاله بإثبات الآخر»، فيقرر ابتداء فرضية مؤداها «إذا فسد النص صح الاختيار» مستنداً بذلك إلى إجماع الأمة، عاى أنه ليس هناك من طريق لإثبات الإمامة سوى هذين الطريقين [٦].

---

(١) المصدر نفسه (مقدمة المحقق) ١٤.
(٢) مجموعة الوثائق الفاطمية للشيال ١/٢٠٩ (سجل الهداية).
(٣) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ٢٦٢. الينابيع للسجستاني ٦٦.
(٤) المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ١٥٦.
(٥) مقدمة ابن خلدون ١٩٦.
(٦) التمهيد للباقلاني ١٦٤



استخدم الباقلاني في مناقشة ذلك المنهج الهادئ، القائم على مقارعة الدليل بالدليل، والحجة بالحجة، دون غلو أو تعصب « لئلا يظن قارئ كتابنا – على حد قوله – أنا نقصد الشناعة عليهم » (١)، مستعيناً بمختلف أنواع الاستدلال، من المشهور المتفق عليه من الأحاديث النبوية الشريفة، والإجماع، والسوابق التاريخية، فضلاً عن معلوماته التاريخية الغزيرة، وإلمامه الواسع باللغة، ليصل إلى نتيجة مؤداها أنه لا سبيل لإثبات الإمامة سوى عن طريق الاختيار، إذ يقول: « يصير الإمام إماماً بعقد مَنْ يعقد له من أفاضل المسلمين، الذين هم من أهل الحل والعقد، والمؤتمنين على هذا الشأن » (٢).

ويذهب بعض الباحثين (٣) إلى أنَ الباقلاني استهدف من وراء هذا الإسهاب غلق كل المنافذ أمام مقولات القائلين بأن الإمامة كانت بالنص، لما في ذلك من تهديد لشرعية النظام السياسي الإسلامي.

ولكن يبدو من خلال استقراء الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وواقع الخلافة العباسية في ظل التسلط البويهي، أن الباقلاني استهدف بشكل خاص، إضفاء الشرعية على الخلافة العباسية، باعتبارها استمراراً طبيعياً للخلافة الأولى القائمة على الاختيار، وفي الوقت ذاته جرد الخلافة الفاطمية من هذه الشرعية، بعد أن فند الأساس الذي قامت عليه.

فضلا عن ذلك، فإن الباقلاني الذي وضع كتابه « التمهيد » في كنف عضد الدولة البويهي في شيراز، وخص به ولي عهده « صمصام الدولة » في ظروف كان الجدل محتدماً

---

(١) التمهيد للباقلاني ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه ١٧٨.

(٣) السياسة والحرب للويس ١/٢٣٧–٢٣٨، دراسات في حضارة الإسلام ١٨٥.



بين التيارات الفكرية في البلاط البويهي [١] كان يصبو إلى تحقيق أهداف آنية، أكثر أهمية وحساسية وذات صلة بالواقع القائم، إذ إنه قصد من تضمين كتابه بحثاً عن الإمامة، أن يضع أمام السلطة الفعلية، تصوراً واضحاً لطبيعة الإمامة كما يراها (أهل السنة) مستقاة ثوابتها من الشرع والإجماع والسوابق التاريخية، ليحدد البويهيون بموجبها موقفهم من الخلافة العباسية، وعلاقتهم بها وسبل التعامل معها، مؤشراً بايحاء فساد السياسة البويهية تجاه الخلافة العباسية، المتأثرة بالأفكار التي اعتنقها البويهيون بفعل التيارات التي التفت حولهم[٢]، إذ إن تجريد الخلافة من سلطانها وامتيازاتها بدعوى عدم شرعيتها وأحقيتها بالأمر [٣] سياسة لا تحظى بالشرعية، وتأييد الرأي العام الإسلامي، وهذا ما يمكن أن يعرِّض السلطة البويهية لأخطار غير محسوبة.

وتؤشر الوقائع التاريخية اللاحقة، أن الباقلاني قد حقق بعض ما كان يهدف إليه، بدليل فشل المساعي الفاطمية في إقناع عضد الدولة البويهي في إقامة تحالف مضاد للخلافة العباسية [٤]، بل إن الأمر تجاوز ذلك، بعد أن عزم عضد الدولة على مهاجمة الفاطميين في عقر دارهم، إلا أن المنية لم تمهله حتى يحقق ذلك [٥]، ولم يكن هناك ما يشير إلى أنه كان واقعاً تحت ضغوط سياسية أو شعبية، بقدر ما كان مدفوعاً بما استجد لديه من قناعات بعدم شرعية هذه الخلافة [٦].

---

(١) الجذور التاريخية للوفاق الفكري بين الشيعة والمعتزلة للرحيم ٥٦-٥٧

(٢) Caliphod and King ship in Medieval Persie، P 123

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية» للبيروني ٢٢-٢٤ ، الكامل لابن الأثير ٦/٣١٥-٣١٦.

(٤) اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا للمقريزي ١/٣٠-٣١ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٤/١٢٥.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٧٥-٢٧٦ ، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/٣٠-٣١.

(٦) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي ٢٣٢.



أهل الاختيار:

بعد أن يقرر الباقلاني، بأنه ليس للإمامة من طريق سوى الاختيار، فإنه يلقي بهذه المسؤولية على عاتق «أفضل المسلمين الذين هم من أهل الحل والعقد والمؤتمنين على هذا الشأن»[١] وفي الوقت الذي لا يحدد ماهية مواصفات أهل الحل والعقد، فهو أيضاً لا يحدد عددهم[٢]، ويبدو أن الباقلاني استهدف فتح المجال أمام العدد، كتعبير يتفق والظروف، كي لا تحدده عقبات وهو يسعى للوصول إلى تسويغ النظام السياسي القائم، وإضفاء الشرعية على الممارسات السياسية التي أقرها العباسيون في تولي الإمامة ووسم نظامهم الوراثي بسمة الاختيار، إذ أجاز للإمامة أن «تنعقد وتتم برجل واحد من أهل الحل والعقد، إذا عقدها لرجل على صفة ما يجب أن يكون عليه الأئمة»[٣]، ويحتج في ذلك بعدم ورود دليل في الشرع والعقل على تحديد عدد لا يجوز عليه الزيادة والنقصان، ويستند بذلك إلى عقد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الإمامة لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتمت له وسلم عهده[٤]، لذلك يذهب إلى أن الإمامة «تتم برجل واحد» ويعني بذلك شخص الخليفة القائم، إذ يقول: «إن للإمام أن يعهد إلى إمام بعده»[٥].

إن الباقلاني الذي جند نفسه للدفاع عن الخلافة العباسية، وإثبات أساسها الشرعي باعتبارها امتداداً للخلافة الأولى التي قامت على الاختيار، كان يدرك أن السوابق التاريخية

---

(١) التمهيد ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه ١٧٨.
(٣) المصدر نفسه ١٧٨.
(٤) المصدر نفسه ١٧٩.
(٥) المصدر نفسه ٢٠١.



التي اعتمدها، إنما كان لها ظروفها التي أوجبت فعلها، وليستِ بالضرورة أن تكون قاعدة تقوم عليها الأحكام، وأن مبدأ الاختيار له شروطه التي لا تتحقق إلا في أجواء الشورى التي لم يعد لها وجود في الممارسات السياسية بعد انقضاء الخلافة الراشدة.

ويبدو أن الباقلاني، بإغفاله كل ذلك، كان واقعاً تحت ضغط أحد أمرين: إما بقاء الخلافة العباسية واستمرارها وفق ماأقرته من ممارسات وان ابتعدت عن الشورى، أو زوالها وحلول نظام آخر محلها، لذلك أضفى الشرعية على النظام الوراثي، بهدف حصر الإمامة واستمرارها في الأسرة العباسية، وتجنيبها احتمالات تدخل أي قوة داخلية أم خارجية، لأن يكون لها دور في إيصال مَنْ ترغب إلىٰ منصب الإمامة، وهو أمر كان متوقعاً في عصر الباقلاني.

وزيادة في الحيطة وتوفير الضمانات، انتبه الباقلاني إلى مسألة دقيقة، وهي مسألة إشهار العقد للإمام، إذ أوجب أن يحضر العقد للإمام قوم من المسلمين، لم يحدد عددهم، كشرط لإتمام البيعة، ويحتج على ذلك بقوله: «وإنما يمنع أن يعقد الرجل لغيره مستسراً للعقد وخالياً به، لئلا يدعي ذلك كل أحد وأنه قد كان عقد له سراً، فيؤدي ذلك إلى الهرج والفساد»[(١)].

ويتضح من ذلك، أن هاجس الخوف من أن تتعرض الخلافة العباسية إلى التآمر، قد سيطر على الباقلاني، ويبدو خوفه منطقياً، فالخليفة العباسي في ظل التسلط البويهي قد جرد من صلاحياته وعزل عن رعاياه، وحتى عن أفراد أسرته، فهذا الخليفة المطيع لله (٣٣٤-٣٦٤هـ/ ٩٤٥-٩٧٣م)[(٢)] عاش وحيداً معتكفاً في دار الخلافة. يقول قاضي القضاة: أبو محمد بن معروف «دخلت على المطيع لله، وهو متشك، فقلت: كيف

(١) المصدر نفسه ١٧٩.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/ ٣٧٩.



مولانا، جعلني الله فداه؟ فقال: لا تقل هذا، ليست الحياة بلا إخوان طيبة»[١] لذا فليس غريباً أن تدعي أية قوة، أن الخليفة قد اعتزل الحكم، أو أنه قد عقد البيعة لشخص معين، ربما من خارج الأسرة العباسية. وبهذا يجنب الخلافة العباسية أي تآمر قد يحاك ضدها، وخاصة أنه لم يجز لأي من أهل الحل والعقد عقد الإمامة لنفسه[٢]، كي لا يدعي أحد الإمامة لنفسه وَفْق اعتباراته الخاصة، وبذلك يكون الباقلاني قد حصر المرشحين للإمامة في دائرة ضيقة، فضلاً عن أنه حجب الشرعية عن بقية الأنظمة الخلافية.

ومتى ما عقدت الأمة للإمام، فإنها لا تملك سلطة خلعه، من دون حدث يوجب خلعه[٣]، وبذلك يفرض الباقلاني على الأمة الالتزام بعقدها للإمام الذي بايعته، وأي خروج أو تنصل عن هذا العقد، يعد خروجاً، يمنح الإمام مشروعية الرد عليه بوسائله المتاحة، وهنا لا يجرد الباقلاني الأمة من سلطانها وإنما يحذرها من مغبة الانسياق وراء الأفكار التي كانت تروجها الخلافة الفاطمية والتي تمكنت من التغلغل إلى مناطق كثيرة من العالم الإسلامي، وفي الوقت ذاته يعرض بفئة وقعت في الإثم، لأنها فسخت عقدها للإمام الشرعي، وبايعت لأئمة آخرين[٤].

وحدة الإمامة

ويفترض الباقلاني صورة لواقع قد يبدو للوهلة الأولى غريباً، وهو أن يعقد لعدة

---

(١) النبراس في تاريخ بني العباس لابن دحية ١٢٢.
وأجبر البويهيون الخليفة المطيع لله على اعتزال الخلافة، وأعلنوا أنه تنازل لولده الطائع لله. ينظر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ٣/ ٢٠٦.

(٢) التمهيد للباقلاني ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه ١٧٩.

(٤) الكامل لابن الأثير ٧/ ٦٧، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٢٦٦.



أئمة في بلدان متفرقة، وكانوا كلهم يصلحون للإمامة «مع عدم إمام وذي عهد من إمام»[١]. فَمَن الأولى بالإمامة؟، فيقرر أن الإمامة لمن سبق العقد له، وعلى الباقين أن يتنازلوا له، وإلا اعتبروا عصاة يتوجب مقاتلتهم. أما إذا لم يعلم أيهما كان الأسبق، أو أن العقود كلها قد وقعت في وقت واحد، حينها تبطل سائر العقود، ويختار واحد منهم أو من سواهم « وإن أبوا ذلك قاتلهم الناس عليه، فإن تمكنوا كان الإمام المعقود له حرباً لسائر هؤلاء حتى يذعنوا ويرجعوا إلى الطاعة والسداد، وإلا فهم في غلبة وفتنة وعذر في ترك إمامة الإمام »[٢].

إن استقراء الأوضاع السياسية والعسكرية في عصر الباقلاني يجعل من هذا الواقع الخيالي أمراً متوقعاً، إذ كان الهاجس المسيطر على الفقهاء، هو أن تتعرض الخلافة العباسية للزوال بفعل قوة داخلية (ممثلة بالبويهيين)، أو عن طريق غزو عسكري خارجي (ممثل بالفاطميين)، وخاصة إذا علمنا أن خلفاء بني العباس، لم يكن لهم في هذه المدة، ولاة عهود بفعل الهيمنة البويهية[٣]، وهذا يعني، إذا ما قتل الخليفة العباسي أو عزل، بفعل أية قوة، أنه سيترك منصبه شاغراً أمام الطامحين من التيارات والقوى الأخرى، لذلك فإذا ما تجسد هذا التصور على الواقع فإن الباقلاني يحصر سلطة اختيار الإمام بيد الأمة دون أن تكون ملزمة بأية اعتبارات، أو خاضعة لتأثير التيارات الأخرى، وإذا ما عجزت الأمة عن ممارسة سلطتها حينها يتوجب عليها ترك إمامة الإمام المنصوب، لأنها ستكون مغلوبة على أمرها.

---

(١) التمهيد للباقلاني ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه ١٨٠.

(٣) العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول ج٤، ق٢/ ٤٤٠ ، المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٦٦، ١٥٦.



أما إذا « كانت الأمة مفترقة على مذاهب مختلفة وآراء متضادة والحق منها في واحد، وادعى كل واحد منهم أنهم ولاة هذا الأمر دون غيرهم وتمانعوا فيه، ما الحكم فيهم، ومن أولى بعقد هذا الأمر؟ » [١].

هنا يبدو تأثير الواقع السياسي أكثر وضوحاً ومباشرة على تنظيرات الباقلاني، فقد شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، التنافس بين ثلاثة أنظمة سياسية كبرى، (الخلافة العباسية، الخلافة الفاطمية، الخلافة الأموية) تعتقد كل منها بأن لها وحدها الشرعية في السيادة السياسية والدينية على العالم الإسلامي، ويبدو لي أن هذا التطور الذي لم يشهده النظام السياسيّ من قبل كان من أبرز الدوافع التي حفزت الفقهاء في دخول هذا الصراع، مستهدفين الدفاع عن شرعية النظام الذي يدينون له بالولاء، من جهة، والعمل على تحقيق الوحدة السياسية التي استظلت الأمة بظلها خلال القرون الثلاثة السابقة.

يرفض الباقلاني ظاهرة تعدد الأئمة، فهي غير شرعية في نظره، ويعد كل من يدعو إليها ويقرها آثماً باغياً يتوجب حربه وقتاله، إذ يقول عن خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) « وأذعنت له الأنصار وانقادت بعد خلافها وغلطها فيه المتفق عليه، لأنها أرادت إخراج الأمر عن قريش، ونصب إمامين في وقت واحد ... وهذا غلط حاولوه باتفاق المسلمين، فلو أقاموا عليه، وخالفوا أبا بكر بعد عقد من عقد له الأمر، لوجب أن يكونوا في ذلك آثمين، ولوجب حربهم وقتالهم إلى أن يرجعوا عن البغي وشق العصا » [٢]. ويقول في مكان آخر « وما حكي عن الأنصار من إرادتهم نصب

---

(١) التمهيد للباقلاني ١٨٠-١٨١.

(٢) المصدر نفسه ١٨٧.



إمامين فيَ وقت واحد . . . ولإخراجهم الأمر من قريش إلى غيرهم، وهذان الأمران حرام فعلهما في الدين وجالبان للفتنة، وإنما غلط الأنصار فيهما »[١].

إذاً فالسوابق التاريخية، وما تعارفت عليه الأمة، يوجب أن يتولى أمر الأمة إمام واحد. فكيف التعامل مع واقع تعددت فيه الأئمة، ومَنْ فيهم أولى بالإمامة؟.

لحل هذه المعضلة التيٰ ابتلي بها الواقع السياسي، وأدى إلى تجزئة الأمة سياسياً وفكرياً، يذهب الباقلاني إلى اعتماد أساس الخلاف بين هذه القوى، لتحديد الإمام الشرعي. فإذا كان الخلاف في المسائل الشرعية « التي الحق عندنا في جميعها » كما يقول، فالإمامة لمن سبق العقد له، وعلى الآخرين التنازل عنها، وإلا اعتبروا بغاة مخالفين يتوجب قتالهم. أما إذا « كان ما اختلفت فيه الأمة مما يوجب التكفير والتفسيق والتضليل، فعقد الإمامة لأهل الحق دون غيرهم ممن كفر أو فسق، وضل بتأويله الخطأ في الدين »[٢].

بهذا تتحمل الأمة مسؤولية القرار في اختيار الإمام. ولكن مفهوم الأمة عند الباقلاني، مفهوم محصور محدد لا يشتمل على سوادها، إذ فرز من خلاله بين المنتمين إلى الإسلام الصحيح، الذين يمثلون القوى الداعمة للخلافة العباسية، وهم « أهل الحق »، وبين القوى التي أخرجها من جملة ملة الإسلام. لذلك فإن من يختاره أهل الحق « للإمامة » ، يفرض على عموم الأمة، التي يتوجب عليها التسليم بذلك، وإن استلزم الأمر إجبارهم على ذلك بالقوى المتاحة، أما أذا عجزوا عن فرض إمامهم، وادعى أحد الإمامة من خارج هذه الأمة المحددة « فليس له إمامة ثابتة ولا طاعة

(١) التمهيد للباقلاني ١٩٧.
(٢) المصدر نفسه ١٨١



واجبة». لأنه من أهل الضلال – كما يقول – الذي يسعى لقهر الفرقة الهادية؛ التي يتوجب عليها أن تستنصر بقوى أخرى لفرض إمامها [١].

ويبدو الباقلاني في هذه المسألة أكثر تشدداً، وهو يدافع عن شرعية الخلافة العباسية، إذ يبدأ بالتخلي عن أسلوبه الجدلي الهادئ الذي يرد على الحجة بأخرى وصولاً إلى الحقيقة، دون التعرض لأصحابها بالانتقاص والتجريح، على حد قوله، فهو لم يكتف برد شرعية الأنظمة الخلافية التي شاركت العباسيين السيادة على العالم الإسلامي، بل لا يعدها من ملة الإسلام، وعليها أن تذعن لسلطة الفرقة الهادية [٢].

لقد أدرك الباقلاني حقيقة الأخطار المحدقة بالخلافة العباسية، وأنَّ ضعفها في ظل التسلط البويهي، وافتقادها للمقومات التي تمكنها من وقف التقدم الفاطمي، كان ينذر باجتياحها وإزالتها. وهذا الهاجس يفسر مغزى الهجوم العنيف الذي شنه الباقلاني على الفرق المخالفة للرأي، وهو في الوقت ذاته تهديد غير مباشر للبويهيين في حالة تعاطفهم مع الفاطميين ومساعدتهم في تحقيق أهدافهم.

إن هذا التصور الذي ارتبط عضوياً بواقع الخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي؛ وضع كوسيلة من وسائل النضال ضد الاتجاهات التي اعتقد أنها تمزق شمل المسلمين، وتهدد المؤسسة الكبرى التي ترمز إلى وحدتهم، والمتمثلة بالخلافة العباسية.

(١) التمهيد للباقلاني ١٨١.
(٢) المصدر نفسه ١٨١.



شروط الإمام

ويؤكد الباقلاني في معرض حديثه في الشروط الواجب توفرها في الإمام «أن يكون قرشياً من الصميم»، أي لا يجوز أن يكون قرشياً بالولاء، معتمداً في ذلك على المشهور من الأحاديث المرفوعة إلى الرسول ﷺ، من ذلك «الأئمة من قريش ما بقي اثنان» وإجماع الأمة على أن الإمامة لا تصح إلا في قريش»[١].

استهدف الباقلاني من ذلك تعزيز أحقية العباسيين بالإمامة، وأنها الإمامة الوحيدة التي تحظى بالشرعية، وإن الأنظمة الخلافية الأخرى غير شرعية لمخالفتها أدلة الشرع، لافتقاد أئمتها لشروط الإمامة[٢].

وفي دحضه للاتجاه الذي أجاز الإمامة في غير قريش، فإنه يوجه إشارة للمتسلطين البويهيين، كي لا يستغلوا قوتهم بالسعي للوصول إلى هذا المنصب، فضلاً عن ذلك فإن تأكيده على إشاعة الإمامة في سائر قريش يرد على رأي القائلين بحصرها في بني هاشم «لأن هذا الأمر العظيم ليس يستحق بعلو النسب، وأنه ليس بمقصور على بني هاشم دون غيرهم من قريش، بظاهر قوله ﷺ: الأئمة من قريش»[٣].

ويجيز الباقلاني عقد الإمامة للمفضول مع وجود الأفضل، إذا خيف بإقامة أفضلهم الهرج والفساد والتغالب وترك الطاعة وتعطيل الأحكام والحقوق، مما يؤدي إلى ضعف الأمة وطمع أعدائها فيها[٤]،ذلك لأن هذا المنصب ليس من أركان الدين، حتى يكون الاعتبار الأول فيه للفضل في الدين، واعتمد في تسويغ ذلك على السابقة التاريخية،

---

(١) التمهيد للباقلاني ١٨٢

(٢) الفهرست لابن النديم ١٨٦-١٨٧، المنتظم لابن الجوزي ٧/٢٥٥-٢٥٦، الكامل لابن الأثير ٧/٢٦٣.

(٣) التمهيد للباقلاني ١٩٥، إثبات النبوءات للسجستاني ٤.

(٤) التمهيد للباقلاني ١٨٤.



إذ قام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بحصر الإمامة في ستة كما هو مشهور، وكان يعلم وسائر الأمة، أن في الستة فاضلاً ومفضولاً، وقد أجاز العقد لكل واحد منهم إذا ما اجتمعت عليه الأمة [١]، وبذلك ينفي الباقلاني شرط الأفضلية التي أكدت عليه الاسماعيلية، فالإمام عندهم هو الأفضل، لأنه منصوص عليه، ومعصوم، وعلى يديه تظهر الأعلام والمعجزات، ويضفي في الوقت نفسه الشرعية على الكثير من الشخصيات العباسية التي تولت الإمامة، وهي فاقدة لشروطها، حتى تلك التي حددها للإمام الذي يلزم العقد له [٢].

ولأن الإمام منصوب لإقامة الأحكام والحدود والأمور التي شرعها الرسول ﷺ، وهي أمور قد سبقت الإمام في الوجود، لذلك لا يتوجب فيه أن يكون معصوماً، أو يمتلك علماً سرياً أو خفياً (كما تقول الإسماعيلية) ويتمثل الباقلاني سيرة الخلفاء الراشدين الذين اعترفوا أنهم غير معصومين، وأباحوا للأمة تقويم أفعالهم، واستناداً لذلك لا يتوجب أن يكون الإمام أعلم الأمة، لأنه والأمة في علم الشريعة سيان [٣].

وبهذا يكون الإمام عند الباقلاني شخصاً عادياً، لا يمتلك مؤهلات أو موصفات خارقة ترفعه فوق مستوى البشر، فهو ببساطة شخص مكلف بتطبيق الشريعة «وهو في جميع ما يتولاه وكيل للأمة ونائب عنها» [٤]، وبذلك يكون مسؤولاً أمام الأمة التي يقع عليها مسؤولية تسديده، طالما كانت سياسته مستقاة من أحكام الشرع، ومتى ما أبدى انحرافاً

(١) التمهيد للباقلاني ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه ١٨٥-١٨٦، المقدمة لابن خلدون ١٩٦-١٩٧.

(٣) التمهيد للباقلاني ١٨٤،١٩٤، البيان للشادلي ٩١، مجموعة الوثائق للشيال ١/٢٠٦.

(٤) التمهيد للباقلاني ١٨٤، الديوان لابن المعز ١٦٦، التنبيه والرد للملكي الشافعي ١٤٧، البيان للشادلي ١٠٨.

(٥) التمهيد للباقلاني ١٨٤.



عن الشريعة، فعلى الأمة تقويمه وتنبيهه، وخلعه إذا ما اقترف ما يوجب ذلك [٥].

خلـع الإمـام

لقد ذهب الباقلاني بعيداً، وهو يسعى للرد على نظرية الإسماعيلية، التي تنص على أن للإمام مواصفات ومزايا ذات طبيعة قدسية توجب على الأمة طاعته والانقياد لأوامره، في كل حالاته وقراراته [١]، إذ عندما يجعل الإمام مسؤولاً أمام الأمة التي من حقها محاسبته وعزله، فهو يجرده من أي حصانة تحميه من الأهواء والنزعات.

ويبدو أن الباقلاني تنبه إلى أن ما ذهب إليه يمثل أمراً خطيراً على المؤسسة التي تصدى للدفاع عنها، لذلك سعى لإيجاد ما يكفي من الضمانات التي تمكن الإمام من البقاء والاستمرار في منصبه بمنأى عن تأثيرات القوى المخالفة من جهة، وفرض هيبته في نفوس الرعية من جهة أخرى، إذ يشير إلى «أن الإمامة إذا ثبتت بعقد صحيح مأذون فيه، لم ينخلع صاحبها بخلع العاقد له بعد ذلك، ولا بخلع غيره، ولا بذم أحد له، ولا ينخلع بالقذف ولا بالتأويل عليه» [٢]، وبذلك يحجب الباقلاني الشرعية، عن أي سلطة في أن تقرر مصير الإمام، ولا يحق للأمة أن تتنصل من بيعتها، بفعل أي تأثيرداخلي أو خارجي قد تتعرض إليه. وبهذا يغلق المنافذ أمام الاتجاهات الأخرى في أن تستثمر أساليبها القائمة على الترغيب والترهيب، إذ لا قيمة شرعية لدعواها، بعدم أحقية العباسيين بالإمامة، وأنهم مغتصبون لها، فقد أقرت الأمة إمامتهم. فضلاً عن ذلك، فقد جرد الباقلاني، من خلال هذه الضمانات، المتسلطين البويهيين، من سلطة عزل الإمام لأسباب تقوم على الظن والتأويل، أو بفعل تأثير قوى خارجية،

---

(١) مجموعة الوثائق للشيال ١ / ٢٠٦.

(٢) التمهيد للباقلاني ٢١١.



وللأهداف ذاتها سعى الباقلاني إلى حصر الحالات التي توجب خلع الإمام في نطاق ضيق إذ لا ينخلع إلا « بالجلي المعلوم من الأحداث الثابتة الظاهرة »، ويحدد ذلك في (كفر بعد الإيمان، وفسقه وظلمه)[١].

وعلى الرغم من أن الباقلاني، قد منح الأمة صلاحية خلع الإمام في الحالات التي حددها، ليبقى على موقفه في معارضة الفكر الإسماعيلي، الذي جعل الإمام فوق السلطات، وأنه لايسأل ولا يحاسب عما يفعله في كل حالاته وقراراته[٢]، إلا أن الباقلاني يبدو متساهلاً عندما يتعلق الأمر بالخلافة العباسية، إذ يلجأ للبحث عن مسوغات شرعية للالتفاف على الحالات التي حددها لخلع الإمام. فنراه يميل للقبول برأي أصحاب الحديث، الذين لا يوجبون خلع الإمام، أو الخروج عليه، في حال فسقه، بل على الأمة وعظه وتخويفه، وترك طاعته في ما يدعو إليه من معاصي الله، مستندين بذلك إلى أحاديث للرسول ﷺ، تدعو إلى طاعة الأئمة، وإن جاروا وفسقوا[٣]. في حين يمنح الأمة صلاحية خلع الإمام إذا تعرض إلى ما يمنعه من النظر في مصالح المسلمين والنهوض بما نصب من أجله، كالجنون والصمم والخرس والهرم[٤].

ولعل أهم ما كان يقلق الباقلاني هو وقوع الإمام أسيراً في يد العدو، وعجز الأمة عن خلاصه[٥]. لقد كان هذا الهاجس مسيطراً على الباقلاني، وهو يتصدى لكل ما يتهدد الخلافة العباسية من أخطار ويسعى لإيجاد الضمانات الشرعية التي تعزز

---

(١) التمهيد للباقلاني ١٨٦.
(٢) اسلام بلا مذاهب للشكعة ٢٤٨.
(٣) التمهيد للباقلاني ١٨٦.
(٤) المصدر نفسه ١٨٦.
(٥) المصدر نفسه ١٨٦.



من وجودها واستمرارها. إذ من خلال استقرائه للأحداث في عصره، لم يستبعد أن يتعرض الإمام العباسي للأسر، وخاصة أن الفاطميين قد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من بغداد، ويمتلكون من أسباب القوة ما يمكنهم من تحقيق أهدافهم. لذلك فالضمان الوحيد لاستمرار الخلافة العباسية إذا ما تعرضت إلى ما يتوقعه هو أن تقوم الأمة باستبدال الإمام. إذ إن التضحية بفرد أقل ضرراً على الأمة من التضحية بالمؤسسة برمتها، وبكل ما يترتب على فقدانها من نتائج.





المصادر والمراجع

* المصادر

١- الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، (لايبزك ١٩٢٣).

٢- الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان علي بن محمد التوحيدي، تصحيح أحمد الزين وأحمد أمين (بيروت، المكتبة العصرية، د.ت).

٣- الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (مصر ١٩٦٣).

٤- الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي (بيروت، دار الجنان ١٩٨٨).

٥- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٦٧).

٦- إثبات النبوءات: أبو يعقوب السجستاني، تحقيق عارف ثامر (بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٩).

٧- أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، نشر خوتين (القدس، ١٩٣٦).

٨- البيان لمباحث الإخوان: للشادلي تحقيق مصطفى غالب (دمشق، ١٩٥٦).

٩- البداية والنهاية في التاريخ: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (القاهرة،



مطبعة الاستقامة ١٩٣٢).

١٠-تاريخ الرسل والملوك : محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩).

١١- تاريخ بغداد : أبوبكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي (بيروت، دار الكتاب، د.ت)

١٢- تجارب الأمم : أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه، تصحيح، هـ.ف، أمدروز (مصر، مطبعة التمدن ١٩١٤).

١٣- ترتيب المدارك : القاضي عياض، مذيل على كتاب التمهيد (للباقلاني).

١٤- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني، تحقيق محمود محمد الخضيري، ومحمد عبد الهادي أبو ريده (القاهرة، دار الفكر ١٩٤٧).

١٥- التنبيه والإشراف : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة، المكتبة التجارية ١٩٣٨).

١٦- التنبيه والرد : أبو الحسين محمد بن أحمد، المكي الشافعي، تحقيق محمد زاهر (القاهرة، الثقافة الإسلامية ١٩٤٩).

١٧- الديوان : أبو علي تميم بن المعز، ضمن كتاب عبقرية الفاطميين، لمحمد حسن الأعظمي (بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٦٠).

١٨- ذيل تاريخ دمشق : أبو يعلى حمزة بن أسد بن القلانسي (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨).



١٩- ذيل تجارب الأمم: محمد بن الحسين أبو شجاع الروذراوري، نشر، أمدروز (القاهرة، مطبعة التمدن، ١٩١٦).

٢٠- رسالة افتتاح الدعوة: النعمان بن محمد القاضي، تحقيق وداد القاضي (بيروت، دار الثقافة ١٩٧٠).

٢١- سيرة الحاجب جعفر: محمد بن محمد اليماني، مجلة كلية الآداب (القاهرة ١٩٣٦).

٢٢- السيرة النبوية :أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مصر ١٩٦٣).

٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (بيروت المكتبة التجارية، د.ت).

٢٤- طبقات الشافعية الكبرى :أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمد محمود الطناحي والحلو (القاهرة، مطبعة عيسى البابي ١٩٦٤).

٢٥- طبقات الفقهاء: أبو إسحق الشيرازي (بغداد، مطبعة بغداد ١٣٥٦ هـ).

٢٦- العبر في خبر من غبر: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت، مطبعة الحكومة ١٩٦٠)

٢٧- العيون والحدائق في أخبار الحقائق: مؤلف مجهول، تحقيق عمر السعيدي (دمشق، المطبعة الكاثوليكية ١٩٧٣).

٢٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (بيروت، بيروت، دار الآفاق ١٩٧٣).

٢٩- الفهرست : محمد بن إسحاق بن النديم، تحقيق فلوجل (بيروت، مكتبة خياط ١٩٦٤)

٣٠- الكامل في التاريخ: عز الدين علي بن محمد بن الأثير (بيروت، دار الفكر ١٩٧٨).

٣١- كتاب التاريخ: هلال بن المحسن الصابئ (بغداد، مكتبة المثنى، د.ت).

٣٢- المختصر في أخبار البشر: إسماعيل بن علي أبو الفدا (مصر، المطبعة الحسينية ١٩٠٧)

٣٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد اليافعي (الهند، حيدر آباد ١٩٧٠).

٣٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (سبط بن الجوزي)، تحقيق جنان جليل محمد (بغداد، الدار الوطنية ١٩٩٠).

٣٥- المصابيح في إثبات النبوءات: أحمد حميد الدين الكرماني، نقلاً عن مفاتيح المعرفة، لمصطفى غالب (بيروت، مؤسسة عز الدين ١٩٨٢).

٣٦- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (بيروت، دار البيان، د.ت)

٣٧- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيدكيلاني (بيروت، دار المعرفة ١٩٧٥).

٣٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (الهند، دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩هـ).



٣٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي المقريزي (بيروت، دار صادر، د.ت).

٤٠- النبراس في تاريخ بني العباس: عمر بن علي بن حسن بن دحية، تصحيح عباس العزاوي (بغداد، مطبعة المعارف ١٩٤٦).

٤١- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: المحسن بن محمد التنوخي، تحقيق عبود الشالجي (بيروت، دار صادر ١٩٧١).

٤٢- الهفت والأظلة: المفضل بن عمر الجعفي، تحقيق عارف تامر (بيروت، دار الشروق ١٩٨٦).

٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة ١٩٦٨).

٤٤- الينابيع: أبو يعقوب السجستاني، تحقيق مصطفى غالب (بيروت، المكتبة التجارية ١٩٦٥).

* المراجع

١- إسلام بلا مذاهب: مصطفى الشكعة (بيروت ١٩٧٩).

٢- أصول الإسماعيلية: برنارد لويس، ترجمة خليل أحمد جلو (مصر، دار الكتاب ١٩٧٤).



٣- أهداف الدعوة الإسماعيلية في مصر وبلاد المشرق الإسلامي منذ عهد مبكر: موسى إقبال، مجلة المؤرخ العربي، العدد الأول (بغداد ١٩٧٥).

٤- الباقلاني وآراؤه الكلامية: محمد رمضان عبد الله (بغداد، مطبعة الأمة ١٩٨٦).

٥- تاريخ الدعوة الإسماعيلية: مصطفى غالب (بيروت، دار الأندلس ١٩٦٥).

٦- تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة (القاهرة، دار الفكر، بيروت).

٧- الجذور التاريخية للوفاق الفكري بين الشيعة والمعتزلة: عبد الحسين الرحيم، مجلة زانكو العدد الثالث (العراق، دار الكتاب ١٩٧٧).

٨- دراسات في التاريخ الإسلامي: هاملتون جب، حررها يوسف إيبش (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات ١٩٧٣).

٩- دراسات في حضارة الإسلام: هاملتون جب، ترجمة إحسان عباس وآخرين (بيروت، دار العلم ١٩٧٤).

١٠- الدولة الإسلامية بين الواقع التاريخي والمنظور الفقهي: أحمد بغدادي، مجلة الباحث، السنة الثانية عشر، العدد (٥٧-٥٨) (بيروت ١٩٩٣).

١١- السجلات المستنصرية: تقديم وتحقيق عبد المنعم ماجد (القاهرة، دار الفكر ١٩٥٤)

١٢- السياسة والحرب، ضمن كتاب تراث الإسلام: برنارد لويس، تصنيف شاخت، وبوزورث، ترجمة محمد زهير وآخرين (الكويت، المجلس الوطني للثقافة ١٩٨٨).



١٣- ابن سينا في مرابع إخوان الصفا: عارف تامر (بيروت مؤسسة عز إلدين ١٩٨٣).

١٤- طائفة الإسماعيلية: محمد كامل حسين (القاهرة، مكتبة النهضة ١٩٥٩).

١٥- عصر إمرة الأمراء: تقي عارف الدوري (بغداد، مطبعة أسعد ١٩٧٥).

١٦- العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين: حامد غنيم أبو سعيد (القاهرة، دار الثقافة ١٩٧١).

١٧- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية: طالب حازم مشتاق (بغداد، المطبعة العربية ١٩٧٠).

١٨- مجموعة الوثائق الفاطمية: جمال الدين الشيال (القاهرة، لجنة التأليف ١٩٥٨).

١٩- مقدمة إلى معجم مصطلحات الباقلاني: سميرة فرحات، مجلة الباحث، السنة التاسعة، العدد (٤٧) (بيروت، ١٩٨٧).

٢٠- ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري: إبراهيم بيضون (بيروت ١٩٧٩).

٢١- النظم والمؤسسات الإسلامية: صالح بن محمد المغيربي، مجلة الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (٣٤) (تونس، المطبعة الرسمية ١٩٩٣).

٢٢- الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية: جي.إي.فون كرونباوم، ترجمة صدقي حمدي (بغداد، مطبعة أسعد ١٩٦٦).

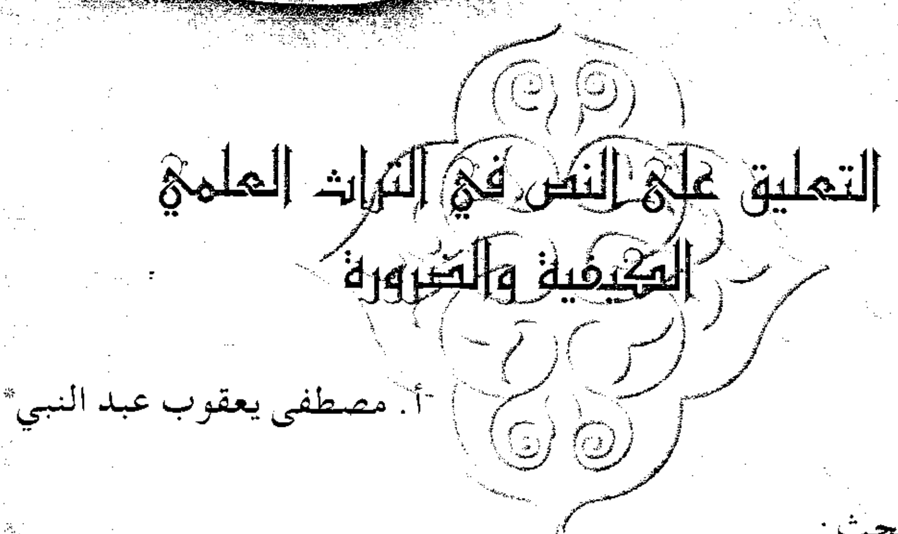


23- Caliphat and Kingship in Medieval Persia: A,H, Siddigi, Islamic Culture, Vol 10, hyderabad, Decan 1936.

24- State and Goverenment in Medieval Islam: Ann, Lambton, Oxford at the University press 1981.

***





التعليق على النص في التراث العلمي
الكيفية والضرورة

أ. مصطفى يعقوب عبد النبي*

التعريف بالبحث :

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية التعليق على النص في التراث العلمي باعتباره حالة خاصة من التراث العربي، وذلك للوصول إلى تحقيق التراث العلمي تحقيقاً علمياً، يجعل التراث العلمي العربي يدخل دائرة تاريخ العالم الإنساني العام بدلاً من أن يكون مجرد مخطوطات مستغلقة الفهم إلا على قلة محدودة من أهل الاختصاص.

وتأتي الأهمية عبر محاور ثلاثة :

المحور الأول: ويختص بإيراد المقابل العلمي لأسماء الأعيان، من نبات أو حيوان أو معادن، وما إلى ذلك من سائر الأعيان، وذلك من شروح اللغة أو عن طريق الاستنتاج من خلال السياق.

المحور الثاني: ويختص بتفسير المصطلحات العلمية التراثية على ضوء معطيات العلم الحديث، من خلال مراجعة مؤلفات التراث العلمي في الموضوع نفسه الذي يختص بنوعية تلك المصطلحات، بالإضافة إلى خبرة المحقق نفسه.

المحور الثالث: ويختص بشرح الفقرات العلمية الواردة في النص، بما يوافق العلم الحديث، وذلك من خلال أهل الاختصاص في العلم المراد تحقيق مؤلفاته.

* كبير باحثين بالمتحف الجيولوجي المصري، ولد في محافظة المنيا سنة (١٩٤٦م)، وحصل على درجة بكالوريوس علوم، تخصص كيمياء وجيولوجيا من جامعة أسيوط سنة (١٩٧٠م)، وعمل مديراً للمتحف الجيولوجي المصري، وانتدب لتدريس المادة العلمية للمعادن والصخور لطلبة كلية الآثار في جامعتي القاهرة والفيوم، وهو المستشار العلمي للمركز الاستكشافي لتطوير العلوم بالقاهرة، وعضو بالجمعية الجيولوجية المصرية، له أكثر من عشرة بحوث منشورة في التراث العلمي العربي.

المقدمة

ليس من شك في أن الدعوة إلى إحياء التراث العربي الإسلامي سوف تمر -بالضرورة- في أولى مراحلها بتحقيق مؤلفات هذا التراث، وهي مرحلة لها قدرها وخطرها، فضلاً عن أن عملية التحقيق ذاتها ليست بالأمر الهين اليسير، إن لم نقل إنها عملية شاقة تتطلب صبراً وعلماً وخبرةً لا تتيسر للكثيرين.

وليس أدل على الأهمية القصوى لتحقيق التراث من أنه التمهيد الأساسي لإبراز كيان الأمة العربية الإسلامية من خلال كتابة ضروب التواريخ المختلفة؛ الأدبي، والعلمي، والفكري. . .إلخ. وهذا الأمر، كما جاء على لسان الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»: «ليس مجرد مسألة قومية تفرض استيعاب تراث الأمة لكي تعي ذاتها، وتميز ملامح أصالتها باستقراء ماضي خطواتها على مسار الزمن، وتدرك سر قوتها، وبقائها، وعوامل ضعفها وتخلفها، ولكنه كذلك بالنسبة إلينا، نحن دارسي الأدب، ضرورة علمية منهجية، من حيث لا نستطيع أن ندرس أدبنا المعاصر معزولاً عن ماضيه، ومبتوراً من جذوره الضاربة في أعماق الزمن»[١].

وينطبق هذا القول تمام الانطباق على باقي أنماط الفكر العربي الإسلامي، من علم وفلسفة وغيرهما من ضروب الفكر والثقافة. حتى وإن كان البون شاسعاً بين العلم في التراث العربي الإسلامي والعلم المعاصر الآن؛ إلا أن العلم العربي الإسلامي -رغم محاولات إنكاره أو تجاهله- هو حلقة من حلقات تاريخ العلم الإنساني العام؛ إذ لا تستقيم معطيات هذا التاريخ -باعتباره نسيجاً متصلاً- دون أن يكون للحضارة العربية الإسلامية دورها الفاعل والمؤثر في مسيرته. ومن حسن الحظ أن تحقيق

(١) مقدمة في المنهج للدكتورة عائشة عبد الرحمن. ص١١٥.



المخطوطات قد أصبح علماً مستقلاً بذاته، فقد استقامت أسسه، وتكاملت قواعده عبر التجارب الطويلة التي مر بها المحققون والباحثون في التراث العربي الإسلامي، الأمر الذي حدا بعديد من المحققين أن يؤلفوا كتباً في هذا الفن، وتكاد تكون الريادة في التأليف في هذا المجال معقودة لشيخ المحققين المرحوم عبد السلام هارون الذي أصدر كتابه «تحقيق النصوص ونشرها» في سنة ١٩٥٤، وتلاه بعد قليل الدكتور صلاح الدين المنجد فأصدر «قواعد تحقيق النصوص» في سنة ١٩٥٥، ثم توالت بعد ذلك المؤلفات التي تعالج هذا الفن حتى أصبحت من الكثرة بمكان في المكتبة العربية.

وحيال كثرة مثل هذه المؤلفات، واتساع دائرة الاهتمام بتحقيق التراث، دخل هذا المجال بعض من لا يحسنون فن التحقيق، مما دعا معهد المخطوطات العربية إلى عقد ندوة خاصة ببغداد سنة ١٩٨٠ تحت عنوان «أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه».

وقد تمخضت أعمال هذه الندوة عن تقرير وافٍ قد وضعته لجنة مشكلة من أعلام هذه الندوة ضمت الخبراء والمتخصصين في مجال التحقيق.

ويتضمن هذا التقرير خلاصة جهود العلماء والمحققين في سبيل منهج أفضل لقواعد تحقيق التراث. وقد أقرت اللجنة أن تكون للتحقيق ثلاثة مقاصد تجب مراعاتها في وضع المنهج والتوصيات.

المقصد الأول: تقديم النص صحيحاً مطابقاً للأصول العلمية.

المقصد الثاني: توثيق النص نسبة ومادة.

المقصد الثالث: توضيح النص وضبطه [١].

---

(١) أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، نص التقرير الذي وضعته لجنة مختصة، ص ٨.



وعلى ضوء هذه المقاصد أقرت اللجنة منهج التحقيق الذي يدور حول ثماني نقاط هي :

١- اختيار المخطوط.

٢- معرفة النسخ وجمعها.

٣- دراسة النسخ وتعرف مراتبها من الصحة.

٤- ضبط النص.

٥- التعليق على النص.

٦- المقدمة.

٧- الفهارس.

٨- الطباعة والنشر.[١]

وقد يبدو من هذا السياق، أن فن التحقيق، هو من مبتدعات المعاصرين من العلماء والباحثين في التراث العربي الإسلامي، إلا أنه من الثابت تاريخياً أن علماء الحديث كان لهم فضل السبق في تأصيل قواعد هذا الفن، أثناء جمعهم وتدوينهم الأحاديث النبوية الشريفة، على أساس سليم، لا يبعد في جوهره عما نادى به العلماء المعاصرون الآن.

يقول الدكتور سيد رزق الطويل: «إن أسلافنا الأوائل عرفوا التحقيق بمعناه المعاصر، أو على الأقل صورة قريبة منه.

فهم عرفوا «الضبط» بمعنى عملية تقويم نص الكتاب والتأكد من صحته. وعرفوا «التحرير» وهو مرادف للفظ الضبط؛ إذ يريدون به تأكيد الكتابة، والتأكد من صحتها أيضاً، وهو تحرير الكتاب من العناصر الزائفة والدخيلة التي حشرت بمرور الزمن.

(١) المصدر السابق، ص ١٧.



وعرفوا «المقابلة» وهي مقابلة نسخ الكتب المختلفة بعضها على بعض من أجل ضبط النص، وتصحيحه»[١].

وتصف الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» المنهج النقلي، ودور علماء الحديث في تأصيله بقولها: «ومن هنا كان هذا المنهج عماد الدراسات الأدبية والتاريخية؛ لأنه يضع القواعد لصحة المرويّات والمدوّنات، وتوثيق مصادرها وأسانيدها.

والغاية منه: أن يتحقق أولاً من صحة نسبة النص إلى صاحبه، وأن يطمئن إلى سلامة النص من التحريف والتشويه والخلل، وسائر الشوائب التي تعتري الرواية، لكي يكون النص وثيقة كما تركها صاحبها.

ومن المعروف أن علماء الحديث، هم الذين أصلوا المنهج النقلي، وحددوا ضوابطه في الرواية والنقل وفي التوثيق والإسناد. وقد بلغت ضوابطهم مستوى من الدقة جعلها لا تزال عمدة المنهج النقلي في توثيق المصادر، بل إنها اشتدت في صرامة دقتها بحيث يشق علينا اليوم أن نلتزمها»[٢].

ويزيد الأستاذ محمود محمد شاكر الأمر وضوحاً بقوله: «والمنهج شطران: شطر في تناول المادة، وشطر في معالجة التطبيق؛ فشطر المادة يتطلب جمعها من مظانها، ثم تصنيف هذا المجموع، ثم تمحيص مفرداته تمحيصاً دقيقاً، حتى يتيسر للدارس أن يرى ما هو زيف جلياً واضحاً، وما هو صحيح مستبيناً ظاهراً. أما شطر التطبيق فيقتضي ترتيب المادة بعد نفي زيفها وتمحيص جيِّدها.

وقد تبين لي تبيناً واضحاً أن شطري المنهج مكتملان اكتمالاً مذهلاً يحير العقل منذ

---

(١) مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث. للدكتور السيد رزق الطويل، ص ٢١١.

(٢) مقدمة في المنهج، مصدر سابق. ص ٧٨.



أولية هذه الأمة العربية المسلمة صاحبة اللسان العربي، ثم يزدادان اتساعاً واكتمالاً على مر السنين وتعاقب العلماء والكتاب في كل علم وفن، وأكاد أقول غير متردد أنهم بلغوا في ذلك مبلغاً لم تدرك ذروته الثقافة الأوروبية الحاضرة اليوم»(١).

التراث الأدبي ومناهج التحقيق:

عندما بدأ التحقيق يدرج مدارجه الأولى، كانت مؤلفات التراث الأدبي هي الغالبة في هذا الميدان. وبطبيعة الحال، فإنه عندما شرع المحققون في وضع أسس التحقيق وقواعده، كان التراث الأدبي له اليد الطولى في وضع تلك الأسس إن لم يكن الموجه الرئيسي في وضعها. فعبر تجارب المحققين في تحقيق مؤلفات التراث الأدبي جاءت تلك الأسس أشد ما تكون تناسباً مع تلك المؤلفات. ولعل أبلغ دليل على هذا التناسب أن جميع المحققين الذين ألفوا في أصول التحقيق قد استشهدوا -من خلال أسس التحقيق- بما حققوه أنفسهم من مؤلفات والتي جاءت جميعها من التراث الأدبي؛ الأمر الذي نستشف منه أن واضعي تلك الأسس قد نظروا دون شك إلى التراث الأدبي وحده.

وعلى سبيل المثال فقد استشهد الأستاذ عبد السلام هارون -لدى حديثه عن أسس التحقيق- بطائفة كبيرة من المؤلفات التي حققها بنفسه، وجميعها من التراث الأدبي، كاستشهاده في معرض الحديث عن التصحيف بكتاب «تهذيب اللغة» للأزهري(٢)، وبكتاب «مقاييس اللغة» لابن فارس(٣)، وكتاب «خزانة الأدب» للبغدادي(٤).. إلخ.

---

(١) المتنبي لمحمود محمد شاكر، ص ٢٢.

(٢) تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون، ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٤.



كما استشهد الدكتور شوقي ضيف في كتابه «البحث الأدبي» لدى حديثه عن مقدمة الكتاب المحقَّق بما فعله في مقدمة كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي[١]، وكذلك «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر[٢].

ولم يفت الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» في معرض حديثها عن توثيق المخطوط الذي جاء ضمن فصول كتابها «مقدمة في المنهج» أن تستشهد بـ «رسالة الغفران» للمعري[٣] تلك التي قامت بتحقيقها.

نخلص من هذا إلى القول بأن واضعي أسس التحقيق قد نظروا دون شك إلى مؤلفات التراث الأدبي وحده؛ الأمر الذي انعكس بالتالي على طبيعة تلك الأسس.

وقد يبدو للبعض مما سبق، أن هناك فرقاً بين أسس تحقيق التراث الأدبي، وبين الأسس لنظيره التراث العلمي، أو أن هناك اختلافاً بين قواعد تحقيق التراث الأدبي وبين قواعد تحقيق التراث العلمي؛ إلا أننا نسارع فنقول إنه لا يوجد أدنى اختلاف حول الأسس العامة للتحقيق في كلا التراثين -الأدبي والعلمي- فكلاهما يندرج تحت إطار واحد هو التراث العربي، وأن التراث العلمي هو «جزء» من «كل» وما يسري على «الكل» يسري بطبيعة الحال على «الجزء» والعكس أيضاً صحيح.

وكل ما هناك أنه يمكن اعتبار التراث العلمي -من حيث محتواه- حالة خاصة من التراث العربي الإسلامي العام، وأن هذه الحالة الخاصة تستوجب الوقوف من المحقِّق عند النقطة الخاصة بالتعليق على النص الواردة ضمن النقاط التي تمثل منهج تحقيق التراث التي مر ذكرها.

---

(١) البحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف، ص ١٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٣) مقدمة في المنهج، مصدر سابق ص ١١٩.



آراء حول التعليق على النص :

يكاد يجمع الباحثون على أن الغاية من التحقيق هي كتابة النص المحقَّق في صورة أقرب ما تكون إلى ما كتبه المؤلف نفسه بلا زيادة أو نقصان، يقول الأستاذ عبد السلام هارون : «إن الكتاب المحقَّق هو الكتاب الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»[١].

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب «أن تحقيق النص يعني ردّه إلى الصورة التي كان عليها عندما أصدره مؤلفه، وهذا يعني تصحيح ما أصاب كلمات النص من تحريف أو تصحيف وتبرئته مما زيد فيه أو نقص منه»[٢].

وهذا يعني أن جهد المحقِّق سوف ينصب في مجرى واحد، وهو كيفية الوصول بالمتن إلى الصورة التي كتبها المؤلف، دون أي تدخل من جانبه، سواء بالشرح أو إيضاح ما غمض من الألفاظ، وبمعنى آخر تحويل النص المكتوب في صورة مخطوطة إلى صورة مطبوعة، ليس هذا فحسب، بل إن محققاً شهيراً كالدكتور صلاح الدين المنجد يعيب على المحققين ما يضيفونه في الحواشي من الشروح، إذ يقول : «غاية التحقيق هو تقديم المخطوط صحيحاً كما وضعه مؤلفه دون شرحه، إن الكثرة من الناشرين لا تنتبه إلى هذا الأمر فتجعل الحواشي ملأى بالشروح والزيادات : من شروح للألفاظ وترجمات للأعلام ونقل من كتب مطبوعة وتعليق على ما قاله المؤلف، كل ذلك بصورة واسعة مملة قد تشغل القارئ عن النص نفسه»[٣].

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها، مصدر سابق، ص٤٢ .

(٢) مناهج تحقيق التراث للدكتور رمضان عبد التواب، ص ٦٠ .

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول – الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٥، قواعد تحقيق النصوص، للدكتور صلاح الدين المنجد، ص ٣٢٤ .



وفي رأينا أن مثل هذا الفريق من المحققين يفترض شيئاً واحداً، أن النص الذي كتبه المؤلف، نصٌّ مفهوم لا غموض في ألفاظه ولا التواء في معانيه، يسير الفهم سهل الإدراك، دون الحاجة إلى شروح أو تعليقات.

غير أن هذا الأمر -في حقيقته- غير ذلك تماماً، فالنص قد يكون كتبه المؤلف قبل ألف عام خلت أو يزيد، وهذا البعد الزمني الكبير قد أوجد فرقاً واضحاً بين أسلوب قد كُتب في ذلك التاريخ وبين الأساليب المعاصرة، سواء في مفردات الألفاظ أو في تراكيب الجمل ذاتها.

لذا فإن التعليقات التي تفسر الألفاظ الغامضة أو المعاني المبهمة، هي -في رأينا- من صميم عملية التحقيق ذاتها. وأغلب الظن أن فائدة التعليقات وما تتضمنها من شروح لا تقتصر على مجرد إيضاح ما غمض من ألفاظ النص أو معانيه، بل إن الفائدة أشمل وأعم من هذا بكثير. فمن خلال مثل هذه التعليقات سوف يخرج الكتاب المحقَّق من نطاق ضيق للغاية وهو نطاق الكتاب المخطوط الذي لا يحسن قراءته أو فهمه إلا الخاصة من العلماء والباحثين، إلى دائرة رحبة الأرجاء، وهي دائرة التراث الإنساني العام القريب المنال في الاستيعاب والفهم، فضلاً عن كونه مادة للبحث والدراسة، بما قد يحتوي هذا التراث عنيه من فكرٍ راقٍ أو أدبٍ رفيع أو علمٍ غير مسبوق.

صحيح أن التحقيق هدف في حد ذاته، وغاية يجب السعي إليها في سبيل إحياء التراث العربي وبعثه من مكامن النسيان، ولكن الصحيح أيضاً أن التحقيق هو -في الوقت نفسه- وسيلة من وسائل هذا الإحياء والبعث، فليس من المعقول أو المقبول أن تقتصر عملية التحقيق على مجرد تحويل كتاب مخطوط إلى آخر مطبوع بحجة أن هذا كلام المؤلف يجب أن يكتفى به، دون إضافة ما يعين القارئ على فهم هذا الكلام.



ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا إن الغالبية من مؤلفات التراث العربي الإسلامي لا يستقيم فهمها وإدراك محتواها بغير شرح وتفسير ما قد يعسر على القارئ فهمه من ألفاظ ومعانٍ.

ولقد فطن الأستاذ عبد السلام هارون إلى هذا الأمر فأوضحه قائلاً: «لا ريب أن الكتب القديمة بما تضمنت من معارف قديمة محتاجة إلى توضيح يخفّف ما بها من غموض ويحمل إلى القارئ الثقة بما يقرأ والاطمئنان إليه. ومن هنا كان من المستحسن ألا يترك المحقِّق الكتاب غفلاً من التعليقات الضرورية التي تجعله مضمئناً إلى النص. واثقاً من الجهد الذي بذله المحقِّق في تفهم النص وتقدير صحته»[١].

ومن الطريف في الأمر أن القدماء قد تنبهوا لهذه الحقيقة بدليل شروحهم المتنوعة للشعر العربي القديم التي لولا وجودها لما استقام فهم الكثير من هذا الشعر.

فإذا كان القارئ لديوان أبي العلاء المعري الموسوم بـ «سقط الزند» لا يستطيع المضي في قراءته وفهمه دون النظر إلى شروح التبريزي والبطليوسي والخوارزمي برغم سهولة شعر هذا الديوان بالقياس إلى شعر المعري في «لزوم مالا يلزم» فإن القارئ وبالدرجة نفسها، لا يستغني بحال من الأحوال عن تعليقات وحواشي الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» في تحقيقها لكل من «رسالة الغفران» و«رسالة الصاهل والساحج».

وربما كانت ألفية ابن مالك، النص الشعري الوحيد في تاريخ التراث العربي كله، الذي حظي بأكبر عدد من الشروح، فقد بلغت شروح ألفية ابن مالك ما يزيد على خمسين شرحاً ذكرها جميعاً حاجي خليفة في مؤلفه الشهير «كشف الظنون»[٢].

نخلص إلى هذا القول: بأن التعليق على النص بما يزيل غموضه ويفسر معانيه يجب أن

(١) تحقيق النصوص ونشرها، مصدر سابق، ص٨١.

(٢) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ١/ ١٥١.



يكون من أهم مقاصد التحقيق التي يوليها المحقِّق عناية خاصة.

ومن حسن الحظ أن فريقاً من الباحثين يرون هذا الرأي ويأخذون به. يقول الدكتور بشار عواد معروف: «منذ أن بدأ العرب يعنون بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها، ظهر رأيان متضاربان حول الطريقة التي ينبغي اتباعها عند نشر التراث العربي:

الأول: يرى الاقتصار على إخراج النص مصحَّحاً مجرَّداً من كل تعليق.

الثاني: يرى أن الواجب يقتضي توضيح النص بالهوامش والتعليقات، وشرح ما يحتاج إلى شرح وتوضيح؛ وأقام الفريق الأول رأيه على أن الغاية من التحقيق هي إخراج ما يسمى بالنص الصحيح، فلا حاجة بعد ذلك إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات. وارتأى الفريق الآخر أن طبع النص مجرَّداً هو تحريف لطبيعة البحث العلمي واستقامته، باعتبار أن الأصل في إخراج النص أن ينظر المحقق فيه وفيما حوله، وأن يكشف إشارته، وأن يدل على المغازي التي صدر عنها.

ومثل هذا الجهد الذي لابد منه في التحقيق لابد منه بعد ذلك في الدراسة، فمن الخير إذاً أن يندمج هذان الجهدان معاً، فيتولى محقِّقو النصوص بالذات عمليات الشروح الأولى لكي تصبح جاهزة للبحث الأدبي الصرف أو البحث التأريخي الصرف أو لهما معاً، فتجلى مضيئة من غير عتمة، نيرة من غير لبس، مخدومة محرَّرة تتيح للباحث أن ينطلق بعد ذلك[1]. ويقارن الدكتور أحمد مطلوب بين أهمية وجود التعليقات في كتب البلاغة والنقد والأدب بالقياس إلى اللغة والنحو بقوله: «إن الأصل في تحقيق كتب اللغة والنحو اتباع القواعد والأصول العامة، على أن تكون العناية موجهة إلى ضبط النص وصحته، وما يسهل الإفادة منه.

---

(١) ضبط النص والتعليق عليه للدكتور بشار عواد معروف، ص ١٣.



أما تراجم الأعلام وتخريج النصوص الشعرية التي تذهب بالهدف الأساسي من التحقيق فأمر ينبغي الكف عنه»[١].

وعن تحقيق كتب البلاغة والنقد والأدب، يقول الدكتور مطلوب :« فإن التعليق عليها يكون أكثر تنوعاً لأن مادتها واسعة متشعبة فهي ليست مثل كتب اللغة والنحو التي لا تحتمل التعليق الضافي والشرح المبسوط»[٢].

إذن فالتعليق على النص هو من الأمور الواردة في عملية التحقيق، وإن اختلفت طبيعته حسب طبيعة النص المحقق. وإذا كان التعليق من الأمور الواجبة في كتب التراث الأدبي، فإنه أشد وجوباً في كتب التراث العلمي لسبب يسير للغاية، وهو أنه يمكن لقارئ التراث الأدبي أن يرجع إلى ما يماثل تلك الكتب -وما أكثرها في المكتبة العربية- لفهم ما غمض عليه من ألفاظ أو أشكل عليه فهمه من معان. بينما لا يتاح لقارئ التراث العلمي الحد المعقول للفهم حتى ولو لجأ إلى المعاجم وشروح اللغة، ناهيك عن ضآلة الكتب المحققة في التراث العلمي؛ لأن المؤلف -في هذه الحالة- لم يكتب نصاً أدبياً من السهل تفسيره بالرجوع إلى معاجم اللغة وكتب الأدب، وإنما كتب نصاً علمياً استعمل فيه قدراً من الألفاظ قد لا تفيد معاجم اللغة في تفسيرها وشرحها. بل من المرجح أن تلك الألفاظ لم ترد أصلاً في معاجم اللغة لأنها مصطلحات علمية غير عربية الأصل قد جرى تعريبها.

تبقى بعد ذلك نقطة نود أن نلفت الانتباه إليها؛ وهي أنه إذا كان من الأنسب لمن يتصدى لتحقيق كتاب في التراث الأدبي، أن يكون متخصصاً في الفن نفسه موضوع الكتاب المحقَّق، بما يضمن إخراج الكتاب في صورة أقرب إلى الكمال في منهج التحقيق

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول – الجزء الأول، يونيو ١٩٨٢، نظرة في تحقيق الكتب للدكتور أحمد مطلوب، ص ٣٣.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٨.



وسلامة التعليقات فإنه وبالقدر نفسه أيضاً من الأنسب لمن يتصدى لتحقيق كتاب في التراث العلمي أن يكون متخصصاً في العلم نفسه موضوع الكتاب المحقَّق، باعتباره أقدر من غيره على فهم مراد المؤلف، وباعتباره أيضاً أقدر من غيره على اكتشاف ما قد يقع من النسّاخ من تصحيف أو تحريف لا سيما إذا جاء التصحيف أو التحريف في مصطلح علمي لا بد من رده إلى أصله الصحيح.

مثال ذلك ما اكتشفه الدكتور أحمد سليم سعيدان من وجود أخطاء في بعض الأشكال الهندسية لدى تحقيقه لرسائل في تثليث الزاوية فقام بتصحيحها وردها إلى أصلها الصحيح، قائلاً: «إنني بالطبع أقدس الأمانة العلمية والموضوعية، غير أني أفترض أن ناسخ الكتب الرياضية جاهل، ينقل ما لا يفهم. فكل خطأ أجده أنسبه إلى الناسخ، وخطأ الناسخ أصححه بصمت، وأبرز أخطاء النساخ في النصوص الهندسية ترِد في رسم الأشكال.

إنني أفترض أن المؤلف مصيب، والناسخ مخطئ، إلا إذا ثبت لديّ العكس، وخطأ الناسخ لا ينبغي تكريسه. إن الأمانة العلمية تقتضينا أن ننقل ما أورده المؤلف، لا ما تراءى لناسخ جاهل أو متعب أو غير مكترث»[1]. والشيء نفسه قد حدث مع الدكتور أحمد سعيد الدمرداش لدى تحقيقه «استخراج الأوتار في الدائرة» للبيروني[2].

وقد أوضح المستشرق الألماني برجسترشر (Bergstrasser)، أهمية فهم النص من قبل المحقِّق أو معرفة المادة التي يبحث فيها الكتاب -على حد تعبيره- وذلك في قوله: «ومن الواضح أن قانون ابن سينا مثلاً لا يمكن أن يفهمه إلا من فهم علم الطب وتاريخه بتعمق».[3]

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٨-الجزء الأول، يونيو ١٩٨٤: تثليث الزاوية في العصور الإسلامية، تحقيق الدكتور أحمد سليم سعيدان. ص١٠٢.

(٢) استخراج الأوتار في الدائرة للبيروني، تحقيق أحمد سعيد الدمرداش، ص ٢٤٦.

(٣) أصول نقد النصوص ونشر الكتب، جوتهلف برجسترشر. ص٥٠.



ولعل محقّق كتاب « تنقيح المناظر » لكمال الدين الفارسي ؛ لم يجاوز الصواب عندما قال في مقدمة التحقيق : « لم يكن من اليسير على مثلي أن يحمل عبء تحقيق هذا الكتاب العلمي وحده، بل لم يحق لي أن أقدم على عمل كهذا، فغيري من علماء الطبيعيات – لا سيما المتخصصون في البصريات والضوء– أحق به، فهم أقدر على فهم مسائله، وهم أعلم بمباحثه وتطبيقاته . لذا فقد بدا واضحاً لديّ أن تحقيق مثل هذا التراث العلمي يحتاج إلى تعاون وثيق، بين محقّق يحسن فهم اللغة، وعالم بالبصريات يكون شغوفاً بقديمها، متمكناً من حديثها . ولقد أسعدني أن يقبل مشاركتي في هذا الكتاب الدكتور محمود مختار، الذي تكفل بتحقيق الجانب العلمي ، فيناقش المصنف، ويعلق على آرائه بالكلمة الأخيرة في علم البصريات .

كما عني بتحرير أشكال الكتاب، تحرياً للدقة وتحقيقاً للصحة وتلافياً لأخطاء النسخ »(١) .

التعليق على النص في التراث العلمي :

سبق أن قلنا أن التراث العلمي ، هو حالة خاصة من التراث العربي العام. الأمر الذي نرى معه أن له وضعاً خاصاً في منهج التحقيق ، وتحديداً فيما يختص بجزئية التعليق على النص .

ولا شك أن العناية بالتعليق على النص، فيما يخص التراث العلمي، سوف يؤهل الباحثين لتأريخ العلم العربي على منهج سليم وأساس موثوق به . ومن دواعي الأسف أن تأريخ العلم لا يزال في مدارجه الأولى ، بل لم يتح لنا حتى الآن تدوين هذا التاريخ بصورة كاملة بالقياس إلى نظيره التاريخ الأدبي على الرغم من أهميته القصوى لهذه الأمة . ومن بدهيات الأمور في تاريخ العلم العربي أن تعالج نصوصه التراثية معالجة علمية

(١) تنقيح المناظر لكمال الدين الفارسي، تحقيق مصطفى حجازي، ١ / ٢٢ .



بحيث يتم تحقيق النص تحقيقاً علمياً. والتحقيق العلمي كما نراه وكما تدل عليه كلمة Scientific المشتقة من كلمة Scienc هو أن يحقق النص على ضوء معطيات العلم الحديث باعتباره نصاً علمياً، فلا أقل من العمل على تفسيره علمياً.

وللوصول إلى هذه الغاية فإن المحقق سوف يواجه مشكلات ثلاث، لا ينبغي أن نمر عليها مرور العابر إذ إنها تمثل الجزء الأكبر من المحتوى العلمي للنص، وهذه المشكلات هي: أسماء الأعيان، والمصطلحات العلمية، وتفسير الجمل أو الفقرات ذات المحتوى العلمي.

وفيما يلي تفصيل لتلك المشكلات وما نراه في كيفية معالجتها:

أولاً: أسماء الأعيان:

والذي نعنيه هنا بأسماء الأعيان، أسماء الأجناس المختلفة من النبات والحيوان وكذلك أسماء المعادن، وغير ذلك من الأسماء التي تعرف عادة بأسماء الأعيان والمواليد. وهي أسماء شائعة في معظم أسفار التراث العلمي، لا سيما تلك الأسفار المؤلفة في العلوم التي تتعرض لها بالضرورة.

وأغلب الظن أن القارئ لمؤلفاتٍ من هذا الطراز -تلك التي تتضمن أسماء كهذه الأسماء- لا يستقيم له فهم المحتوى العلمي للنص أو إدراك ما يعنيه المؤلف بذكره لها إلا بتعليق المحقِّق، وعلى هذا الأساس فإن تعليق المحقِّق على هذه الأسماء من ألزم الضرورات وأوجبها في هذه الحالة.

ولكن؛ ما هو السبيل الأمثل للتعليق الذي لا بد أن يكون تعليقاً علمياً يتوافق مع طبيعة محتوى النص باعتباره تراثاً علمياً؟ وبمعنى آخر؛ كيف السبيل إلى ايجاد المرادف العلمي لهذا النمط من الأسماء بحيث يتاح للقارئ فهم المحتوى العلمي للنص؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إذا كان بعض محققي التراث الأدبي قد شدد على ضرورة وجود الحس اللغوي في معالجة النص لأن الجهل بالأساليب القديمة ينعكس أثره على معالجة النصوص القديمة.[١] كذلك، فإنه قياساً على ذلك لا بد من ضرورة وجود الحس العلمي -إن صح التعبير- في تحقيق نصوص التراث العلمي، الذي يتمثل في إيجاد المرادف العلمي لأسماء الأعيان.

وعلى سبيل المثال، لو أن كلمة «إثمد» قد وردت في سياق نص من نصوص التراث العلمي، فما هو التفسير المناسب لهذه الكلمة والذي يتفق مع طبيعة النص؟

أغلب الظن أن المحقق سوف يلجأ -أولاً- إلى «اللسان» الذي يفسرها بقوله: «الإثمد؛ حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل، ويقال: فلان يجعل الليل إثمداً، أي يسهر فيجعل سواد الليل لعينيه كالإثمد»[٢].

غير أن هذا التفسير قد لا يبدو مقنعاً في نظر البعض، فيلجأ إلى «تذكرة داود» الذي يفسرها بقوله: «الإثمد: هو الكحل الأصفهاني الأسود، وباليونانية سطيني، وهو من كبريت ضعيف وزئبق رديء عقدتهما الرطوبة والحرارة الضعيفة فلذلك اسود»[٣]، أو يلجأ إلى كتاب مثل «المعتمد في الأدوية المفردة» للتركماني الذي يقول: «الإثمد هو حجر الكحل الأسود، وهو صلب ملمع وبراق كحلي اللون، وأجوده الذي يتفتت سريعاً...الخ»[٤].

وربما زاد المحقق شيئاً آخر من التفسير، فيستعين بما جاء مثلاً في كتاب «عجائب

(١) مناهج تحقيق التراث، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، مادة (ثمد) ١/ ٥٩٧.

(٣) تذكرة أولي الألباب، لداود الأنطاكي، ١/ ٣٧.

(٤) المعتمد في الأدوية المفردة، ليوسف بن عمر التركماني، تحقيق مصطفى السقا، ص٤.



المخلوقات» للقزويني الذي يقول: «إن الإثمد هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبها في أكناف المشرق، وهو حجر يخالطه الرصاص، ينفع العيون اكتحالاً»(١).

غير أن الحس العلمي -وهو من الأمور المطلوبة- في هذا المقام، يأبى أن يكون ما جاء في «تذكرة داود» أو «عجائب القزويني» -رغم أهميتها الواضحة في شروح شتى- هو التفسير العلمي المناسب لكلمة «إثمد». وعلى هذا فليس أمام المحقق إذا أراد تفسير هذه الكلمة وأشباهها من أسماء الأعيان تفسيراً علمياً سليماً؛ إلا أحد أمرين: إما استنتاج المرادف العلمي -إذا كان المحقق من أهل الاختصاص- من خلال النظر في مؤلفات القدماء التي تتعرض لهذا الاسم أو ذاك، والربط بين أقوالهم في سبيل الإحاطة بالتعريف، حيث يسهل بعد ذلك استنتاج المرادف العلمي، وإما الرجوع إلى ما كتبه فريق من العلماء المحدثين الذين عنوا بتاريخ العلم عند العرب، فربما وجد المحقق بغيته في مؤلفاتهم.

ولعل أنسب تفسير علمي للإثمد أنه «حجر الكحل الأسود وهو كبريتيد الأنتيمون ويرمز له بالرمز $Sb_2 S_3$ (٢)، ويعرف في علم المعادن باسم أنتيمونيت Antimonite وأحيانا باسم ستبنيت Stibnite، ويرجح العالم الكيميائي «ريمي Remy» أن كلمة أنتيمون Antimony مشتقة من «الإثمد» العربية(٣).

ومثال آخر؛ لو أن محققاً قد تصدى لتحقيق نص من نصوص التراث العلمي في النبات فلا شك أنه سوف تستوقفه كثرة من أسماء النباتات العربية أو المعربة مثل الأبهل والعرعر والعرفج وغير ذلك من الأسماء الغريبة الوقع على الأذن، فماذا هو فاعل حيالها؟ أغلب الظن أن المحقق، إن كان من غير أهل الاختصاص، سوف يلجأ إلى مفردات ابن البيطار أو تذكرة

(١) عجائب المخلوقات للقزويني، تحقيق فاروق سعد، ص ٢٥٢.
(٢) الكيمياء عند العرب للدكتور مدحت إسلام، ص ١٦.
(٣) الكيمياء غير العضوية. هـ. ريمي، ترجمة أحمد رياض تركي والدكتور محمود عمر. ٣ / ٥١.



داود إن كان للنبات فائدة طبية، معتبراً أن هذا منتهى الجهد في التعليق، غير مدرك أن ما جاء به ابن البيطار، أو داود الأنطاكي إن أفاد من وجه فهو غير ذي فائدة من وجوه أخرى، لا سيما فيما يتعلق ببعض خصائص النبات التي هي أقرب ما تكون إلى الأوهام.

وعلى سبيل المثال إذا أخذنا كلمة «عرعر» مثلاً سوف نجد أن ابن البيطار يعرف هذا النبات نقلاً عمن سبقوه بقوله: «هذه الشجرة حارة يابسة، وهي من الأمرين جميعاً في الدرجة الثالثة. ولها ثمر منه ما يوجد عظمه مثل عظم البندق ومنه ما يوجد على الباقلا، غير أنه كله مستدير طيب الرائحة، حلو فيه شيء من مرارة، وهو جيد للمعدة، وإذا شرب كان صالحاً لأوجاع الصدر والسعال والمغص وضرر الهوام، يدر البول، وأنه متى أخذ إنسان من حب العرعر ثلاث حبات فحملهن في قلنسوة رأسه كان وجيهاً عند الناس مطاعاً فيهم، وإدمان أكله ينفع من الصرع»[١].

كما نجد أن داود يذكره بقوله: «العرعر: بَرّي السرو ولا فرق بينهما، غير أن العرعر أشد استدارة وأصفر يميل إلى حلاوة، حار يابس في الثانية يشفي من السعال المزمن وأوجاع الصدر وضعف المعدة، ومن خواصه أن دخانه يطرد الهوام، قيل: وحمل ثماني حبات منه في الرأس يورث الوجاهة والعظمة.. إلخ»[٢].

ومع التسليم بأهمية ما يرد في مثل هذه المؤلفات من معارف، إلا أن المقام هنا مقام علمي في الأساس، لذا فإن المحقِّق -إن كان من أهل الاختصاص- سوف يعمل جهده على إيراد المقابل العلمي لنبات «العرعر» بالرجوع إلى ما كتبه بعض العلماء المحدثين عن النبت عند العرب، لذا فإن التعريف العلمي السليم الواجب على المحقق أن يذكره في

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، ٣/ ١٦٤.
(٢) تذكرة أولي الألباب، مصدر سابق، ١/ ٢٣٦.



التعليق أن «العرعر: شجرة أو شجيرة مستديمة الخضرة من جنس جونبيروس Juniperus من عاريات البذور. الأوراق إبرية حرشفية ومنه أنواع قزمية هرمية الشكل»[١].

ومن حسن الحظ أن معجماً شهيراً في النبات هو «معجم أسماء النبات» قد وضعه الدكتور أحمد عيسى أورد فيه أسماء النباتات العربية والمعربة، وما يقابلها من زاوية علم النبات من الأسماء العلمية، فهو مرجع لا غنى عنه للباحثين في هذا الشأن.

أما أسماء المعادن فقد. كانت البداية الرائدة في هذا المجال على يد اللغوي الشهير الأب أنستاس ماري الكرملي في تحقيقه «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» لابن الأكفاني، فقد أورد في معرض إفاضته في شرح أسماء المعادن والأحجار الكريمة –لاسيما الأسماء غير المألوفة– ما يقابلها في اللغة الفرنسية؛ فمعدن البلخش اسمه بالفرنسية Spinelle [٢] ومعدن البجادي اسمه بالفرنسية Garnet [٣].. إلخ.

ولقد تطورت هذه البداية على يد الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور بسيوني خفاجي لدى تحقيقهما كتاب «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للتيفاشي إذ أوردا المقابل العلمي لأسماء المعادن، ليس هذا فحسب بل أوردا أيضاً المقابل العلمي للأنواع المختلفة للمعدن الواحد. وعلى سبيل المثال فمعدن «البنفش» هو البيروب Pyrope [٤] ومعدن «الإسباذشت» هو الهسونيت Hessonite ومعدن «البجادي» هو السبسرتيت Spessartite وكلها ضروب مختلفة لمجموعة معادن الجارنت Garnet Minerals[٥].

---

(١) الموسوعة الثقافية للفيف من الأساتذة، ص ٦٦.

(٢) نخب الذخائر لابن الأكفاني، تحقيق أنستاس ماري الكرملي، ص ١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦.

(٤) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي، تحقيق الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور بسيوني خفاجي ص ٢٦١.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٦١.



نخلص من هذا إلى القول بأنه من الواجب على المحقِّق -في هذه الحالة- أن يتناول أسماء الأعيان سواء أكانت هذه الأسماء، أسماء نباتات أو حيوانات أو معادن أو نجوم... الخ بالشرح والتفسير الذي يتضمن بطبيعة الحال المقابل العلمي لها حتى يكون القارئ على بينة مما يقرأ من تراث العرب العلمي، بدلاً من أن يقرأ ألغازاً وأحاجي فيسوء ظنه بالعلم العربي لأن الفهم ممتنع عليه بسبب تلك الألغاز والأحاجي.

ثانياً: المصطلحات العلمية:

ماذا يحدث لو أن محققاً قد صادفه -في تحقيق نص من نصوص التراث الأدبي- بيت أبي العلاء المشهور:

كالبيت أُفرِد لا إيطاء يدركه ... ولا سناد ولا في اللفظ إقواء[1]

فهل يغض الطرف عن شرح وتفسير مفردات البيت مثل «إيطاء» و «سناد» و «إقواء» اكتفاء بأن غاية المحقق الوصول إلى النص كما تركه مؤلفه؟ أو يتناول المفردات بالشرح والتفسير؟ وإذا قرر المحقق أن يفسر هذه المفردات أيلجأ -كما جرت به العادة- إلى معاجم اللغة كوسيلة للتفسير؟ أم ماذا؟ والحقيقة أنه لكي يدرك القارئ ما يعنيه المؤلف من إيراده لبيت أبي العلاء، لا بد للمحقق -في هذه الحالة- من تناول هذه المفردات التي ليست سوى اصطلاحات عروضية بالشرح والتفسير من خلال الكتب الموضوعة في هذا الفن؛ لأن معنى البيت كله -جملة وتفصيلاً- لا يمكن للقارئ إدراك معناه بغير تفسير هذه المفردات تفسيراً اصطلاحياً وليس لغوياً.

ولقد تعمدنا أن نتخذ من هذا الشاهد الشعري مثالاً نوضح به أهمية شرح وتفسير

(١) لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، تصحيح وشرح عبد العزيز أمين، ١/ ٣٥.



المفردات الاصطلاحية لسبب يسير للغاية، وهو من المعروف في حالة تحقيق التراث العلمي، أنه لا بد -لفهم المعطيات العلمية به- من المرور أولاً بفهم المصطلحات العلمية الخاصة بهذا أو ذاك.

فلا سبيل إلى تحصيل العلوم -قديمها وحديثها- وفهم محتواها من المعطيات العلمية إلا من خلال فهم المصطلحات العلمية الخاصة بكل علم.

ولقد وعى العلماء القدماء جيداً هذه الحقيقة، يقول التهانوي في مقدمة كتابه الشهير «كشاف اصطلاحات الفنون»: «إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة، هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً وإلى انفهامه دليلاً [كذا]»(١).

ويحدد الأمير مصطفى الشهابي المصطلح بقوله: «هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية، والاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية والأصلية»(٢). إذن فالمصطلحات العلمية هي الأداة التي تعبر عن المعطيات العلمية المختلفة فضلاً عن كونها من ألزم الضرورات لفهم العلوم.

ولأن هذه المصطلحات قد اتفق عليها العلماء فيما بينهم، فإن معاجم اللغة ليست أهلاً لتفسير مثل هذه المصطلحات، أو على الأقل لا تفي بشرحها. ومن المألوف في كتب التراث العلمي أن نقرأ الكثير من المصطلحات العلمية التي أراد المؤلف بذكرها معنى علمياً محدداً، لا يقبل الاجتهاد في التأويل لأكثر من معنى، بل يكمن تفسيره الصحيح في المعنى الذي قصده المؤلف.

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، ج١، ص ١.
(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية لمصطفى الشهابي، ص ٦.

لذا فإن ترك مثل هذه المصطلحات العلمية في النص دون تفسير علمي أو شرح يؤدي إلى إدراك محتواها، هو نوع من القصور في التحقيق. وهو قصور يُخل -دون شك- بفهم المحتوى العلمي للنص، الأمر الذي يجعله مستعصياً على الفهم بل يجعل من المصطلحات الواردة فيه شيئاً أشبه بالطلاسم مهما كانت إجادة المحقق وبراعته في تطبيق أسس التحقيق وقواعده.

والسؤال الآن: كيف السبيل إلى شرح هذه المصطلحات شرحاً علمياً؟ وبمعنى آخر كيف السبيل إلى استنتاج المقابل العلمي -كما في مصادر العلم الحديث- لتلك المصطلحات العلمية الواردة في نصوص التراث العلمي؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نقول -في البداية- أنه لا بد لنا، لبلوغ هذا السبيل من عرض الوسائل المتاحة للمحقق كي يتبين له السبيل الواجب اتباعه حيال هذه القضية وهذه الوسائل المتاحة هي:

الوسيلة الأولى: لجوء المحقق إلى معاجم اللغة وشروحها.

الوسيلة الثانية: الاحتكام إلى المؤلفات التي وضعت في شرح المصطلحات بوجه عام مثل «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي و«الكليات» لأبي البقاء و«التعريفات» للجرجاني وغيرها.

الوسيلة الثالثة: مراجعة الكتب التي ألفها العلماء العرب في العلم نفسه المراد شرح مصطلحاته.

الوسيلة الرابعة: خبرة المحقق وهي؛ إما خبرة في التخصص العلمي، أو خبرة في تحقيق نصوص التراث لا سيما العلمي منه.

وسوف نستعرض بشيء من الإيجاز كل وسيلة من هذه الوسائل حتى نتوصل في النهاية إلى الطريقة المثلى الواجب اتباعها في استنتاج وتفسير المصطلحات العلمية.



أما بالنسبة **للوسيلة الأولى**، فإنها لا تجدي في استنتاج المصطلح العلمي لأن مدلوله قد اختلف تماماً عن المدلول اللغوي.

ومن هنا يجب على المحقق ألا يركن إلى معاجم اللغة لأنها قد تكون عاملاً من العوامل التي تضلل المحقق أكثر من كونها عامل هداية له.

والدليل على ذلك أنه من العبث أن نبحث في معاجم اللغة عن تفسير ألفاظ مثل «الأجساد» و«الأجسام» و«الأرواح» وهي ألفاظ كثيراً ما وردت في مؤلفات العرب في الكيمياء.

فالمقصود بـ«الأجساد» الفلزات مثل الذهب والفضة،بينما يقصد بـ«الأجسام» معادن الفلزّات مثل «المرقشيتا» و«الدهنج»، والمقصود بـ«الأرواح» العناصر والمركبات التي تتطاير بالتسخين مثل الكبريت والنشادر[١].

وبالنسبة **للوسيلة الثانية**، فإن الاحتكام إلى الكتب الموضوعة في شرح المصطلحات العلمية، هو من الأمور التي تحسب للمحقق باعتبار أنها من الأمور المقبولة والمنطقية في عملية تحقيق التراث العلمي.

غير أن الأمر ليس بهذه السهولة المطلقة، إذ لا يخلو من بعض المحاذير التي يجب على المحقق أن يفطن إليها، وهي أن الكثير من هذه المؤلفات لا تفي بشرح المصطلحات العلمية شرحاً وافياً، فالإفادة منها إفادة محدودة وشرح قد يصيب وقد يخطئ.

ولعل ما جاء في تحقيق «حقائق الاستشهاد» للطغرائي الدليل الحي على قصور مثل هذه المؤلفات مما يعطي الانطباع بعدم جدوى الاحتكام إليها في كثير من الأحيان.

فقد جاءت في «حقائق الاستشهاد» فقرة زاخرة بالمصطلحات العلمية تقول:

(١) رسالة العلم، مجلد ٤٥، العدد الأول، مارس ١٩٨٠، أثر الفكر الإسلامي في تقدم علوم الكيمياء للدكتور مدحت إسلام، ص٢.

« . . . .مضطربة النظم غير مرتبة ولا دالة على حقيقة معاني **الحل والعقد والمزاج والاستحالة**. . . .الخ »[١].

ولقد فسر المحقق الدكتور رزوق فرج رزوق هذه المصطلحات الأربعة بقوله في حواشي التحقيق : « **الحل** ضد **العقد** فلذلك يكون ترقيق القوام حلاً، انظر كشاف اصطلاحات الفنون . **المزاج** : عند القدماء على أربعة أنواع أساسية تقوم على العناصر الأربعة : النار والهواء والأرض والماء، فيقال مزاج حار ورطب ويابس وبارد ثم تتفرع هذه الرباعية إلى رباعية أخرى فيقال : حار يابس، وحار رطب، وبارد رطب، وبارد يابس . انظر الصحاح في اللغة والعلوم. . .**والاستحالة** من اصطلاحات الصنعة »[٢].

ونود أن نقول أن ما جاء بحاشية التحقيق لا يمت بصلة إلى التفسير العلمي السليم لتلك المصطلحات الكيميائية الأربعة، بل نشك كثيراً أن القارئ قد فهم شيئاً من تعليق المحقق الذي من المفروض أنه قد كتبه بغرض التفسير والإيضاح، بل إننا نرجح أن التعليق قد زاد من غموض النص فوق ما به أصلاً من غموض، فما معنى أن « الحل » ضد « العقد »؟ وما معنى أن « الاستحالة » هي من اصطلاحات الصنعة؟ هذا بالإضافة إلى أن المحقق قد جانبه الصواب في تفسير « المزاج ».

إذن فالاحتكام إلى المؤلفات التراثية في المصطلحات العلمية على غرار « كشاف اصطلاحات الفنون » هو احتكام لا يأمن المحقق من عواقب الخطأ فيه، ما لم يكن بصيراً بالمحتوى العلمي للنص مدركاً لمراد المؤلف نفسه حتى يتسنى تفسير ما قد يعترضه من مصطلحات تفسيراً علمياً سليماً . **وتبقى لنا بعد ذلك وسيلتان هما** : مراجعة مؤلفات

---

(١) حقائق الاستشهاد للطغرائي، تحقيق الدكتور رزوق فرج رزوق، ص ٥٠ .
(٢) المصدر السابق، ص ٧٩ .



العلماء العرب في العلم المراد شرح مصطلحاته، وخبرة المحقق سواء أكانت خبرة في التخصص العلمي أم خبرة في معالجة نصوص التراث العلمي.

وفي اعتقادنا أن هاتين الوسيلتين يكمل بعضهما البعض، فعالم الكيمياء -على سبيل المثال- يستطيع في يسر وسهولة أن يستوعب فهماً وإدراكاً مؤلفات العرب في هذا العلم، بل يستطيع كذلك أن يستدل على ما يعنيه المؤلف من ذكره للمصطلحات الكيميائية.

كما أنه مما لا شك فيه أيضاً أن خبرة المحقق بنصوص التراث العلمي وطول تمرسه بالتحقيق لهذا الطراز من التراث قد يعوض النقص في مجال الخبرة بالتخصص العلمي، بشرط الاحتكام إلى مؤلفات العرب العلمية وكذلك مراجع العلم الحديث.

وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نفسر المصطلحات الكيميائية الأربعة التي وردت في «حقائق الاستشهاد» على النحو التالي:

«**الحل**» تعني الانحلال أو التفكك أي تحليل المركبات الكيميائية إلى وحدات أبسط منها كتفكك أو حل الزنجفر (وهو كبريتيد الزئبق) بالتسخين الشديد، ويرادف «الحل» بلغة الكيمياء Disintegration. أما «**العقد**» فهو تحضير مركبات كيميائية أكثر تعقيداً من مركبات بسيطة أو مواد أولية، ويرادف «العقد» بلغة الكيمياء Preparation.

وعندما نأتي إلى «**المزاج**» التي ظن المحقق **أنها تعني** الطبائع الأربعة للمواد، فإن الطغرائي قد قصد بها عملية المزج أو الخلط Mixing وهي مزج السوائل بعضها ببعض أو خلط المواد الصلبة[١]. والدليل على ذلك أن الفقرة نفسها تتحدث عن بعض العمليات الكيميائية.

أما «**الاستحالة**» والتي فسرها المحقق بأنها من اصطلاحات الصنعة، فإن سياق

---

(١) رسالة العلم، مصدر سابق، ص ٣.



الفقرة يدل على أن المقصود بها تحويل المواد والمركبات الكيميائية إلى مواد كيميائية أخرى من خلال إجراء التجارب المختلفة.

وللدلالة -أيضاً- على أن الخبرة في مجال التخصص العلمي من العوامل الحاسمة في شرح المصطلحات العلمية، نذكر ما جاء في تحقيق «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للتيفاشي إذ تمكن المحققان من استنتاج وتعريف المصطلحات العلمية التي أوردها المؤلف مثل المحك والحكاكة وكثرة الماء أو المائية العالية والتشعير.

فالمحك هو ما يسميه الجيولوجيون المحدثون بالمخدش Streak [١]، والحكاكة هو المسحوق الناتج من الحك Mineral powder [٢]، وكثرة الماء أو المائية العالية هي درجة الشفافية Transparency [٣]، والتشعير هو التشقق أو الانفصام Cleavage [٤].

كما أن عالم الرياضيات، هو أقدر من سواه على شرح وتفسير المصطلحات الرياضية في مؤلفات التراث العلمي. وللدلالة على ذلك ما جاء في متن مخطوط «الخلاصة في علم الحساب والجبر والمقابلة» لبهاء الدين العاملي، والذي قام بتحقيقه الدكتور جلال شوقي، إذ أورد المؤلف فقرة جاء فيها: «واعلم أن ميزان العدد ما يبقى منه بعد إسقاطه تسعة تسعة. وامتحان الجمع والتضعيف...» الخ.

وقد أفاض المحقق في شرح وتفسير «ميزان العدد» بما يقرب من صفحتين، موضحاً ما المقصود بميزان العدد، معقباً في نهاية شرحه بأنها «القاعدة الذهبية التي اتبعها العرب

---

(١) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، مصدر سابق، ص١١٨.
(٢) المصدر السابق، ص ١١٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٠.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٠.



لتحقيق سلامة العملية الحسابية، المعروفة في الغرب باسم Golden Rule[١].

وقد فعل الشيء نفسه الدكتور إمام إبراهيم أحمد لدى تحقيقه المقالة الثالثة من القانون المسعودي للبيروني، فقد فسر «أمهات الأوتار» و «وتر الثلث» و «وتر الربع»... الخ تفسيراً رياضياً لولاه ما استقام فهم الكتاب، فـ«أمهات الأوتار» هي الأوتار التي تقطع من المحيط أقواساً تبلغ أطوالها –منسوبة إلى طول المحيط– الثلث، والربع، والسدس... الخ. أي تلك التي تقابل زوايا مركزية قدرها على الترتيب – ١٢٠°، ٩٠°، ٧٢°... الخ[٢].

ثالثاً: الفقرات العلمية في النص:

لا شك أن ذكر المرادف العلمي لأسماء الأعيان من نبات أو حيوان أو معادن، واستنتاج المقابل العلمي الحديث للمصطلحات العلمية التراثية، تتيح للقارئ حظاً كبيراً في فهم المحتوى العلمي للنص، إلا أنه على الرغم من ذلك قد يصادف القارئ بعض جمل أو فقرات في النص قد استعصت على الفهم، الأمر الذي يخل بالسياق العام في إدراك القارئ للمحتوى العلمي للنص.

لذا فإنه من الواجب على المحقق، وقد استشعر بما لديه من حس علمي هذا الاختلال في السياق، أن يتصدى له بالشرح والتفسير لما يعنيه المؤلف، ولعل المثال الواضح على مثل هذه الفقرات الغامضة التي يحسن بالمحقق ألا يتركها دون تفسير، تلك الفقرة التي أوردها البيروني في كتاب «الإسطرلاب» بقوله: «...وهو أن تصعد جبلاً مشرفاً على بحر أو برية ملساء وترصد غروب الشمس، فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط..» إلى أن يقول:

---

(١) الأعمال الرياضية، لبهاء الدين العاملي، تحقيق وشرح الدكتور جلال شوقي، ص ٣٨.

(٢) القانون المسعودي للبيروني، المقالة الثالثة، تحقيق الدكتور إمام إبراهيم أحمد، ص ٦٥.



« . . . فإن الحساب ثلاث درجات بالتقريب »[١] .

وقد تصدى لهذه الفقرة بالشرح والتفسير المستشرق الإيطالي الشهيركارل نيلينو (C. Nilino)، استشعاراً منه بأهميته القصوى، فما ذكره البيروني وما فسره نيلينو، هو طريقة قياس محيط الأرض، تلك الطريقة التي تمخضت من خلال شرح نيلينو لها بالبراهين الرياضية المعززة برسم هندسي عما عرف في تاريخ العلم بقاعدة البيروني[٢] .

وقد فطن كثير من المحققين إلى أهمية التفسير العلمي لبعض الجمل من النص المستغلق على الفهم باعتباره تراثاً إنسانياً أحرى به أن يسجل في تاريخ العلم .

وعلى سبيل المثال، لو أن قارئاً لكتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي قرأ جملة بسيطة التركيب سهلة الألفاظ مثل قوله : « وهو نحو قولك : مالان وعشرة أجذار يعدل ثمانية وأربعين درهماً »[٣] .

أغلب الظن أن القارئ لن يعي مراد المؤلف الذي وعاه بالطبع محققا الكتاب الدكتور علي مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسي أحمد إذ أحالا هذه الجملة إلى معادلة رياضية يسيرة الفهم وهي المعادلة : ٢س٢ + ١٠س = ٤٨ .

وعلى هذا النسق من التفسير الرياضي جاءت هوامش الكتاب، ولا نجاوز الصواب إن قلنا : لولا وجود هذه الهوامش والتعليقات لأصبح الكتاب غير مقروء على الإطلاق .

وقد سار لفيف من المحققين على هذا النهج، وخاصة في مؤلفات العرب في الرياضيات، نخص بالذكر منهم تحقيق الدكتور أحمد سعيد الدمرداش لكتاب البيروني

---

(١) علم الفلك . . تاريخه عند العرب لكارل نيلينو –نقلاً عن البيروني– ص ٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩١ .

(٣) الجبر والمقابلة للخوارزمي، تحقيق الدكتور علي مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسي أحمد، ص ٢٩٠ .



«استخراج الأوتار في الدائرة» إذ أتبع كل نظرية هندسية أوردها البيروني شرحاً بلغة معاصرة، وكذلك فعل الدكتور إمام إبراهيم أحمد في تحقيقه للمقالة الثالثة من «القانون المسعودي» للبيروني، مما كان له أكبر الأثر في تقريب لغة التراث العلمي، وتيسير ما به من حقائق ومعطيات علمية.

خاتمـــة:

يتبين مما سبق أنه من أوجب الضرورات وأولاها بالعناية؛ التعليق على النص في التراث العلمي، لأسباب شتى لعل من أهمها ما يلي:

١- إن مآثر العرب في العلوم لا تتضح بالقدر الكافي بمجرد تطبيق أسس وقواعد التحقيق من مقابلات بين النسخ المختلفة وإثبات الساقط أو الزائد من الألفاظ وبيان ما يعتري النص عادة من تصحيف أو تحريف وغيرها من أسس التحقيق؛ لأن هذه المآثر لا يمكن إدراكها إلا من خلال فهم النص نفسه، ذلك الفهم الذي لا تكتمل مقوماته إلا من خلال التعليقات اللازمة سواء فيما يتعلق بأسماء الأعيان أو المصطلحات العلمية أو إيضاح قصد المؤلف من الفقرات الغامضة في النص.

٢- إن إيراد المقابل العلمي لأسماء الأعيان من نبات أو حيوان أو معادن.. الخ، وكذلك استنتاج المرادف العلمي للمصطلحات العلمية في نصوص التراث العلمي بوجه عام، سوف يؤدي في النهاية إلى تكوين معجم علمي يشرح تلك الأسماء والمصطلحات التراثية بلغة العلم المعاصر، مما يجعل من تحقيق التراث العلمي العربي أمراً ميسوراً لراغبي التحقيق.

٣- إنه مما لا شك فيه أن التعليقات التي تفسر معاني النص -سواء أكانت جملة أم فقرة

كاملة- بما قد يكون لهذه التعليقات، من إبراز الإبداع العلمي العربي، وموضع الريادة فيه، سوف يكون لها أكبر الأثر في كتابة تاريخ العلم عند العرب على أساس علمي موثوق به، فضلاً عن تصحيح بعض المعطيات الخاطئة في كتابات مؤرخي العلم من الغربيين [1].

---

(١) والدليل على ذلك ما أورده العالم العربي الجلدكي في شرحه لكتاب الحديد لجابر بن حيان عن صناعة الفولاذ بقوله: «وأما أصحاب الفولاذ فإنهم يأخذون قضبان الحديد ويجعلونها في مسابك لهم، مناسبة لما يقصدونه في معامل الفولاذ ويركبون عليه الأكوار.

ويطيلون عليه النفخ بالنار، حتى يصيرونه كالماء الخرار، ويطاعمونه بالزجاج وبالزيت المغلي حتى يظهر منه النور في الخزن...إلخ.

ويعلق الدكتور أحمد يوسف الحسن على هذه الفقرة بقوله: «إن وصف الجلدكي هذا في منتهى الأهمية التاريخية. فهو يشرح بصورة واضحة كل الوضوح صهر الحديد الصب أو بالأحرى تماسيح الحديد المصبوبة. وهو يشرح في الوقت نفسه صهر الفولاذ واستخراجه من قضبان الحديد الصب.

ووصف الجلدكي يدل على وجود عمليات صناعية إنتاجية كاملة في البلدان التي عاش فيها وهي مصر والشام، وليس على عمليات حرفية صغيرة أو عمليات مخبرية.

لقد توفي الجلدكي في عام ١٣٤٢م. ومن الطبيعي أنه كان يصف لنا صناعة مستقرة ومزدهرة قبل أن يخط كتابه. ومعنى هذا أن صهر الحديد الصب من الخامات كان معروفاً جيداً في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر على الأقل.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن صناعة الحديد الصب ظهرت في أوروبا في منتصف القرن الخامس عشر (أي حوالي ١٤٥٠م) تبين لنا أن صناعة الحديد الصب أو الأفران العالية بشكلها الصغير كانت معروفة في المشرق العربي قبل حوالي ٢٠٠ عام من تاريخ ظهورها في أوروبا الغربية.ا.هـ.

رسالة العلم، المجلد الأول، مارس ١٩٧٥، مدخل إلى تاريخ التكنولوجيا العربية، د. أحمد يوسف الحسن.



المراجع

١ـ أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، لأحمد بن يوسف التيفاشي، تحقيق الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧ .

٢ـ استخراج الأوتار في الدائرة لأبي الريحان البيروني، تحقيق الدكتور أحمد سعيد الدمرداش، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥ .

٣ـ أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، نص تقرير وضعته لجنة مختصة، الطبعة الثانية، المكتب السلفي لتحقيق التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٤ـ أصول نقد النصوص ونشر الكتب، جوتهلف برجسترشر، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ .

٥ـ الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي، تحقيق وشرح الدكتور جلال شوقي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١ .

٦ـ البحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦ .

٧ـ تثبيت الزاوية في العصور الإسلامية، تحقيق الدكتور أحمد سليم سعيدان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٢٨، الجزء الأول، يونيو، ١٩٨٤ .

٨ـ تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧ .



٩- تذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠- تنقيح المناظر لكمال الدين الفارسي، تحقيق مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

١١- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لأبي محمد عبد الله بن البيطار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

١٢- الجبر والمقابلة لأبي موسى الخوارزمي، تحقيق الدكتور علي مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسي أحمد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

١٣- ضبط النص والتعليق عليه للدكتور بشار عواد معروف، مكتبة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.

١٤- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لأبي زكريا القزويني، تحقيق فاروق سعد، الطبعة الرابعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.

١٥- علم الفلك .. تاريخه عند العرب، كارل نيلينو، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٦- القانون المسعودي، المقالة الثالثة، لأبي الريحان البيروني، تحقيق الدكتور إمام إبراهيم أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٥.

١٧- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

١٨- الكيمياء عند العرب للدكتور مدحت إسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.



١٩- الكيمياء غير العضوية، هـ. ريمي، ترجمة أحمد رياض تركي والدكتور محمود عمر، مركز مكتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٠- لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، تصحيح وشرح عبد العزيز الأمين، مكتبة الجمالية، القاهرة، ١٩١٥.

٢١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، تحقيق الدكتور عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

٢٢- المتنبي لمحمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٤٠٧هـ.

٢٣- المصطلحات العلمية في اللغة العربية لمصطفى الشهابي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢.

٢٤- المعتمد في الأدوية المفردة ليوسف بن عمر التركماني، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٢٥- مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث للدكتور السيد رزق الطويل، دار المدني للطباعة، القاهرة، ١٩٨٨.

٢٦- مقدمة في المنهج للدكتورة عائشة عبد الرحمن، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١.

٢٧- مناهج تحقيق التراث للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٨- الموسوعة الثقافية، لفيف من الأساتذة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢.

٢٩- نخب الذخائر في أحوال الجواهر لشمس الدين بن الأكفاني، تحقيق أنستاس



ماري الكرملي، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٣٠- نظرة في تحقيق الكتب للدكتور أحمد مطلوب، مجلة معهد المخطوطات العربية، الجزء الأول، يونيو، ١٩٨٢.

***



آراء أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة وأقسام الدراسات الإسلامية بدول مجلس التعاون الخليجي حول [معوقات البحث في العلوم الإسلامية]

(دراسة ميدانية)

الباحث الرئيس

د. عبد الرزاق الشايجي[١]

الباحثان المشاركان

د. عبد الله المعتوق[٢]

د. شافي الهاجري[٣]

التعريف بالبحث:

يمكن القول أن البحث العلمي في دول مجلس التعاون، ولا سيما في الآونة الأخيرة، لم ينل من العناية ما يتناسب مع حيوية الدور المتوقع منه القيام به، وتحقيق ذلك يتطلب الكشف عن العوامل الحاكمة للبحث العلمي عامة والبحث الشرعي بصفة خاصة، والتي تحول بينه وبين تحقيقه لأهدافه، ومن ثم التوصل إلى بعض الأمور التي تسهم في تطويره ورفع كفاءته، وهذه الدراسة محاولة في هذا الجانب لتساعد في إلقاء الضوء على المعوقات التي تقف أمام البحث في العلوم الشرعية، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة في دول مجلس التعاون الخليجي، ومن أجل ذلك أعد استبيان لاستطلاع الرأي تم تطبيقه على أعضاء هيئة التدريس بدول مجلس التعاون، بكليات الشريعة بأقسامها المختلفة (الفقه، العقيدة، التفسير، أصول الفقه)، وقد بلغ عدد أفراد العينة نحو (١٤٧) عضو هيئة تدريس، وتكونت متغيرات الدراسة من (الجامعة - القسم العلمي - الرتبة العلمية - عدد البحوث التي أجريت - مهارات استخدام الكمبيوتر). وقد رُتب إجراء الدراسة الميدانية، واستخدمت الأساليب الإحصائية المناسبة. وخرجت الدراسة بعدة نتائج وتوصيات.

(١) العميد المساعد للبحث العلمي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، حاصل على الدكتوراه في الحديث النبوي من جامعة الأزهر سنة (١٩٩٢م).

(٢) رئيس قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية الأساسية في الكويت، حاصل على الدكتوراه في الفقه المقارن من جامعة كلاسكو في بريطانيا سنة (١٩٩٦م).

(٣) مدرس في كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر، حاصل على الدكتوراه في الثقافة الإسلامية من جامعة أم درمان سنة (١٩٩٩م).

المقدمة

يعد البحث العلمي إحدى المهام الأساسية التي تميز الجامعات، ومن خلاله تحظى بالتقدير والمكانة بين مؤسسات المجتمع الأخرى.

بل إن بعض الجامعات -كما في أمريكا- فصلت نشاطها في البحث العلمي عن نشاطها التعليمي، ومن ثم كان تركيزها على الدراسات العليا أكثر من غيرها. ولهذا فإن عمل أستاذ الجامعة يجب أن يكون مرتبطاً بالبحث وليس بمجرد إلقاء محاضراته على طلبة المرحلة الجامعية، فمساعدته لطلبة الدراسات العليا من خلال بحوثهم وعكوفه في معمله أو بين دفاتره وكتبه في محاولة للتوصل إلى الجديد بصفة دائمة، هذا ما يميز علمه عن غيره. ويتضمن نشاط البحث العلمي توسيع وتنمية ميدان المعرفة في كل مجال من مجالات المعرفة التخصصية.

ويختلف مفهوم البحث العلمي من ميدان إلى ميدان، فهو في العلوم الطبيعية غيره في العلوم الاجتماعية، إلا أنه رغم اختلاف المفهوم بين الميادين المختلفة فهو يشمل أي جزء من المعرفة التي نحصل عليها من خلال عملية مفاهيمية منظمة.

ولقد أضحى البحث العلمي اليوم مختلفاً نظراً لتعقد أساليبه وتنوع أجهزته وتعدد الميادين التي يعمل فيها، وأيضًا نظرًا لخطورة النتائج التي يتوصل إليها العلماء وأثر هذه النتائج على مجريات الحياة في المجتمعات الإنسانية (١).

ومن ثم يمكن القول إن البحث العلمي في الكويت ودول مجلس التعاون، ولا سيما في الآونة الأخيرة، لم ينل من العناية والاهتمام ما يتناسب مع حيوية الدور المتوقع منه القيام

(١) معوقات البحث العلمي بالجامعة كما يراها أعضاء هيئة التدريس وسبل تطويره لعنتر لطفي محمد، مجلة التربية المعاصرة، القاهرة، رابطة التربية الحديثة، العدد ٣٦، أبريل ١٩٩٥: ص ١١١.

به، وتحقيق ذلك يتطلب الكشف عن العوامل الحاكمة للبحث العلمي عامة والبحث الشرعي بصفة خاصة، والتي تحول بينه وبين تحقيقه لأهدافه، ومن ثم التوصل إلى بعض الأمور التي تسهم في تطويره ورفع كفاءته .

وهذه الدراسة محاولة في هذا الجانب لتساعد في إلقاء الضوء على المعوقات التي تقف أمام البحث في العلوم الشرعية، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة في دول مجلس التعاون الخليجي [١].

أهمية الدراسة :

يمكن أن نوجز الأهمية التي قد تسهم فيها هذه الدراسة من حيث كونها دراسة ميدانية تتناول البحوث في العلوم الشرعية، والمعوقات التي تقف في سبيل إنجازها . كما أنها قد تفيد المسؤولين عن البحث العلمي في الجامعات الخليجية لوضع الخطط اللازمة لتفعيل البحث العلمي في مجال هذه العلوم . والدراسة تبحث في هذه المعوقات من وجهة نظر الهيئة التدريسية التي لها خبرة في مجال البحث في العلوم الشرعية، الأمر الذي يُمَكِّن من تشخيص الواقع من أجل العمل على إزالة المعوقات وتنشيط البحث في مجال العلوم الشرعية.

مشكلة الدراسة :

من خلال استعراض الدراسات التي تناولت معوقات البحث العلمي بصفة عامة لم نجد دراسة تناولت معوقات البحث في العلوم الشرعية، مما حدا بالباحثين إلى محاولة التعرف

(١) يتوجه الباحثون بالشكر الجزيل لإدارة الأبحاث بجامعة الكويت على تمويلها هذا البحث .



على آراء أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة بدول مجلس التعاون لمعرفة المشكلات التي تقف في طريق البحث في العلوم الشرعية، ومن ثم يمكن أن يطرح البحث السؤال الرئيس التالي :

« ما معوقات البحث في العلوم الشرعية بكليات الشريعة، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؟ » .

أسئلة الدراسة

- ما معوقات البحث الاجتماعي بصفة عامة؟
- ما واقع البحث الشرعي في كليات الشريعة؟
- ما المعوقات التي تقف في طريق البحث في العلوم الشرعية؟
- ما الفروق الدالة إحصائياً وفق متغيرات الدراسة (الجنسية ـ القسم العلمي ـ الرتبة العلمية ـ مكان العمل ـ مدى استخدام الحاسوب) ؟ .
- ما الحلول المقترحة لتفعيل البحث في العلوم الشرعية؟

مصطلح البحث في العلوم الشرعية : « هو البحث الذي يجريه عضو هيئة التدريس في الجامعة بكليات الشريعة، وأقسام الدراسات الإسلامية من أجل النشر العلمي في الدوريات أو الحصول على ترقية، والذي يتناول قضايا فقهية، أو موضوعات دينية، خاصة بالإسلام وقضاياه المختلفة بشكل يثري المنهجية العلمية في العلوم الإسلامية أو يساعد على استكمال شروطها وأركانها » .



الدراسات السابقة :

هناك دراسات كثيرة تناولت معوقات البحث العلمي بصفة عامة [١]، ومنها بحوث تناولت مجالات وميادين معرفية خاصة مثل البحث التربوي[٢]، ولكن نحن بصدد الحديث عن معوقات البحث الشرعي، وهو من البحوث الاجتماعية، فمن ثم سوف نعرض لأهم الدراسات السابقة التي تناولت البحوث الاجتماعية عامة، ومعوقات البحوث في الجامعات الإسلامية، أو معوقات البحث الشرعي إن وجدت مثل هذه الدراسات.

١- دراسة « (١٩٧٠) « Ander Bernound [٣]» عن مشكلات البحث في مجال العلوم الاجتماعية، وقد تم إجراء هذه الدراسة في كندا، وكانت عبارة عن دراسة مقارنة بين جامعتين وقامت على فرضية أن الجامعات الصغيرة الحديثة النشأة أقل كفاءة في البحث العلمي من الجامعات الكبيرة، وكان مجال المقارنة بين الجامعتين في ميدان البحث الاجتماعي. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من بينها أنه لا يوجد لدى أعضاء هيئة التدريس الوقت الكافي لإجراء الأبحاث، حيث تشغل الأعباء الإدارية ومطالب

---

(١) انظر مثلاً: أزمة البحث العلمي في العالم العربي لعبد الفتاح خضر، الرياض: إدارة البحوث. معهد الإدارة العامة، ١٩٨١.

(٢) انظر مثلاً:

- وقفة موضوعية مع البحث في التربية الإسلامية لحميدة عبد العزيز عبد الله، ضمن بحوث المؤتمر السنوي لرابطة التربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٩، مجلد٢.
- واقع البحث التربوي ومعوقاته في دولة قطر لمحمد وجيه الصاوي، جامعة قطر: مركز البحوث التربوية.
- الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لمشكلات البحث التربوي، رسالة ماجستير لسليمان العنقري، كلية التربية جامعة الأزهر ١٩٩٦.
- معوقات البحث التربوي في دولة الكويت لسعد الشريع ومحمد وجيه الصاوي، دراسة ميدانية لآراء أعضاء هيئة التدريس، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ٨٨، أبريل ٢٠٠٠.

3) Ander Bernound, Problems of Social Science Research at smaller. Canadian University, Oct 1970.



التدريس معظم أوقاتهم. كما أشارت هذه الدراسة إلى أن هناك علاقة بين الدعم المادي للجامعة وإنتاجها من البحوث العلمية.

وهكذا أكدت الدراسة على أن استغراق الطاقات التعليمية لعضو هيئة التدريس في العبء التدريسي يرهق الأساتذة كثيراً وبالتالي يعوقهم عن القيام بدورهم في البحث العلمي كما ينبغي، وأكدت كذلك على أهمية الدعم المادي الذي تتلقاه الجامعة في حسن قيامها بدورها في هذا الجانب.

٢- دراسة «محمد عبد الرحمن الربيع» (١٤٠٣هـ)[١] تناولت معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية، وتطرقت إلى صفات البحث العلمي واحتياجاته ومتطلباته، وأهميته وأهدافه، وأخيراً معوقاته. وقد قسمت هذه الدراسة إلى جزأين: معوقات مالية حيث اتخذ من ميزانية الجامعات العربية ومخصصات البحث العلمي بها دليلاً على عدم الاهتمام بالبحث العلمي. ومعوقات أكاديمية، وحصرها في انخفاض نسب أعضاء هيئات التدريس قياساً إلى أعداد الطلبة وما يترتب على ذلك من زيادة العبء التدريسي، وأيضاً قلة أعداد المساعدين الفنيين حيث إن أعدادهم لا تتناسب مع حجم المسؤوليات الملقاة على عاتقهم. إلى جانب قلة المصادر العلمية ووسائل النشر العلمي.

ومن ثم نجد أن هذه الدراسة أكدت على مشكلة التمويل، ثم مشكلة العبء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس ومدى توفر مساعدي الباحثين، وأخيراً المكتبة العلمية وأزمة النشر، حيث لا تتوفر المجلات العلمية المتخصصة.

---

(١) معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية لمحمد عبد الرحمن الربيع، ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود، بتاريخ ١٤-١٥ صفر ١٤٠٣هـ ص ٥-١٣.



٣- دراسة « سيد حسن باشا »(١٤٠٣ هـ)[١] تناول فيها بعض معوقات البحث العلمي حيث ناقش بعض المعوقات التي تحول بين عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية والإنتاج العلمي في مجال تخصصه . ولذلك كان التساؤل الرئيسي للبحث هو « ما السبب وراء ظاهرة التخلف في مجال البحث العلمي في الجامعات العربية؟ » وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج من أهمها أن هناك معوقات للبحث العلمي ترجع إلى شخص عضو هيئة التدريس، ومعوقات تتعلق بالجامعة ذاتها، ومعوقات تنبع من المجتمع. وفي ضوء هذه النتائج أشار الباحث إلى أن البحث العلمي في الجامعات العربيةَ حالياً دون المستوى المطلوب سواء من حيث الكم أو النوع، وأن الأبحاث العلمية لا تنبثق من نظريات، وغير مبنية على بيانات دقيقة.

٤- دراسة « محمد عبد العليم مرسي » (١٩٨٤)[٢] هدفت الدراسة إلى معرفة العوامل التي تعوق البحث العلمي والمشتغلين به وذلك بغرض معرفة إلى أي حد يؤثر كل منها على البحث العلمي في المنطقة العربية. وتم تحديد العوامل المادية، وتتمثل في ضعف الأموال التي ترصد للإنفاق على البحث العلمي، وعدم مشاركة الشركات الكبرى والأفراد الأثرياء في نفقات البحث العلمي. كما تم تحديد المعوقات التي تكمن في الباحثين أنفسهم، وطبيعة عملهم، تتمثل في : قلة أعداد العاملين في مجال البحث العلمي، والمناخ العلمي والظروف المعيشية التي يعيش فيها العلماء والباحثون، وعدم توفير الظروف التي تتيح للعلماء والباحثين حضور المؤتمرات

---

(١) بعض معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية لسيد حسن باشا، ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود، بتاريخ ١٤ -١٥ صفر ١٤٠٣هـ ص ٩ -١٧.

(٢) معوقات البحث العلمي في الوطن العربي لمحمد عبد العليم مرسي، مجلة رسالة الخليج، العدد ١٨ السنة الرابعة، الرياض: ١٩٨٤، ص ٢٧ -٦٩.

واللقاءات العلمية الدولية، إضافة إلى التعقيدات البيروقراطية في مجال الإدارة، وكثرة العبء التدريسي لأعضاء الهيئة التدريسية، والتقدير المتواضع من المجتمع للباحثين، وأخيراً عدم ربط البحوث العلمية بخطط التنمية، وعدم اهتمام صانعي القرار بالأبحاث ونتائجها.

٥- دراسة «محمود عبد المولى» (١٩٨٥)[(١)] تضمنت الإشارة إلى بعض المعوقات التي تواجه البحث العلمي مثل: الإمكانات المادية، وأهمية توافر المناخ العلمي المناسب، وتحديد أولويات البحث العلمي، وربط البحث العلمي بالواقع الاجتماعي، وتحديد سياسة علمية واضحة لمجالات البحث العلمي. ومن ثم معوقات تتسم بها دول العالم الثالث ومنه الدول العربية.

٦- دراسة «محمد عبد الهادي» (١٩٨٧)[(٢)] شملت بين جوانبها عرضاً لبعض القيود والعقبات التي تقف أمام الانطلاقة العلمية سواء من داخل المجتمع العلمي أو من خارجه. وتوصل الباحث إلى اقتراح برعاية الباحثين والعلميين، وتوجيه الأبحاث نحو التطبيق، ووضع خطة قومية عامة للبحث العلمي، والاستفادة من نتائج الأبحاث في التخطيط الشامل للسياسات في الدولة.

وقد أشار الباحث في ضوء تلك النتائج إلى حلول مثل أهمية سعي العلماء وباحثي العلوم الاجتماعية إلى إقناع المجتمع بأهمية البحث العلمي الاجتماعي، والحرية الأكاديمية، ودروها في إنعاش البحث الاجتماعي، وإجراء الدراسات المرتبطة بالواقع

---

(١) التعليم العالي والبحث العلمي في العالم الثالث والوطن العربي لمحمود عبد المولى، مجلة الوحدة، السنة الثانية، العدد ١٤، نوفمبر ١٩٨٥، ص ٢٨-٣٨.

(٢) البحث العلمي ودوره في التنمية لمحمد عبد الهادي، المؤتمر القومي لتطوير التعليم، القاهرة: ١٩٨٧.



الاجتماعي.

٧- دراسة «محمد عثمان خضر» (١٩٨٩) [١] سعت الدراسة إلى تشخيص بعض مشكلات البحث العلمي وتقديم بعض التوصيات بشأنها. ولقد أبرزت الدراسة عدم وجود سياسة لأولويات البحث العلمي، إضافة إلى ضبابية أهدافها وعدم توفر القوى البشرية كمّاً ونوعاً، وضعف العلاقة العضوية بين البحث العلمي وبين قطاعات الإنتاج والخدمات.

إضافة إلى المشكلات السابقة تضمنت الدراسة الإشارة إلى بعض المشكلات الأخرى مثل ضعف خدمات التوثيق والإعلام العربي وانعدام الاستقرار التنظيمي في بعض مراكز ومؤسسات البحث العلمي، ومشكلات النشر العلمي للأبحاث العلمية.

٨- دراسة «أميمة الدهان» (١٩٨٩) [٢] التي هدفت إلى تحديد الصعوبات التي تعترض أعضاء هيئة التدريس في العلوم الإدارية أثناء قيامهم بالبحوث. وتم حصر هذه المعوقات في: عدم توفر المصادر العلمية العربية المتخصصة، إضافة إلى عدم توفر الإحصاءات الدقيقة، وعدم وجود طلب اجتماعي كاف على البحوث، كثرة العبء التدريسي لعضو هيئة التدريس مقابل ارتفاع عدد الطلبة في قاعة المحاضرات، صعوبة الحصول على المعلومات والبيانات وخاصة في مجال البحث الميداني، وضعف تمويل البحث العلمي، وعدم توفر الحرية الكافية لعضو هيئة التدريس في البحث، عدم إتاحة

(١) البحث العلمي في الأقطار العربية لمحمد عثمان خضر، المؤتمر الرابع للوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، (الدراسات العليا والبحث العلمي في الوطن العربي) دمشق: ١٩٨٩. ص ٤٣ - ١٢٠.

(٢) البحث الإداري في الجامعات العربية لأميمة الدهان، دراسة ميدانية، مجلة أبحاث اليرموك. سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الخامس، العدد الأول، جامعة اليرموك، الأردن: ١٩٨٩، ص ١١٧ - ١٥٦.



الفرصة لأعضاء هيئة التدريس لحضور المؤتمرات العلمية الإقليمية والدولية، ضعف فرص النشر للأبحاث العلمية نظراً لعدم توفر المجلات المتخصصة. إضافة إلى ما سبق ضعف الحوافز المعنوية والمادية لعضو هيئة التدريس.

٩- دراسة «شفيق الغبرا» (١٩٨٩)[1] هدفت الدراسة إلى معرفة أهم الأسباب الاجتماعية والسياسية والمحلية بالإضافة إلى الأسباب العالمية التي تسهم في إضعاف -وأحيانا عزلة- العلوم الاجتماعية العربية.

وهذا يعني أن هذه الدراسة لا تهدف إلى التعرف على أزمة النظرية أو المنهج في فرع من فروع العلوم الاجتماعية، بل تهدف إلى التعرف على الخصائص العامة المعوقة للبحث في العلوم الاجتماعية.

ولقد خرج الباحث بنتائج أهمها: أن تخلف البحث الاجتماعي العربي يرجع إلى نقص الموارد المخصصة للبحث، وغياب دور المراكز والمؤسسات التي ترعى البحث الاجتماعي، وضعف المكتبات، والبيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية.

١٠- دراسة «إبراهيم حداد» (١٩٩٠)[2] هدفت الدراسة إلى تشخيص الصعوبات سواء الذاتية أو الخارجية التي تحيط بعمل الباحثين العرب. وقسم الباحث دراسته لهذه المعوقات إلى قسمين: **معوقات عامة**: ويقصد بها المعوقات التي تجابه جميع العاملين في أقطار الوطن العربي، مثل عدم توفر التربية المناسبة لتكوين الباحث العلمي، وعدم توفر البيئة المناسبة للبحث والإنتاج العلمي، وعدم توفر قيادات البحث العلمي، وعدم

---

١) معوقات البحث في العلوم الاجتماعية العربية لشفيق الغبرا، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد السابع عشر، العدد ٣، الكويت: ١٩٨٩، ص ٢٠٧ -٢٣٣.

٢) معوقات عمل البحث العربي في مؤسسات علمية لإبراهيم حداد، مجلة شؤون عربية، العدد ٦٨، تونس: ١٩٩٠ ص ١٥١-١٧٤.



توفر الإمكانات العملية التكنولوجية في محيط الباحث، والتعقيد الإداري، وفقدان روح التعاون وأسلوب العمل الجماعي (روح الفريق)، وأخيراً عدم التقدير الاجتماعي للبحث والباحثين.

المعوقات الخاصة : تتمثل في تلك التي يعاني منها الباحثون في بعض المؤسسات العلمية العربية مثل عدم توفر الأجهزة العلمية الحديثة، عدم توفر الكتب والمجلات والتقارير العلمية المتعددة، العبء التدريسي على الأستاذ الجامعي، عدم الثقة بالبحث العلمي، قلة الاعتمادات المخصصة للبحث العلمي في الميزانية العامة للدولة، عدم توفر الكادر الفني المساعد، وأخيراً عدم توفر خطة وطنية للبحوث العلمية.

١١- دراسة «عنتر لطفي محمد» (١٩٩٥)[١] هدف الباحث إلى التعرف على المعوقات التي تواجه البحث العلمي في الجامعة بهدف تشخيصها وتحديدها، ثم التقدم ببعض المقترحات التي تسهم في علاج هذه المعوقات وذلك من خلال آراء أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وقد طبق الباحث استبانة على (١٦٣) عضو هيئة تدريس بجامعة الإسكندرية، ممثلة للتخصصات المختلفة، وتم وضع مجموعة من المعوقات أهمها: الحوافز المادية والمعنوية، توفير الأموال اللازمة، الإمكانات المادية، التنظيم الإداري، المكتبة والمعلومات والبيانات، العبء التدريسي، الحرية الأكاديمية، وجود خريطة بحثية تنموية. ووفق هذه المعوقات مع متغيرات الدراسة، الجنس، والتخصص، والدرجة الوظيفية، الكلية، خرجت الدراسة بأهم النتائج منها: أن مشكلة الحوافز المادية للبحث كانت في مقدمة المشكلات. ثم مشكلة عدم

---

١) معوقات البحث العلمي بالجامعات كما يراها أعضاء هيئة التدريس وسبل تطويره لعنتر لطفي محمد، مجلة التربية المعاصرة: القاهرة: رابطة التربية الحديثة، العدد٣٦، أبريل ١٩٩٥. ص ١١١ -١٦٥



توفر الأجهزة والأدوات. ثم عدم وجود خريطة بحثية، ثم العبء التدريسي.

١٢– دراسة «محمد منير سعد الدين» (١٩٩٧) [١] هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع البحث العلمي في الجامعات الإسلامية وتحديد أهم مشكلاته، وكانت الدراسة وصفية لم تنزل إلى الميدان بل تحليلية، عرضت واقع البحث العلمي في الجامعات الإسلامية، ثم تطرقت إلى مشكلات البحث العلمي كظاهرة عامة في الجامعات الإسلامية، وقدمت مقترحات لما ينبغي أن يكون عليه البحث العلمي ليستطيع مواجهة التحديات في القرن المقبل. وقد حدد الباحث مجموعة من المعوقات بصفة عامة، من أهمها: نقص الكفاية العلمية عند بعض أعضاء هيئة التدريس. كثرة الأعباء الملقاة على عاتق عضو هيئة التدريس. انعدام التحدي العلمي. عدم توفر طبقة مساعدي الباحثين. قلة البحوث المشتركة.

أما المشكلات الخاصة بالجامعات الإسلامية فمن أهمها: اقتصار معلومات طلاب الدارسات العليا على ما ورد في الكتب القديمة. جمود التفكير عند فقه العبادات وفقه الأسرة. الإرهاب الفكري. خوف بعض الطلبة من التعامل مع تكنولوجيا المعرفة.

١٣– دراسة «فيصل فهد العبد الجادر» (١٩٩٨) [٢] هدفت الدراسة إلى تعرّف طبيعة العمل البحثي في بعض الأجهزة التربوية ذات الطبيعة البحثية بوزارة التربية، والعقبات التي تواجهها أثناء التطبيق، أجريت الدراسة على (١١٦) موظفاً بالوزارة من الإدارات التي لها علاقة بعملية البحث التربوي من أصل (٢٥٠) موظفاً وموظفة بنسبة ٤٢٪، وطبقت استبانة تدور محاورها في مجال العقبات التي تواجه إدارة البحوث

---

١) البحث العلمي في الجامعات الإسلامية: واقعه ومشكلاته لمحمد منير سعد الدين، ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، جامعة الإمارات، ٢٠–٢٢ ديسمبر ١٩٩٧.

٢) دراسة حول المشاكل التي تواجه البحوث التربوية بوزارة التربية لفيصل فهد العبد الجادر، الكويت: مركز البحوث التربوية والمناهج، وزارة التربية، وحدة القياس، ١٩٩٨.



ومركز البحوث التربوية بالوزارة لمعرفة أهم المعوقات الإدارية، والتنظيمية، والعلمية، والبشرية التي تقف في طريق البحث التربوي في وزارة التربية بدولة الكويت.

١٤- دراسة «إسماعيل عبد رب النبي شاهين» (٢٠٠٠) [١] هدفت الدراسة الوصول إلى صورة للبحث العلمي ومقوماته في مجلس التعاون لدول الخليج، مقدماً خصائص البحث العلمي، والعوامل المؤثرة على صلاحيته، ومخرجات البحث العلمي في دول المجلس، المعوقات التي تحول دون الاستفادة من مخرجات البحث العلمي. ثم عرض الباحث منهجاً للفقه الإسلامي في كيفية الاستفادة من مخرجات البحث العلمي.

١٥- دراسة «عمر بن العزيز المسند» (٢٠٠٠) [٢] يهدف البحث إلى إيجاد حلول عملية للاستفادة من نتائج البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ويستعرض خلال البحث آلية دعم البحث العلمي، وتأثير غياب المستفيدين من مخرجات البحوث على قابلية تلك المخرجات للتطبيق الفعلي، ويقترح البحث خطوات عملية محددة لتفعيل نتائج البحث العلمي حتى تحقق مراكز التطوير والبحث العلمي في مجلس التعاون الأهداف التي أنشئت من أجلها.

أما الدراسات الأجنبية فهي كثيرة قد تناول الكثير منها معوقات البحث بشكل عام مثل دراسة «Romainville، Marc» [٣] «رومانفيل ميرس» بحث فيها معوقات البحث في

١) الاستفادة من مخرجات البحث العلمي والمعوقات التي تحول دون ذلك لإسماعيل عبد رب النبي شاهين، بحث ضمن ندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي: الواقع والمعوقات والتطلعات. مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية، ١٢-١٤ نوفمبر ٢٠٠٠.

٢) خطوات عملية نحو تفعيل نتائج البحث العلمي في دول الخليج العربية لعمر بن عبد العزيز المسند. بحث مقدم لـ «ندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، ١٢-١٤ نوفمبر. الرياض، ص ٦٠٠-٦١٤.

3) Romainville, Marc. Teaching and Research at University: A Difficult Pairing Higher Education Management.Jul, 1996. V8.n2, p 135-144.



الجامعة وقدم حلولاً عملية لتفعيل دور البحث العلمي في مجال الخدمات العامة في الجامعة وكذلك تنمية المجتمع. كما بحث « Buriak. Philip& Shinn،Glen » [١] «بيريك فيليب و شاين جلين» عن معوقات البحث في مجال التربية الزراعية، وهي دراسة تتناول ميداناً معيناً من ميادين المعرفة للتعرف على الصعوبات التي تواجه البحث في مجالها.

و« Bednar، Richard » [٢] « بيدنر ريتشارد » تناول بالدراسة كيفية التغلب على المعوقات المستقبلية التي تواجه فريق البحث العلمي، وذلك من أجل تنمية البحث العملي في مختلف المجالات مع التركيز على البحوث الاجتماعية عامة والبحث التربوي خاصة.

أما البحوث الأجنبية ذات الصلة بالبحث الديني فهناك دراسة « Worthington، Everet » [٣] « وارثنجتون إيفيرت » قدم فيها خطوات عملية في كيفية عمل البحوث الخاصة بالمذهب الديني لدى الأفراد عبر حياتهم من خلال البحوث العملية، والاستشارات المفيدة لهم. وبما يحقق تطبيق نتائج البحوث والاستفادة منها في حياتهم الدينية والدنيوية. أما البحث الآخر فتناوله « Lulofs، Roxane Salyer » [٤] « لولوفس روكزان » هدفت الدراسة إلى أسباب ومعوقات عدم تناول مشكلة دينية بالدراسة في مجال البحوث الاجتماعية، وهي مشكلة عدم الاعتقاد «الإلحاد»، وقدم فيها عوامل نفسية، وأسباباً اجتماعية، وأسباباً دراسية خاصة بالجامعات وإجراء البحوث.

1) Buriak. Philip& Shinn.Glen. Mission. Initiatives. and Obstacles to Research in Agricultural Education. winter 1989, v.30, n4, P.14-23.

2) Bednar. Richard and Others. Overcoming Obstacles to the Future Development of Researe on Group Work. Journal for Specialists in Group Work. Sept. 1987. v.12. n3. p.98-111

3) Worthington. Everet. Religious Faith across the Life Span: Implications for Counseling and research. Counseling Psychologist. Oct. 1989. V.17.n4. P.555-612

4) Lulofs. Roxane Salyer. The Culture of Disbelife: Religious Commitment as a Neglected Variable in Social Sciences Research. Union Press. 1995.



التعليق على الدراسات السابقة:

يلاحظ أن الدراسات السابقة قد تناولت معوقات البحوث في مجالاتها المختلفة، فمنها ما تعرض لمعوقات البحث العلمي بصفة خاصة، ومنها ما اقتصر فيها على مجال معين. ومن خلال بحث هذه المعوقات، تباينت البحوث من حيث كونها مكتبية (نظرية) اقتصرت على وضع تصورات وجمع مختلف المعوقات من خلال البحوث والدراسات السابقة. وبعضها تناولها بشكل ميداني من خلال استطلاع رأي العاملين في مجال البحوث من أعضاء هيئة تدريس وغيرهم.

أما الدراسات التي تناولت معوقات البحث في العلوم الشّرعية،فلم تتعرض لها الدراسات بشكل مباشر، غير أن هناك دراسة واحدة تناولت معوقات البحث في الجامعات الإسلامية، بصفة عامة. ومن ثم فإن هذه الدراسة تنفرد بما يلي:

- أنها دراسة تبحث في مجال البحوث الشرعية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس كدراسة ميدانية.

- أنها دراسة مقارنة تشمل معظم جامعات دول مجلس التعاون.

- أنها دراسة تتناول مجالاً محدداً من البحوث الشرعية وهي البحوث الخاصة بأعضاء هيئة التدريس. ومن ثم فإنها دراسة غير مسبوقة في الوقت الذي استفادت من البحوث السابقة في وضع الإطار النظري، وبناء الاستبانة، وكذلك قد أفادتنا هذه البحوث في تفسير النتائج في ضوء نتائج بعض الدراسات ومقارنة النتائج الحالية بما سبقتها لمعرفة مدى الاتفاق والاختلاف فيما بينها.

الإطار النظري للدراسة :

يعرف البحث العلمي بأنه استقصاء يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد يمكن التحقق منها مستقبلاً. فالبحث العلمي، دراسة وتجارب وبحث، ثم حل لمشكلة مستعصية يعاني منها معظم أفراد المجتمع، أو هو حل لمشكلة يتوقع حدوثها مستقبلاً، أي أنه عملية مدروسة متكاملة تأخذ في اعتبارها معطيات الحاضر وحاجات المستقبل[١].

هناك عدة تقسيمات لأنواع البحوث تأخذ مسميات مختلفة، فهناك البحوث الأساسية Basic Research مقابل البحوث التطبيقية Applied Research وهناك البحوث النظرية مقابل البحوث الميدانية، وكلها مترادفات لمسميات واحدة. وهذه المسميات مبنية على طبيعة البحث نفسه. كما أن هناك تقسيماً آخر على أساس منهج البحث المستخدم فمنها: البحث التاريخي، (أو البحث الوثائقي)، والبحث الوصفي، والبحث المقارن، والبحث التجريبي وغيرها.

ويضيف البعض مستوى ثالثاً من البحوث وهو الجانب التقني لنتائج البحوث، ويقصد به كيفية الاستفادة الإجرائية وترجمة الأفكار والمعارف إلى أدوات، ووسائل. وسوف نلاحظ أن هناك تقسيماً للبحوث على أساس كونها بحوثاً نظرية أو ميدانية، ويراد بالبحوث النظرية: أي كونها مكتبية ووثائقية لم تنزل إلى الميدان، ولم تطبق استبانة، أو تجري ملاحظات ميدانية، أو مقابلات مقننة، واعتمدت في مادتها على الوصف، أو التحليل، والربط، وعرض الأفكار بصورة علمية منظمة، مستخدمة في ذلك الأسلوب العلمي ومناهجه التاريخية والمقارنة. أما البحوث الميدانية: فيمكن تقسيمها إلى:

١) بحوث خبرية إمبريقية: Empirical Research وهي غالباً ما تستخدم الاستبانات،

---

١) مرجع سابق لإسماعيل عبد رب النبي ص ٢.



والمقابلات الشخصية المفتوحة والمقننة، وتحليل النتائج.

٢) البحوث التجريبية: وهي التي تستخدم مجموعات تجريبية وأخرى ضابطة، وتعمل على ضبط المتغيرات مستخدمة الطريقة العلمية بشكل محكم ومقنن[١].

وهناك تقسيم آخر: البحوث الأساسية، التي تضطلع بها الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات العلمية، وذلك لأهميتها في تأسيس قاعدة علمية ينهض عليها البناء الصناعي والتقني.

والبحوث التطبيقية: التي تطبق البحوث الأساسية لخدمة الإنسان ورفاهيته، ويجرى الكثير منها في كليات الهندسة ومعاهد البحوث التطبيقية، وتستهدف خدمة الأغراض الصناعية، والعسكرية، والزراعية، إلى جانب الأغراض المدنية.

وهناك بحوث التطوير التقني: وغرضها إدخال تحسينات على وسائل الإنتاج المتاحة بحيث تزداد كفاءتها، وذلك عن طريق إجراء البحوث القصيرة الأجل.

البحوث الاجتماعية: وتتناول هذه البحوث الإنسان وتربيته، بهدف زيادة فعاليته ودوره في الحياة ورفاهيته[٢].

ومن ثم يمكن القول إن البحث الاجتماعي في مجال العلوم الإنسانية يتسع لكافة مناهج البحث المعروفة، ومنها منهج المفاهيم، والمنهج الوصفي، والتاريخي، والتجريبي، والبحوث العملية (الإجرائية) Operational Research .

١) واقع البحث التربوي ومعوقاته في دولة قطر لمحمد وجيه الصاوي، جامعة قطر، مركز البحوث التربوية، ١٩٩٣.

٢) البحث العلمي العربي وتحديات القرن القادم لعدلي عوض وسامي عوض. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ٢٤، ١٩٩٨، ص ٢٠ - ٢٢.



هناك صيغ سائدة في البحث الاجتماعي:

نستطيع القول أن البحث الاجتماعي في البلاد العربية تسوده صيغة معينة، ينادي بها المتخصصون في الجامعات وفي مراكز البحوث، وسيادة هذه الصيغة لا تعني أنها الصيغة الوحيدة، وإنما تعني أنها الصيغة الأكثر شيوعاً وهي التي تسمى الصيغة الإمبريقية التحليلية Emprirical Analytic Paradigm ومقومات هذه الصيغة في البحث الاجتماعي تتمثل في المقولات التالية: (١)

* أن يجرى البحث الاجتماعي وفقاً للنموذج الذي يجرى عليه البحث في العلوم الطبيعية والبيولوجية.
* أن يطمح العلم الاجتماعي -في تكوين بنيته، وفي طرائق البحث فيه- إلى أن يكون نظاماً استنتاجيًّا Deductive ذا مقولات تصاغ فيها شؤون البشر، على هيئة قوانين تحاكي في كيفيتها قوانين العلوم الطبيعية.
* إن غايات القوانين في العلوم الاجتماعية هي تفسير سلوك الأفراد، والتنبؤ بما يمكن أن يقوموا به من أحداث، ومن ثم التحكم في هذه الأحداث بطريقة تشبه القوانين التي تستخدم في العلوم الطبيعية.
* للوصول إلى هذه القوانين يجب أن يتسم البحث الاجتماعي بالموضوعية Objectivity ونعني بالموضوعية أن يكون الباحث قادراً على تطوير استخدام تقنيات للبحث تجعل المعلومات والحقائق التي يحصل عليها بعيدة عن المعاني الخاصة، وعن التفسيرات الذاتية، سواء ما كان منها كامناً في الموقف الاجتماعي أو ما يعتقده الباحث نفسه.

---

1) Pop Kewitz, T. S. Paradigm and Ideology In Educational Research. London Falmer Press, 1984, p.20.



* في عمليات إجراء البحث الاجتماعي هناك تقنيات تحتل فيها التعبيرات الإحصائية والأرقام مكانة على جانب كبير من الأهمية، حيث يعتقد أن هذه التعبيرات لا تتسم بالغموض، ولا تتأثر بالقيم الإنسانية، ومن شأنها أن تؤدي إلى صرامة الاختيارات التي تستخدم في تحديد مدى صدق المعلومات ودرجة ثباتها [١] وقد أكد ذلك البعض حيث يقول: «تعريف العلم مؤسس على منهجه، وليس على نوع الموضوع الذي يتناوله الباحث بذلك المنهج، إذ الموضوعات العلمية تتعدد وتتنوع، أما منهج البحث العلمي فواحد من حيث المبادئ الأولية»[٢].

بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية:

غير أن هناك نقداً حاداً وجه إلى الصيغة التجريبية التحليلية في البحوث الاجتماعية وأهمها [٣]:

* يؤكد بعض فلاسفة العلم أن الأسباب الكامنة وراء عدم الوصول إلى تصور سيادة الصيغة التجريبية التحليلية هي أنها تجسد افتراضات أساسية يصعب الدفاع عنها، ومن أبرز هذه الافتراضات ما يتعلق بموضوعية الحقيقة، وعدم اختلاف المعاني، ودور الدليل والبرهان في إثبات الحقائق.

* إن الملاحظة الموضوعية التي نتحدث عنها في البحث، والحياد العلمي الذي ينادي به بعض الباحثين أمران مشكوك فيهما، وأكد «ديوي Dewey» أن الإدراك، وهو أول ثمرة للملاحظة الحسية، لا يمكن أن يكون محايداً، وإنما هو متأثر بالمعرفة السابقة للملاحظ.

1) Op. Cit., P. 22.

٢) لك الله يا علوم الإنسان لزكي نجيب محمود، الأهرام، القاهرة، في ٢٢/١٢/١٩٨٦.

3) Newtom Smith, The Rationality of Science, London: Routledg &Kegan Paul1981, PP1-3



* كما يؤكد «هانسون Hanson» أن ملاحظة أي باحث تتأثر إلى درجة كبيرة بنظريته، وفروضه، وإطار عمله، وخلفيته المعرفية [1].

* إن تبني الصيغة التجريبية التحليلية أدى إلى تركيز البحث على اكتشاف العلاقات في الأغلب الأعم، بين متغيرين أو ثلاثة في ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، والظاهرة الاجتماعية (الإنسانية) معقدة، لا يمكن اختزال المتغيرات العاملة فيها إلى عاملين أو ثلاثة عوامل.

* إن الصرامة المطلوبة في التحديد المسبق لمتغيرات التصميم التجريبي قد أدى إلى سيادة تقنيات البحث، وإلى أن تتم مواءمة مشكلات الدراسة لتخدم هذه التقنيات، وليس العكس.

* إن الحرص على أن يقوم الباحثون باختيار وضبط متغيرات البحث قبل الشروع فيه، يعني أن المتغيرات التي قد يجابهها الباحثون في مواقع البحث لا يمكن تضمينها في البحث.

* إن ضبط المتغيرات في المواقف الإنسانية بالمعنى الذي يتطلبه التصميم التجريبي التقليدي أمر يحتاج إلى مراجعة، وضبط المتغيرات في الموقف الاجتماعي، وإن أمكن حدوثه، سوف يحيل الموقف إلى تدريبات معملية واهية الصلة بمن يمارسون العمل في المواقف التعليمية، ومن غير أولئك الذين تم التحكم فيهم في أثناء البحث، أضف إلى ذلك أن اللجوء إلى ضبط المتغيرات من خلال عشوائية اختيار العينات يقضي إجراء البحوث على عينات كبيرة جدًا وهو أمر مكلف في الجهد والوقت والمال.

* ويتصل بالنقطة السابقة تأكيد بعض المتخصصين على أن الدعوة إلى الصرامة في ضبط

1) Op. Cit., P 46.



المتغيرات قد أدت إلى أن ينخفض الوقت المخصص للمعالجة التجريبية بصورةٍ حادة، وإلى إهمال كثير من المتغيرات الماثلة في البيئة أو السياق الذي يجري فيه البحث.

* وأخيراً ما يقال حول تأكيد البحوث التي تجرى في نطاق الصيغة التجريبية التحليلية على المغزى الإحصائي للفروق بدلاً من التركيز على المغزى الاجتماعي(١).

متطلبات البحث العلمي:

يحتاج البحث الاجتماعي بوصفه من البحوث العلمية، إلى تضافر العمل والجهد المتبادل بين الجهات المختلفة حتى يتم إنجازه، وهو يواجه تداخلات وتعقيدات ويحتاج إلى وسائل وشروط مختلفة حتى يمكن التكيف معه والتغلب على الصعوبات التي قد تعوق الوصول إلى الحقائق التي يتوخاها البحث. ومن أهم تلك الوسائل والشروط: توفر الحاجات البشرية، والمادية.

الحاجات البشرية:

يتضمن البحث مهام متنوعة تتطلب كفاءات بشرية من مستويات مختلفة، لتقوم كل فئة بنوع من المهام المنوطة بها: فهناك مهام اختيار البحوث وتخطيطها، وبناء أدواتها. وتحتاج إلى مستوى عال من المعرفة العلمية والتخصصية، والاطلاع الواسع على ما يتصل بالبحث الاجتماعي من جوانب العلوم الأخرى كعلم الإحصاء، والرياضيات، ومعالجة النصوص. وإدخال البيانات في الحاسوب. بالإضافة إلى الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الباحث

---

(١) نحو صيغة إسلامية للبحوث الاجتماعية لأحمد المهدي: رسالة الخليج. السنة الثامنة. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد ٢٣، ١٩٨٧، ص ٣٣-٤١.



كالموضوعية، والدقة والذكاء، والقدرة على التحليل والتفكير المنظم وغيرها [١].

وهناك مهام تنفيذية تتضمن تطبيق الاختبارات والاستبانات أو القيام بالملاحظة وغيرها من الأعمال، مثل جمع المعلومات وتفريغ البيانات. وهذه المهام تتطلب مؤهلات وكفاءات تختلف عن مؤهلات المستوى الأول. ويمكن اعتبار هذه الفئة مساعدي باحثين، يمكن تدريبهم لممارسة هذا العمل بدقة، وأمانة. أما أعمال النسخ والتجهيز والكتابة فلها عمالها المدربون.

وقد جاء في توصية اليونسكو حول أوضاع المشتغلين بالبحث العلمي ما نص عليه البند (٢٠): «ينبغي للدول الأعضاء عندما تقوم بمهمة أصحاب العمل الذين يستخدمون باحثين علميين:

* توفير الدعم الأدبي والعون المادي لباحثيها العلميين.
* السعي إلى أن تكون قدوة حسنة لأصحاب العلم الآخرين الذين يستخدمون هؤلاء الباحثين.
* حث جميع أصحاب العمل على العناية بتوفير ظروف عمل مرضية لهؤلاء.
* ضمان تمتع باحثيها بظروف عمل مُرضية، وأجور عادلة دون تمييز، وإتاحة الفرص والتسهيلات للتقدم العلمي» [٢].

---

١) مرجع سابق لمحمد وجيه الصاوي ص ٢٤.

٢) العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث لجون ديكنسون. ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو ص ٢٧٧.



الحاجات المادية:

يتناول البحث الاجتماعي فعاليات الإنسان في المجتمع، وما يتصل بها، فيتعامل مع العناصر البشرية. وتلك الفعاليات -من أفراد وجماعات- تحتاج إلى بيئة اجتماعية أوسع تجرى فيها عمليات البحث، ودراستها تحتاج إلى أدوات بحثية مختلفة، واختبارات واستبانات، وأجهزة مثل الحاسوب، والمال اللازم لتوفير تلك الأجهزة.

وقد أصبحت الأدوات سابقة الذكر من مستلزمات إجراء البحوث الاجتماعية بعد أن اتجهت نحو الميدان ولم تعد تقتصر على الأدب، والفلسفة، أو التحليل النظري المحض، مما يستدعي التفكير في توفير تلك الأدوات وكيفية استخدامها والتعامل بواسطتها مع موضوع البحث ومادته قبل البدء فيه، ومن بين هذه الأجهزة:

* **المختبرات**: بعض الأبحاث الاجتماعية تحتاج للمختبر لإجرائها، ومثلها بعض تجارب قياس الأداء، ومن أهم المختبرات الحديثة وأكثرها فائدة للبحث الاجتماعي: الحاسوب، إذ يمكن بواسطته إجراء العمليات الإحصائية بدقة، وكذلك الحصول على المعلومات اللازمة للبحث من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

* **المكتبة**: فهي ضرورية للباحث حيث يتمكن من الاطلاع على المعلومات ذات الصلة بالبحث، وفي بناء الإطار النظري للدراسات والبحوث، والاستفادة من الدراسات السابقة. والمكتبة الشاملة لا يستغني عنها الباحث حيث تحتوي على مصادر المعلومات المختلفة، وتضم المراجع ذات الصلة بالموضوعات المراد بحثها، نقول: «مكتبة بمعنى خدمة مكتبية، وليس بمعنى مخازن الكتب ولا خزائن الكتب» [١].

---

١) الجامعة بين النظرية والتطبيق لمحمد إبراهيم كاظم، حولية كلية الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد ١٠، جامعة قطر، ١٩٨٧، ص ٢٥-٢٦.



* **معاهد العلم والتعليم**: يجب أن توفر معاهد العلم كل الوسائل والإمكانات التي يحتاج إليها البحث . ومن ذلك :المرونة في أنظمتها وإدارتها، بحيث يستطيع الباحث إجراء بحثه دون معوقات . والجامعات هي الأماكن المنوطة بالبحث العلمي فيجب أن تتوافر لديها كل الإمكانات ومقومات النهوض بالبحث .

* **الدعم المادي**: يحتاج البحث إلى المال لتوفير مستلزماته المختلفة والأجهزة، وهي مكلفة حيث تشمل رواتب الباحثين، ونفقات البحث من طباعة وغيرها، وكلما اتسع المدى المكاني والزماني للبحث تطلب مزيداً من النفقات؛ ويلاحظ أن الأقطار العربية بدأت تقدر البحث العلمي وأهميته فرصدت التمويل اللازم وأنشأت مراكز البحوث المختلفة [١].

- وفيما يخص الميزانيات المرصودة للبحث العلمي والتطوير هناك علاقة طردية وثيقة تربط بين مقدار ما ينفق على البحث العلمي من جهة، ومعدلات النمو ومستوياته في دول العالم من جهة أخرى . وتشير الدراسات إلى أنه إذا كانت نسبة الإنفاق على البحث والتطوير أقل من ١٪ من الناتج الإجمالي القومي، فإن مدى تأثير تلك البحوث سيكون ضعيفاً جداً، وإذا كان الإنفاق يقع بين ١٪ إلى ١،٦٪ فهو في المستوى الحرج . أما إذا كان الإنفاق يراوح بين ١،٦٪، ٢٪ فإن البحث العلمي حينئذ يكون في مستوى مناسب لتطوير قطاعات الإنتاج وإيجاد تقنيات جديدة . وهذه مقارنة بين الدول المتقدمة والعربية [٢] :

الدولة	نصيب البحث العلمي من الناتج القومي الإجمالي
الولايات المتحدة الأمريكية:	٢،٩٪ (عام ١٩٩٤) من ميزانية بلغت ٦٥٠٠ مليار دولار.

١) مرجع سابق لمحمد وجيه الصاوي ص ٢٥-٢٦

٢) مرجع سابق لعادل عوض، وسامي عوض ص ٣٩ .



اليابان	٢،٨٪ (عام ١٩٩٤)
بريطانيا	٢،٧٪ (عام ١٩٩٤)
ألمانيا	٢،٩٪ (عام ١٩٩٤)
فرنسا	٢،٣٪ (عام ١٩٩٤)
الدول العربية	٠،٢٪ (عام ١٩٧٠)، ٠،٧٥٪ (عام ١٩٩٠)

وهذا يدل على مدى تواضع الإنفاق على البحث العلمي في بلادنا العربية.

معوقات البحث العلمي:

هناك معوقات عديدة تختلف صعوباتها من دولة إلى أخرى وفق ظروفها وطبيعتها، وقد خرجت كثير من البحوث بمجموعة من المعوقات سوف نعرضها بشكل شامل على النحو التالي:

معوقات عامة: مثل العامل السياسي، والعامل الاقتصادي، والعامل الاجتماعي، والعامل الديني، وهي التي تهيمن على طبيعة البحث أو تحد من انتشاره، أو تفرض نوعاً معيناً من الظروف التي تحول دون إخراجه بشكل كامل وموضوعي [١].

معوقات خاصة بالباحثين: من حيث نقص تكوينهم العلمي، وكذلك عدم الموضوعية والتأثير الشخصي على نتائج البحوث، والسرقات العلمية، وعدم الأمانة في النقل، والبيروقراطية والروتين الجامد، كما أن قلة التقدير الأدبي والمادي للباحثين قد تكون سبباً في عزوف الباحثين أو قلة إنتاجهم العلمي في البحوث التي يقومون بها.

معوقات أخرى: مثل عدم توفر سبل النشر العلمي، أو الصعوبات التي تواجه الباحثين

١) مرجع سابق لمحمد وجيه الصاوي، ص ٣٦-٥١



في الميدان البحثي من حيث التطبيق الميداني، افتقار الاستفادة من نتائج البحوث، عدم التنسيق بين الجهات البحثية، انفصال بعض الأجهزة البحثية عن بحث مشكلات الواقع، الإخلال بالأصول العلمية في البحث، ضعف القدرات الإشرافية على البحث العلمي من حيث قلة الأساتذة، عدم وجود استراتيجية بحثية على المستوى القومي، الافتقار إلى روح الفريق في عمل البحوث [١].

ويشير البعض إلى أهمية توفر قواعد البيانات والمعلومات عن الموارد الطبيعية وتحليلها وتقويمها. ويعتبر توافر مثل هذه القاعدة من المعلومات الأساس المتين للاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية ولحماية البيئة المحلية وبالتالي المساعدة في دفع جهود التنمية [٢].

وهناك معوقات يراها البعض أنها تحول دون الاستفادة من مخرجات البحث ، وهي عقبات ترتبط بخطوات وعناصر عملية البحث. **وأهم هذه العقبات**:

١- عدم ملاءمة بعض البحوث للواقع الفعلي والاجتماعي لدول مجلس التعاون الخليجي، لاستناد معظم هذه البحوث إلى مصادر غربية لا تتفق مع ظروف وواقع المجتمع الخليجي.

٢- عدم مشاركة المؤسسات الكبرى والشركات والأثرياء في توفير المال اللازم لتنمية البحوث.

٣- عدم قدرة الباحث على اختيار العينة الأنسب وبالتالي قد يحصل الباحث على معلومات غير دقيقة.

---

١) المجالس القومية المتخصصة، تقرير المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، الدورة العاشرة، أكتوبر ١٩٨٢، يونيو ١٩٨٣، ص ١٢١.

٢) البحث العلمي لعادل عوض. سامي عوض مرجع سابق. ص ٢٤.



٤- عدم قدرة الباحث على التعامل مع موضوع البحث.

٥- عدم دقة المعلومات التي تم جمعها.

٦- ضعف التمويل والدعم المادي المخصص للإنفاق على البحث العلمي، فمعظم البحوث العملية تحتاج إلى نفقات باهظة تتمثل في الإنفاق على المعامل والمختبرات والأجهزة، وأجور العاملين، وتزويد الباحثين بالمجلات العلمية والدوريات.

٧- عدم توافر المناخ العلمي الملائم للعطاء والإبداع.

٨- الافتقار إلى موارد بشرية مدربة على الأجهزة وأدوات البحث العلمي.

٩- عدم توافر المراجع العلمية للبحث بصورة كاملة في المكتبات.

١٠- قلة إعداد العلماء العاملين في مجال البحث العلمي.

١١- عدم وجود اتصالات فعالة بين العلماء والباحثين في دول مجلس التعاون الخليجي.

١٢- غياب نظام النشر والتوزيع للبحوث العلمية بصورة ميسرة وسريعة.

١٣- عدم انتشار الحاسبات الآلية الإلكترونية في كثير من الدول مما لا يساعد الباحثين على الاطلاع على أحدث ما يتعلق ببحثه[1] من خلال الشبكة العالمية (الإنترنت).

طبيعة منهج البحث في العلوم الشرعية:

البحث في العلوم الشرعية قد تصادفه معوقات نابعة من طبيعة منهجه الخاصة، بوصفه ينطلق من النصوص من جهة، وبوصف هذه العلوم تحوي مدارس اجتهادية في جميع الحقول من جهة أخرى، وقد تكرست هذه المدارس- والاجتهادات - بحكم التاريخ أو

١) مرجع سابق لإسماعيل عبد رب النبي؛ ص ١٠ - ١١



عبر عصوره المختلفة. وقد يكون بعضها الآن موضع نظر.

ولهذا فإن البحث في هذه العلوم يقتضي أكبر قدر من النزاهة والتجرد والموضوعية.

ويحتاج إلى إبعاد العنصر الذاتي حتى تأتي النتائج سليمة وإيجابية وبناءة، وليست عبارة عن إعادة إنتاج، أو قائمة على التكرار والنمطية . .

كما يقتضي إلماماً كافياً بأنواع هذه العلوم وفروعها وما تستلزمه عملية التفكير والاجتهاد وإعادة التنزيل (علوم لغوية وعقلية ونحوها) أي أن الباحث فيها يأخذ وضعية أو وظيفة (المجتهد) في الموضوع الذي يبحثه أو الفرضية التي يسعى إلى تأكيدها والاستدلال عليها.

أما الموضوع المراد بحثه فله أركان يجب توافرها فيه حتى يمكن الاستفادة منه، وهي :

١- اختيار الموضوع برغبة ذاتية من الباحث بعد أن يتفاعل معه، وبعد استقراء احتياجات المجتمع ومشكلاته، وبحيث يكون مناسباً لإمكانيات الباحث العلمية والفكرية والزمنية والصحية. وأن يصطبغ بالأصالة والجدة والحيوية، وأن يكون واضح المعالم، وأن يكون هادفاً لعلاج مشكلة علمية أو اجتماعية أو اقتصادية يعاني منها المجتمع حالياً، أو يتوقع حدوثها مستقبلاً.

٢- ينبغي لكل مؤلف في فن قد سبق إليه أن لا يخلو من إحدى فوائد خمس: استنباط شيء كان معضلاً، أو جمعه إن كان مفرقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم أو تأليف، أو إسقاط حشوٍ أو تطويل[1].

---

١) المرجع السابق، ص ١٣.



معوقات البحث في العلوم الشرعية :

لقد باهى الغرب بالبحث العلمي وأسلوب التحقيق وطريقة جمع المعلومات والدقة في الاستنتاج والدخول إلى النتائج بعد التمحيص علماً بأن هذه الأساليب قد وجدت في المنهج العلمي الإسلامي قبلهم بقرون [١].

ولكن ذلك لا يعني أن المشكلات السابقة التي ذكرت -هي مشكلات عامة - سلمت منها جامعات العلوم الشرعية ، بل إن هذه الجامعات لها مشكلاتها الخاصة .

ونقدم أهم المعوقات فيما يلي :

١- اقتصار معلومات طلبة الدراسات الإسلامية على ما ورد في الكتب القديمة: مع أن البحث العلمي الإسلامي ليس بحثاً في الماضي، واقتصاراً عليه، ودوراناً حول النفس فقط، وإنما هو استمداد لعناصر الحياة والنمو في ذلك الماضي، واستخدام جوهر تلك العناصر - الذي هو روح الأمة - لتطوير الحاضر ولبناء المستقبل. هكذا فهم علماؤنا وفقهاؤنا الماضي[٢].

٢- جمود التفكير عند فقه العبادات وفقه الأسرة: فيسقط البعض الكثير من جوانب الإسلام، ويركزون على فقه العبادات وفقه الأسرة، والسبب في ذلك أن الناس في مجتمعاتنا الإسلامية يحتكمون في معاملاتهم إلى قوانين وضعية باستثناء الأحوال الشخصية حيث لا تزال الشريعة الإسلامية في جملة أحكامها هي السائدة. وبذلك يقتصر اهتمام الدارسين على فقه الأسرة: الزواج، الطلاق، وغيرها.

---

١) تراثنا والمعاصرة ليوسف عز الدين ص ٥٠ .

٢) تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي لناصر الدين الأسد. ص٦٢ .

٣- الخلط بين فقه المذهب وفقه الإسلام: فتقتصر أبحاث بعض طلبة الدراسات العليا على مذهب معين، دون إدراك أن المذاهب الأخرى تتفق مع المذهب المعين في مواضع وتختلف معه في مواضع غيرها. وينتج عن هذا القصور الفكري منحى في التفكير يمكن أن نسميه (المذهب هو الأصل) بدلاً من الإسلام هو الأصل، ومن ثم القفز إلى اعتبار المخالف فكرياً خارجاً عن حدود الإسلام لخروجه عن حدود المذهب [١].

٤- الوصاية الفكرية: يلاحظ وجود ممارسات على الساحة الإسلامية فيها أنواع من الإرهاب الفكري، بحيث تعتبر مجموعة ما نفسها أنها القيمة على الإسلام والمسلمين، وبذلك تملك حق تكفير من يخالفها الرأي، وقد تلجأ إلى أساليب أخرى. مما يدفع الكثير من الباحثين من طلبة الدراسات العليا إلى إيثار السلامة والابتعاد عن الموضوعات التي تضعهم تحت خطر الإرهاب الفكري.

٥- فقدان المنهج العلمي في كثير من الدراسات البحثية الإسلامية: ويلاحظ على كثير من الأبحاث في مجال العلوم الشرعية افتقاد المنهج العلمي، وغلبة النواحي الخطابية والتعميمية والسطحية والاستسهال والدوران حول الموضوع دون الدخول في جوهره. وبذلك تغيّم الرؤية وتختلط الأمور، ويتداخل الوعظ والدروس الإرشادية والخطب المنبرية بما يكتبه المؤلف والذي يحمل اسم البحث العلمي، دون أن يكون كذلك ولا قريباً منه، بل لا يمت له بأدنى صلة [٢].

٦- طغيان الناحية الكمية في البحوث : ويظهر هذا بكثرة في الرسائل والبحوث وعدد الصفحات الكثيرة، بعيداً عن الابتكار «وفي حين تقاس البحوث العلمية بمدى قدرة

---

١) محمد منير سعد الدين، مرجع سابق ، ص ٢١ - ٢٢.

٢) المرجع السابق ص ٢٢.



الباحث على تقديم مادة غزيرة في أفكار محددة وأوراق قليلة تجدنا نقدم عملاً قليلاً في بحوث ضخمة، ومعلومات مفتتة لا تناظر ولا تناسب بينها »[١].

٧- لا تعكس كثير من البحوث مشكلات العالم الإسلامي الحقيقية: إن هذه البحوث والرسائل لا تتناول طموحات الباحثين ووسائل إنقاذهم والوصول بهم إلى أهدافهم، بل لا تعالج في أغلبها المشكلات العاجلة في الجوانب التربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، التي يعاني المسلمون من افتقاد الرؤية الصحيحة لحلولها، كما تعاني الأجيال الناشئة من انعدام النظرة الإسلامية الواضحة من مشكلات الحضارة التي يعيشونها والحياة التي يمارسونها.

٨- خوف بعض الباحثين من التعامل مع تقنية المعرفة: ونحن نعيش الثورة التقنية، وعصر الانفجار المعرفي، وتطور أساليب الاتصال السريعة، بواسطة الحاسوب والشبكة العالمية (الإنترنت)، وتطور علم التصنيف والفهرسة وقواعد البيانات، مما يتطلب إعداد الباحث للتعامل مع هذه التقنيات الحديثة. فنجد من الظواهر الشائعة في جامعاتنا خوف بعض الباحثين من التعامل مع هذه الأجهزة الحديثة مما ينعكس سلباً على الأداء البحثي.

٩- فقدان الثقة بين الباحثين والمجتمع: يعاني الكثير من الباحثين من قصور تعاون المجتمع معهم، لأن الكثيرين يلجأون إلى المداورة عندما تطلب منهم معلومات شخصية، ويحاولون الظهور بالمظهر المثالي. كما يواجه الباحثون نظرة أجهزة الدولة. كما يواجهون نظرة بعض الجماعات الإسلامية الحركية التي تراوح بين الحذر والشك، ذلك لأن مجتمعاتنا تخشى النقد. فيعاني الباحثون من قصور التعاون[٢] بين مكاتب

---

١) عباس محجوب، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، ص ١٢٦.

٢) مرجع سابق لمحمد منير سعد الدين ص٢٣ .



الدولة المختلفة معهم، خصوصاً عندما يكون الباحث منتمياً إلى مجموعة حركية إسلامية غير المجموعة التي يطلب منها المعلومات.

١٠- قلة المشرفين على البحوث من أصحاب الفكر المتميز: يلاحظ قلة في أصحاب الكفايات الجيدة، إلى جانب تفاوت المستوى بين من تمرسوا على البحث العلمي وعايشوه تعليماً وتعلماً ولا يتوفر لهم ذلك، وبين من دخلوا الميدان بحكم التدرج الوظيفي أو الحاجة، أو لعوامل أخرى، لأن الأمر لا يحتاج فقط إلى التخصص في مادة ما، بقدر الحاجة إلى الثقافة الواسعة، والمتابعة للفكر الإنساني عامة والإسلامي خاصة نظراً إلى جانب الإحاطة بالمنهج العلمي الدقيق الذي يجعل للبحوث قيمة وجدة.

إن ما ذُكر من معوقات ومشكلات تواجه البحث العلمي في جامعاتنا ومراكز البحوث، كثيراً ما تردد في كتابات الباحثين في أوضاع البلاد النامية، والعربية منها على وجه الخصوص «فالجامعة مؤسسة من مؤسسات المجتمع، وليست كل المؤسسات، كما أن ما يحدث حولها ينعكس بالضرورة عليها وعلى العاملين فيها وعلى إنتاجهم، وإذا ما ضربنا مثلاً بمعوقات البحث العلمي، وأنحينا باللائمة على بعض الأمور المتعلقة بعمل الجامعة في مجاله، فإننا ينبغي أن نتذكر أن هناك عشرات من تلك المعوقات تعمل عملها خارج أسوار الجامعة ذاتها، ولكنها تؤثر فيها وفي عمل هيئات التدريس بها على وجه الخصوص»[١].

ومن ثم فإن هذه المشكلات والمعوقات التي تواجه البحث في العلوم الشرعية، تختلف حدتها من دولة إلى أخرى، ومن جامعة إلى أخرى، ورغم كل ما يوجه من نقد للجامعات في مجال البحث العلمي، فمن الإنصاف أن نعترف بأن هذه الجامعات حققت

---

١) ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي لمحمد عبد الغنيم، في الندوة الفكرية الثانية لرؤساء الجامعات الخليجية جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٥، ص٩.



بعض الأهداف، وبذلت جهوداً تشكر عليها، وأما وقد وعينا هذه المشكلات فليس أمامنا إلا العمل من أجل حلها والنهوض بالبحث العلمي، وبذل الجهد لتفعيل مسيرة البحث عامة والبحث في العلوم الشرعية خاصة.

وبعد أن عرضنا المعوقات كما وردت في الدراسات السابقة، نقدم الدراسة الميدانية.



الدراسة الميدانية

إجراءات الدراسة

عينة الدراسة :

بلغ إجمالي عينة الدراسة (١٤٧) عضو هيئة تدريس بكليات الشريعة، بجامعات دول مجلس التعاون، وهم يمثلون المجتمع الأصلي للدراسة، بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت (٨٣)، يمثلون ٥٦،٥٪، وجامعة قطر (٢٩) يمثلون ١٩،٧٪، وجامعة الملك فيصل بالإحساء، وجامعة الإمام محمد بن سعود (١٧) يمثلون ١١،٦٪، وجامعة البحرين (٤) يمثلون ٢،٧٪، وجامعة الإمارات (٧) ويمثلون ٤،٨٪، وجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان (٧) ويمثلون ٤،٨٪، وهم أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة في الأقسام العلمية : التفسير والحديث، الفقه المقارن، الفقه وأصوله، العقيدة والدعوة. كما بلغ عدد الإناث ٨ يمثلن نسبة ٥،٤٪ من مجموع أفراد العينة.

جدول (١)

جدول يوضح عدد ونسب أفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الخليجية ودرجاتهم العلمية .

الجامعة	الدرجة العلمية						المجموع	٪
	مدرس	٪	أستاذ م	٪	أستاذ	٪		
جامعة الكويت	٣٨	٤٥٫٨	٢٨	٣٣٫٧	١٧	٢٠٫٥	٨٣	١٠٠٫٠
جامعة قطر	١٤	٤٨٫٣	٧	٢٤٫١	٨	٢٧٫٦	٢٩	١٠٠٫٠
جامعات السعودية	٨	٤٧٫١	٧	٤١٫٢	٢	١١٫٨	١٧	١٠٠٫٠
جامعة الإمارات	٥	٧١٫١	—	—	٢	٢٨٫٦	٧	١٠٠٫٠
جامعة البحرين	٢	٥٠٫٠	٢	٥٠٫٠	—	—	٤	١٠٠٫٠
جامعة السلطان قابوس	٤	٥٧٫١	٣	٤٢٫٩	—	—	٧	١٠٠٫٠
المجموع الكلي	٧١	٤٨٫٣٩	٤٧	٢٣٫٠	٢٩	٢٠٫٧	١٤٧	١٠٠٫٠

من الجدول السابق يتبين أن عدد المدرسين من أفراد العينة تقترب من النصف، وأقل نسبة عدد أعضاء هيئة التدريس من الأساتذة وهذا شيء يمثل الواقع. وقد تساوى عدد أفراد عينة الدراسة بجامعتي الإمارات وجامعة السلطان قابوس. ونسبة عدد أفراد العينة بجامعة البحرين أقل عدداً .

جدول (٢)

جدول يوضح عدد ونسب أفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الخليجية بأقسامها العلمية

الجامعة	الأقسام العلمية بكليات الشريعة							
	عقيدة	٪	أصول فقه	٪	فقه	٪	تفسير	٪
جامعة الكويت	١٥	١٨،١	١٦	١٩،٣	٢٤	٢٨،٩	٢٨	٣٣،٧
جامعة قطر	٨	٢٧،٦	٥	١٧،٢	٣	١٠،٣	١٣	٤٤،٨
جامعات السعودية	٢	١١،٨	٥	٢٩،٤	٥	٢٩،٤	٥	٢٩،٤
جامعة الإمارات	١	١٤،٣	٣	٤٢،٢	٣	٤٢،٩	—	—
جامعة البحرين	٢	٥٠،٠	—	—	—	—	٢	٥٠،٠
جامعة السلطان قابوس	١	١٤،٣	١	١٤،٣	١	١٤،٣	٤	٥٧،١
المجموع الكلي	٢٩	١٩،٧	٣٠	٢٠،٤	٣٦	٢٤،٥	٥٢	٣٥،٤

يتبين من الجدول (٢) أن عدد أعضاء هيئة التدريس في قسم التفسير والحديث أعلى نسبياً من باقي الأقسام الأخرى التي تقاربت في نسبها المئوية . مما يدل على توازن العينة من حيث تمثيلها للأقسام المختلفة .



جدول (٣)

جدول يوضح عدد ونسب أفراد العينة بالجامعات الخليجية من حيث عدد البحوث التي أنجزوها

الجامعة	عدد البحوث التي أنجزت									
	لا يوجد	٪	١-٣	٪	٤-٦	٪	٧-٩	٪	١٠ فأكثر	٪
جامعة الكويت	١٧	٢٠،٥	٢٤	٢٨،٩	١٤	١٦،٩	١٢	١٤،٥	١٦	١٩،٣
جامعة قطر	–	–	٧	٢٤،١	٨	٢٧،٦	٤	١٣،٨	١٠	٣٤،٤
جامعات السعودية	–	–	٨	٤٧،١	٣	١٧،٦	٢	١١،٩	٤	٢٣،٥
جامعة الإمارات	١	١٤،٣	٢	٢٨،٦	٢	٢٨،٦	–	–	٢	٢٨،٦
جامعة البحرين	١	٢٥،٠	٣	٧٥،٠	–	–	–	–	–	–
جامعة السلطان قابوس	١	١٤،٣	–	–	٤	٥٧،١	–	–	٢	٢٨،٦
المجموع الكلي	٢٠	١٣،٦	٤٤	٢٩،٩	٣١	٢١،١	١٨	٣٤	٣٤	٢٣،١

يوضح الجدول (٣) عدد البحوث التي قام بها أعضاء هيئة التدريس من أفراد عينة البحث حيث نلاحظ أن النسبة الأعلى تتمثل فيمن قاموا بأبحاث ما بين ١ -٣، وإذا أضفنا الذين لم يقوموا بأبحاث فتكون أعلى نسبة. وهذا قد يتسق مع خصائص عينة الدراسة حيث إن الكثير منهم درجته العلمية «مدرس» فهو في بداية حياته التدريسية بالجامعة.

جدول (٤)

جدول يوضح عدد ونسب أفراد العينة بالجامعات الخليجية ودرجة استخدامهم للكمبيوتر

الجامعة	درجة الاتقان لاستخدام الكمبيوتر							
	لا يستخدم	٪	متوسطة	٪	ممتاز	٪	مجموع	٪
جامعة الكويت	٤٠	٤٨.٢	٣٩	٤٧،٠	٤	٤،٨	٨٣	١٠٠،٠
جامعة قطر	١٢	٤١.٤	١٦	٥٥،٢	١	٤،٣	٢٩	١٠٠،٠
جامعات السعودية	١١	٦٤.٧	٤	٢٣،٥	٢	١١،٨	١٧	١٠٠،٠
جامعة الإمارات	١	١٤.٣	٤	٧٥،١	٢	٢٨،٦	٧	١٠٠،٠
جامعة البحرين	—	—	٤	١٠٠،٠	—	—	٤	١٠٠،٠
جامعة السلطان قابوس	٢	٢٨.٦	٥	٧١،٤	—	—	٧	١٠٠،٠
المجموع الكلي	٦٦	٤٦.٩	٧٢	٣٣.٣	٩	١٩،٨	١٤٧	١٠٠،٠

يوضح الجدول السابق أن إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس (كأفراد عينة) يمثلون نسبة كبيرة ممن لا يستخدمون الكمبيوتر، كما أن أعضاء هيئة التدريس الذين يستخدمون الكمبيوتر بكفاءة نسبتهم تصل الخُمس، وهذا أمر يستوجب الاهتمام.

منهج الدراسة :

استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، للتعرف على الواقع وجمع البيانات من الميدان بواسطة أدوات بحثية محكمة، وتفسير تلك النتائج في ضوء الدراسات السابقة.

أدوات الدراسة :

استخدمت استبانة مكونة من ٢٧ عبارة تمثل معوقات في طريق البحث الشرعي،



ويجاب عليها بدرجات وفق مقياس « ليكرت Lickert » . « كبيرة (٤)، ومتوسطة (٣)، وقليلة (٢)، لا تنطبق (١) » . وقد تم التأكد من صدق الاستبانة، بعرضها على المتخصصين في كلية الشريعة، لمراجعة بنودها، والتأكد من صياغتها بشكل واضح، وروجعت مرة ثانية بتحكيمها من قبل أساتذة متخصصين في القياس والإحصاء [١] وقد تم تطبيق الاستبانة على عدد (١٠) من أعضاء هيئة التدريس كدراسة استطلاعية « Pilot Study » للتأكد من أن عبارات الاستبانة تقيس ما وضعت لقياسه، وصلت نسبة الثبات ٩١ر٠، وهي نسبة من الثبات عالية . وبعد إجراء التطبيق على أفراد العينة تم قياس الاتساق الداخلي وثبات الإجابات على الاستبانة Reliability Analysis باستخدام « ألفا كرونباخ » Alpha Cronbach فوجدت الدرجة ٨٥ر٠، وتمثل نسبة من الاتساق الداخلي عالية .

حدود الدراسة :

تشمل الحدود البشرية أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في دول مجلس التعاون لدول الخليج في : جامعة الكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات، والمملكة العربية السعودية، وسلطنة عمان، بكليات الشريعة، في العام الدراسي ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م .

والحدود الموضوعية للدراسة تتمثل في البحث عن المعوقات التي تقف أمام البحوث في العلوم الشرعية، وهي البحوث الشخصية، غير المدعمة من الجامعة، أو البحوث العلمية (الأطروحات) للحصول على درجتي الماجستير أو الدكتوراه، والتي يقوم بها عضو هيئة التدريس، أو يشرف عليها .

١) أ . د صلاح مراد (علم نفس تعليمي) . أ . د عبد الرحمن الأحمد (مناهج) . أ . د محمد وجيه الصاوي (أصول تربية)



المعالجة الإحصائية :

باستجابة أفراد العينة على بنود الاستبانة تبعاً للمقياس الرباعي « لكيرت Lickert » المتدرج Rating Scale الموضح الإجابة عليه في الاستبانة، واستخدم برنامج SPSS في المعالجة الإحصائية وتطبيق الاختبارات البرامترية من متوسطات وانحرافات معيارية منها :

T-Test & One Way ANOVA & Chi-Square وبعض المعالجات الأخرى .



مناقشة النتائج

نقدم من خلال الجداول التالية عرضاً ومناقشة، لتوضيح أهم النتائج التي جاءت من خلال استجابات أفراد العينة، بعد تحليلها إحصائياً باستخدام المعالجات المناسبة لكل متغير من متغيرات الدراسة التي نقدمها وهي: المتغير الأول: «الدرجة العلمية». المتغير الثاني: «الأقسام العلمية». المتغير الثالث: «الجامعات الخليجية». كما نتناول العلاقات الترابطية بين الأقسام العلمية المختلفة، واستخدام الكمبيوتر، وأيضاً بين الدرجة العلمية وعدد الأبحاث المنشورة. والتي يوضحها الجدول التالي:

جدول (٥)

جدول يوضح عدد ونسب أفراد العينة بالجامعات الخليجية وفق الدرجة العلمية وعدد البحوث

البحوث / الدرجة العلمية	عدد البحوث التي أنجزت										
	الجملة	لا يوجد	٪	١-٣	٪	٤-٦	٪	٧-٩	٪	١٠ فأكثر	٪
مدرس	٧١	١٧	٢٣،٩	٣٢	٤٥،١	١٧	٢٣.٩	٤	٥،٦	١	١،٤
أستاذ مساعد	٤٧	٢	٢،٣	٩	١٩،١	١٢	٢٥،٥	١١	٢٣.٤	١٣	١٢،٧
أستاذ	٢٩	١	٣،٤	٣	١٠،٣	٢	٦.٩	٣	١٠،٣	٢٠	٦٩،٠
مجموع	١٤٧	٢٠	١٣،٦	٤٤	٢٩.٩	٣١	٢١.١	١٨	١٢.٢	٣٤	٢٣،١

قيمة كا = ٨٠،٣٠ — درجة الدلالة= ٠،٠٠ — دال عند مستوى = ٠،٠١

يلاحظ أن عدد البحوث تزداد بارتفاع الرتبة العلمية لعضو هيئة التدريس كما أوضحنا سالفاً، كما أن هناك دلالة إحصائية كبيرة تدل على اتساق ذلك في العلاقة بين الدرجة العلمية، وعدد البحوث بين أعضاء هيئة التدريس.



جدول (٦)

جدول يوضح عدد ونسب أفراد العينة بالجامعات الخليجية ودرجة استخدامهم للكمبيوتر

البحوث / الدرجة العلمية	درجة الاتقان لاستخدام الكمبيوتر						المجموع	٪
	لا يستخدم	٪	متوسطة	٪	ممتاز	٪		
مدرس	٢٣	٣٤.٨	٤٢	٨٥.٣	٦	٦٦.٧	٧١	٧١
أستاذ مساعد	٢٨	٤٢.٤	١٨	٢٥.٠	١	١١.١	٤٧	٤٧
أستاذ	١٥	٢٢.٨	١٢	١٦.٧	٢	٢٢.٢	٢٩	٢٩
مجموع	٦٦	٤٤.٩	٧٢	٤٩.٠	٩	٦.١	١٤٧	١٤٧

قيمة كا = ٩.٨٤ درجة الدلالة= ٠.٠٤ دال عند مستوى = ٠.٠١

يلاحظ أن نسبة كبيرة تستخدم الكمبيوتر بدرجة متوسطة، وأن نسبة تقارب النصف لا تستخدم الكمبيوتر، وقد يكون هذا الأمر من معوقات البحث في العلوم الشرعية.



جدول (٧)

يوضح إجابات أفراد العينة والتكرارات والمتوسطات والنسب المئوية للاستجابات واتجاه درجة الموافقة

	المعوقات		الإجابات على وجود المعوقات				درجة الموافقة	
			كبيرة ٣	متوسطة ٣	قليلة ٢	لا توجد		الاتجاه
١	الاقتصار على قضايا محددة ومجالات بحثية تقليدية.	ت	٣١	٦٣	٢٦	٢٧	م	٢.٦٦٦
		٪	٢١.١	٤٢.٩	١٧.٧	١٨.٤		متوسطة ٣
٢	صعوبة المنهج العلمي الخاص بالبحث الشرعي.	ت	١٥	٣٥	٣٧	٦٠	م	٢.٠٣٤
		٪	١٠.٢	٢٣.٨	٢٥.٢	٤٠.٨		لا توجد ١
٣	غلبة الذاتية على الموضوعية في البحوث الشرعية.	ت	١٨	٥٢	٣٩	٣٨	م	٢.٣٤٠
		٪	١٢.٢	٣٥.٤	٢٦.٥	٢٥.٩		متوسطة ٣
٤	نقص الكفاية العلمية لدى بعض أعضاء هيئة التدريس.	ت	٣٤	٤٨	٥١	١٤	م	٢.٦٩٣
		٪	٢٣	٣٢.٧	٣٤.٧	٩.٥		قليلة ٢
٥	اقتصار الكثير من المعلومات على مصادر من كتب قديمة.	ت	٤٣	٥٩	٢٩	١٦	م	٢.٨٧٧
		٪	٢٩.٣	٤٠.١	١٩.٧	١٠.٩		متوسطة ٣
٦	الخوف من الانزلاق في قضايا مذهبية خلافية.	ت	٢٢	٤٧	٤٨	٣٠	م	٢.٤٢١
		٪	١٥.٠	٣٢.٠	٣٢.٧	٢٠.٤		قليلة ٢
٧	الافتقار إلى الخبرة في تفسير النصوص.	ت	٣٤	٣٤	٣٩	٣٢	م	٢.٥٣٠
		٪	٢٣.١	٢٣.١	٢٦.٥	٢١.٨		متوسطة ٣
٨	التباين حول بعض المرجعيات في تفسير النصوص.	ت	٢٠	٥٥	٤٢	٣٠	م	٢.٤٤٢
		٪	١٣.٦	٣٧.٤	٢٨.٦	٢٠.٤		متوسطة ٣
٩	عدم الإقبال على التعامل مع تكنولوجيا المعرفة.	ت	٦٠	٤٥	٣٢	١٠	م	٣.٠٥٤
		٪	٤٠.٨	٣٠.٦	٢١.٨	٦.٨		كبيرة ٤
١٠	قلة استخدام التطبيق الميداني والاقتصار على الجانب النظري.	ت	٦٤	٥٥	١٨	١٠	م	٣.١٧٦
		٪	٤٣.٥	٣٧.٤	١٢.٢	٦.٨		كبيرة ٤
١١	إجازة البحوث وتحكيمها من المتخصصين تأخذ طابع التشدد.	ت	٣٣	٥٨	٤١	١٥	م	٢.٧٤١
		٪	٢٢.٤	٣٩.٥	٢٧.٩	١٠.٢		متوسطة ٣
١٢	انعدام الحرية الأكاديمية في تفسير بعض النتائج.	ت	١٨	٤٦	٤٤	٣٩	م	٢.٢٩٢
		٪	١٢.٢	٣١.٣	٢٩.٩	٢٦.٥		متوسطة ٣
١٣	عدم وجود الخطط البحثية أو الخريطة العلمية لأولويات البحث.	ت	٤٧	٥٧	٢٧	١٦	م	٢.٩١٨
		٪	٣٢.٢	٣٨.٨	١٨.٤	١٠.٩		متوسطة ٣
١٤	ضعف العمل بروح الفريق في البحوث الشرعية.	ت	٨٠	٣٥	٢١	١١	م	٣.٢٥١
		٪	٥٤.٤	٢٣.٨	١٤.٣	٧.٥		كبيرة ٤



	المعوقات		الإجابات على وجود المعوقات				درجة الموافقة	
			كبيرة ٣	متوسطة ٣	قليلة ٢	لا توجد		الاتجاه
١٥	نقص المراجع والدراسات الخاصة ببعض الموضوعات البحثية .	ت ٪	٣٤ ٢٣،١	٥٢ ٣٥،٤	٥٢ ٣٥،٤	٥٢ ٣٥،٤	م	٣،٦٣٢ كبيرة ٤
١٦	ضعف التعامل مع الحاسوب وتطبيقاته في العمل البحثي .	ت ٪	٧٥ ٥١،٠	٣٩ ٢٦،٥	٣٩ ٢٦،٥	٣٩ ٢٦،٥	م	٣،٢١٧ كبيرة ٤
١٧	الشعور بعدم جدوى التطبيق العملي لنتائج البحوث .	ت ٪	٥٩ ٤٠،١	٤٠ ٢٧،٢	٤٠ ٢٧،٢	٤٠ ٢٧،٢	م	٢،٩٥٩ كبيرة ٤
١٨	عدم وجود تكامل بين الهيئات البحثية لتشجيع الباحثين .	ت ٪	٨٦ ٥٨،٥	٣٩ ٢٦،٥	٣٩ ٢٦،٥	٣٩ ٢٦،٥	م	٣،٤٠١ كبيرة ٤
١٩	القيم الاجتماعية قد تحول دون إجراء بعض البحوث .	ت ٪	٢٠ ١٣،٦	٤٠ ٢٧،٢	٤٠ ٢٧،٢	٤٠ ٢٧،٢	م	٢،٣٤٠ قليلة ٢
٢٠	غياب الدافعية الذاتية لإجراء البحوث .	ت ٪	٣٦ ٢٤،٥	٦١ ٤١،٥	٦١ ٤١،٥	٦١ ٤١،٥	م	٢،٨٠٩ متوسطة ٣
٢١	الانشغال بمهام إضافية مثل الأعمال الإدارية واللجان .	ت ٪	٧٣ ٤٩،٧	٤٨ ٣٢،٧	٤٨ ٣٢،٧	٤٨ ٣٢،٧	م	٣،٢٩٩ كبيرة ٤
٢٢	الانشغال بمهام التدريس المختلفة (محاضرات - امتحانات) .	ت ٪	٧٠ ٤٧،٦	٥٩ ٤٠،١	٥٩ ٤٠،١	٥٩ ٤٠،١	م	٣،٣٣٣ كبيرة ٤
٢٣	عدم توفر قواعد بيانات عربية لتجنب تكرار البحوث .	ت ٪	٩٠ ٦١،٢	٤٢ ٢٨،٦	٤٢ ٢٨،٦	٤٢ ٢٨،٦	م	٣،٤٧٦ كبيرة ٤
٢٤	اللوائح والتنظيمات لا تساعد على تسهيل البحوث .	ت ٪	٤٤ ٢٩،٩	٨٥ ٣٩،٥	٨٥ ٣٩،٥	٨٥ ٣٩،٥	م	٢،٨٦٣ متوسطة ٣
٢٥	ندرة الوسائل المناسبة لنشر الأبحاث الشرعية .	ت ٪	٥٠ ٣٤،٠	٥٦ ٣٨،١	٥٦ ٣٨،١	٥٦ ٣٨،١	م	٣،٠٠٠ متوسطة ٣
٢٦	لا يحظى الباحثون بالتقدير اللازم من قبل الجامعة .	ت ٪	٥٩ ٤٠،١	٤٠ ٢٧،٢	٤٠ ٢٧،٢	٤٠ ٢٧،٢	م	٢،٩٤٥ كبيرة ٤
٢٧	نقص الهيئة المعاونة في البحث (باحث مساعد) .	ت ٪	٧٣ ٤٩،٧	٣٣ ٢٢،٤	٣٣ ٢٢،٤	٣٣ ٢٢،٤	م	٣،٠٨٨ كبيرة ٤

يتبين من الجدول السابق (٧) من خلال المعالجة الإحصائية باستخدام كا٢، وعند تفريغ الإجابات وحساب تكراراتها، ونسبتها المئوية، والمتوسط العام للإجابة عن كل بند من بنود الاستبانة، يتضح التالي :



هناك ١١ بنداً حصلت على أعلى موافقة بدرجة كبيرة « ٤ »، وذلك بإقرار وجود مثل هذه المعوقات في سبيل البحث في العلوم الشرعية، وهي:

عدم توفر قواعد بيانات عربية لتجنب تكرار البحوث. عدم وجود تكامل بين الهيئات البحثية لتشجيع الباحثين. الانشغال بمهام التدريس المختلفة (محاضرات – امتحانات). الانشغال بمهام إضافية مثل الأعمال الإدارية واللجان. ضعف العمل بروح الفريق في البحوث الشرعية. ضعف التعامل مع الحاسوب وتطبيقاته في العمل البحثي. قلة استخدام التطبيق الميداني والاقتصار على الجانب النظري. نقص الهيئة المعاونة في البحث (باحث مساعد). عدم الإقبال على التعامل مع تكنولوجيا المعرفة. الشعور بعدم جدوى التطبيق العملي لنتائج البحوث. لا يحظى الباحثون بالتقدير اللازم من قبل الجامعة.

كما نجد أن هناك ١٢ بنداً أخرى حصلت على درجة متوسطة « ٣ »وهي:

ندرة الوسائل المناسبة لنشر الأبحاث الشرعية. عدم وجود الخطط البحثية أوالخريطة العلمية لأولويات البحث. اقتصار الكثير من المعلومات على مصادر من كتب قديمة. اللوائح والتنظيمات لا تساعد على تسهيل البحوث. غياب الدافعية الذاتية لإجراء البحوث. إجازة البحوث وتحكيمها من المتخصصين تأخذ طابع التشدد. نقص المراجع والدراسات الخاصة ببعض الموضوعات البحثية. الاقتصار على قضايا محددة ومجالات بحثية تقليدية. الافتقار إلى الخبرة في تفسير النصوص. التباين حول بعض المرجعيات في تفسير النصوص . غلبة الذاتية على الموضوعية في البحوث الشرعية. انعدام الحرية الأكاديمية في تفسير بعض النتائج.

و هناك ٣ بنود حصلت على درجة قليلة « ٢ » وهي:

نقص الكفاية العلمية لدى بعض أعضاء هيئة التدريس. الخوف من الانزلاق في قضايا



مذهبية خلافية. القيم الاجتماعية قد تحول دون إجراء بعض البحوث.

وبند واحد لا يوجد « ١ » :

صعوبة المنهج العلمي الخاص بالبحث الشرعي.

في ضوء ما خرجت به الدراسة الحالية، وفي ضوء ما عرض من الدراسات السابقة يمكن الإشارة إلى أن من الأسباب الأكثر تعويقاً للبحوث الشرعية : عدم وجود قواعد بيانات عربية لتجنب تكرار البحوث، وقد اتفق ذلك مع ما جاء بنتائج بحث (علي بن محمد، وراشد ابن محمد الجمالي)[١] وتتفق النتائج أيضاً مع بحث (عمر بن عبد العزيز المسند)[٢].

كما أن السبب الثاني من المعوقات : عدم وجود تكامل بين الهيئات البحثية لتشجيع البحوث، كانت متفقة مع النتائج التي جاءت في بحث (الصاوي والشريع)، وبحث (سعود بن ضحيان).

والمعوقات التي جاءت في المرتبة الثالثة والرابعة : الانشغال بمهام التدريس المختلفة (المحاضرات - والامتحانات)، والانشغال بمهام إضافية مثل الأعمال الإدارية، تتفق مع نتائج البحوث التي أجراها كل من (الششتاوي)، و (الصدفي) و (الشريع).

أما العائق الخامس للبحوث : ضعف العمل بروح الفريق، فقد اتفق مع نتائج دراسة (عبد الله بن أحمد الرشيد)، وبحث (رمضان الشراح)، ودراسة (عنتر لطفي محمد).

العائق السادس والسابع : ضعف التعامل مع الحاسوب، وعدم الإقبال على التكنولوجيا. اتفقت النتائج مع بحوث (الصاوي)، وبحث (الشريع) ودراسات (محمد منير سعد الدين).

---

١) نظم المعلومات البحثية القاعدة العربية الواقع والطموحات لعلي بن محمد الجمالي : ندوة البحث العلمي بدول مجلس التعاون، مرجع سابق، ص ٤٣٥.

٢) مرجع سابق، لعمر بن عبد العزيز، ص ٦٠٠.



أما المعوقات الخاصة بـ: الشعور بعدم جدوى التطبيق العلمي لنتائج البحوث، الباحثون لا يحظون بالتقدير اللازم من قبل الجامعة. فقد أكدت هذه النتائج الأبحاث التالية لكل من: (إبراهيم حداد)، و (شفيق الغبرا)، و (محمد عثمان خضر)، و (أميمة الدهان) وكذلك (محمد عبد العليم مرسي).

أما عن المعوقات الأخرى التي جاءت بها النتائج بصورة متوسطة فقد اتفقت مع نتائج بعض الدراسات السابقة والبحوث التي ذكرت آنفاً. مما يدل على أن البحوث العلمية في الوطن العربي عامة، وكذلك البحوث الاجتماعية بصورة خاصة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، تعاني نفس المشكلات، فهي منبثقة من جذور وأسباب مجتمعية تتسم بها مجتمعاتنا في العالم العربي.



جدول (٨)

المتوسط والانحراف المعياري والمتوسط العام لإجابات أفراد العينة والفروق فيما بينهم وفق الدرجات العلمية

بند	أستاذ ٢٩ متوسط	أستاذ ٢٩ الإنحراف	أستاذ مساعد ٤٤ متوسط	أستاذ مساعد ٤٤ الإنحراف	مدرس ٦٧ متوسط	مدرس ٦٧ الإنحراف	قيمة F	الدلالة الإحصائية	المتوسط العام	الترتيب العام	تواجد المعوقات ودرجة الموافقة عليها	
١	٢،٨٦	٠،٩٩	٢،٥٩	١،٠٦	٢،٥٦	٠،٩٥	٠،٩٤	٠،٣٩	٢،٦٦	١٩	متوسطة	لصالح
٢	٢،٠٣	١،١٧	١،٩٠	٠،٩٨	٢،١٣	٠،٩٨	٠،٦٤	٠،٥٢	٢،٠٤	٢٧	متوسطة	
٣	٢،٠٦	١،٠٣	٢،٣٤	١،٠٣	٢،٤٣	٠،٩٢	١،٣٩	٠،٢٥	٢،٣٤	٢٥	متوسطة	
٤	٣،٢٧	٠،٨٤	٢،٣٨	٠،٧٨	٢،٥٦	٠،٩٠	١٠،١	**٠،٠٠	٢،٦٩	١٨	متوسطة	أستاذ
٥	٣،١٧	٠،٩٦	٢،٧٥	٠،٩٩	٢،٨٦	٠،٩٣	١،٧٤	٠،١٧	٢،٨٧	١٤	متوسطة	
٦	٢،٨٩	٠،٩٠	٢،٦١	١،٠١	٢،٠٧	٠،٨٩	٩،٢٨	**٠،٠٠	٢،٤٢	٢٣	متوسطة	أستاذ
٧	٣،٠٣	٠،٩٠	٢،٢٧	١،١٤	٢،٤٠	١،٠٠	٥،٢٥	**٠،٠٠	٢،٥٣	٢١	متوسطة	أستاذ
٨	٢،٧٢	٠،٩٢	٢،٥٩	١،٠١	٢،٢٣	٠،٩٠	٣،٣٧	*٠،٠٣	٢،٤٤	٢٢	متوسطة	أستاذ
٩	٣،١٧	٠،٨٤	٣،٠٦	١،٠٢	٢،٩٢	٠،٩٤	٠،٧٦	٠،٤٦	٣،٠٥	٩	كبيرة	
١٠	٣،٣٤	٠،٧٦	٣،٢٧	٠،٩٤	٣،٠٢	٠،٩٢	١،٦٤	٠،١٩	٣،١٧	٧	كبيرة	
١١	٢،٣٤	٠،٨٥	٢،٩٠	٠،٩٣	٢،٨٠	٠،٨٩	٣،٧٦	*٠،٠٢	٢،٧٤	١٧	متوسطة	مدرس
١٢	٢،١٠	٠،٩٣	٢،٤٣	١،٠٢	٢،٢٩	١،٠٠	٠،٩٥	٠،٣٨	٢،٢٩	٢٦	متوسطة	
١٣	٣،٢٧	٠،٧٥	٢،٩٧	٠،٩٧	٢،٧٠	١،٠١	٣،٨٣	*٠،٠٢	٢،٩١	١٣	متوسطة	
١٤	٣،٢٤	١،٠٥	٣،٣٤	٠،٩١	٣،١٤	٠،٩٧	٠،٥١	٠،٥٩	٣،٢٥	٥	كبيرة	
١٥	٢،٦٢	١،٠٨	٢،٦٨	١،٠٩	٢،٦٨	٠،٩٨	٠،٠٤	٠،٩٥	٢،٦٣	٢٠	متوسطة	
١٦	٣،٢٤	٠،٩٨	٣،٢٩	٠،٩٢	٣،١٦	٠،٩٤	٠،٢٦	٠،٧٧	٣،٢١	٦	كبيرة	
١٧	٣،٠٦	٠،٩٦	٣،٢٠	١،٠٢	٢،٧٩	١،٠٣	٢،٣٣	٠،١٠	٢،٩٥	١١	متوسطة	
١٨	٣،٢٠	٠،٧٢	٣،٦٥	٠،٦٤	٣،٢٩	٠،٩٣	٣،٥٦	*٠،٠٣	٣،٤٠	٢	كبيرة	أ. مساعد
١٩	٢،٢٧	٠،٩٩	٢،٥٤	٠،٧٩	٢،٢٣	٠،٨٨	١،٥٠	٠،٢٢	٢،٣٤	٢٤	متوسطة	
٢٠	٣،١٠	٠،٩٣	٢،٨٤	٠،٩١	٢،٦٥	٠،٨٩	٢،٤٧	٠،٠٨	٢،٨٠	١٦	متوسطة	
٢١	٣،٢٠	٠،٧٢	٣،٣٦	٠،٧٨	٣،٢٨	٠،٨٦	٠،٣٣	٠،٧١	٣،٢٩	٤	كبيرة	
٢٢	٣،١٣	٠،٦٣	٣،٢٠	٠،٨٥	٣،٥٢	٠،٦٨	٣،٩٤	*٠،٠٢	٣،٣٣	٣	كبيرة	مدرس
٢٣	٣،٤١	٠،٦٨	٣،٧٠	٠،٥٠	٣،٣٥	٠،٨٨	٣،٠٣	*٠،٠٥	٣،٤٧	١	كبيرة	أ. مساعد
٢٤	٢،٧٢	١،٠٦	٣،١٨	٠،٦٩	٢،٧٦	١،٠٧	٣،٠٣	*٠،٠٥	٢،٨٦	١٥	متوسطة	أ. مساعد
٢٥	٢،٨٦	٠،٩١	٣،١١	٠،٧٥	٢،٩٧	٠،٩٨	٠،٧١	٠،٤٨	٣،٠٠	١٠	متوسطة	
٢٦	٣،١٣	٠،٩٩	٣،١٣	٠،٩٧	٢،٧٣	١،٠٨	٢،٧٠	٠،٠٧	٢،٩٤	١٢	متوسطة	
٢٧	٣،٠٣	١،١١	٣،٢٥	١،٠٨	٢،٩٤	١،٠٨	١،٠٧	٠،٣٤	٣،٠٨	٨	كبيرة	

* دالة إحصائياً عند مستوى ٠،٠٥ ** دالة إحصائياً عند مستوى ٠،٠١



من الجدول السابق (٨) يتضح لنا أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين الدرجات العلمية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات الخليجية (الكويت، الإمارات، قطر، البحرين، السعودية)، من حيث الإجابة على بعض البنود الخاصة بالاستبانة نوضحها على الوجه التالي :

من حيث الدرجة العلمية « أستاذ » : قد وجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الأساتذة بدرجة أعلى لإقرارهم بوجود معوقات تحول دون البحث في العلوم الشرعية في البنود : (٤ - ٧ - ٦ - ٨) وتنص على « نقص الكفاية العلمية لدى بعض أعضاء هيئة التدريس »، « الخوف من الانزلاق في قضايا مذهبية خلافية ». « الافتقار إلى الخبرة في تفسير النصوص ». « التباين حول بعض المرجعيات في تفسير النصوص ». وهي بمثابة معوقات تدل على الدراية والخبرة التي يعرف أبعادها الأساتذة العاملون في الجامعات بكليات الشريعة وبأقسامها المختلفة.

ومن حيث الدرجة العلمية « أستاذ مساعد » : قد وجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الأساتذة المساعدين نظراً لإجاباتهم بدرجة أعلى من غيرهم في البنود (١٨ - ٢٣ - ٢٤) وتنص على « عدم وجود تكامل بين الهيئات البحثية لتشجيع الباحثين ». « عدم توفر قواعد بيانات عربية لتجنب تكرار البحوث ». « اللوائح والتنظيمات لا تساعد على تسهيل إجراء البحوث ». فنجدها عبارة عن معوقات قد مر بها الأساتذة المساعدون أثناء قيامهم بالبحث في العلوم الشرعية .

أما من حيث الدرجة العلمية : « مدرس » : فنجد أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية لصالح المدرسين -عند إجابتهم بدرجة موافقة- أعلى على وجود المعوقات في البندين (١١ - ٢٢) واللذان ينصان على : « إجازة البحوث وتحكيمها من قبل المتخصصين تأخذ طابع التشدد ».



«الانشغال بمهام التدريس المختلفة، محاضرات، امتحانات ..» . وهذان السببان يتناسبان مع المدرسين الجدد وخاصة الكثير منهم في خبراته الأولى قد يجد صعوبة -من وجهة نظره- من المحكمين المتخصصين، وذلك نظراً لخبراته الأولية وبداياته التي قد تواجه بشيء من الإحباط . كما أن كثرة انشغال المدرسين في بداية حياتهم الجامعية -بتحضير الدروس والعمل في مجال التقويم والامتحانات- تأخذ الكثير من الوقت الذي يشغلهم عن متابعة بحوثهم التي يسعون إليها من أجل الترقية .

مما سبق من نتائج تتفق مع ما جاء في دراسة (شوق وزاهر) عن الإنتاجية العلمية لأعضاء هيئة التدريس بدول الخليج، حيث إن البحوث التي يقوم بها الأساتذة أكثر من المدرسين والأساتذة المساعدين، نظراً لطول فترة العمل بالجامعة، وما قدموه من بحوث للترقية . كما أن الأساتذة بعد حصولهم على درجاتهم العلمية تقل أبحاثهم المنشورة . ويتفق أيضاً مع ما جاء في بحوث (الصاوي)، ودراسة (محمد عبد الرحمن ربيع) .





جدول (٩)

المتوسط والانحراف المعياري لإجابات أفراد العينة والفروق فيما بينهم وفق الأقسام العلمية

البند	تفسير وحديث ٥٢		الفقه ٣٦		أصول الفقه ٣٠		العقيدة ٢٩		المجموع		قيمة F	الدالة لإحصائية
	متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف		
١	٢،٥٢	٠،٩٨	٢،٦٥	١،٠٥	٢،٥٥	١،١٨	٢،٨٩	٠،٦٨	٢،٦٣	٠،٩٩	٠،٩٠	٠،٤٤
٢	١،٨٧	٠،٩٨	٢،١١	١،١٠	٢،٠٠	٠،٨٤	٢،٢٨	١،١٥	٢،٠٤	١،٠٢	١،٠٢	٠،٣٨
٣	٢،٣٥	٠،٨٦	٢،٢٢	١،٠٣	٢،٢٤	١،٠٩	٢،٥٠	١،٠٣	٢،٣٢	٠،٩٨	٠،٤٨	٠،٦٩
٤	٢،٥٢	٠،٨٨٩	٢،٥٧	١،٠٠	٢،٨٦	٠،٩٥	٢،٧٨	٠،٧٣	٢،٦٥	٠،٩١	١،١٣	٠،٣٣
٥	٣،٠٢	٠،٨٦	٢،٧١	١،٠١	٢،٧٥	١،٠٩	٣،٠٣	٠،٩٢	٢،٨٩	٠،٩٦	١،٠٧	٠،٣٦
٦	٢،٣١	٠،٩٤	٢،٢٥	٠،٩٥	٢،٤٨	١،٠٥	٢،٧١	١،٠١	٢،٤١	٠،٩٨	١،٣٨	٠،٢٥
٧	٢،٢٢	١،٠٢	٢،٣٧	١،٠٠	٢،٩٣	١،٠٦	٢،٦٤	١،٠٢	٢،٤٩	١،٠٦	٣،١٠	٠،٠٢*
٨	٢،٤١	٠،٩٦	٢،٢٨	٠،٨٩	٢،٤٤	١،٠٥	٢،٧١	٠،٩٣	٢،٤٥	٠،٩٦	١،٠٦	٠،٣٦
٩	٢،٩١	٠،٩١	٢،٩٧	١،٠٩	٣،١٠	٠،٨١	٣،١٧	٠،٩٤	٣،٠٢	٠،٩٤	٠،٥٥	٠،٦٤
١٠	٣،٢٥	٠،٨٨	٣،٠٨	٠،٨٨	٣،١٠	٠،٩٧	٣،٢١	٠،٩١	٣،١٧	٠،٩٠	٠،٢٩	٠،٨٢
١١	٢،٦٨	١،٠١	٢،٧٤	٠،٨٥	٢،٦٨	٠،٩٦	٢،٨٩	٠،٧٨	٢،٧٤	٠،٩١	٠،٣٣	٠،٧٩
١٢	٢،٢٢	١،٠١	١،٨٥	٠،٩١	٢،٣٧	٠،٩٠	٢،٨٩	٠،٨٧	٢،٣٠	٠،٩٩	٦،٤٥	٠،٠٠**
١٣	٢،٩١	٠،٩١	٢،٦٨	٠،٩٩	٢،٨٩	١،٠٢	٣،١٧	٠،٨٩	٢،٩٠	٠،٩٧	١،٣٤	٠،٢٦
١٤	٣،١٦	٠،٩٥	٢،٨٠	١،١٠	٣،٤٨	٠،٨٢	٣،٦٠	٠،٧٣	٣،٢٢	٠،٩٦	٤،٧٩	٠،٠٠**
١٥	٢،٧٢	١،٠٨	٢،٤٢	١،٠٩	٢،٦٨	٠،٨٩	٢،٨٥	١،٠٠	٢،٦٧	١،٠٣	٠،٩٩	٠،٣٩
١٦	٣،١٠	٠،٩٩	٣،٢٢	١،٠٣	٣،٣١	٠،٨٠	٣،٣٢	٠،٩٠	٣،٢٢	٠،٩٤	٠،٤٣	٠،٧٣
١٧	٢،٨١	١،٠٠	٢،٩١	١،٠٩	٢،٩٦	١،٠٧	٣،٣٥	٠،٩٥	٢،٩٧	١،٠٢	١،٧٥	٠،١٥
١٨	٢،٢٥	٠،٩٧	٣،٣١	٠،٨٦	٣،٥٥	٠،٥٧	٣،٥٧	٠،٦٩	٣،٣٩	٠،٨٢	١،٣٨	٠،٢٥
١٩	٢،٣٣	٠،٩٠	٢،١١	٠،٨٣	٢،٣٧	١،٠٨	٢،٦٠	٠،٩٥	٢،٣٤	٠،٩٤	١،٤٤	٠،٢٣
٢٠	٢،٦٨	٠،٩٤	٢،٩١	٠،٨٥	٢،٧٥	١،٠٥	٢،٩٢	٠،٨١	٢،٨٠	٠،٩٢	٠،٦١	٠،٦٠
٢١	٣،١٤	٠،٨٩	٣،٦٢	٠،٥٤	٣،٣١	٠،٨٠	٣،١٠	٠،٨٣	٣،٢٩	٠،٨٠	٣،١٧	٠،٠٢*
٢٢	٣،٢٥	٠،٧٨	٣،٤٢	٠،٦٩	٣،٣٤	٠،٨٥	٣،٣٩	٠،٦٢	٣،٣٤	٠،٧٤	٠،٤٣	٠،٧٢
٢٣	٣،٣٩	٠،٨٤	٣،٥١	٠،٧٤	٣،٥١	٠،٧٨	٣،٥٣	٠،٥٧	٣،٤٧	٠،٧٥	٠،٢٩	٠،٨٣
٢٤	٣،٠٠	٠،٩٢	٢،٧٧	٠،٩٧	٢،٦٢	١،١٧	٣،١٠	٠،٨٣	٢،٨٨	٠،٩٨	١،٥٧	٠،١٩
٢٥	٢،٨٧	٠،٩٥	٢،٩٧	٠،٨٥	٣،٠٣	٠،٩٨	٣،١٧	٠،٧٧	٢،٩٩	٠،٩٠	٠،٦٩	٠،٥٥
٢٦	٢،٨٩	١،٠٣	٢،٨٨	٠،٩٦	٢،٧٢	١،١٩	٣،٣٢	٠،٩٤	٢،٩٤	١،٠٤	١،٧٤	٠،١٦
٢٧	٢،٨٧	١،١٤	٢،٩٤	١،٠٨	٣،٠٣	١،١٧	٣،٥٣	٠،٧٩	٣،٠٥	١،٠٩	٢،٤٤	٠،٠٦

* دالة إحصائياً عند مستوى ٠،٠٥   ** دالة إحصائياً عند مستوى ٠،٠١



تبين من الجدول السابق (٩) أن هناك اتفاقاً بين معظم أفراد العينة على وجود معوقات في سبيل البحث في العلوم الشرعية، بلغت نسبة الاتفاق دون وجود فروق إحصائية في ٢٣ بنداً من بين ٢٧ المدونة في الاستبانة. ونلاحظ أن الفروق الخاصة بين الأقسام العلمية في كليات الشريعة بدول مجلس التعاون لدول الخليج قد تكون غير موجودة وذلك بسبب تشابه الظروف الخاصة في كل الأقسام، والبيئة العلمية المتفقة في الظروف المحيطة بها.

ولكن وجد فروق ذات دلالة إحصائية في أربعة بنود (٧ - ١٢ - ١٤ - ٢١) اثنان منهما مستوى الدلالة ٠،٠٥ وهما (٧ & ٢١) اللذان ينصان على «الافتقار إلى الخبرة في تفسير النصوص». «الانشغال بمهام إضافية مثل الأعمال الإدارية واللجان..». وإن هذه الدلالة جاءت في صالح قسم (أصول الفقه) دون الأقسام الأخرى، نظراً لما تتطلبه مهامه من نشاطات قد تزيد عن الأقسام الأخرى.

كما أن البندين (١٢ & ١٤) مستوى دلالة إحصائية مرتفعة عند مستوى ٠،٠١ اللذان ينصان على «انعدام الحرية الأكاديمية في تفسير بعض النتائج». «ضعف العمل بروح الفريق في البحوث الشرعية». وقد تكون مثل هذه الأسباب تقف كمعوقات في طريق البحث في العلوم الشرعية بقسم أصول الفقه بشكل أكثر وضوحاً من الأقسام الأخرى.



جدول (١٠)

المتوسط والانحراف المعياري لإجابات أفراد العينة والفروق فيما بينهم وفق جامعات دول مجلس التعاون

البند	الكويت ٨٣		الإمارات ٧		قطر ٢٩		البحرين ٤		السعودية ١٧		عمان ٧		قيمة F	الدلالة الإحصائية
	متوسط	الإنحراف	متوسط	الإنحراف	متوسط	الإنحراف	متوسط	الإنحراف	متوسط	الإنحراف	متوسط	الإنحراف		
١	٢،٦١	١،٠١	٢،٤٢	٠،٩٧	٢،٧٢	١،٠٦	٢،٥٠	٠،٥٧	٢،٧٠	٠،٩٨	٣،٢٨	١،١١	٠،١٧	٠،٩٥
٢	٢،٠٣	١،٠٤	١،٧١	٠،٩٥	٢،٠٣	١،٠٧	٢،٧٥	٠،٩٥	٢،٠٥	١،٠٢	١،٨٥	١،٢١	٠،٦٥	٠،٦٢
٣	٢،٣٤	١،٠١	١،٧١	١،١١	٢،٢٠	٠،٩٠	٢،٧٥	٠،٥٠	٢،٥٨	٠،٩٣	٢،٥٧	١،٢٧	١،٢٨	٠،٢٧
٤	٢،٥٥	٠،٩١	٣،١٤	٠،٨٩	٢،٧٥	٠،٩٥	٢،٥٠	٠،٥٧	٢،٨٢	٠،٨٨	٣،٤٢	١،١٣	١،٠٢	٠،٣٩
٥	٢،٨٠	٠،٩٣	٣،٠٠	١،٠٠	٣،١٧	٠،٩٦	٢،٥٠	١،٠٠	٢،٨٨	١،١١	٢،٥٧	٠،٧٨	٠،٩٥	٠،٤٣
٦	٢،٤٣	١،٠٠	١،٨٥	٠،٦٩	٢،٤١	١،٠١	٢،٢٥	٠،٥٠	٢،٥٨	١،٠٦	٢،٥٧	٠،٧٨	٠،٧١	٠،٥٨
٧	٢،٣٣	١،٠٠	٣،٠٠	٠،٨١	٢،٥٥	١،٢١	٣،٠٠	٠،٨١	٢،٨٢	١،١٣	٣،٢٨	١،١١	١،٥٢	٠،١٩
٨	٢،٣٤	٠،٩٤	٢،٥٧	٠،٩٧	٢،٤٤	٠،٩٤	٣،٠٠	٠،٨١	٢،٧٦	١،٠٩	٢،٢٨	١،١١	١،٠٣	٠،٣٩
٩	٣،٠٣	٠،٩٥	٣،٢٨	٠،٩٥	٢،٨٦	٠،٩٥	٣،٥٠	٠،٥٧	٣،٠٠	١،٠٦	٣،٧١	٠،٧٥	٠،٥٩	٠،٦٦
١٠	٣،١٦	٠،٨٦	٢،٧١	١،١١	٣،٢٠	٠،٩٤	٣،٢٥	١،٥٠	٣،٢٩	٠،٨٤	٣،٢٨	٠،٧٥	٠،٥٣	٠،٧٠
١١	٢،٧٣	٠،٩٢	٢،٥٧	٠،٩٧	٢،٥٥	٠،٨٢	٣،٥٠	١،٠٠	٣،٠٠	٠،٩٣	٢،٧١	١،١١	١،٤١	٠،٢٣
١٢	٢،١٨	١،٠١	٢،٥٧	٠،٧٨	٢،٥١	١،٠٥	٢،٧٥	٠،٩٥	٢،٢٩	٠،٨٤	٢،١٤	١،٠٦	٠،٩٨	٠،٤٢
١٣	٢،٨٣	٠،٨٨	٢،٨٥	١،٠٦	٢،٨٦	١،١٥	٣،٢٥	٠،٩٥	٣،٢٩	١،٠٤	٣،١٤	٠،٨٩	٠،٩٤	٠،٤٤
١٤	٣،٢٠	٠،٩٣	٢،٧١	١،١١	٣،٤٤	٠،٩٠	٣،٠٠	١،٤١	٣،٢٣	١،٠٩	٣،٧١	٠،٧٥	٠،٩٣	٠،٤٤
١٥	٢،٦١	١،٠٤	٢،٠٠	٠،٨١	٣،٠٣	٠،٩٤	٣،٠٠	١،٤١	٢،٥٢	١،٠٠	١،٨٥	٠،٦٩	١،٩٢	٠،١١
١٦	٣،١٦	٠،٩٨	٢،٨٥	١،٢١	٣،٢٤	٠،٩١	٣،٠٠	٠،٨١	٣،٦٤	٠،٦٠	٣،١٤	١،٠٦	١،٢٥	٠،٢٩
١٧	٣،٠١	١،٠٥	٢،٨٥	٠،٨٩	٢،٨٢	١،١٠	٣،٧٥	٠،٥٠	٢،٩٤	٠،٨٩	٢،٥٧	١،٢٧	٠،٧٦	٠،٥٤
١٨	٣،٣٣	٠،٨٥	٢،٨٥	٠،٦٩	٣،٥٥	٠،٨٢	٣،٥٠	١،٠٠	٣،٥٨	٠،٧١	٢،٥٧	٠،٧٨	١،٣٥	٠،٢٥
١٩	٢،٢٧	٠،٨٧	٢،٢٨	٠،٧٥	٢،٥٥	٠،٩٤	٢،٢٥	١،٥٠	٢،٣٥	١،٢٢	٢،٢٨	١،٢٥	٠،٤٦	٠،٧٦
٢٠	٢،٧٨	٠،٩١	٢،٢٨	٠،٤٨	٣،١٣	٠،٨٣	٣،٠٠	٠،٨١	٢،٥٢	١،١٢	٢،٨٥	٠،٨٩	١،٩٩	٠،٠٩
٢١	٣،٣٢	٠،٨٥	٣،٤٢	٠،٧٨	٣،١٣	٠،٦٩	٣،٧٥	٠،٥٠	٣،٢٣	٠،٨٣	٣،٤٢	٠،٧٨	٠،٦٨	٠،٦٠
٢٢	٣،٣١	٠،٧٦	٣،٥٧	٠،٥٣	٣،٣٧	٠،٦٢	٤،٠٠	٠،٠٠	٣،١٧	٠،٩٥	٣،١٤	٠،٦٩	١،٢٠	٠،٣١
٢٣	٣،٤٨	٠،٧٨	٣،١٤	٠،٦٩	٣،٥٥	٠،٧٣	٣،٢٥	٠،٩٥	٣،٥٢	٠،٦٢	٣،٤٢	١،١٣	٠،٥٢	٠،٧٢
٢٤	٢،٩١	١،٠٠	٢،٠٠	١،٤١	٣،٠٣	٠،٧٧	٣،٠٠	٠،٨١	٢،٨٢	٠،٩٥	٢،٤٢	١،١٣	١،٦٧	٠،١٦
٢٥	٣،٠٩	٠،٨٩	٢،٨٥	١،٢١	٢،٩٣	٠،٨٤	٣،٠٠	٠،٨١	٢،٦٤	٠،٩٣	٣،١٤	٠،٨٩	٠،٩٧	٠،٤٢
٢٦	٢،٩٨	١،٠٦	٢،٨٥	١،٢١	٣،١٧	٠،٨٨	٢،٧٥	٠،٩٥	٢،٤١	١،٠٦	٣،٠٠	١،٤١	١،٥٥	٠،١٨
٢٧	٣،٠٠	١،١٣	٢،٤٢	١،٢٧	٣،٢٤	١،٠٢	٣،٥٠	١،٠٠	٣،١٧	٠،٨٨	٣،٧١	٠،٤٨	١،٠٦	٠،٣٧

يتبين من الجدول السابق أنه لا توجد أية فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات أفراد العينة وفق متغير الجامعات المختلفة في دول مجلس التعاون (الكويت، الإمارات، قطر، البحرين، السعودية). مما يدل على اتساق الإجابات واتفاق أفراد العينة فيما بينها على وجود مثل هذه المعوقات.



جدول (١١)

يوضح العلاقة الارتباطية correlation بين كل من متغيرات الدراسة والإجابة العامة على أسئلة الاستبانة

المتغيرات	الاستبانة		الجامعة		القسم العلمي		الدرجة العلمية		عدد البحوث		استخدام الكمبيوتر	
	انحراف	دلالة	انحراف	دلالة	انحراف	دلالة	انحراف	دلالة	انحراف	دلالة	انحراف	دلالة
الاستبانة	–	–	٠،٨٥	٠،٣١	٠،٢٥	٠،٠٠٠	٠،٠١٥	٠،٠٠٦	٠،٠٠٨	٠،٠١٣	٠،٠١٥	٠،٠٠٧
الجامعة		↓	–	–	٠،٢٧	٠،٠٧٤	٠،٠٠٣	٠،٠٦٩	٠،٠١٣	٠،٠١٢	٠،٠٠٢	٠،٠٧٤
القسم العلمي	←	دال **			–	–	٠،٠٠٥	٠،٠٥٦	٠،٠٠٥	٠،٠٥٠	٠،٠٠٨	٠،٠٣٢
الدرجة العلمية	←		←	دال **	←	دال **	–	–	٠،٠٦٤	٠،٠٠٠	٠،٠٢٠	٠،٠٠١
عدد البحوث	←						←	دال **	–	–	٠،٠١١	٠،٠١٨
استخدام الكمبيوتر	←						←	دال **			–	–

٠،٠٠٥ دال عند مستوى ٠،٠١ وفق معامل spearman

نتبين من الجدول السابق (١١) أن هناك علاقة ارتباطية بين الأقسام العلمية في الإجابة عن الاستبانة تتضح في شكل اتفاق وتطابق في الإجابة مما يدل على أن معوقات البحث الشرعي تكاد تكون متشابهة في كثير من الأقسام والكليات الشرعية.

كما أن هناك تطابقاً بين الدرجة العلمية في علاقتها بالجامعات الخليجية، حيث تطابقت آراء كل من الأساتذة فيما بينهم، وكذلك آراء الأساتذة المساعدين، والمدرسون تطابقت آراؤهم مع بعضهم، وهذا يدل على اتساق أعضاء هيئة التدريس في النظرة إلى معوقات البحث في العلوم الشرعية. حيث أنها تأخذ طابعاً مشتركاً في مشكلاتها النوعية وفق كل درجة علمية من منظورها الخاص.

أيضاً فإن هناك تطابقاً وعلاقة وثيقة بين الدرجة العلمية والقسم الذي ينتسبون إليه،



وهذا يؤكد ثبات الإجابات بين أعضاء هيئة التدريس داخل الأقسام العلمية المختلفة (فقه – تفسير – عقيدة – أصول فقه) .

ويلاحظ أن هناك اتساقاً وتطابقاً بين عدد البحوث والدرجة العلمية، فكلما زادت الرتبة العلمية زادت أعداد البحوث التي يقوم بها عضو هيئة التدريس، وهذا أمر منطقي حيث إن الرتبة العلمية تأتي نتيجة طبيعية للقيام بالبحوث التي يرقى وفقاً لما قدمه منها . (انظر أيضاً جدول ٣) .

أما عن استخدام الكمبيوتر فنجد أن الكثير من أعضاء هيئة التدريس لا يستخدمون الكمبيوتر بنسبة كبيرة ويتفق ذلك مع الدرجات العلمية (مدرس – أستاذ مساعد – أستاذ) انظر جدول (٧) .

ومن ثم يمكن استخلاص أهم النتائج على النحو التالي :

نتائج الدراسة

في حدود الدراسة وإجابات أفراد العينة، يمكن أن نستخلص أهم النتائج على النحو التالي :

١– وافق معظم أفراد عينة الدراسة « أعضاء هيئة التدريس بالأقسام المختلفة بكليات الشريعة في جامعات دول مجلس التعاون » على أن هناك معوقات في طريق البحث العلمي الشرعي، ووجودها بدرجة كبيرة .

٢– وجد فروق دالة إحصائياً بين الأقسام العلمية بكليات الشريعة بدول مجلس التعاون، في أربعة معوقات لصالح قسم « أصول الفقه » نظراً لطبيعة مسؤولياته وظروفه .

٣– هناك شبه عزوف عن استخدام التكنولوجيا الحديثة في تحصيل المعرفة، أو عدم الخبرة في استخدام الكمبيوتر، مما يمثل عائقاً في طريق البحث العلمي الشرعي،



وقد ظهر هذا الجانب من خلال تدوين البيانات الأولية لكل عضو هيئة تدريس أوضح فيها موقفه من استخدام الكمبيوتر. وأيضاً من خلال إجابات أفراد العينة في الاستبانة في البندين: (٩ و١٦) ينصان على «عدم الإقبال على التعامل مع تكنولوجيا المعرفة»، «ضعف التعامل مع الحاسوب وتطبيقاته في العمل البحثي». فقد أوضحت عينة الدراسة بالفعل أنهم لا يتعاملون مع الحاسوب أو تكنولوجيا المعرفة.

٤- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين كليات الشريعة في دول الخليج المختلفة في الإجابة عن معوقات البحث في العلوم الشرعية، مما يدل على اتفاقهم وتشابه الظروف العلمية والقضايا البحثية التي يتناولها أعضاء هيئة التدريس في دول مجلس التعاون.

٥- وجدت فروق ذات دلالة إحصائية ترجع إلى اختلاف الدرجة الوظيفية (مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ) في بعض جوانب المعوقات من وجهة نظر كل فئة وفق خبراتهم وتجاربهم البحثية.

٦- هناك ٢٧ بنداً تعتبر معوقات في طريق البحث في العلوم الشرعية، أكد أفراد العينة على ١١ بنداً منها بأنها موجودة بدرجة كبيرة. و منها ١٢ بنداً وافقوا على أنها معوقات وجودها بدرجة متوسطة. و ثلاث بنود أجابوا عنها بأنها موجودة كمعوقات بدرجة قليلة. وبند واحد لم يجد أفراد العينة أنه يمثل عائقاً. ونقدم المعوقات وفق ترتيب إجابات العينة.



ترتيب المعوقات التي تواجه البحث في ا لعلوم الشرعية

أ) المعوقات التي ذكرها أعضاء هيئة التدريس وأكدوا على وجودها بدرجة كبيرة :

١ – عدم توفر قواعد بيانات عربية لتجنب تكرار البحوث .

٢ – عدم وجود تكامل بين الهيئات البحثية لتشجيع الباحثين .

٣ – الانشغال بمهام التدريس المختلفة (محاضرات – امتحانات) .

٤ – الانشغال بمهام إضافية مثل الأعمال الإدارية واللجان .

٥ – ضعف العمل بروح الفريق في البحوث الشرعية .

٦ – ضعف التعامل مع الحاسوب وتطبيقاته في العمل البحثي .

٧ – قلة استخدام التطبيق الميداني والاقتصار على الجانب النظري .

٨ – نقص الهيئة المعاونة في البحث (باحث مساعد) .

٩ – عدم الإقبال على التعامل مع تكنولوجيا المعرفة .

١٠ – الشعور بعدم جدوى التطبيق العملي لنتائج البحوث .

١١ – لا يحظى الباحثون بالتقدير اللازم من قبل الجامعة .

ب) المعوقات التي ذكرها أعضاء هيئة التدريس وأكدوا على وجودها بدرجة متوسطة :

١٢ – ندرة الوسائل المناسبة لنشر الأبحاث الشرعية .

١٣ – عدم وجود الخطط البحثية أوالخريطة العلمية لأولويات البحث .

١٤ – اقتصار الكثير من المعلومات على مصادر من كتب قديمة .

١٥ – اللوائح والتنظيمات لا تساعد على تسهيل البحوث .

١٦ – غياب الدافعية الذاتية لإجراء البحوث .



١٧ – إجازة البحوث وتحكيمها من المتخصصين تأخذ طابع التشدد .

١٨ – نقص المراجع والدراسات الخاصة ببعض الموضوعات البحثية .

١٩ – الاقتصار على قضايا محددة ومجالات بحثية تقليدية .

٢٠ – الافتقار إلى الخبرة في تفسير النصوص .

٢١ – التباين حول بعض المرجعيات في تفسير النصوص .

٢٢ – غلبة الذاتية على الموضوعية في البحوث الشرعية .

٢٣ – انعدام الحرية الأكاديمية في تفسير بعض النتائج .

ج) المعوقات التي ذكرها أعضاء هيئة التدريس وأكدوا على وجودها بدرجة قليلة :

٢٤ – نقص الكفاية العلمية لدى بعض أعضاء هيئة التدريس .

٢٥ – الخوف من الانزلاق في قضايا مذهبية خلافية .

٢٦ – القيم الاجتماعية قد تحول دون إجراء بعض البحوث .

د) المعوقات التي لا وجود لها :

٢٧ – صعوبة المنهج العلمي الخاص بالبحث الشرعي .



التوصيات

في ضوء ما خرجت به الدراسة يمكن تقديم أهم التوصيات على النحو التالي :

* العمل على وضع خريطة بحثية في كل قسم من أقسام كليات الشريعة، بحيث توضع أولويات للبحث في القضايا الملحة في المجتمع .
* أهمية إنشاء قاعدة بيانات عربية للبحوث الشرعية في مختلف فروعها حتى يستفيد منها الباحث .
* ضرورة القيام ببحوث يشترك فيها القسم وأعضاؤه «بحوث الفريق» لتدريب أعضاء هيئة التدريس الجدّد للعمل في مثل هذه البحوث وتشجيعهم عليها .
* توفير القوى البشرية من مساعدي الباحثين لمعاونة الباحثين، والتخفيف عنهم في تطبيق الاستبانات وجمع البيانات .
* الاهتمام بعمل دورات تدريبية وورش عمل لاستخدام الحاسوب في المعالجة الإحصائية، وجمع المعلومات عبر الإنترنت، من أجل المساهمة في تفعيل البحث في العلوم الشرعية .
* العمل على تشجيع البحوث الميدانية في مجال البحث الشرعي والنزول إلى الواقع .
* إيجاد قنوات اتصال بين الجهات البحثية من أجل تبادل الخبرات والاستفادة من البحوث في مختلف تخصصاتها .
* العمل على تزويد مكتبات الكلية والقسم بأحدث الكتب والمراجع الأساسية والدوريات العلمية المتخصصة .
* تشجيع النشر العلمي وفتح المجال لأعضاء هيئة التدريس من المدرسين، لطرح أفكارهم والدفاع عنها ، بالإضافة إلى فسح المجال لتكوين مدارس فكرية داخل



الأقسام المختلفة.

* التفكير في إنشاء مؤسسة أو جهة بحثية معنية بنشر نتائج الأبحاث ومحاولة الاستفادة منها من أجل تنمية المجتمع وحل مشكلاته.

* كما توصي الدراسة بإجراء بحث «حول توجهات البحوث الشرعية في كليات الشريعة بدول مجلس التعاون» تمهيداً لوضع خريطة بحثية للمجالات التي لم تنل الاهتمام وحصر البحوث التي أنجزت، تجنباً للتكرار، ومن أجل الاستفادة من نتائجها.





المراجع

المراجع العربية:

١- الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لمشكلات البحث التربوي، سليمان العنقري، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٩٦.

٢- أزمة البحث العلمي في العالم العربي، عبد الفتاح خضر، الرياض، إدارة البحوث، معهد الإدارة العامة، ١٩٨١.

٣- الاستفادة من مخرجات البحث العلمي والمعوقات التي تحول دون ذلك، إسماعيل عبد رب النبي شاهين، بحث ضمن ندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، الواقع والمعوقات والتطلعات، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية، ١٢ -١٤ نوفمبر ٢٠٠٠.

٤- البحث الإداري في الجامعات العربية لأميمة الدهان، دراسة ميدانية، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الخامس، العدد الأول، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٩.

٥- البحث العلمي العربي وتحديات القرن القادم، عادل عوض، سامي عوض، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد ٢٤، ١٩٩٨.

٦- البحث العلمي ودوره في التنمية لمحمد عبد الهدي، المؤتمر القومي لتطوير



التعليم، القاهرة، ١٩٨٧ .

٧- البحث العلمي في الأقطار العربية لمحمد عثمان خضر، المؤتمر الرابع للوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، (الدراسات العليا والبحث العلمي في الوطن العربي) دمشق، ١٩٨٩ .

٨- البحث العلمي في الجامعات الإسلامية واقعه ومشكلاته لمحمد منير سعد الدين، ندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، جامعة الإمارات: ٢٠ -٢٢ ديسمبر ١٩٩٧ .

٩- بعض معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية، سيد حسن باشا، ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود، بتاريخ ١٤ -١٥ صفر ١٤٠٣هـ.

١٠- تراثنا والمعاصرة، ليوسف عز الدين، دار الإبداع الحديث للنشر، ١٩٨٧ .

١١- ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي في الندوة الفكرية الثانية لرؤساء الجامعات الخليجية لمحمد عبد العليم، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٥ .

١٢- تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي لناصر الدين الأسد، عمان الأردن، منشورات مجدلاوي، ١٩٩٦ .

١٣- التعليم العالي والبحث العلمي في العالم الثالث والوطن العربي لمحمود عبد المولى، مجلة الوحدة، السنة الثانية، العدد ١٤، نوفمبر ١٩٨٥ .

١٤- تقرير المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، المجالس القومية



المتخصصة، الدورة العاشرة، أكتوبر ١٩٨٢، يوليو ١٩٨٣، الكتاب رقم ١٥٠.

١٥- الجامعة بين النظرية والتطبيق لمحمد إبراهيم كاظم، حولية كلية الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد ١٠، جامعة قطر، ١٩٨٧.

١٦- الحرية الأكاديمية في الجامعات العربية لمحمود قمبر، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، بحث مقدم لمؤتمر قسم أصول التربية جامعة الكويت، الديمقراطية والتربية في الكويت والوطن العربي، في الفترة من ٢٧ -٢٩ نوفمبر ١٩٩٩.

١٧- خطوات عملية نحو تفعيل نتائج البحث العلمي في دول الخليج العربية، لعمر ابن عبد العزيز المسند، بحث مقدم لندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج، ١٢ -١٤ نوفمبر ٢٠٠٠م، الرياض.

١٨- دراسة حول المشاكل التي تواجه البحوث التربوية بوزارة التربية لفيصل فهد العبد الجادر، الكويت، مركز البحوث التربوية والمناهج، وزارة التربية، وحدة القياس، ١٩٩٨.

١٩- العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، جون ديكنسون، ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (١١٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٧.

٢٠- معوقات عمل الباحث العربي في مؤسسات علمية لإبراهيم حداد، مجلة شؤون عربية، العدد ٦٨، تونس، ١٩٩٠.

٢١- نحو صيغة إسلامية للبحوث الاجتماعية لأحمد المهدي، رسالة الخليج، السنة الثامنة، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد ٢٣، ١٩٨٧.



٢٢- لك الله يا علوم الإنسان لزكي نجيب محمود، الأهرام، القاهرة، في ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٦.

٢٣- معوقات البحث التربوي في دولة الكويت، دراسة ميدانية لآراء أعضاء هيئة التدريس، لسعد الشريع، محمد وجيه الصاوي: مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ٨٨، أبريل ٢٠٠٠.

٢٤- معوقات البحث العلمي بالجامعات كما يراها أعضاء هيئة التدريس وسبل تطويره لعنتر لطفي محمد، مجلة التربية المعاصرة، القاهرة، رابطة التربية الحديثة، العدد٣٦، أبريل ١٩٩٥.

٢٥- معوقات البحث العلمي في الجامعات العربية لمحمد عبد الرحمن الربيع، ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية، جامعة الملك سعود، بتاريخ ١٤ -١٥ صفر ١٤٠٣هـ.

٢٦- معوقات البحث العلمي في الوطن العربي لمحمد عبد العليم مرسي، مجلة رسالة الخليج، العدد ١٨، السنة الرابعة، الرياض، ١٩٨٤.

٢٧- معوقات البحث في العلوم الاجتماعية العربية: شفيق الغبرا، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد السابع عشر، العدد ٣: الكويت، ١٩٨٩.

٢٨- نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عباس محجوب، عجمان، دار ابن كثير، ١٩٨٧.

٢٩- ندوة البحث العلمي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي لناصر الدين الأسد، الواقع والمعوقات والتطلعات، (مجموعة بحوث مقدمة للندوة)



الرياض، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية، ١٢ -١٤ نوفمبر ٢٠٠٠.

٣٠- واقع البحث التربوي ومعوقاته في دولة قطر لمحمد وجيه الصاوي، جامعة قطر، مركز البحوث التربوية، ١٩٩٣.

٣١- وقفة موضوعية مع البحث في التربية الإسلامية، حميدة عبد العزيز عبد الله، ضمن بحوث المؤتمر السنوي لرابطة التربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٩ مجلد ٢.

المراجع الأجنبية:

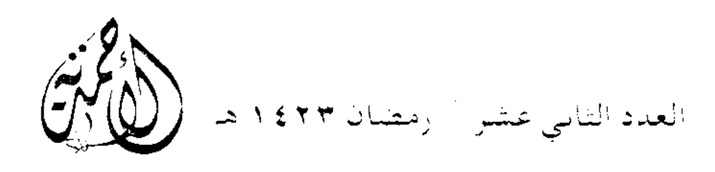
32- Buriak، Philip& Shinn،Glen. Mission، Initiatives، and Obstacles to Research in Agricultural Education، winter 1989، v.30، n4، P 14-23.

33- Lulofs، Roxane Salyer. The Culture of Disbelief: Religious Commitment as a Neglected Variable in Social Sciences Research، Union Press. 1995.

34- Worthington، Everet، Religious Faith across the Life Span: Implications for Counseling and research، Counseling Psychologist، Oct. 1989. V.17،n4، P 555-612.

35- Romainville، Marc. Teaching and Research at University: A Difficult Pairing، Higher Education Management. Jul. 1996. V8،n2، p 135-144.

36 -Ander Bernound. Problems of Social Science Research at smaller، Canadian



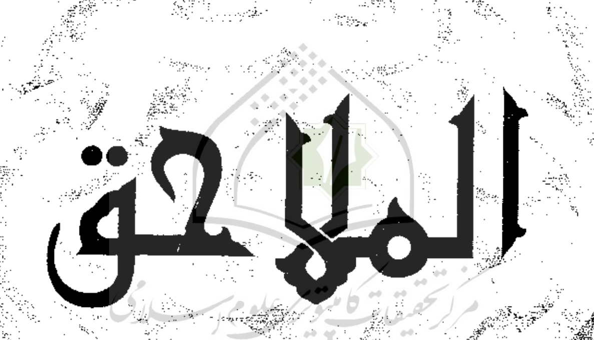
University، Oct.، 1970.

37 -Newtom Smith، The Rationality of Science، London: Routledg & Kegan Paul، 1981، P1-3.

38- Pop Kewitz، T. S. Paradigm and Ideology In Educational Research، London: Falmer Press، 1984، p 20.

***




الملاحق



* وصلتني هديتكم الكريمة من مجلة الأحمدية الغراء الشماء المدلة على ضراتها بالمقالات العلمية المحققة، والحمد لله، أسأل الله تعالى لها الاستمرار ودوام الانتفاع بها، وللقائمين عليها دوام التوفيق وعظيم الأجر من المولى عز وجل، وهو ولي كل خير.

الأستاذ الشيخ محمد عوامة

المدينة المنورة

* يسرني أن أهنئكم بمناسبة صدور العدد الثامن من مجلتكم الميمونة لما تميزت به شكلاً ومظهراً وإخراجاً، ومحتوى ومضموناً ومعنى، خاصة في الافتتاحية «الرجوع عن الخطأ» ذات التوجيه الراشد والمغزى العميق. وأستجيب لدعوة المجلة في إعاشة هذا الخلق النبيل وإشاعته، وأسأله تعالى أن يجعلنا على نهج العلماء الصالحين الصادقين المخلصين.

الأستاذ الدكتور / مجاهد مصطفى بهجت - ماليزيا

* فمن جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في أبوظبي، نهديكم أطيب تمنياتنا وأصدق تحياتنا، ويسرنا أن نهنئكم بالنجاح الذي حققته مجلتكم الغراء، والمكانة المتميزة التي تبوأتها بين الدوريات العربية، مضموناً وإخراجاً ودقة وعمقاً وأصالة وصدقاً.

الدكتور / حمدي الشاعر

مدير مقر جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا - أبوظبي

* يطيب لقسم المكتبات العامة أن يشيد بجهودكم البناءة في سبيل دعم الثقافة. ونحن إذ نشيد بخدماتكم الجليلة نأمل أن يكون التواصل مستمراً بيننا.

محمد جاسم العريدي

رئيس قسم المكتبات العامة - بلدية دبي

* أشكركم أجزل الشكر على تفضلكم بإرسال العدد التاسع من الأحمدية، وقد سعدت بمقالكم الافتتاحي (الأناة والتثبت في البحث العلمي) الذي عرض قضية مهمة تتعلق بما آل إليه البحث العلمي في العصر الحاضر من ضعف، وكثرة في الكم وفقر في

الكيف، وما ذكرته من نصوص تراثية تحض على التروي والتأني والدقة في البحث والدرس يؤكد أن السلف من العلماء والمفكرين كانوا بحق يفقهون مهمة الباحث الذي يحرص أبلغ الحرص على أن يقدم عملاً نافعاً مفيداً يخلد على مر الزمان.

والحقيقة المؤلمة تكمن في العزوف عن قراءة التراث والإفادة منه كما أن ظروف العصر ومشكلاته الاقتصادية والاجتماعية حملت كثيرا من الباحثين والمفكرين على خطف الأفكار، ولا يعنيهم جودة النتاج العلمي بقدر ما يعنيهم العائد المادي منه، وتجلى ذلك بصورة خاصة في الجامعات، وهناك من يتنافسون على التدريس للصفوف التي يكون أعداد الطلاب فيها عدة مئات أو آلاف، وفي نحو شهر يكون الكتاب الجامعي في أيدي هؤلاء الطلاب.

والكتاب الجامعي الذي يكتب في نحو شهر أو شهرين والذي يُقْصَر توزيعه على الطلاب لا يعرف غالباً المنهج العلمي الذي ينظم التفكير، ويرشد إلى الابداع، ويحول دون السطحية والتكرار.

ومن العوامل التي تشجع على عدم الاكتراث بجودة ودقة العمل العلمي غيابُ النقد الموضوعي. ويضاف إلى هذا أن الدولة على مستوى العالم الإسلامي لا تنفق على البحث العلمي كما ينبغي أن يكون، ولا تمنح النابهين والراسخين من الباحثين تفرغاً مدى الحياة يكفل لهم الحياة الكريمة.

إن القضية خطيرة ومهمة وتحتاج إلى لقاء علمي لدراسة الموضوع دراسة شاملة ووضع الضوابط لسيادة المنهج العلمي في التفكير، وفي كل شؤون الحياة.

الأستاذ الدكتور / محمد الدسوقي
الدوحة - جامعة قطر

* مجلة الأحمدية تعد بحق من المجلات الرائدة والمتفردة ببحوثها القيمة، وتوجهها الهادف.

عبد الله محمد الدباغ - الأمين العام لجمعية قطر الخيرية - الدوحة

* أبعث إليكم تحياتي وإعجابي بمجلتكم الأحمدية، وأرجو إفادتي عن كيفية الحصول على الأعداد السابقة منها.

السيد / جاسم عباس أشكناني - جريدة القبس الكويتية



* في إطار الاستفادة من المواضيع والمادة العلمية التي تتضمنها صفحات مجلتكم، يسرنا طلب الحصول عليها.

جمعية النهضة النسائية – دبي

* اطلعنا على بعض أعداد مجلتكم الصاعدة، وأعجبنا بما ضمت من موضوعات ودراسات تغري القارئ بقراءتها، والارتواء من منافعها.

الأستاذ / محمد حسين بطي

سكرتير مجلة الهداية – البحرين

* اطلعت على مجلتكم الغراء، وأعجبت بذلك الإخراج الجيد، والطباعة الأنيقة، والموضوعات القيمة، وإنه ليسعدني أن أهنئكم بهذا الجهد الرائع.

الأستاذ الدكتور / علي بن عبد العزيز العميريني

جامعة الملك سعود – الرياض

* اطلعت على مجلتكم الغراء الأحمدية، فسررت أيما سرور لما تنشره من الأبحاث المفيدة، ولنا رغبة بترجمة بعض موضوعاتها إلى اللغة الماليزية ليعم نفعها في أوساط الشباب المسلم في ماليزيا.

السيد / محمد سفيان الحاج إسماعيل – ماليزيا

* يسعدني أن أتوجه إليكم بهذا الطلب راجياً الحصول على مجلة الأحمدية التي علمت بصدورها من طرف رئيس المجلس العلمي بطنجة، فقد أعجبت بمقالاتها ودراساتها، وأتمنى أن أساهم فيها ببعض الدراسات التراثية (المغربية الأندلسية).

الدكتور / محمد القاضي – طنجة – المغرب

* تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية إليكم بأطيب تمنياتها، وتأمل مساعدتها

في الحصول على الأعداد الناقصة لديها من مجلة الأحمدية وذلك لأهميتها لطلاب الدراسات العليا في كليتنا.

توفيق حوري - رئيس مجلس الأمناء - بيروت

* نشكركم على إخراجكم لمجلة الأحمدية الغراء، وعلى اهتمامكم بنشر البحوث العلمية المدروسة بعناية والموثقة. وهذا قد عرفناه لدى تتبعنا إصدارات داركم «دار البحوث»، وندعو الله عز وجل أن يوفقكم في ذلك ويؤجركم عليه إنه سميع قريب.

أخوكم / محمد بن محمود زهرا

دار أطلس للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

* أسأل الله عز وجل أن تكونوا وجميع الأخوة الكرام من حولكم بخير كامل، وتوفيق شامل، وأن يجزيكم خيراً على جهودكم الطيبة التي تبذلونها في سبيل إخراج مجلة الأحمدية المتميزة موضوعاً وشكلاً.

الدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني

كلية الشريعة - جامعة الكويت

* في أيمن طالع الأوقات، وفي أسعد الساعات تلقيت بيد المسرة وبيد الابتهاج مجلتكم الغراء، هذا الإصدار النفيس من مجلة «الأحمدية» التي هي اسم على مسمى، وقد ملأت قلبي سروراً، وفؤادي بهجة وحبوراً، منبئةً بميلاد فجر جديد في تاريخ فكرنا العربي والإسلامي...

والحق أحق أن يقال: إن هذه المجلة النفيسة بلغت غاية الكمال، بتوفيق الله، وذلك بما تميزت به من المنهجية والموضوعية في البحث العلمي، والرصد الأدبي مع التوثيق والتدقيق والوضوح الذي قل له مثيل، وهو أمر يحمد لهذه المجلة الغراء، راجياً من الله أن تكون معيناً للأدباء والباحثين والعلماء في زمن ندر فيه مثل هذه الدوريات العلمية الرصينة والجادة. وفقكم الله وسدد خطاكم ودمتم سالمين.

الدكتور / مروان العطية

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة



كشاف بحوث المجلة
من العدد الأول إلى العدد الثاني عشر
الافتتاحيات

الافتتاحية	كاتبها
افتتاحية العدد الأول (محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م)	أ.د. أحمد محمد نور سيف
افتتاحية العدد الثاني (جمادى الأولى ١٤١٩هـ/أغسطس ١٩٩٨م)	د. قاسم علي سعد
افتتاحية العدد الثالث (محرم ١٤٢٠هـ/أبريل ١٩٩٩م)	أ.د. أحمد محمد نور سيف
افتتاحية العدد الرابع (جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/أغسطس ١٩٩٩م)	د. عبد الحكيم الأنيس
افتتاحية العدد الخامس (محرم ١٤٢١هـ/أبريل ٢٠٠٠م)	د. عبد الحكيم الأنيس
افتتاحية العدد السادس (جمادى الأولى ١٤٢١هـ/أغسطس ٢٠٠٠م)	د. عبد الحكيم الأنيس
افتتاحية العدد السابع (محرم ١٤٢٢هـ/ مارس ٢٠٠١م)	أ.د. أحمد محمد نور سيف
افتتاحية العدد الثامن (جمادى الأولى ١٤٢٢هـ/ يوليو ٢٠٠١م)	د. عبد الحكيم الأنيس
افتتاحية العدد التاسع (رمضان ١٤٢٢هـ/ نوفمبر ٢٠٠١م) "الأناة والتثبت في البحث العلمي"	د. عبد الحكيم الأنيس
افتتاحية العدد العاشر (محرم ١٤٢٣هـ/ مارس ٢٠٠٢م)	أ.د. أحمد محمد نور سيف
افتتاحية العدد الحادي عشر (جمادى الأولى ١٤٢٣هـ/يوليو ٢٠٠٢م) "مع خير جليس"	د. عبد الحكيم الأنيس
افتتاحية العدد الثاني عشر (رمضان ١٤٢٣هـ/نوفمبر ٢٠٠٢م) " صلة الأمة بالله "	د. عبد الحكيم الأنيس



م	البحث	الباحث	العدد	الصفحة
١	﴿ قل هذه سبيلي ... ﴾ : تدبر وتحليل	د. طه ياسين ناصر الخطيب	٨	١٥-٦٠
٢	الإبداع العربي القديم في الصناعة المعجمية ؛ دراسة في ضوء اتجاه الحقول الدلالية المعاصرة	أ.د. صبيح التميمي	١١	٢٧٧-٣٣٦
٣	الأثر العظيم للقاء الرسول الكريم	د. صالح أحمد رضا	١١	٧١-١٣٠
٤	إجازة المجهول والمعدوم وتعليقها بشرط للخطيب البغدادي	تحـ : د. صالح يوسف معتوق	٦	٩١-١٣٤
٥	أحكام الحضانة في الإسلام سياج لحماية الطفولة	أ.د. فاروق حمادة	٣	٢٢٣-٢٥٩
٦	أحكام رعاية الطفل اللقيط في الشريعة الإسلامية	أ.د. أمين عبد المعبود زغلول	٦	١٣٥-١٩٨
٧	الأدب الإقليمي في الأندلس : منطلقه ، غاياته ، أعلامه	د. عبد الله علي ثقفان	٦	٢٩٣-٣٢٤
٨	آراء أعضاء هيئة التدريس بكليات الشريعة وأقسام الدراسات الإسلامية بدول مجلس التعاون الخليجي حول معوقات البحث في العلوم الإسلامية : دراسة ميدانية	د. عبد الرزاق الشايجي د. عبد الله المعتوق د. شافي الهاجري	١٢	٢٩٩-٣٦٤
٩	الأرقام العربية تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها (القسم الأول)	د. قاسم علي سعد	٢	٢٤٥-٣٠٩
١٠	الأرقام العربية تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها (القسم الثاني)	د. قاسم علي سعد	٣	٢٦١-٣٠٥



١١	الازدواج الوظيفي لمكونات التراكيب العربية	د. أحمد شيخ عبد السلام	١٠	١٩٧-٢٣٦
١٢	أسانيد كتاب عمرو بن حزم؛ دراسة نقدية	د. عبد الله بن سعاف اللحياني	٧	٤٧-١٠٨
١٣	أسس البحث العلمي الإسلامي	د. جاسم الفارس	١٠	٣٠٥-٣٢٦
١٤	الأسهم وحكمها الشرعي	د. الطيب محمد حامد التكينة	٢	١٦٥-٢١٧
١٥	أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية	د. عبد الحكيم الأنيس	١١	١٥-٧٠
١٦	إعادة تأهيل العلوم الإنسانية تأهيلاً إسلاميا	أ.د. سعد الدين السيد صالح	١٠	٢٨١-٣٠٤
١٧	الإعلام بحكم عيسى عليه السلام للإمام السيوطي	تحـ : د. سعيد القزقي	١٢	٥٩-١٢٨
١٨	الإمام أبو عمرو الداني وكتابه "التيسير"	د. حسن ضياء الدين عتر	٢	١١-٦٧
١٩	الإمام المحدث محمد بن زكريا الكاندهلوي وآثاره في علم الحديث الشريف	د. ولي الدين الندوي	٧	١٠٩-١٧٢
٢٠	الإنباء في تجويد القرآن لابن الطَّحان السُّماتي	تحـ : أ.د. حاتم صالح الضامن	٤	٤٩-٧٢
٢١	انقطاع الاجتهاد واستمراره بين المنكرين والمثبتين	محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ	٢	٦٩-١٠٣
٢٢	الأنواع والمصطلحات الحديثية التي تتداخل مع الحديث المقلوب	د. محمد بن عمر بازمول	٩	١٥-٧٦



٢٣	الأهمية السياسية العسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١٠-١٠٣٠م)	د. نهلة شهاب أحمد	١١	٢٨٠-٣٣٧
٢٤	البصرة ودورها في نشأة علم الكلام	أ.د. محمد رمضان عبد الله	٦	٢٥٢-١٩٩
٢٥	بيان مناسبات تراجم صحيح البخاري بين الزين ابن المنير وابن رشيد السبتي	د. محمد بن زين العابدين رستم	٨	١٥٢-٨٧
٢٦	تأملات في سورة الرحمن	أ.د. أحمد حسن فرحات	٣	٥٢-١١
٢٧	التعليق على النص في التراث العلمي: الكيفية والضرورة	أ. مصطفى يعقوب عبد النبي	١٢	٢٩٨-٢٦٥
٢٨	تكريم الإنسان في النظام التربوي في القرآن	أ.د. عدنان محمد زرزور	٢	٢٤٣-٢١٩
٢٩	جزء من حديث وفوائد الخليلي تحقيقاً وتخريجاً (القسم الأول)	د.محمد إسحاق محمد إبراهيم	٣	٩٢-٥٣
٣٠	جزء من حديث وفوائد الخليلي تحقيقاً وتخريجاً (القسم الثاني)	د.محمد إسحاق محمد إبراهيم	٤	١٥٢-١١٣
٣١	حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية للمشاكل الزوجية؛ دراسة حديثية	د. عبد السميع الأنيس	١٠	١٤٦-٨٣
٣٢	حادثة التخيير في إطار المعالجة النبوية لمشكلات الحياة الزوجية؛ دراسة حديثية	د. عبد السميع الأنيس	١٢	٥٨-١٧



٣٣	حديث الآحاد الصحيح بين العلم القاطع والظن الراجح	د. محمود أحمد الزين	٣	١٣٣-١٧٠
٣٤	حروف الجر وتعلقها	أ.د. خليل إبراهيم السامرائي	٧	٢٩٣-٣٤٠
٣٥	حقيقة المحضر المأخوذ بالأندلس ضد الحافظ السبتي أبي الخطاب ابن دحية	د. إبراهيم بن الصدّيق الغماري	٤	١٥٣-١٧٦
٣٦	حكم نقل الأعضاء في الفقه الإسلامي	أ.د. أحمد عبد الكريم سلامة	٧	٢٣١-٢٧٠
٣٧	حماية البيئة في الفقه الإسلامي	أ.د. أحمد عبد الكريم سلامة	١	٢٦٧-٣٢٣
٣٨	خلط الوديعة وضمانها	د. ياسين بن ناصر الخطيب	١	٢١٩-٢٦٦
٣٩	رسالة الاقتصاد الإسلامي للنورسي ؛ دراسة تحليلية من وجهة نظر الفكر الاقتصادي الإسلامي	د. عبد الستار إبراهيم الهيتي	٩	٧٧-١١٢
٤٠	شخصية عبد المؤمن بن علي من خلال نقوده	د. صالح يوسف بن قربة	٩	٢٨٣-٣٢٣
٤١	شروح كتاب " الدر المختار شرح تنوير الأبصار " في فقه المذهب الحنفي ؛ دراسة موضوعية فقهية	د. سائد بكداش	١٢	١٢٩-١٩٠
٤٢	شيوخ الإمام البخاري في غير الجامع الصحيح	أ.د. عامر حسن صبري	١	٥٣-١٠١
٤٣	الصورة الفنية في الشعر العربي خلال العهد العثماني	د. زينب محمد صبري بيره جكلي	٩	٢٠١-٢٤٨
٤٤	ضوابط ارتفاع التحريم الواقع بالطلاق الثلاث	د. السيد حافظ السخاوي	٣	١٧١-٢٢٢



٤٥	طبيعة الملك في الفكر السياسي لابن الأزرق	د. زينب عفيفي شاكر	٥	٢١٣-٢٧٩
٤٦	الطلقات التي يملكها من نكح مبانته	د. علي محمد الأخضر العربي	٨	٢١١-٢٦٠
٤٧	ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي	د. زينب محمد صبري بيره جكلي	١	٣٤٩-٣٨٠
٤٨	عجالة ذوي الانتباه في تحقيق إعراب لا إله إلا الله للكوراني	تحـ : محمد بن محمود فجال	٥	١٧١-٢١٢
٤٩	العرف : حقيقته وحجيته	أ.د. حسن أحمد مرعي	٥	٤٧-٩٨
٥٠	فصول غير منشورة لابن بري النحوي (ت : ٥٨٢هـ)	تحـ: أ.د. حاتم صالح الضامن	٧	٢٧١-٢٩٢
٥١	فطرية معرفة الله تعالى	د. أحمد معاذ علوان حقي	٤	١١-٤٨
٥٢	فكرة التحسين والتقبيح العقليين : حقيقتها وأثرها على البعد المقاصدي	د. صالح قادر الزنكي	٩	١١٣-١٥٨
٥٣	في سبيل تأصيل مناهج المحدثين	د. صالح أحمد رضا	٨	١٥٣-٢١٠
٥٤	القياس في أصول الفقه : حقيقته وحكمه	أ.د. حسن أحمد مرعي	١	١٠٣-١٤٦
٥٥	القيم الإسلامية في العمران بين التراث والحاجة إلى التجديد	د. مصطفى بن حموش	١٢	١٩١-٢٣٢
٥٦	القيمة المعنوية لتغيير الحركة في آخر الكلمة	د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي	٦	٢٥٣-٢٩٢
٥٧	الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ﴾ لمرعي ابن يوسف الكرمي	تحـ : د. عبد الحكيم الأنيس	٦	١٥-٩٠



٥٨	اللغة والمناسبات العقلية	أ.د. عدنان محمد سلمان	٩	١٥٩-٢٠٠
٥٩	لفظتا " عاقر " و " عقيم " ودلالتهما اللغوية في القرآن الكريم	د. عبد الرحمن بن حسن عارف	٨	٦١-٨٦
٦٠	المتعة الواجبة بين الشريعة الإسلامية وقانون الأحوال الشخصية المصري	أ.د. إبراهيم عبد الله الخولي	٥	٩٩-١٣٤
٦١	المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي	د. عبد الله بن عويقل السلمي	٤	٢٤٥-٢٧٣
٦٢	محل وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة	د. صلاح الدين بن أحمد الإدلبي	٣	٩٣-١٣٢
٦٣	مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للإمام جلال الدين السيوطي	تحـ: د. محمد يوسف الشربجي	٤	٧٣-١١٢
٦٤	مشكلة الاطلاع والتكشف في مدننا المعاصرة من المنظور الفقهي المالكي	د. مصطفى أحمد بن حموش	٧	١٧٣-٢٣٠
٦٥	مشكلة الزيادة لحروف المعاني	أ.د. فخر الدين قباوة	١٠	١٤٧-١٩٦
٦٦	مشيخة الإمام عمر بن محمد السهروردي (ت : ٦٣٢هـ)	تحـ: أ.د. عامر حسن صبري	١٠	١٥-٨٢
٦٧	مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية	د. نايف حامد همّام الشريف	٤	٢١٣-٢٤٤
٦٨	مقاربة لأبعاد التخريب المغولي في بغداد (٦٥٦هـ ١٢٥٨م)	أ.د. عماد الدين خليل	٩	٢٤٩-٢٨٢
٦٩	المقاصد السياسية والشرعية في مفهوم الإمامة عند الباقلاني	د. نزار النعيمي	١٢	٢٣٣-٢٦٤



٧٠	من حديث عيسى بن سالم الشاشي (ت : ٢٣٢هـ)	تحـ : د. عبد العزيز شاكر الكبيسي	١١	١٩١-٢٧١
٧١	من سؤالات أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل	تحـ : أ.د. عامر حسن صبري	٧	١١-٤٦
٧٢	من معالم العمران الإسلامي : قرابة النسب وقرب المكان	د. مصطفى أحمد بن حموش	٢	٣١١-٣٣٦
٧٣	مناهج المحدثين : حدودها وغاياتها ومصادرها	أ.د. نور الدين عتر	٥	١٥-٤٦
٧٤	منهج الإمامين يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي في الرواية عن المحدثين الضعفاء	أ. حسن مظفر الرزو	١١	١٣١-١٩٠
٧٥	منهج القرآن في مكافحة الإشاعة	د. محمد عياش الكبيسي	٥	١٣٥-١٧٠
٧٦	منهج كتابة الفقه المالكي بين التجريد والتدليل (القسم الأول)	د. بدوي عبد الصمد الطاهر	١	١٤٧-٢١٨
٧٧	منهج كتابة الفقه المالكي بين التجريد والتدليل (القسم الثاني)	د. بدوي عبد الصمد الطاهر	٢	١٠٥-١٦٤
٧٨	مواضع استعمال حروف الجر مع الفعل "أرسل" في القرآن الكريم	أ.د. محمود بن يوسف فجال	١	٣٢٥-٣٤٧
٧٩	موقف المبرد من الضرورة الشعرية	د. حازم سعيد يونس البياتي	١٠	٢٣٧-٢٨٠
٨٠	نزهة الأحداق في علم الاشتقاق للشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ)	تحـ : د. بن عيسى با طاهر	٨	٢٦١-٣١٠
٨١	النصر في القرآن : الأسباب والمعوقات	د. عيادة بن أيوب الكبيسي	١	١٣-٥٢
٨٢	النصوص الشعرية المنسوبة إلى الشافعي وغيره	تخريج وتوثيق : أ.د. مجاهد مصطفى بهجت	٨	٣١١-٣٦٠
٨٣	الهيئات المستحدثة في العبادة : دراسة فقهية مقارنة	د. عبد السميع محمد الأنيس	٤	١٧٧-٢١٢



إصدارات دار البحوث

١ ـ سلسلة الدراسات القرآنية:

١ـ أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم.

الدكتور عيادة بن أيوب الكبيسي، ط ٣ (١٤٢٢ – ٢٠٠١)

٢ـ تفسير سورة الناس للبرهان النسفي (ت: ٦٨٧هـ)

تحقيق الدكتور عيادة الكبيسي، ط١ (١٤٢٢– ٢٠٠١)

٣ـ الفتح القدسي في آية الكرسي للبرهان البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)

تحقيق الدكتور عبدالحكيم الأنيس، ط١ (١٤٢٢– ٢٠٠١)

٢ ـ سلسلة الدراسات الحديثية:

١ـ الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة.

الدكتور عيادة الكبيسي،ط٣ (١٤٢٢– ٢٠٠١)

٢ـ الإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف.

الدكتور بدوي عبدالصمد،ط٢ (١٤٢٢– ٢٠٠١)

٣ـ التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف.

أ.محمود سعيد ممدوح، ط١ (١٤٢٢– ٢٠٠١)

٤ـ منهج النسائي في الجرح والتعديل وجمع أقواله في الرجال.

الدكتور قاسم علي سعد، ط١ (١٤٢٢– ٢٠٠١)

٥ ـ التعقيب اللطيف والانتصار لكتاب التعريف.

أ.محمود سعيد ممدوح، ط١(١٤٢٣–٢٠٠٢)

٣ ـ سلسلة الدراسات الأصولية:

١ ـ المسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة توثيقاً ودراسة.

الدكتور محمد المدني بوساق، ط١ (١٤٢١– ٢٠٠٠)

٢ـ خبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة دراسة وتطبيقاً.



الدكتور حسان بن محمد حسن فلمبان، ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)

٣- عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين.

الدكتور أحمد محمد نور سيف، ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)

٤- اصطلاح المذهب عند المالكية.

الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي، ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)

٥- تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول للرهوني.

تحقيق الدكتور الهادي بن حسين شبيلي والدكتور يوسف الأخضر القيم، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٦- لباب المحصول في علم الأصول للحسين بن رشيق المالكي.

تحقيق محمد غزالي عمر جابي، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٧- منهج كتابة الفقه المالكي بين التجريد والتدليل.

الدكتور بدوي عبدالصمد ،ط١ (١٤٢٣- ٢٠٠٢)

٤ ـ سلسلة الدراسات الفقهية:

١- التهذيب (في اختصار المدونة) لأبي سعيد البراذعي.

تحقيق الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم،ط١ (١٤٢٠- ١٩٩٩)

٢- الوسوسة: أسبابها وعلاجها.

الدكتور عيادة الكبيسي، ط٢ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٣- لباس التقوى والتحديات المعاصرة للمرأة المسلمة.

الدكتور عيادة الكبيسي ،ط٢ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٤- أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات المالية.

الدكتور سلطان الهاشمي، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠٢)

٥- فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (٩٥٦- ١٢٤٦ = ١٥٤٩- ١٨٥٠)

الدكتور مصطفى أحمد بن حموش، ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)

٦ـ باب الزكاة من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك مع التهذيب والتدليل والتعليل.

إعداد الدكتور بدوي عبدالصمد ومحمد العربي بوضياف، ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)

٧ـ الجناية على الأطراف في الفقه الإسلامي.

الدكتور نجم عبدالله العيساوي، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٨ـ الإفادة في حكم السيادة.

الدكتور زين العابدين العبيد محمد، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٥ ـ سلسلة دراسات اللغة العربية:

١ـ فيض نشر الإنشراح من روض طي الاقتراح لأبي عبدالله محمد بن الطيب الفاسي.

تحقيق الدكتور محمود فجال، ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)

٦ ـ سلسلة دراسات السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

١ـ سلوة الكئيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي.

تحقيق الدكتور صالح معتوق، ط٢ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٧ ـ سلسلة الثقافة الإسلامية:

١ـ عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع.

الدكتور نور الدين عتر، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٢ـ الشورى في ضوء القرآن والسنة.

الدكتور حسن ضياء الدين عتر، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٣ـ قوامة الرجل وخروج المرأة إلى العمل.

الدكتور محمد سعد عبدالرحمن، ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)

٤ ـ الأرقام العربية: تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها.

الدكتور قاسم علي سعد، ط١ (١٤٢٣- ٢٠٠٢)

٨ ـ سلسلة التربية الإسلامية:

١ـ من أدب المحدثين في التربية والتعليم.

الدكتور أحمد محمد نورسيف، ط٢ (١٤١٨ - ١٩٩٨)

٩ ـ سلسلة دراسات الاقتصاد الإسلامي:

١ـ الحاجات البشرية (مدخل إلى النظرية الاقتصادية الإسلامية).

أ. محمد البشير فرحان مرعي، ط١ (١٤٢٢ - ٢٠٠١)

١٠ ـ سلسلة الرسائل:

١ـ موضع القدمين من المصلي في الصلاة.

الدكتور أحمد محمد نور سيف، ط٢ (١٤٢٠ - ١٩٩٩)

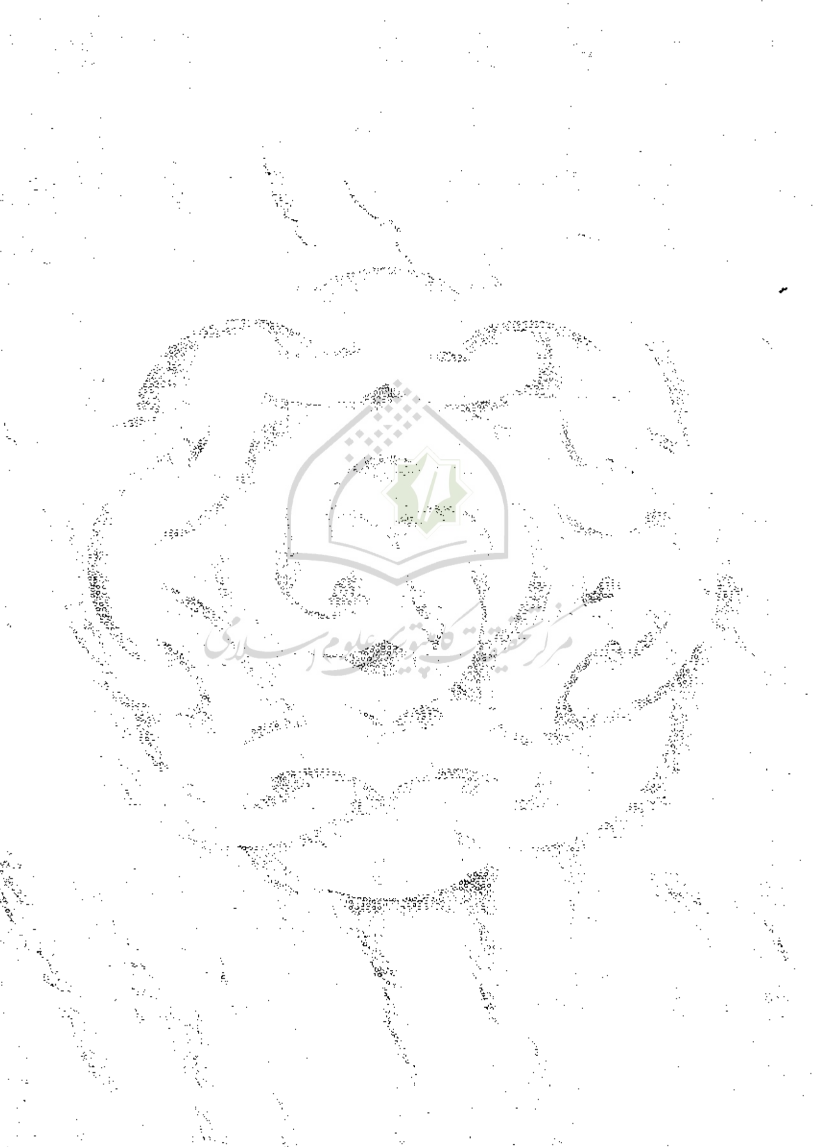
٢ـ تيسير البيان عن إعجاز القرآن.

الدكتور محمود الزين، ط١ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢)

٣ - فقه السلف في صلاة التراويح.

الدكتور محمود الزين، ط١ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢م)





What hinders Islamic research in AGCC countries: Views of teachers

Chief Researcher
(Dr. Abdulrazzaq al-shaeji (1
Participating Researchers
(Dr. Abdullah al-Matooq(2
(Dr. Shafi al-Hajer (3

Resumé

Academic research in the Arabian Gulf Co-operation Council (AGCC) countries has not received the attention commensurate with its importance. To do so naturally requires discovering the factors governing academic research, especially the research in the field of shariah, factors that prevent shariah research from realizing its goal and attaining those things that contribute to its development

This study is an attempt to show what obstacles, in the opinions of teachers of shariah in AGCC countries, stand in the way of research in shariah sciences. For this, a questionnaire was prepared to elicit opinions of staff teachers in AGCC countries covering all departments of shariah, Islamic jurisprudence, dogmatic theology, Qur'aanic exegesis, principles of Islamic Jurisprudence. The samples taken numbered 147, covering staff teachers, all levels of studies, number of researches undertaken, computer skills, etc. This field study, in which proper statistical methods were used, yielded several, useful results and recommendations

1. Asst. Director of Academic Research, College of shariah and Islamic studies, Kuwait University, obtained doctorate in Hadeeth from al-Azhar University (1992 CE).

2. Head, Dept. of Islamic studies, College of Basic Training, Kuwait obtained doctorate in Comparative Jurisprudence, Glasgow University, UK (1996 CE)

3.Teacher, College of Shariah and Law, Qatar University. Obtained doctorate in Islamic Jurisprudence, Umm Darman University (1999 CE)

Scientific Writings of Ancient Arabs

Commentaries on
Prof. Mustafa yaqoob Abdunnabi*

Resumé

The research stresses the need for undertaking scientific study and research and writing comments and remarks on the scientific writings of Arabs which form a part of the rich Arab heritage. Without such scientific research and study, the rich Arab heritage cannot become a part of international human history but rather remain as mere manuscripts incomprehensible to the mankind at large save a few specialists.

A study of this kind should be three-dimensional.

1Scientific names should be found for concrete nouns relating to vegetation, animals and minerals, etc through literal exposition or by inference from the context.

2.The scientific terms found in the Arab heritage should be interpreted in the light of the modern scientific data with reference to the compilations and books inherited, relating to the same subject and dealing specially with those very terminologies, in addition to the researcher's own experience.

3.Scientific phrases found in the texts should be explained in a way that suits modern sciences, by specialists in that particular branch of knowledge to which a book or compilation being studied and researched relates.

Senior Researcher at the Egyptian Geological museum. Born al-Munya (1946 CE), got B. Sc (Chemistry and Geology) from Asyut university (1970 CE). Worked as Director of Egyptian Geological Museum, was detailed to teach Science (Minerals and Stones) at College of Archaeology at Cairo and al-Fuyum universities; is Scientific Adviser at Exploration Centre for Development of Sciences, Cairo, and member of Egyptian Geological Society. Author of over ten published research papers on Arab scientific heritage.

Al Baaqlaani's view of Imamate

*Dr. Nazar Mohammad Abdul Qadir alNuaimi

Resumé

This research is a study of the conditions of Abbasid and Fatamid caliphates during the fourth century of the Hijra calendar (the tenth century of the Christian era) and the rivalry of each claiming the right to be the leader (Imam) of the Muslim world.

In order to strengthen their legal right to imamate, each one of the two, the Abbasids and the Fatamids, took to political parallelism whose aim was to derive laws from shariah and the historical precedents in the light of contemporary historical situation and political rivalry.

Al – Baaqlaani, a jurist of the fourth century Hijri, undertook the defence of the Abbasid caliphate against all the hostile currents threatening its existence and raising doubts about its legality since his research discourse embodied in his book

al-tamheed (the Prelude) was the base crystallizing the featuers of a political theory defying all ideas and opinions posing a threat to Abbasid political establishment. The ideas put forth in al – Baalqaani's book were used later as a base by the jurists of the fifth Hijra Century (11th Century CE) in writing an orthodox (sunni) constitutional theory.

* Asst. Prof, Dept of History, College of Training, al-Mosul University. Born al-Mosul, Iraq (1957 CE), got MA in Islamic University from College of Arts, al-Mosul University (1984 CE), doctorate (1994 CE) on his thesis. "Abbasid Caliphate under Buwaihids." Author of many published research works.

Distinetive Characteristies of Islamic architeeture

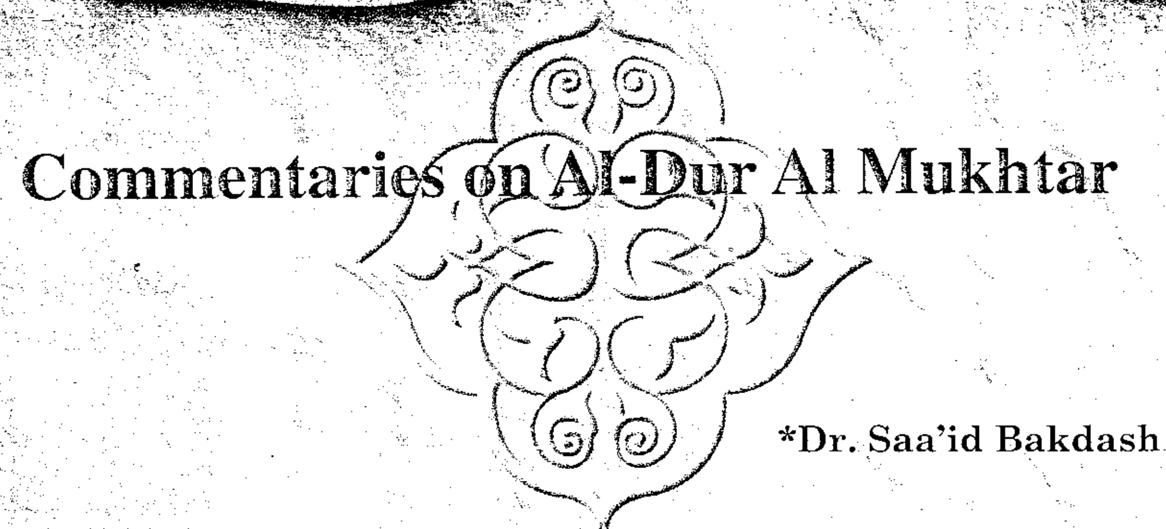
Dr. Mustafa bin Hamosh*

Resumé

Islamic architecture reflects Islamic values and Islamic rules regulating a Muslim's individual and social life. This research explores those values and traces their influence on Muslim town planning. These values can be classified into three categories: religious, human and environmental. Religious values are those that relate to a Muslim's obedience to God and his submission to the divine commandments; human values are those that revolve round man's relations with his fellow human beings beginning from his kinsmen, his neighbours and, finally, his people; and, last of all, the environmental values that regulate his behaviour with nature and the things surrounding him.

These values are constants in Islamic architecture and reflect in the form and shape of Muslim town, their urban planning and the style of their architecture. These values are constants and shared by all Muslims. The variations of architectural styles in different Muslim countries are only a consequence of the differences of historical time periods and the differences of places. Today, the Muslim towns have lost those values as a result of the influence of the West. Their towns display many a negative feature which they cannot get rid of except by restoring their own values.

* Member of Teaching staff, Dept. of Civil Engineering and Architecture, College of Engineering, Bahrain University. Born Jaya, Algeria (1378 AH / 1958 CE), obtained doctorate from University of Paris (1415 AH / 1994 CE). Has several published books and research papers to his credit.



Commentaries on Al-Dur Al Mukhtar

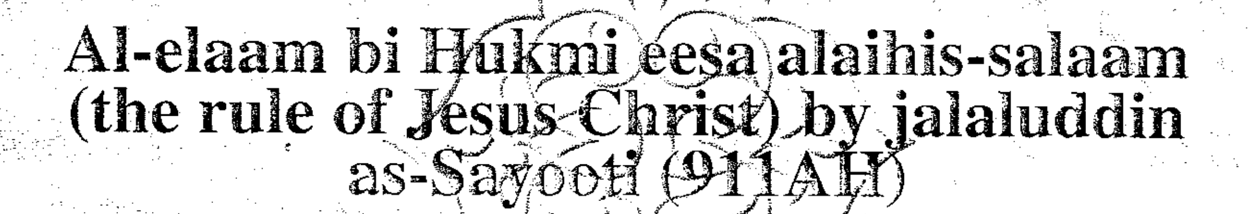
*Dr. Saa'id Bakdash

Resumé

This research article is designed to familiarize the people with the book al durr al makhtar sharh tanweer ul absaar on which the later generation of Hanafite jurists have principally relied upon as well as inform the research scholars about the commentaries on the book numbering twenty-five as well as the biographies of their writers, how many of them have been printed and the places where the manuscripts, if any, can be found, the most famous of the commentaries being those written by al-Tahtaavi and Ibn Abideen.

Later, the research makes a special note of another great commentary entitled tawal al-anwaar, written by Mohammad Aabid al-Sindi al-Ansari (d. 1257AH). It is a rare commentary of encyclopaedic size, giving a lot of attention to argumentation and deduction. It runs into ten thousand sheets which, if printed, may well make sixty volumes

* Participating Professor, Dept. of Islamic Studies, College of Training, al-Malik Abdulazeez University, Medina Branch. Born Aleppo, Syria, (1959 CE), got doctorate in principles of Jurisprudence from College of Shariah, Umm-ul-Qura university (1412 AH / 1992 CE) with the rank of Excellent. Author of several published books and research papers.



Al-elaam bi Hukmi eesa alaihis-salaam (the rule of Jesus Christ) by jalaluddin as-Sayooti (911AH)

Dr. Saeed Aburrahman al-Qazqi

Resumé

n this book as-Sayooti writes of Jesus Christ's return to earth in the Last Days of the world as a just ruler and that he will rule by the law of Prophet Mohammad, advancing proofs from the sunnah. He also elucidates how Jesus will know the commandments of the shariah and that he, while retaining his prophethood, will be counted as the one belonging to the ummah of Mohammad and that he is one of his companions since he met with Prophet Mohammad while alive on the Night of Prophet's ascension to heaven.

As-Sayooti proves that al-Mahdi will precede Jesus, rule justly and fairly according to the laws of Islam, and that Jesus will confirm all the doings of al-Mahdi. He also shows how Jesus will decide cases relating to Auqaf (trust), confirming what is consistent with the shariah and abrogating what is inconsistent therewith.

At the end of the book, al-Sayooti refutes the arguments of those who claim that Gabriel will not descend to the earth after the death of the Prophet, and also refutes the arguments of those who say that he will not receive revelation in the full sense of the word but rather inspiration. He also disproves the claim that Jesus will not say the dawn prayer behind al-Mahdi, giving arguments in support of his contention from the Traditions of the Prophet.

* Participating professor, Hadeeth sciences, College of Shariah and Islamic studies, Sharjah University, Born Doora – al – Khaleel, Palestine (1939 CE), studied at College of Shariah, Damascus university, got BA in shariah (1970 CE), MA in Hadeeth sciences (1976 CE), and doctorate (1980 CE) from College of Usool – uddeen, al – Azhar university. Author of several academic works

Prophet's way of solving conjugal problems

Dr. Abdussamee al-Anees*

Resumé

This research deals with an important event in the prophet's life when he offered his wives a choice between two alternatives: either to live with him in a state of voluntary abstinence and extreme simplicity or (get released from the bond of marriage and) separate from him. This event also reveals how wisely the Prophet, peace on him, dealt with the economic difficulties that any family may face due to the wives' demand for more maintenance allowances. In order to overcome such a problem, the Prophet, peace on him, adopted the method of choice, that is, offering his wives to choose between simple living and separation. This method is, essentially, by its nature, an aspect of shoora (consultation). The research derives fifteen lessons from this wise method of the Prophet, peace on him, and concludes with the following:

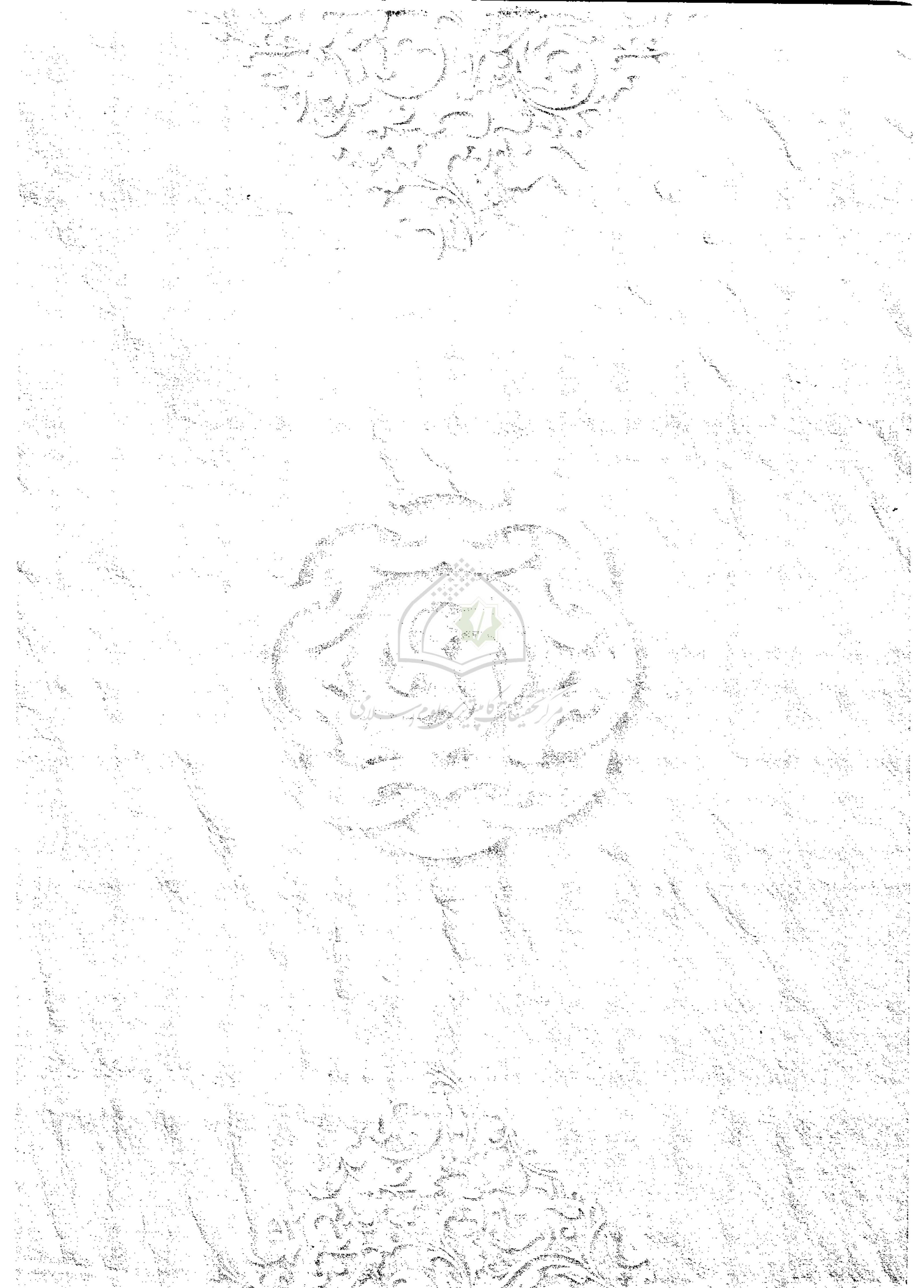
1. The opinion that the wives were offered the choice as a result of their demand for more maintenance allowance carries more weight.

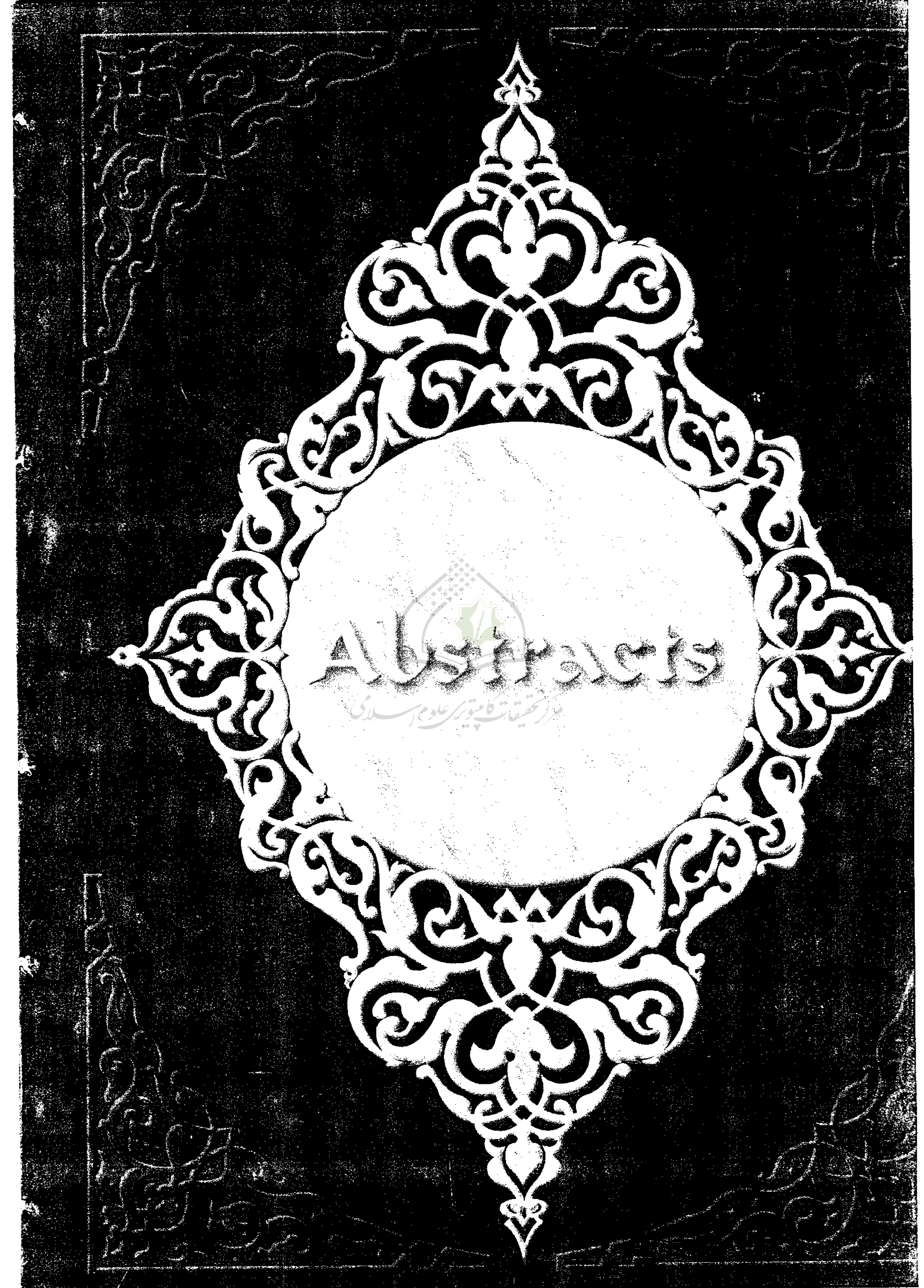
2. This event took place in the ninth year of the Hijra calendar.

3. The Prophet, peace on him, chose to keep silent to overcome the problem. He never used the method of beating to solve it.

4. The researcher's style of writing is contemporary, making it a model for others writing a Prophet's biography.

Teacher, Hadeeth sciences, college of shariah and law, Muscat, Sultanate of Oman. Born 1963 CE, got doctorate in Hadeeth sciences from college of Islamic sciences, Bagdad university (1995 CE) with distinction on his thesis, a research study of al fasl lil wasl al mudraj fin naql by al-Khateeb al-Baghdadi. Has published several research articles.




Abstracts

forehead on the ground), his tears, rolling down his gray hair and his prayer – rug. I did not hear his words. Hardly had the day passed when the officer in charge of the vanguard, Izzuddin Jardeek, sent a missive saying that the Europeans were comfounded, their armies went into the desert, stayed there till noon, and returned to their camps. On Saturday another message came, informing the king of the same thing. By noon a spy informed the king that the Europeans were disagreed among themselves. The French held that the siege of Jerusalem was inevitable while Richard, king of England, and his followers maintained that he could not jeopardize the Christian faith by throwing his men into this mountain where there was no water because king Salahuddin had polluted all the waters around Jerusalem. The message went on to say: they have gone out for consultation which they usually do on horseback. They have elected ten referees from amongst them and that their opinion is binding.

By Monday morning the news came that the Europeans had marched off to Ramlah. That is what I saw with my own eyes : his supplication to Allah and its unfailing effect.

Finally, let me say that when a thing is destined by Allah, the means to realize it come on their own, there being no need to waste time and effort. Al-Baheeqi in shob-al-eemaan narrates the story of Safwaan bin Moharraz (d.74 AH), a tabe'ee, who was thrown into prison by Prince Abdullah Bin Ziad. Safwaan asked every notable for help in vain. One day he fell asleep on his prayer – rug and heard someone saying to him in his dream : get up, Safwaan, and ask for help the right way. He woke up in fright, performed the ablution, said a prayer and made a supplication. Lo, he heard a knock at the door. 'Who is it this late hour of the night'? A voice said : I am so and so. The Prince got up in the night and asked for lamp and guardsmen. The prison doors were flung open and an announcement was made : Where is my nephew, Safwaan bin Muharraz. Bring him out. I have been unable to get to sleep the whole night.

How finely this truth was penned by Ibraheem al-Soli (243 AH):
Many a calamity befalls a young man; he feels oppressed; with Allah is the escape route; But when links get strengthened, they break loose; though, until then, he thought there was no way out.

Another poet said:
When a matter weighs, me down, I pray to Allah,
Lo it begins to relax, many a youth knows not reason thereof, yet his prayers to Allah lead them out.

Dr. Abdulhakeem al-Anees
Editor

Salahuddin al-Ayyubi (d. 589AH) was known for his constant supplication to Allah in hours of trial and peril. Ibn shaddaad, one of his judges, writes in his book al-nawaadir al-sultaania wal mahaasin al-yusufia : he always turned to Allah and relied upon Him. When the Europeans came to Bait Noba, the king was in Jerusalem not far from that place. The king put up his vanguard around the enemy and sent spies who came back and informed him that the enemy was determined to invade Jerusalem and besiege it. This frightened the Muslims. So Salahuddin summoned his chiefs, told them of the hardships of Muslims, and counselled them to stay on in Jerusalem. But they put up a pretence of affection for him and insisted that he had better go out of Jerusalem for the sake of Islam and that they would rather stay on in the city in his place along with an army detachment to confront the enemy. The council dispersed but the king remained adamant, saying that he would remain in Jerusalem because he knew that if he himself did not stay in the city, nobody would remain there. When the chiefs had left, someone came from their side to tell the king that they would not stay in Jerusalem unless the king or one of his sons also stayed there because they needed a sovereign to take orders from. So the king, who took this as a hint of their unwillingness to stay in Jerusalem, became very much depressed and worried.

I remained by his side, keeping awake the whole night, discussing matters and making arrangements for the battle. It was winter and there was nobody else except the two of us. I was filled with affection, tinged with fear, for him because he suffered from dryness. So I requested him to lie down in bed for a while. To this he replied : perhaps you feel sleepy. Then he rose up.

I had hardly reached home when the call for dawn prayer was made. We used to say the dawn prayer together very often. So when I went back to him, I saw him pouring water over his limbs. He told me he could not get to sleep. I told him I knew that already. 'How', he asked. I answered : I did'nt sleep either. There was no time left for sleep. We said the prayer and sat for a while as was our wont. Then I said to the king : I have an idea and I hope it will prove to be very useful, Allah willing. He inquired: what's that? I replied : supplication to Allah. He will remove the anxiety and lift the gloom. He asked : what shall I do ? I answered ; Today is Friday. My lord shall take a bath, say the prayer as usual at al-Aqsa mosque, the place from where Allah's prophet, peace and blessings on him, went on his night journey to the seventh heaven, secretly give alms through someone whom he trusts, and then say a two unit (rak'a) prayer between aazaan and iqaamah and supplicate to Allah while in a state of prostration (sujood), saying in your heart (O my God, my worldly resources to aid your religion are at end. Nothing remains now except that I turn to Thee, cling to Thy rope, and rely on Thy favour. Thou art sufficient for me. What an excellent guardian and disposer of affairs Thou art !) Allah is generous; He will not disappoint you.

He did all of it. I prayed along with him as usual. He said the two-rak'a prayer between aazaan and iqaamah. I saw him lying prostrate (touching his

those who had come along with him departed to Rome. We went out and found in the houses the Romans had built wheat and barely enough to feed the whole town. So our town thrived again and we were spared the fighting.

Another good example is that narrated by Abu Baker al- Tartooshi in his book siraj-ul-mulook about Nizam-ul-Mulk al-Toosi (d.485 AH), a devout scholar, who was vizier to the Turkish king Abulfat'h, son of Alap Arsalaan. Toosi built institutes of learning, hospices for the devout and hermits and homes for the destitute and the sick. In the whole realm there was not one student, hermit or beggar uncared for. Each was given food rations and clothings. He sanctioned an annual sum of six hundred thousand dinars from the state coffers for this purpose. But calumniators denounced him to the king till he boiled with rage and asked Toosi for an explanation. Thereupon, Toosi said to the king : you are soaked in sensual pleasures, you send more vices to heaven than virtues. Your army is good for nothing. Your soldiers whom you keep to fight in defence of the realm çan hardly protect you with their swords the length of two arms or their bows which cannot shoot targets beyond three arm lengths. They are sunk in wine, music and pleasures. But I have built up an army named the Night Army. When your soldiers sleep, they keep awake, stand before their lord God, worshipping Him, weeping, their hands clasped in prayer for you and your army. Because of them, your soldiers are safe in their camps; because of them and their prayers, you are being blessed with food and rains. Their arrows are their prayers that reach the seventh heaven. When the king heard this, he burst into tears and exclaimed : bravo, I want more of such soldiers.

Ibn-ul-Atheer, the historian, in his book al-kaamil, while recounting the events of the year 558 AH described also by Ibn Khalkan briefly in wafiaat-ul-aayaan, writes : when Noor-ud-Din Zanki (d. 569 AH) laid siege to the fort of Kurds in al-Baqeea, a lot many Europeans pressed hard against the Muslims suddenly, forcing Zanki to flee for his life to Buhaira Qadas, a place near Homs, where he collected money to build up an army and take revenge. Someone of his companions suggested to him to siphon off the money he spend on charities to finance his army. He flew into rage and said : I hope for victory only through those mystics, clerics and reciters of al-Quraan. For the sake of them, Allah helps you.

On the eve of the battle of Haarim (559 AH), says al-Safouri in nuzhat-ul-majaalis, Zanki, before the encounter began with the Europeans, went away from the army, said a two-unit prayer, rolled in dust, and said : "O Allah, support your religion. Do not withhold victory because of Mahamood. Who is Mahmood, the dog ? He is not able to win". Noor-ud-Din won the battle and the Europeans used to say : Zanki won over us only through his supplication and his night-time prayers.

belongs to Almighty Allah alone. Violent sand-storms are blowing over us now. O Allah, To Thee alone we seek refugee; O Allah, the owner of kingdom, might and power, whoso takes Thee as his leader and sovereign, whoso shuns egotism and prostrates himself before Thee, shall never fail nor be disappointed.

The successful in every age realize the importance of communion with God, the value of prayer and divine help. Those who did so in any age and time lived in peace and security. God showered on them His immense blessings. Let us glean from history a few of these examples to renew our faith. Such examples whip up our desire to become like one of them, goading us on like a thirsty, refractory camel rushing towards cool, fresh water.

Ahmad bin Yusuf(d.340 AH), a skillful writer, says in his book, al-mukafaa wa husn-ul-uqba, on the authority of al-Hasan bin Muslim al-Aqreetashi whom he claims to have seen personally. He was one hundred years old then, according to him, and yet despite his long age, was sound of senses. He related to him the following event: the Roman ruler, on whose land we had inflicted damages, vowed to ravage Iqreetash (modern Crete), no matter how much it would cost him. He saw a monk known throughout Rome for his asceticism, got him out of his abode, and put most of his army under him. Then he came down on Iqreetash with a large force and encircled it in a way they never did before. We were afraid and bolted our fort. The Romans disembarked from their ships and began building housing units. They overpowered us and seized all our foodstuffs. The siege they laid to the fort grew stronger day by day, shooting up prices as food became scarcer, till people were forced to eat carcasses of the dead cattle and, finally, decided to open up the gates of the fort. Thereupon, the Sheikh said : I see that you have had no success, neither in times of your strength nor in times of your weakness. You had better take my advice. They asked: alright. What's your advice? He said : stop showing off you are well and secure. Be absolutely sincere and devoted to Allah, like the one who has absolutely no relief except through Allah. Separate your children from your men, and your men from your women. When they had done so, he shouted to them: Let us cry out to Allah for help. So they cried out together like one men. Then the old man wept and so did most of the men along with him. Then he said: cry out again and don't busy yourselves with any thing or any one except Allah. So they cried out still louder than before and wept. He and the other men cried out the third time. The he asked the men to go and look out from fort, saying : I hope, Allah has removed your hardship.

Al-Hasan swore to me and said : I looked out from the fort along with others. I saw that the Romans had destroyed their baggage and climbed up to their sailing vessels. As the door of the fort was opened, they asked some of the enemy's men who had lagged behind about their condition. They replied : the army chief was hale and hearty until today. But when he heard your cry in the town, he placed his hand on his heart and shrieked : oh, my heart, my heart. Then he died and

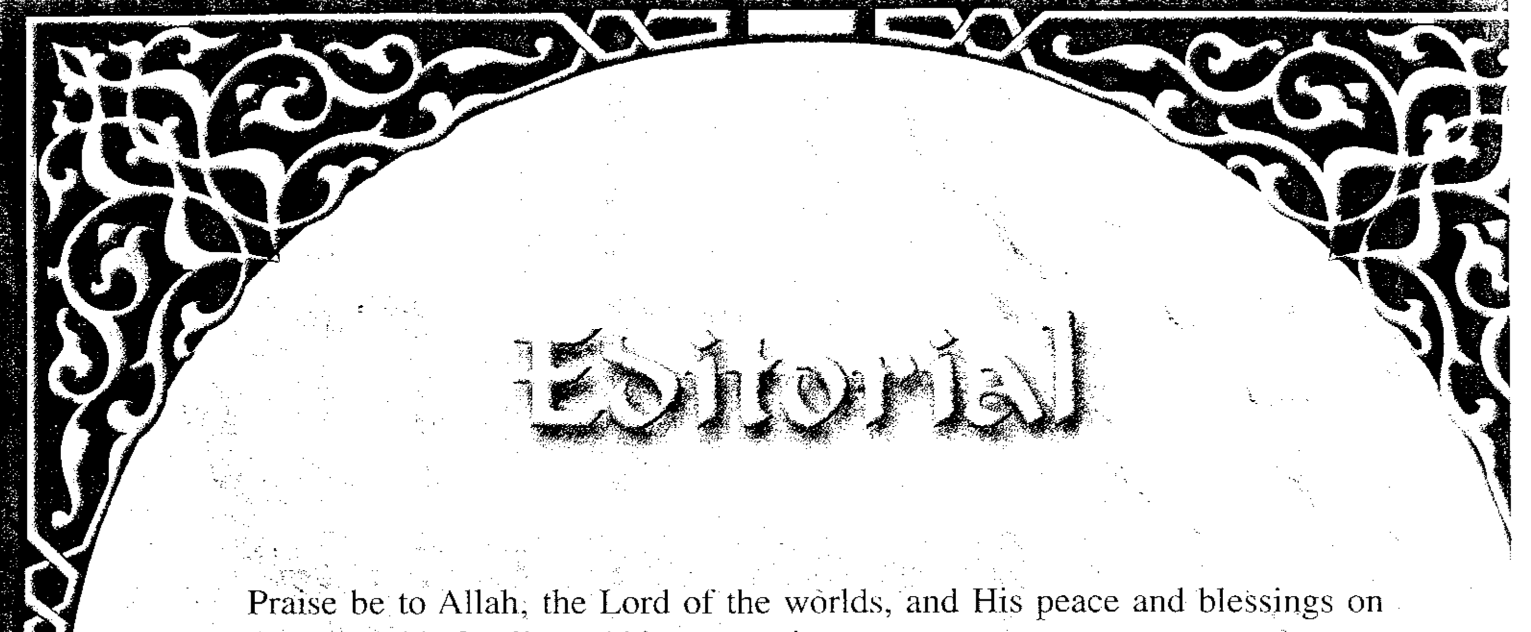
around. In these dismal and melancholy circumstances, we need, more than ever, to hold fast to the rope of Allah, restore and re-inforce our connexion with the Almighty, bend our knees in utter humility and meekness, cry out to Him for help and support most sincerely like a fugitive banished from his land frightened, naked, hungry and thirsty. We should beg Him not to leave us to ourselves or others. To this end, our Prophet, peace and blessings of Allah on him, directed us when he said to his daughter Fatima: (what prevents you from listening to my advice. Say every morning and evening: O the Ever-living, the self-subsisting, I seek Thy mercy, better all my affairs; entrust me not to myself for a moment) and also when he said (Let those in distress pray : O Allah, I hope for thy mercy. So entrust me not to myself for a moment; better my affairs; there is no god beside Thee). The Muslim ummah is surrounded on all sides with hardships which are suffocating, like a noose round neck. Calamities are hammering them from every direction. Where is the refuge for them except in the Subduer, the Powerful, the Almighty Allah !

Trusting in one's own self brings only shame, disgrace and defeat. That is why the Prophet, peace and blessings on him, used to say :(I bear witness that if Thou entrusteth me to my self, Thou entrusteth to weakness, sin and error; I place no trust except in Thy mercy...........) This is the prayer which the Prophet taught Zaid bin Thaabit and told him to take a pledge from his family members to say this prayer every morning.

Putting trust in others is no better than putting trust in oneself. There are enemies who look like friends and there are friends who look like enemies. There is no helper except Allah.

Delicious are the prayers that have come down to us through traditions of the Prophet, peace and blessing of Allah on him. Here is the one which he said while migrating from Mecca to Medina: (Praise be to Allah Who created me from nothing. O Allah, help me against the horror of the world, the calamities of time, and the hardships of days and nights. O Allah, accompany me during my journey; be my substitute for my family; bless my provisions that Thou hast given me; to Thee subdue me; keep me up in noble manners; endear me to (Thee) my Lord; to people do not (ever) entrust me. Thou art the Lord of the Oppressed. Thou art my Lord. I seek the refugee of Thy glorious face that illumines the skies and the earth, dispels darkness and by which the predecessors and the successors thrived, (I seek refugee) from Thy wrath, the cessation of Thy blessings, the suddenness of Thy revenge, the end of well-being and all (kinds of) Thy anger. I refrain from sin and offence as best as I can; there is no power and no strength save in Thee)

Surely, this is the prayer in which the believer, as he says it, bears witness to his utter humbleness to his Lord, that he is absolutely powerless, that all power



Editorial

Praise be to Allah, the Lord of the worlds, and His peace and blessings on Mohammad, his family and his companions.

Ramadhan, the month of fasting in which this issue is being published, softens souls. Every believer who fasts by day and prays by night, humbling himself before Allah, his Lord, feels the softening, refining, purifying effect of Ramadhan.

During Ramadhan, remembrance of Allah feels sweeter still, especially in the late watches of night and also around sunset as the hour to break fast draws closer.

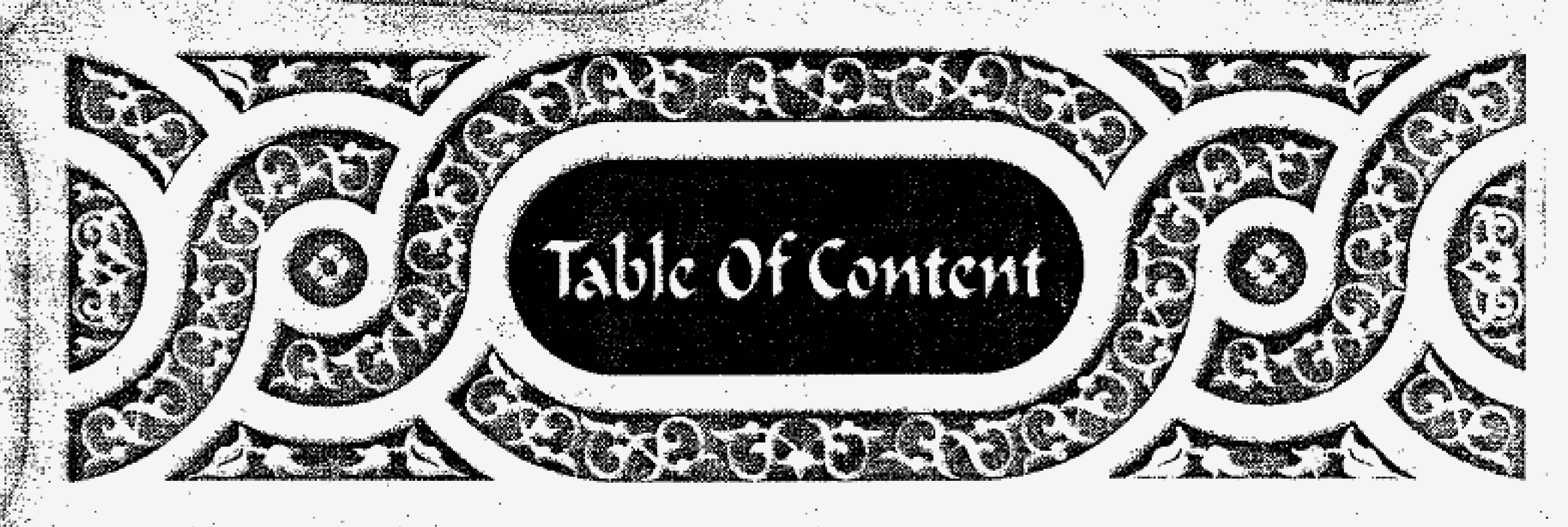
Not without reason did Allah interpose the verse of prayer between the verses relating to fasting: (And when My servants question thee concerning Me, then surely I am nigh. I answer the prayer of the suppliant when he crieth unto Me. So let them trust in Me, in order that they may be led aright.) - The Cow : 186

Allah said "My servants: by attaching us to Himself, Allah has moved our very souls. This attachment arouses in us feelings of intense love for him, stimulates our hearts and awakens in us a longing for Him, the source of peace and security, mercy and forgiveness, liberality and magnanimity, beneficence and charity. He covers up our defects, eases our sufferings, cures our ailments, and realizes our hopes. He gives honour and victory, protection and invincibility.

Today, the ummah, the Muslim community, is beset with calamities. Conspiracies are being hatched against them. They are now being required to throw off the robe Allah has bestowed on them so that they become an easy prey to hunt, their flesh to be devoured, their bones to be crumbled. Enemies are now craving to achieve what they have so far failed to achieve : pull them away from their faith, break loose their bond of religion, their mainstay, the very basis of their existence. The aim is to divide them, split up their lands and then loot their wealth, seize their resources, dust their faces, humiliate them and keep them in captivity for ages.

Violent tempests are blowing over the Muslim world. A gloom hangs all





• **Editorial**
Editor in Chief

• **Prophet's way of solving conjugal problems**
Dr. Abdussamee Al Anees ———— 17 - 58

• **Al-elaam bi Hukmi eesa alaihis-salaam (the rule of Jesus Christ) by jalaluddin as-Sayooti (911AH)**
Dr. Saeed Aburrahman al-Qazaai ———— 59 - 128

• **Commentaries on Al-Dur Al Mukhtar**
Dr. Saa'id Bakdash ———— 129 - 190

• **Distinetive Characteristies of Islamic architeeture**
Dr. Mustafa bin Hamosh ———— 191 - 232

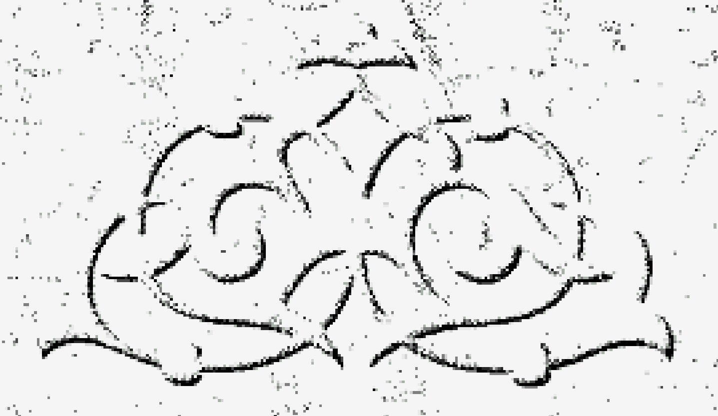
• **Al Baaqlaani's view of Imamate**
Dr. Naser Mohammad Abdul Qadir Al Nuaimi ———— 233 - 264

• **Scientific Writings of Ancient Arabs**
Prof. Mustafa Yaqoob Abdunnabi ———— 265 - 298

• **What hinders Islamic research in AGCC countries: Views of teachers**
Dr. Abdulrazzaq al-shaeji, Dr. Abdullah Al-Matooq, Dr. Shafi Al-Hajeri 299- 364



All correspondence should be addressed To :
Managing editor of AL. Ahmadiyah Journal,
Reseach House For Islamic Studies and Heritage Revival
P. O. Box 25171 Dubai U . A . E
Teleph : 04 - 3456808 . Fax : 04-3453299



* Copy Price : U . A . E (10 Dirhams), Saudi Arabia (10 Riyals), Kuwait (800 Fils), Qatar (10 Riyals), Bahrain (800 Fils) , Uman (500 Pesos) , Egypt (4 Pounds) , Syria (50 Liras) , Lebanon (2000 Liras) , Jordan (1 Dinar) , Yemen (70 Riyals) , Sudan (75 Dinars), Morocco (20 Dirhams) , Algeria (25 Dinars) , Tunisia (1 Dinar) , Outside Arab Countries (the Equivalent of 2 U. S. Dollars).
Outside theArab countries (the Equivalent of 2 US $)
* Annual Subscription : U. A. E (30 Dhs) Arab & Islamic Countries
(the Equivalent of U.A.E 100 Dhs) . Outside Arab Countries (45 US $).

Publishing Rules

The Journal is concerned with publishing the learned researches and heritage verifications according to the following rules.

1- Only original, previously unpublished articles will be admitted. Articles sent to be published elsewhere will not be admitted. If a contribution is accepted to be published in al-Ahmadiyah. It should not be published elsewhere, until one year, at least, had elapsed after publication.
2- The research work should not be derived from any other research study or treatise through which a researcher has acquired an Academic Degree.
3- The size of the contribution should not exceed 60 pages.
4- The research work should be genuine in its theme, method, presentation, language and sources. It should be consistent with its title, free from the inessentials. thoroughly authenticated and with adherence to punctuation rules and the requirements of the academic works.
5- Reference to the source's page number should be placed as footnotes.
6- Footnotes should be numbered page by page throughout the text.
7- References in the footnotes as well as in the index of sources should start with the title of the book, then the author's name.
8- In the footnotes, the publication information should not be mentioned unless the author is refering to more than one publication for the same book.
9- Priority should be given to al-Hijri calender.
10- Non-Arabic proper names should be written in Arabic, then in their original language within parentheses if the author wishes to.
11- All references should be listed at the end of the paper, alphabetically arranged according to the title of the reference.
12- Manuscripts and illustrations should appear in their proper location in the text.
13- Arabic and English resumé of the topic in about ioo words should be submitted by contributor.
14- A precise C.V. of the author should be provided.
15- Contributions should be typed or hand-written clearly, thoroughly checked, and only the original copy should be submitted.
16- Contributions are not to be returned to their authors whether published or not.
17- A note will be sent to the authors after the reception of their contributions .
18- Arrangement of the articles in the journal is subject to technical censideration.
19- Twenty off-prints in addition to three copies of the issue in which the contribution is published, will be sent to the author, plus a reward in money.







Issue No. 11 Jumada I - 1423 A.H / July 2002 A.D

